نظرات في العلاقات الدولية العربية

دكتور محمد طلعت الغنيمي
أستاذ ورئيس قسم القانون الدولي العام
كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية



الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه



نظرات في العلاقات الدولية العربية

دكتور محمد طلعت الغنيمي
أستاذ ورئيس قسم القانون الدولي العام
كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اجْعَلْ هَذا بَلَدًا آمِنًا وارْزق أهلهُ مِنَ الثمراتِ

صدق الله العظيم



مقدمة

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النـــاس » · صدق الله العظيم الذى كرم الأمة العربية فقيض لها فى القرآن الكريم خطابا ، وفضلها على العالمين ورتب لهذا الفضل أبوابا ، فجعلها مع نفسها أمة وسطـــا حظا وأسبابا ، وشاء لها مع الغير الشهادة مثابة وربابا ·

فاذا اهتدينا بالهدى القرآنى فان دراسة العلاقات الدولية العربية تنتظم بابين رئيسيين هما علاقة العرب بالعرب وعلاقة العرب بغير العرب · ودراسة هذا مداها تتعرض لنطاق من البحث يضيق عنه مؤلف كهذا المؤلف ، وتقصر بالنسبة له جهود الفرد مهما تزلف · لذلك كان على أن أجتزىء موضـوعات الدراسة فاخترت منها أكثرها بالظروف الراهنة اتصالا ، وقنعت فى بعضها بالايجاز تاركا فيها لمزيد من البحث مجالا · وقد اقتضى حسن العرض أن تأتى الدراسة مزيجا من علوم السياسة والقانون ، ذلك أن المادة تتأرجح بواقعها بين ضربى المعرفة هذين فتمس كلا فى شأن أو شئون · والحق أن الوشائج التى تناسب السياسة والقانون هى من الوثاقة بحيث تستغنى عن البيان · فلا غرو أن يبدأ دارس القانون دراسته بتفهم البيئة السياسية التى عاشت فيها مبادىء ذلك القانون وتطورت لأن القانون ــ فى معنى ما ــ لا يعدو أن يكون نتاج تراث البيئة عطفته حاجات الأجيال وشكلته مفاهيمها ، ولذلك فان كل قاعدة قانونية تحكى واقعا تحقق فى الزمان والمكان · ومن هنا كان جماع الأحداث ــ وهى ظواهر الطبيعة المواكبة لقواعد القانون الدولى ــ هى المكونة لموضوع البحث بالنسبة لعلم العـــلاقات الدوليـــة الذى هو بدوره جزء من

الدراسات الاجتماعية للقانون(١) · وظواهر الطبيعة هذه لا تلعب دورها فقط بالنسبة لافراغ الواقعة في صورة محددة هي قاعدة القانون بل تقتعد مقعد الأهمية كذلك عند شرح وتفسير القاعدة · ولذلك فان حقل علم العلاقات الدولية هو المجتمع الدولى بقصد التعرف على بنية ذلك المجتمع وما يتفاعل فيه من عوامل · واذن فطبيعى أن تكون مقدمة دراسة هذا العلم هى السعى الى تحديد مفهوم المجتمع الدولى ، فاذا كانت الدراسة تتناول العلاقات الدولية العربية فان السعى يتجه أساسا الى توضيح ماهية المجتمع العربى · وهذا القسم من الدراسة هو الذى يشكل الباب الأول من مؤلفى هذا ·

وقد أتبعت ذلك بباب ثان يناقش العلاقات العربية العربية ثم ثلثت بباب عن العلاقات العربية الغربية مستعملا لفظة « الغربية » فى أوسع معانيها لتدل على العلاقات مع غير العرب شرقيين كانوا أم غربيين · كل ذلك فى محاولة لاقامة نظرية تلم شتات العلاقات الدولية العربية وتجمع جزئياتها فى أصل واحد ·

ومحاولة كهذه لا بد أن تتعثر أمام ما تلقاه من صعاب جمة فليس الأمر مجرد اختيار بين الأبيض والأسود لأن تعقد العلاقات الدولية وما يعتمل وراءها من عوامل متعددة يجعل الطريق أمام الدارس وعرة المسالك متباينة الضروب كثيرة المتاهات · وهى كفرع من فروع العلوم الاجتماعية(٢) تشاطر هذه العلوم

---

(١) جرت عدة محاولات لاعطاء قاعدة القانون الدولى أساسا اجتماعيا ولكنها جانبت التوفيق لأنها أرادت صياغة أصول اجتماعية ذاتية للقانون الدولى العام مجردة عن معطيات القانون الوضعى· راجع فى ذلك

A. Guggenheim, Paul : **Contribution au problème des bases sociologiques du droit international,** Recueil d'études en l'honneur d'Edouard Lambert, 1938, p. 116 ss.

B. Schinder : **Contribution à l'étude des facteurs sociologiques et psychologiques du droit international,** R.C.A.D.I., 1933, IV., p. 233 ss.

(٢) يثور خلاف بين الكتاب حول انتماء علم العلاقات الدولية الى فرع بعينه من فروع الدراسة ، وهو خلاف ليس محل تفصيله هنا · ولكنى أعتقد أن الخلاف يرتد أصلا الى غيرة بعض أساتذة هذا العلم عليه ولعلهم يسعون — من وراء تقرير ذاتية خاصة له — الى ابراز ما لهذا العلم من أهمية تستأهل تفرده · كذلك يرجع الخلاف فى بعضه الى عدم اتفاق الكتاب على اطار العلوم الاجتماعية · وفى اعتقادى أن كل دراسة تتناول المجتمع وتتخذ من المجتمع — بوصفه

ما تلقاه من صعاب منشؤها ليونة حدود تلك العلوم وميوعة علاقات البحث فيها وما تحتاجه من المام بالعديد من ضروب المعرفة ووسائل العلم • ولعل من الطريف هنا أن أسوق ما روى عن سمنر الذى كان وزيرا لخارجية Sumner الولايات المتحدة الأمريكية على عهد روزفلت فقد ألف هـــذا الوزير كتابا فى العلاقات الدولية أسماه « أين المســـيرة ؟ «Where are heading ?» ثم دفعته الى عمته لتقرأه • فلما فرغت العمة من قراءته سألته « سمنر ، أين المسيرة ؟ » •

ذلك منى جهد المقل فان أصبت فهذا فضل الله يؤتيــــه من يشاء وان نعثرت فحسبى أجر المجتهد المخطىء • وعلى الله قصد السبيل •

هذا ـ مادة أساسية هى دراسة اجتماعية ومن ثم فان علمى السياسة والقانون هما من العلوم الاجتماعية • ووصف فرع من فروع المعرفة بأنه علم من العلوم الاجتماعية لا يهدر ذاتية هـــذا الفرع ولا يقلل من أهميته وما القصد الا اظهار طبيعة الدراسة وتحديد مجالها • كما أن الدراسة الاجتماعية للعلاقات الدولية هى التى تعرض هذه العلاقة كظاهرة من ظواهر الخبرة والتجربة •



الباب الأول

نحو نظرية فى دراسة العلاقات الدولية العربية

« وقطعناهم فى الأرض أمما منهم
الصالحون ومنهم دون ذلك » ٠

(الأعراف ، ١٦٨ م) ٠



الفصل الأول

فى

مفهوم العلاقات الدولية العربية

تمهيـــد

ان الكلام عن العلاقات الدولية العربية يعنى أننا نتكلم عن علاقات دولية وأن هذه العلاقات الدولية تتعلق بالعرب · ولما كانت العلاقة لا تنشأ الا بين طرفين فان الكلام عن العلاقات الدولية يشير الى وجود أطراف لهم طبيعة دولية هم الذين تنشأ بينهم هذه العلاقة الدولية · كما أن وصف هذه العلاقة الدولية بأنها عربية يومىء الى أن أطراف العلاقة ذوى الطبيعة الدولية هم عرب · وفى عبارة أخرى فان دراسة العلاقات الدولية العربية تفترض وجود مجتمع دولى عربى تقوم بين أعضائه علاقات دولية · لذلك يقتضى توضيح مفهوم العلاقات الدولية العربية أن نقدم لذلك بشرح معنى « مجتمع دولى عربى » و « علاقات دولية عربية » ·

فكرة المجتمع الدولى والمجتمع الدولى العربى(١)

ان فكرة مجتمع شامل يضم الوحدات السياسية التى يتوزع عليها الأفراد فكرة تستجيب لضرورات العقل والمنطق ولا يصعب أن نكشف عنها ـ اذا توفرت عن طريق الملاحظة والتجربة لأنها عندئذ تكون واقعا اجتماعيا ·

ان الفكر الانسانى يمكنه أن يتصور سلما من القيم ذات ترتيب تسلسلى تتدرج ما بين التنظيمات السياسية التى بناها التاريخ على أساس

(١) قارن الدكتور محمد طه بدوى ـ أصول علوم السياسة ، الاسكندرية ١٩٦٥ ص ٣٣ ـ ٤٨ ·

الفردية القومية وما بين فكرة نظام يتمثل فى تآلف نموذجى للتضامن البشرى٠ ولكن هذا التصور الذى يصلح للجدل والنقاش لا يكفى وحده للقول بتوفر مجتمع دولى ٠

ان الناظر الى واقع الحياة الدولية يجد أن العالم ينقسم الى وحدات أهمها هى الدول وأن هذه الدول تتعايش مع بعضها البعض ولكن هذه الحقيقة المادية قد تتوفر لمجموعة من الحيوانات فى غابة دون أن يعنى ذلك وحده أن هـــذه المجموعة تكون مجتمعا ٠ ان المجتمع انما ينبثق عن امتزاج عناصر مادية بأخرى معنوية فهو تفاعل تضامن نشط يسعى الى تنظيم السلطـــة ويحس بأن أية مخالفة لذلك التنظيم هى تهديد للتضامن الذى يربط أعضاء المجتمع ٠

واذن فلكى يتكون مجتمع دولى لا بد من أن يتوافر بجانب الركن المادى ـ وهو تعايش عدد من الوحدات الدولية ـ لا بد أن يتوافر ركن معنوى ٠

والركن المعنوى ـ على أصـــح الآراء التى أقبلها ـ انمـــا يتركب من عنصرين(١) :

أ ـ الوعى أو الضمير الاجتماعى la conscience sociale وقد عرف بوردو الضمير الاجتماعى بأنه « الشعور المسيطر الذى يتحكم ـ داخل جماعة اجتماعية بعينها ـ فى المواقف المشتركة مستجلبا بذلك رضاء أعضائها ان لم يكن رضاءهم المتحمس ، آخذين بعين الاعتبار ارادات واضحة ودرجـــات من اللامبالاة وعدم الاهتمام التى تكون ـ بالطبيعة ـ الضمير السلبى لعدد كبير من أفراد المجتمع »(٢) ٠ وتساعد العناصر المكونة للركن المادى للمجتمع على توفر

---

(١) Visscher, Charles : **Théories et Réalités en Droit International Public,** Paris, 1953, pp. 114-115.

(٢) "La conscience sociale est le sentiment dominant qui, dans une communauté sociale déterminée, commande les attitudes communes en entraînant, sinon l'adhésion enthousiaste, du moins l'acceptation des membres, compte-tenu à la fois des solutions claires et des divers degrés d'indifférence ou de désintéressement qui constitue, normalement, la conscience négative d'un grand nombre des associés."

Burdeau, Georges : **Traité de Science Politique,** Paris, 1949, T.I., p. 51.

الضمير الاجتماعى بجانب عناصر نفسانية تجمل فى احساس جماعى بخير عام مشترك • ولذلك فان الضمير الاجتماعى هو الذى يولد شعورا بالتضامن وضرورة وجود قواعد تنظم علاقات أعضاء المجتمع لتحقيق الخير المشترك وصونه • ولذلك فان السلطة فى المجتمع ليست سلطة قهر ولا ينظر اليها على أنها جزاء خالص بينما تعتبر فى خارج المجتمع سلطة قهر وانتقام •

ب - الشعور بالالتزام le sens d'obligation الذى يدفع الأعضاء لأن يحسوا بأنه من العدل أن يتقرر جزاء على مخالفة القواعد التى ترتب علاقاتهم بعضهم بالبعض • ان هذا الشعور يعنى أن قيام المجتمع لا يتطلب حتما أن تستند القوة الملزمة للقاعدة القانونية الى ارادة عليا تفرض نفسها على ارادة أدنى ، وانما يكفي أن يقر فى شعور الجماعة وعى يستشعر الطبيعة الملزمة للقاعدة القانونية والجزاء المترتب على مخالفتها •

فاذا وضعنا هذا المفهوم فى اعتبارنا وتساءلنا : هل تقدم الأواصرالدولية المعاصرة صورة حقيقية للتضامن ، وهل تناسب السلطة الخير المشترك فى تنظيم يجعل منها عاملا فعالا فى بناء المجتمع ، أى يجعل منها - على حد تعبير هوريو(١) facteur de société ?

ان الشعور بالتضامن بين أفراد المجتمع الواحد لا يستثار الا اذا تهدد كيان ذلك المجتمع ، أى أن احساسهم بالتضامن انما يكون فى علاقتهم بالغير • ولما كانت الدولة - وهى أهم أشخاص المحيط الدولى - قد قامت لحماية المصالح الحيوية لشعبها فطبيعى أن تحرص الدولة فى علاقاتها مع غيرها من الدول على حماية تلك المصالح والدفاع عنها • ولذا نلحظ فى المجتمع الدولى أننا كلما اقتربنا من المصالح الحيوية للدولة كلما وهن التضامن بين الدول وضعفت قبضة المجتمع الدولى • أى أن المشاهد فى المحيط الدولى هو أن شعور أعضائه بالتضامن يقل كلما زاد تهددهم بالخطر ولذلك فان الروابط التى تجمع بين هؤلاء هى روابط جوار juxtoposition وليست - كما فى المجتمع الداخلى - روابط اخضاع subordination •وهذا أمر منطقى فى بيئة لم تدعم فيها فكرة الخير المشترك لتعلو على الصالح الخاص وتثمر فى النفوس شعورا جديا بتضامن البشرية وما يفرضه هذا التضامن من تنظيم •

---

(١) Hauriou : Précis de Droit Constitutionel, 1929, p. 15.

هذا عن السلطة أما الشعور بالالتزام فان العلاقات الدولية تكشف حياله عن انحراف ظاهر • صحيح أن الدول لا تناقش ـ من حيث المنطق وجود قيم تعلو على القيم الوطنية ، ولكنها ـ من حيث الواقع ـ لا تدين بالـــولاء الا لتطلبات مصالحها القومية • ولا تسمح البيئة الدولية ولا العقلية الجماعيـة فى الوقت الراهن بتقبل مفهوم آخر فى النطاق الدولى • ان الدولة عندما تنتهك مواثيقها أو تضرب صفحا عن عهودها تحاول أن تغطى ذلك بالتمسح ببعض المبادىء القانونية أو الأخلاقية ، بيد أن هذا انما يكشف عن ازدواج الطبيعة البشرية ذلك أن الانسان يعزف عن أن يجعل من القوة الوحشية قانونا بقـدر ما يرغب فى تمجيد أفعال القوة التى تأتيها جماعته دفاعا عن مصالحه • لقـد بذر التوزيع الأخلاقى للسلطة بذورا لأخلاق دولية بين دول متساوية فى اطار من التنسيق لا التبعية ، وهى أخلاق من نوع خاص غير قادرة على أن تولد ادراكا بخير عام مشترك يسود الخير القومى وشعورا بمصير مرتبط للبشرية •

قد يسأل سائل : ألا يمكن ـ فى المحيط الدولى ـ أن تحل مذاهب معينة سياسية أو اجتماعية محل المشاعر الوطنية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال لاتجد لها مجالا يستحق الاشارة الا فى الفكرين الاسلامى والشيوعى • فكلاهما يقدم للناس مذهبا فى الحياة يستهدف اقامة حضارة معينة، كما أن تزود فى ذات الوقت بأساس مذهبى لتنظيم السلطة • ومن الحقائق عن المذهبين أن لـــكل منهما حدودا لا تصادف الحدود الوطنية وأنه يعمل على تحطيم الوحدة التاريخيـــة لبعض البلاد • ولكن الأحداث لا تسمح لنا بالقول بأن أيا منهما قد حقق فى المجتمع المعاصر ما يجعلنا ننظر الى الدولة القومية على أنهـــا مجرد مركز ولاء تابع • فلا زالت الحركات التى تأثرت بهذا المذهب أو ذاك ـ ســـواء أكانت مؤيدة أو معارضة ـ انما تنبعث عن مشاعر وطنية •

وعلى هدى مما سبق يمكن أن نقول ان المجتمع الدولى هو نظام من القوة يعيش فى ضمير الناس ولا يستجيب لنظام قائم فعال[1] •

---

(١) دى فيشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ •

فما زالت الدولة في حاجة الى ايمان قوى بضرورة التفرقة بين الاستعمال المشروع والاستعمال غير المشروع للقوة وتنظيم المقاومة الجماعية للعدوان ٠ ان فكرة مجتمع دولى تنتمى الى تلك الأفكار الحضارية الكبرى التى ليست لهـا طاقة ايجابية قادرة على احداث تغيير سياسى أو اجتماعى بسبب بطء آثارها وما يعتورها من نكسات ٠

فاذا أردت نقل الأفكار التى أوجزتها فيما سلف الى الصـعيد العربى نجد أن الركن المادى للمجتمع متوافر لا جدل في ذلك ٠ فهناك وحدات دولية عربية تتعايش مع بعضها البعض ٠ كذلك فان الركن المعنوى فى غنى عـن التوضيح لان تعبير المجتمع العربى أصبح يجرى على كل لسان كحقيقـة من المسلمات وغدا موضوعا من موضوعات الدراسة فى معاهد العلم المختلفة(١) ٠ ان الضمير الاجتماعى العربى وشعور العرب بالتضامن وبالالتزام أمر تشهد عليه - دون مراء - عناصر الترابط التى تجمع شعوب المجتمع العربى ٠ تلك العناصر الجوهرية التى جعلت من هذه الشعوب أمة واحدة وقومية واحدة وهى وحدة اللغه ووحدة التاريخ يؤيدها انسجام القيم الروحية ٠ ولقـد سجل الميثاق الوطنى هذه المفاهيم فجاء فى بابه التاسع الخاص بالوحدة العربية :
« يكفى أن الامة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر ٠

« ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ٠

« ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير » ٠

كما جمعت هذه المقومات فى وثيقة لاعلان الوحدة الاتحادية (إعـلان الوحدة ومبادىء ميثاق العمل القومى ومبادىء الدستورى الاتحادى)(٢) فى ٦١

---

(١) راجع على سـبيل المثال للأبحاث المتعمقة التى تتكلم عن المجتمع العربى الدكتـور مصطفى فهمى ابو زيد - النظرية العامة للقومية العربية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ٠
Carmichael, Joel : The Shaping of the Arabs, London, 1967.

(٢) الدكتوران محمد طه بدوى ومحمـد طلعت الغنيمى - دراسات سـياسية وقومية ، الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ٩٠ - ٩١ ٠

ابريل سنة ١٩٦٣ اذ جاء فيها « فقد استلهمت الوفود فى كل مباحثاتها الايمان بأن الوحدة العربية هدف حتمى يستمد مقوماته من وحدة اللغة التى تحمل الثقافة والفكر ، ووحدة التاريخ التى تصنع الوجدان والضمير ، ووحدة الكفاح الشعبى التى تقرر وحدة المصير ، ووحدة القيم الروحية والانسانية النابعة من رسالات السماء ، ووحدة المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية القائمة على الحرية الاشتراكية » .

« وقد تجاوزت فكرة الوحدة العربية مرحلة العقيدة المذهبية والدعوة المثالية الى طور التبلور كقاعدة عامة من قواعد القانون العام الداخلى فى الدول العربية منذ عام ١٩٥٠ »(١) وتتأكد لنا هذه الحقيقة اذا نحن راجعنا دساتير البلاد العربية اذ نجدها تجتمع حول اثبات حقيقة واحدة ، هى أن شعب كل دولة منها هو جزء من الشعب العربى(٢) . فاذا كانت القوانين الأساسية فى مختلف البلاد العربية تقرر فى صلبها ـ كمبدأ من المبادىء المتعلقه بنظامها العام وكحقيقة تزكيها قواعد الدستور ـ أن الوحدات السياسية انما تكون جزءا من الوطن الأكبر فما هذا الا انعكاس ـ فى صورة تشريع ـ لحقيقة اجتماعية

---

(١) نقلاً عن محمود كامل المحامى ـ القانون الدولى العربى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٧ .

(٢) ينص دستور الجمهورية السورية الصادر ـ قبل الوحدة ـ فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٥٠ فى مقدمته على ما يلى « نحن ممثلى الشعب السورى .... ونعلن أن شعبنا الذى هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع الى اليوم الذى تجتمع فيه أمتنا العربية فى دولة واحدة ... » . وتقرر المادة الأولى من ذات الدستور أن « الشعب السورى جزء من الأمة العربية » . وتقول م ٣ من الدستور الليبى الصادر سنة ١٩٥١ والمعدل بالقانون رقم ١ لسنة ١٩٦٣ ان « المملكة الليبية جزء من الوطن العربى » . وكذلك تؤكد م ١ من دستور المملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٩٥٢ ان « الشعب الأردنى جزء من الأمة العربية » . ويذكر دستور دولة الكويت الصادر فى ١٩٦٢ ان « شعب الكويت جزء من الأمة العربية » . وتشير مقدمة الدستور التونسى سنة ١٩٥٩ الى أن الشعب التونسى مصمم على « وحدة المغرب الكبير وبانتمائه للأسرة العربية » . ويورد دستور المملكة المغربية سنة ١٩٦٣ فى تصديره ان المملكة المغربية جزء من المغرب الكبير (الذى هو بدوره جزء من الوطن العربى) . وتورد المادة الأولى من دستور الجمهورية العراقية المؤقت سنة ١٩٦٤ ان « الشعب العراقى جزء من الأمة العربية هدفه الوحدة الشاملة وتلتزم الحكومة بالعمل على تحقيقها فى أقرب وقت ممكن مبتدئة بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة » . وقد جاءت المادة الأولى من دستور الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٤ ـ ومن قبلها مقدمة دستور سنة ١٩٥٦ ـ لتعلن « ان الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » .

وهى توفر الضمير الاجتماعى لدى الشعب العربى واحساسه ـ المؤيد بالقيم الروحية المشتركة ـ بالتزامات أخلاقية معينة حيال مجتمعه • وفى عبـــارة أخرى فان المشاعر المستقرة فى ضمائر العرب ، وما صدر ويصدر عن زعمائهم والمسئولين فيهم ، وما سجلته وثائقهم من معاهدات(١) ودساتير كلها تشـير بقوة ووضوح الى أن المجتمع العربى حقيقة اجتماعية واقعـــة لا زيف فيها ولا مراء ذلك أن عوامل التفسخ التى يتسم بها الكيان الدولى تقابلها عوامل الترابط فى المجتمع العربى ، والنزعة الفردية التى تحرص عليها الـدول فى علاقاتها الدولية يقابلها اتجاه قوى نحو الوحدة العربية ، وانعدام الشـعور الاخلاقى بالالتزام يقابله شعور أخلاقى بذلك الالتزام يقف من ورائه التراث الروحى للعرب •

ويطول بى المقام لو أردت أن أسوق الأمثلة أو أن أوضح الآراء أو أن أقدم الأدلة وانى أكتفى هنا ـ كمـــا سبـــق أن قدمت ـ بذلك الفيض من الدراسات الذى تحتويه المكتبة العربية فى هذا الخصوص •

وأترك المجال هنا لعلماء النفس للتعبير عن هذه الحقيقة التى أسموها « البنية التلقائية ـ من الوحدات الاسلامية الى الجماعة النفسية العربية » • يقول العلماء « ثمة كلمة تمهيدية تنحصر فى أن المجتمع ، من حيث هو وحدة كلية عضوية ، لا يشتمل على (أعضاء) متجانسين كـــل التجانس ، ولا على أعضاء متباينين كل التباين ، وانما يشتمل على (أجهزة فرعية) على وحدات كلية من الدرجة الثانية ، تستمتع فى ظل تبعيتها (للكـل) بشىء من التفرد الذاتى ••

•••• ففى البدء ، وقبل الفتح الاسلامى ، كانت شعـــوب تعيش فى وحدات اجتماعية متماسكة ومستقلة عن بعضها البعض ، ثم جاء الفتح الاسلامى ففرض ولا شك على هذه الشعوب ثقافة جديدة وعقيدة جديدة ••• وهكذا فقد كانت هذه الشعوب أشبه ما تكون بعاملات النحل التى أقبلت على الزهرات

(١) سنتناول بعضا من المعاهدات ذات الاتجاه الاتحادى فى الباب الثانى من هذا الكتاب •

العروبية بالمعنى السلالى ، وعلى الأفكار الاسلامية بالمعنى العقيـدى فأساغتهـا وخلصت منها الى شهد ما نسميه بالثقافة العربية والحضارة العربية ٠٠٠٠٠ وهكذا فان الجماعة النفسية الاسلامية ، والتى تكشفت عبر الكفاح عن الاسلام ضد الهجمات الصليبية والتتارية ، قد أخذت تتحول مع الوقت ، وخاصـة تحت وطأة الحكم العثمانى ، الى جماعة نفسية اسلامية عربية »[١] ٠

بيد أن المجتمع الدولى العربى مجتمع لا زال ينقصه التنظيم أى أنه – على حسب تعبير الفقيه الفرنسى رويتير – لم يصل بعد الى مرحلة المجتمع الجميع ٠ ان رويتير يفرق بين المجتمع society وبين المجتمع الجميع group [٢] ٠ فالمجتمع هو جماع أفراد أو جماعات ربطت بينهم مصالح دائمة يحتاج اشباعها الى تكييف مسلكى متبادل ولذا فانهم يشعرون بشعور مزدوج من التضـامن والالتزام ٠ أما المجتمع الجميع[٣] فهو مجتمع منظم يتحقق فيه تعزيز المصالح المشتركة عن طريق توزيع الاختصاصات واقامة السلطات المركزية ٠

ماهية العلاقات الدولية العربية

اذا كان المجتمع الدولى العربى لم يصل بعد الى مرحلة المجتمع الجميع لأنه لا زال ينقسم الى وحدات – تعتبر كل منها جميعا بذاتها – ولم يتحقق فيه توزيع الاختصاصات واقامة السلطات المركزية ، فان معنى هذا أن العلاقات التى تدور فى رحاه هى علاقات بين وحدات متميزة لها ذاتيتها ٠ فأى هـذه العلاقات هى التى تعتبر علاقات دولية عربية ؟ ان ذلك يتوقف على الزاوية التى ننظر منها الى العلاقات ٠

فاذا نظرنا الى العلاقات من حيث مجالها فان العلاقة تكون علاقة دولية

---

(١) نقلا عن الدكتور صلاح مخيمر والأستاذ عبده ميخائيل رزق – دراسات فى القومية مع هيكل نظرية تفسيرية فى القومية العربية – القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٤ – ١٥٧ ٠

(٢) Reuter, Paul: International Institutions, London, 1958, pp. 17-31.

(٣) قد تبدو ترجمة كلمة Group بالتعبير العربى « المجتمع الجميع » ترجمة غير موفقة ولكنى فضلتها كمحاولة لاعطاء مقابل باللغة العربية لتعبيرين وضع لهما الكاتب معنيين مختلفين ٠ والجميع لغة المجتمع ، ويقـال : رجل جميع : مجتمع الخلق قوى قد بلغ أشده (المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٣٦) ٠

تحدث في النطاق الدولي وعلى هذا فإن العلاقات الدولية تشمل كل ما يحدث على الصعيد الدولي · وتلك نظرة فضفاضة الى حد يخرجها عن الدقة والصواب، فهناك من الأمور ما له صفة دولية ولكن دراسة العلاقات الدولية لا توليهـــا اهتماما لأنها أمور هامشية بالنسبة للمجتمع الدولي (١) · مثال ذلك الألعاب الأوليمبية اذ يشترك فيها لاعبون من عديد من الدول يتنافسون باسم دولهم على مركز الصدارة في الألعاب ويتابعها في أرجـــاء المعمورة جمهور كبير من الناس ، ولكنها لا ترتفع في نظر الدراسة العلمية للعلاقات الدولية الى مستوى الأحداث التي تدخل في نطاق الدراسة · واذا نظرنا الى العلاقات من حيث القواعد التي تحكمها فان العلاقة تكون علاقة دولية اذا كانت مما تنظمه قواعد دولية وعلى هذا فان العلاقات الدولية هي العلاقات الخارجية فحسب وهـــذه بدورها نظرة متزمتة يجانبها التوفيق فهي تقابل بين الشئون الداخلية للدول وبين شئونها الخارجية في حين أن الخط الفاصل بينهما قد انفلت الآن بحيث تصعب التفرقة اذ هناك من الأمور ما كان يعتبر شأنا داخليا فيما مضى ولكنه غدا اليوم مما تهتم به الجماعة الدولية وتنظر اليه على أنه شأن من شئـــونها لمساسه بالمصالح الحيوية للجماعة الدولية · فدستور الدولة مثــلا كان يعتبر من قبل من الشئون الداخلية للدولة أما الآن فانه يمكن أن يكون شأنا دوليا اذا ذكرنا في هذا المقام دستورا كدستور روديسيا وما تضمنه من أحكام التفرقة العنصرية الأمر الذي أثار الرأي العام العالمي وكان له صداه في الأمم المتحدة وما اتخذته من قرارات في هذا الشأن · كذلك تعتبر السياسة التي تنتهجها دولة كالولايات المتحدة الامريكية أو استراليا فيما يتعلق بالهجرة أو زراعــة المحصولات الزراعية من الأمور الدولية رغم طابعها الداخلي الواضح لما يستتبع تلك السياسة من آثار على الدول المصدرة للقوى البشرية وعلى الدول النامية · وتلك نتيجة طبيعية لظروف عصر تشابكت فيه المصالح وألغيت المسافات ·

يمكن اذن أن نقول ان العلاقات الدولية في صورتها الراهنة تعتبر أضيق وأوسع — في ذات الوقت — مما كانت عليه فيما مضى · فهي أضيق في معنى

---

(١) Schwarzenberger, Georg: Power Politics, London, 1951, pp. 3-4.

أن هناك مظاهر من العلاقات بين الدول أصبحت تعالج بواسطة متخصصين فيها ، مثال ذلك نزع السلاح والدراسات الاستراتيجية • وهى أوسع فى معنى أنها تشمل مظاهر من السياسات المحلية والدولية والانعكاسات والرغبات والقرارات التى لم تكن تظهر من قبل فى دراسات العلاقات الدولية • وهى كذلك أضيق من حيث أنها لا تشمل كافة الأحداث الدولية وأوسع من حيث أنها تنصرف الى أكثر مما تعنيه العلاقات الخارجية •

فاذا كانت الدراسة العلمية للعلاقات الدولية لا تتسع لتشمل كافة الأحداث الدولية كما أنها لا تضيق لتتقوقع فى الشئون الخارجية للدول ، فما هو المعيار الصحيح اذن ؟ فى تقديرى أن النظرة الأصح هى التى تهتدى بأهداف علم العلاقات الدولية ذاتها •

فاذا كان علم العلاقات الدولية يهتم أساسا بالمصالح الحيوية للمجتمع الدولى ، فان أقرب الآراء الى الصحة يكون هو الرأى القائل بأن مدى الأهمية التى تمثلها العلاقة فى المجتمع الدولى هو الذى يحدد ما اذا كانت هذه العلاقة تدخل أو لا تدخل ضمن دراسة العلاقات الدولية • فاذا كانت العلاقة لها من الأهمية ما يجعلها ذات أثر على المجتمع الدولى ـ بوصفه هذا ـ اندرجت ضمن موضوعات الدراسة العلمية للعلاقات الدولية والا فانها تخرج عن نطاق العلم حتى ولو تجاوزت حدود الدولة الواحدة • ومن هنا يمكن أن نعرف العلاقات الدولية بأنها العلاقات ذات الأثر الجوهرى على المجتمع الدولى ـ بوصفه هذا ـ سواء أكانت بين جماعات أم بين جماعات وأفراد أم بين أفراد(١) •

واقتداء بهذا التعريف يمكن أن نقول ان العلاقات الدولية العربية هى العلاقات التى يكون لها أثر جوهرى على المجتمع العربى أيا كان أطرافها طالما أن أحدهم على الأقل عربى •

وحتى يتحدد المقصود من هذا التعريف فاننى أضيف الملاحظات التالية :

أولا : لا يلزم ـ لكى تكون العلاقة دولية ـ أن تكون عالمية سواء من حيث

(١) شوارزنبرجر ـ المرجع السابق ، ص ٤ •

أطرافها أم من حيث أثرها • وتبعا فيمكن أن تكون العـــلاقة دولية ولو كان أطرافها بعض من أعضاء المجتمع الدولى أو اذا كان أثرها ينصرف الى مجتمـع بعينه من عديد المجتمعات التى تكون فى جماعها المجتمع الـدولى • وان كان يصعب عملا أن نتصور أن تكون هناك علاقة ذات أثر جوهرى على وحدة من وحدات المجتمع الدولى دون أن تمثل أهمية ـ على نحو أو غيره ـ بالنسبة لباقى وحدات المجتمع الدولى • ولذا فان العلاقة تعتبر علاقة دولية عربية حتى ولو لم تتصل بكافة أعضاء المجتمع الدولى العربى على التفصيل الذى قدمته •

ثانيا : لا يقصر التعريف دراسة العلاقات على الدول فحسب بل يفسـح المجال لدراسة علاقات بين جماعات أو بين جمـــاعات وأفراد ، بل وبين أفراد ما دام أن العلاقات الدولية لا تقتصر فقط على الشئون الخارجية أى لا تنحصر فى علاقات الدول فحسب • ولعل أهم الجماعات التى يهتم بها علم العـــلاقات الدولية تلك الجماعات التى جرى التعبير الغربى على تسميتها les groupes de International pressure groups 'pression internationaux والتسمية توضح الدور الذى تلعبه هذه الجماعات فى مجال العلاقات الدولية بما لها من تأثير يمكن أن تمارسه عن طريق الضغط على الدول المختلفة(١) • وسوف أتعرض فى الفصل الأخير من هذا الباب لمناقشـــة نموذج من تلك الجماعات له أثره على العلاقات الدولية العربية •

وقد يبدو غريبا أن أقول ان العلاقات الدولية تهتم بالأفراد أيضـــا ، ولكن هذا العجب يتبدد اذا علمنا أن نطاق الأعمال والصحافة والثقافة والدين يعرف رجالا كان لهم من الأهمية ما لفت نظر المجتمع الدولى وأثر على علاقاته • فقد استطاع رجل مثل كريجر Kreuger أن يصبح قوة دولية لفترة ما بما قدمه من قروض وما حصل عليه من امتيازات بلغت خمسة عشر امتيـــازا • كذلك يعتبر ريكت Rickett ـ الذى أبرم صفقته غير العادية مع الحكـــومة الحبشية غداة الحرب بين ايطاليا والحبشة ـ مثلا آخر لما أقـــول • وفى نطاق

---

(١) الدكتور محمد سامى عبد الحميد ـ مقدمة فى العلاقات الدولية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٩ وما بعدها •

العلاقات الدولية العربية يمكن أن أسوق مثلا المستر جلبنكيان — الذى اشتهر باسم مستر خمسة فى المائة (مقدار حصته فى أرباح شركة البترول العراقية)، والبارون روتشيلد الذى صدر تصريح بلفور باسمه ٠

ثالثا : التعريف على النحو الذى عرضته يدخل تحت الدراسة العلاقات الدولية سواء أكانت علاقات قانونية أم علاقات سياسية ٠ صحيح أن التفرقة بين ما هو قانونى وما هو سيـــاسى قد تدق — ان لم تختف — فى النطـاق الدولى(١) ٠ ولكن الخلاف الذى يثور حول هـــذه التفرقة ليس بذى بال فى دراستنا الحالية لأنها تستهدف العلاقات الدولية بشقيها هذين ٠

دراسة العلاقات الدولية العربية كميدان مستقل

ان مشكلة دراسة العلاقات الدولية العربية دراسة علمية على أســاس أن هناك نظرية تحكمها هى جزء من كل هو دراسة العـــلاقات الدولية عموما كميدان مستقل ٠ ومن ثم فان ما نقوله عن مشكلة اقـــامة نظرية عـامة فى العلاقات الدولية يمكن أن ينصرف تلقائيا الى العلاقات الدولية العربية فاذا انتهينا الى امكان دراسة العلاقات الدولية كعلم فمعنى هذا تتبعا امكان دراسة العلاقات الدولية العربية كعلم ٠

الواقع أن دراسة العلاقات الدولية دراسة علمية لم تلق الاهتمام الذى تستأهله الا فى السنوات الأخيرة ولذا فانها تمر الآن بمرحلة مرت بها دراسات أخرى تتعلق بالسلوك البشرى — مثل الاقتصاد وعلم النفس — حيث يختلف الدارسون ٠ فالبعض يحـاول أن يرسى لها الأسس ويقيم النظريات والبعض ينظر الى هذه الجهود على أنها ليست جهودا علمية وانما تدعى العلم Scientistic .

ومن النقاد الذين لا يؤمنون بدراسة العلاقات الدولية كعلم من ينكر على

---

(١) الدكتور محمد طلعت الغنيمى — التسوية القضائية للخلافات الدوليـــة ، القـــاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ١٩٧ — ٢٠٦ ٠

والواقع أن كلمة سياسية ماخوذة عن اللفظ الاغريقى Politicus او Politikus نسبة الى Polis أى مدينة (أو دولة بالمعنى الذى نفهمه اليوم) ومن ثم فان السياســـة — فى معنى عام — هى تنظيم وادارة المدينة (أو الدولة) سواء فى مصالحها الداخلية أم الخارجية ،

دراسة العلاقات الدولية قدرتها على أن تجسد نظرية خاصة بها لأنهم ينكرون على الدراسة ذاتيتها ويرون أنها فرع من فروع الدراسات التاريخية · ولكن هذا الرأى تنقصه الدقة ذلك أن المجتمع الدولى هو فى واقعه نتـــاج تطـور تاريخى امتد على عصور متعاقبة شهدت مجتمعات تقوم على أنقاض أخرى درست قبلها · ومن ثم افن دراسة المجتمع القائم فى أحدث وجوه تطوره يخرج عن نطاق التاريخ لأنه لا زال مجتمعا حيا والحقبة من حياته التى تدرسها العلاقات الدولية هى الحقبة المعاصرة الحديثة · حقا ان الباحث فى العلاقات الدولية قد يستفيد من بعض دروس التاريخ فيما يجريه من مقارنات بين المجتمع الراهن والمجتمعات القديمة أو بما يقصه التاريخ من تجارب سابقة تعكس ألوانا من الخبرة الانسانية ، بيد أن كل هذا لا يبرر ادماج دراسة العلاقات الدولية ضمن الدراسات التاريخية فعلم العـــلاقات الدولية علم له ذاتيته المستقلة عن علوم التاريخ ·

ومنهم من ينكـــر عـن الدراســـات الدوليـــة صـــلاحيتها ـ بحكم الموضوعات التى تتناولها بالدراسة ـ على أن تصوغ نظرية شاملة فعند هؤلاء أن الحكمة الخالدة هى الحكم على الأمور بنتائجها والفرض عندهم أن الأمور باقية لا يتغير جوهرها فى شىء · وهذا الاعتراض فيما يبـــدو لى انما يخلط بين سلامة الفكرة من حيث هى وبين ما قد يعتور الوصول اليها من صعاب أو أخطاء فقد ينتهى الباحث فى العلاقات الدولية الى نظرية خاطئة ولكن مجانبته للصواب فيما ذهب اليه لا تعنى أنه استهدف المستحيل وانما تعنى فقط أنه اجتهد حيث يمكن الاجتهاد ولكنه أخفق فى تحرى الحقائق · وتبعا فان نظريته تكون فى حاجة الى تعديل أما محاولته فلا مبرر للحكم عليها بالاستبعاد(١) · وما أشبه جهد الدارس هنا بجهد أليس(٢) عندما أسرعت تعدو قدر طاقتها وراء الملكـة الحمراء ورغم أن كليهما قد بذلا قصارى جهدهما فى العدو فقد اكتشفت أليس ـ عندما توقفا لالتقاط أنفاسهما ـ أنهما ظلا تحت ذات الشجرة طول الوقت ٥ فما كان من الملكة الحمراء ـ وقد تعودت مثل هذه الأمور ـ الا أن تقول لها «اليك ،

(١) Hartman, Frederick H.: **The Relations of Nations**, New York, 1957, p. 594.

(٢) هذا المنظر من كتاب « فى المرآة "Through the Looking Mirror".

عليك اذا أردت البقاء فى مكانك أن تبذلى أقصى جهدك فى العدو ، أما اذا رغبت الذهاب الى مكان آخر فعليك أن تضاعفى سرعتك هذه على الأقل فى العدو .
here you are, it takes all the running you can do to keep in the same place. If you want to get somewhere else, you must run at least twice as fast as that."

وفى اعتقادى أن دراسة العلاقات الدولية كميدان مستقل بذاته أمر ممكن . وما أحوج العالم الى نظرية كهذه تنظم المعلومات وتضفى على الظواهر معنى يربط بينها وتوضح معايير اختيار المشاكل التى تتطلب التحصيل الدقيق بل انها يمكن أن تخـــدم كـــذلك كأداة لفهم ألوان السلـوك غـير المنطقى والعارض(١) .

صحيح أن علم العلاقات الدولية لا يهتم بالأهداف فهو لا يسعى مثلا الى تحقيق الحكومة العالمية أو ارساء قواعد الديمقراطية وانما يهتم بالملاحظـة والتحليل والاستنباط ، وهذا ليس بالأمر الهين لأنه يهدينا الى ما يمكن أن نتوقعه من آثار ترتب على وقائع معينة ويقدم لنا حلولا بديلة لمشكلة ما حتى تكون تحت نظر السياسى عند اتخاذ قراره(٢) .

وقد تعددت المحاولات والنظريات فى علم العلاقات السياسية بحيث لم يعد ميسورا أن نلمح بينها ما هو مشترك من حيث الموضوع والأسلوب ولكنها جميعا تهدف الى استنباط التعميمات وربط المفاهيم بالواقع ، ويكفى هذا لكى نضفى عليها سمة الدراسة العلمية .

وقد عرف الفكر الغربى ـ فى البداية ـ من النظريات التى ندرسها اليوم نهجين : النهج العقائدى (الايديولوجى) ، والنهج التحليلى .

ويفترض النهج العقائدى أن السياسة التى تصطفيها الدولة فى علاقاتها

---

(١) يقابل هذه النظرة نظرة أخرى ترى ان الذى يمثل على المسرح العالمى ليس إلا مشهداً من الغباء المتواصل .

(٢) Burton, V.W. : International Relations, A General Theory, Cambridge 1967, pp 5-22.

الخارجية هى تعبير عن معتقداتها السياسية والاجتماعية والدينية ، فالدولة التى تعتنق الديمقراطية تصدر عن تلك العقيدة فى سياستها الخارجية ، وكذا الأمر بالنسبة للدولة التحررية والدولة الاشتراكية ، وهكذا .

ويفترض النهج التحليلى أن السياسة الخارجية للدولـــة هى ثمرة عدة مقومات مثل تقاليد الدولة التاريخية وموقعهاالجغرافى ومصالحها الوطنية وما الى ذلك ، فتلك وغيرها جوانب تؤثر على العلاقات الدولية . وهذه يجب أن يحيط بها المراقب الذى يريد تفهم العلاقات الدولية .

وقد شهدت دراسة العلاقات الدولية فى أقل من عقد رد فعل ضد النهج العقائدى لأنه يصور العلاقات الدولية على أنها وليدة السياسات الداخليـــة فيتجاهل عناصر الاستمرار فى السياسة الوطنية ويتنـــاسى أن المتطلبـــات الموضوعية للمصلحة الوطنية قد تفرض قيودا على رجـــل الدولة المسئول عن ادارة العلاقات الدولية الخاصة بدولته . فأيا كانت نواياه وفلسفته الاجتماعية ونظرته الدينية فان هذا لا يمكن أن يعميه عن مصالح أمته الحيوية المنبعثة من وضعها الجغرافى ودورها الدولى أو أن يصرفه عن مراعاة هذه المصالح ان أراد الحفاظ على استقلال بلاده . ولذا فان الـــدول - حتى الكبرى منها - ترسم سياستها من نتاج التفاعل بين وضعها الدولى المستمر وبين تقاليدها وأنظمتها الدائمة وتتابع هذه السياسة لفترة - قد تطول أو تقصر - على الرغم مما قد تتعرض له من تغيرات سياسية هامة . وهذا مؤداه أن العلاقات الدولية تتطلب من صانعيها أن ينظموها فى تسلسل يرتبها حسب أهميتها . فهناك مصالح يجب الدفاع عنها أيا كان الثمن ومصالح تكون المحافظة عليها واجبة فى ظروف معينة ومصالح يمكن غض النظر عن الدفاع عنها أو المحافظة عليها .

على أنه يجب أن أنبه الى أن ثبات مصالح الدول لفترة من الزمن لا يعنى جمود تلك المصالح وانما يعنى أن هناك حدودا واسعة - هى الثابتة - وفى اطارها تجرى اختيارات العلاقات الدولية ، كما تجرى فىهذا الاطار الاختلافات الداخلية حول العلاقات الدولية . والحق أن استمرار السياسة الخارجيـة على نهج واحد فى عصر التسابق العلمى أصبح موضع شك فهو عصر تغدو فيه

يقينيات اليوم شكوك الغد · بيد أن دارسي العلاقات الدولية مقتنعون بأن الباحث المعاصر يستطيع أن يحلل وأن يتفهم الظواهر المتكررة فى العلاقات الدولية على أن هذا الاقتناع لا ينفى الاقرار بأن محاولة رسم حـــدود كاملة واضحة سليمة لفلسفة العلاقات الدولية لدولة ما ـ لا سيما اذا كانت دولة كبرى ـ هو أمر غير يسير ·

وقد ظهر فى الحقبة الاخيرة ـ الى جانب النهجين السالفين ـ مناهج جديدة فى دراسة العلاقات الدولية ·

فهناك النظرية المنهجية(١) التى تقيم فروضا أو نمـــاذج معينة ، وعلى أساس هذه الفروض أو النماذج تحاول أن تجد جوابا للمشكلة · وهى تختار فروضها أو نماذجها على أساس من الواقع العملى · فمثلا نفترض أن المشـكلة التى تحتاج جوابا هى : هل تختلف فعالية نظام توازن القوى حسب اتجـاه العوامل المؤثرة فيه ؟ · للاجابة على هذا السؤال يمكن أن نختـــار نموذجين نستعين بهما للوصول الى الحل · النموذج الأول هو أن نظام توازن القـــوى يصبح غير مستقر فى الأجل القصير اذا كانت بعض العوامل الفعالة فيه تهدف الى السيطرة · ولكن اذا امتد الوقت بالعامل الفعال المتجه الى السيطرة فانه يفشل فى أن يصبح أقوى العوامل الفعالة اذ تسعى العوامل الفعالة الأخرى الى تحييد أثره · والنموذج الثانى هو أنه فى مجتمع يتكـــون من خمس دول فان احتمال قيام الحرب بين مجموعة تتكون من دولتين ضمن مجموعة تتكون من ثلاث يحقق نوعا من الاستقرار فى نظام توازن القوى فى حين لو أن الحرب جرت بين مجموعة تتكون من أربع دول ضد دولة واحدة فان هذا يجعلها أكثر احتمالا · تلك فعلا هى الفروض التى يمكن أن تهدينا الى حل مبدئى للسؤال المطروح · ولذا تلجأ النظرية المنهجية عادة الى أحد أسلوبين للوصول الى الحل الأخير · الأسلوب الأول هو الالتجاء الى الحاسب الآلى (العقل الالكترونى) computer لتوضيح العلاقة بين الفروض المختلفة واستنباط حل على أساسها

---

(١) راجع Kaplan, M.A.: New Approaches to International Relations, The Yearbook of World Affairs, 1968, pp. 15-34.

ولهذه الطريقة ميزة السرعة والقدرة على استيعاب عدة نماذج معقدة قد يصعب استيعابها عن غير طريق الحاسب الآلى · وقد قام عالمان هما De Kessler Sola Pool بتطبيق هذه الطريقة على العلاقات الدولية فصمما حاسبا آليا لاتخاذ قرارات فى حالة الأزمات واستخدموه فى تفهم العلاقات بين امبراطور المانيا وقيصر روسيا فى الأيام التى سبقت مباشرة قيام الحرب العالمية الأولى · بيد أننا يجب ألا نبالغ فى تقدير الحاسب الآلى فهو ليس آلة سحرية تحقق المعجزات ولا زال فى مرحلة مبكرة من التطور وهو ان دل فانما يدل على أن العلوم الاجتماعية قد دخلت حظيرة النشاط العلمى الخلاق وانعكس ذلك على دراسة العلاقات الدولية ·

أما الأسلوب الثانى الذى تلجأ اليه النظرية المنهجية فهو الدراسات التاريخية المقارنة بقصد استنباط نتائج من هذه المقارنات · ومن الأمثلة الجديرة بالذكر هنا الفرض الذى يذهب اليه توينبى — والذى سمى باسمه — وهو ان النظم المركزية تنهار فى النهاية بواسطة غزاة أقل مستوى فى الحضارة والثقافة ولكنهم أكثر ضراوة · وانى أسوق هذا المثل — دون مناقشة مدى صحته — لبيان قاعدة من قواعد العلاقات الدولية ذهب اليها عالم مثل توينبى متأسسا على دراساته التاريخية المقارنة ·

ولعل من الطريف وأنا بصدد الكلام عن الأساليب الحديثة فى دراسة العلاقات الدولية أن ألمح الى اتجاه معاصر نحو دراسة العلاقات الدولية على أسس رياضية(١) · والمثل الجارى لهذا النوع من الدراسة هو ما يعرف بنموذج ريتشاردسون Richardsor لسباق التسلح الذى يفترض أن معدل التسلح يتغير طبقا لعاملين هما : مستوى تسلح الخصم ونفقات التسليح · فكلما زاد مستوى الخصم فى التسلح كلما اندفع الطرف الآخر الى التسلح بيد أن نفقات التسليح قد تكون من الارهاق بحيث تبطىء به فى التسلح · هناك عوامل

---

(١) راجع Nicholson, M.B.: **Mathematical Models in the Study of International Relations, The Yearbook of World Affairs, 1968, pp. 47-68.**

أخرى بلا جدال تتحكم فى الموقف لا يمكن استبعادها من الاعتبار ولكنها ترتبط بمستوى التسليح لا بمعدله • ولما كانت القاعدة الخاصة بالمعدل هى قاعدة رياضية فمعنى ذلك أننا ندرس العلاقات الدولية على أسس رياضية • وليس بمستبعد أن تنتهى هذه الدراسات الى معادلات رياضية تفسر وتضبط العلاقات الدولية(١) •

ولما كانت فائدة النظرية انما تقاس بمعدل قدرتها على توضيح حقيقة المشكلات كان طبيعيا أن يتجه الدارس أول ما يتجه الى القاء الضوء على تلك المشكلات لأن وضوحها يعين على فهمها • واذ أن الجماعة الدولية قامت ليعيش أعضاؤها فى سلم متبادل قدر الامكان ، فلا عجب أن تكون المشكلة الأولى فى العلاقات الدولية هى السلم والأمن الدوليين ومن هنا جاء اهتمام العلاقات الدولية بتلك المشكلة علها تستطيع أن تهتدى الى حل يعالج أخطارها • ولعل هذه الحقيقة هى التى جذبت أنظار الرأى العام العالمى الى الدراسات المبكرة للعلاقات الدولية وليس عجبا أن يذهب كتاب أوائل الى أن مشكلة السلام هى العمود الفقرى لهيكل دراسة العلاقات الدولية • واذن فالمنقب فى العلاقات الدولية ـ وان تهيأ للسلم العالمى ـ لا يمكنه أن يغفل عنصر القوة الذى تتشح به تلك العلاقات • ولذا كان لابد لمن يريد لدراسته أن تكون واقعية من أن يمزج تصورين معا هما : تصور الرغبة فى السلام وتصور الصراع على القوة ، وذلك هو ما اختار له بعض الكتاب تعبير « المصالح الوطنية les intérêts nationaux

وتلك نظرة صائبة فى عالم ينقسم الى سيادات تملك كل منها قوتها الخاصة • ومن ذلك التصور المزدوج لدراسة العلاقات الدولية نستطيع أن نقول ان تلك العلاقات تسعى عادة الى تحقيق أحد أمرين : اما الاقناع واما الاخضاع • وتتشكل وسائل الدولة فى ممارسة تلك العلاقات تبعا لما تسعى الى تحقيقه •

---

(١) راجع نموذجا لهذا فى Lassuell, Harlod D. and Leites, Nathan: Studies in Quantative Semantices. Language of Politics, Massachusetts, 1965.

فان كانت تبغى الاقناع فوسيلتها الى ذلك هى الدبلوماسية(١) والدعاية(٢) ، ذلك أن الدبلوماسية هى وسيلة اقناع الحكام والدعاية هى سبيل اقناع الرأى العام • وان شاءت الدولة الاخضاع فطريقها الى ذلك هى القوة التى قد تصل الى حد الحرب •

وقد تتخذ هذه الأساليب صورا قانونية • والصور القانونية التى تتخذ تلك الأساليب ثلاثة هى : عقد المعاهدات ، والمفاوضة ، واستخدام القوة وهى صور تعكس الحقوق التى تتمتع بها الدول طبقا للقانون الدولى العام وهى : حق عقد المعاهدات ، وحق التبادل الدبلوماسى ، وحق الحرب(٣) •

ان دراسة العلاقات الدولية العربية يمكن أن تجرى بواحدة أو أكثر من النظريات التى قدمتها وهذا ما سأتحراه فيما يلى من عرض على أننى لن أتقيد بنظرية بذاتها بل سأتبع فى كل شطر من الدراسة النظرية التى أعتقد أنسب لحسن العرض فليس منها نظرية صحيحة على اطلاقها وانما لكل نظريةمحاسنها ولكل نظرية مثالبها •

ويقتضى استكمال دراسة الباب الأول الذى أحاول فيه أن أقدم ملامح نظرية عامة للعلاقات الدولية العربية ، أن أتعرض لموضوعين :

الأول : اعطاء فكرة عن القانون الدولى العربى ، فالوشائج وثيقة بين

---

(١) ترتد لفظة دبلوماسية الى كلمة اغريقية استعملت فى فجر الحضارة الغربية لتعنى تارة خطاب تقديم ولتعنى أخرى رخصا أو امتيازات معينة • وقد عرف البعض فن الدبلوماسية بأنه فن المفاوضة • وللدبلوماسية أساليب وغايات متطورة نذكر منها ابرام المعاهدات وعقد الأحلاف والزواج • ومن بين ما تلجأ اليه الدبلوماسية الحديثة اصطناع عملاء لها فى داخل الدولة بوسائل منها ما ينافى الأمانة والشرف •

(٢) أصبحت الدعاية اليوم سلاحا لا غنى عنه فى سياسات الدول سواء فى الحرب أم السلم • وقد أكد هذه الأهمية عاملان : انتشار الديمقراطية التى تشرك رجل الشارع فى توجيه سياسة الدولة ، وظاهرة المنظمات الدولية الحديثة لا سيما الأمم المتحدة اذ يمكن من مساحتها توجيه الرأى العام العالمى والتأثير فيه • والحق أن كسب الحرب لم يعد وحده العامل الحاسم فى سيطرة المنتصر على المغلوب بل أصبح لابد لنجاح ذلك النصر من أن يقترن بغزو فكرى •

(٣) الدكتورة عائشة راتب ـ مذكرات فى العلاقات الدولية العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣ وما بعدها •

علم العلاقات الدولية وبين القانون الدولى العام . ذلك أن مجال فعالية النظام القانونى الدولى من حيث الأشخاص والنطاق والمادة هو الذى يحدد مجـــال البحث لعلم العلاقات الدولية(١) .

الثانى : دراسة وجيزة للمنظمة الصهيونية العالمية (الوكالة اليهودية) بوصف أن هذه المنظمة هى نموذج لظاهرة هامة فى نطاق العلاقات الدولية هى وجود جماعات تمارس على تلك العـــلاقات آثارا موجهة . وقد اخترت هــذا النموذج لأن سياسة التسلط التى تمارسهـــا المنظمة انما تنصرف آثارها الى المجتمع الدولى العربى .

(١) Guggenheim, Paul : **Traité de droit international public,** Genève, T.I., pp. 16-19.

قارن الدكتور محمد صويلم العمرى ـ أصول العلاقات السياسية الدولية ، القاهرة ١٩٥٧ ص ٦١ ـ ٨٦ .

الفصل الثانى

فى

القانون الدولى العربى

تمهيد

ان الكلام عن قانون دولى عربى يعنى أننا نتكلم عن قانون دولى اقليمى خاص بالمجتمع العربى وله ذاتيته بالنسبة للقانون الدولى العام . ولذا فان مناقشة نظرية كهذه تقتضى أن أقدم لها بعرض وجيز لفكرة الاقليمية فى القانون الدولى بغية ابراز أن الاقليمية هى من الأفكار المقبولة فى القانون الدولى لأن بحثا كهذا - اذا انتهى الى اقرار الفكرة - يعتبر بمثابة حجر الأساس الذى يمكن أن نبنى عليه فكرة القانون الدولى العربى .

فكرتا العالمية والاقليمية فى التنظيم الدولى(١)

(أ) **تحديد وتعريف** : نرى من المناسب قبل أن نعرض لفكرتى العالمية والاقليمية فى التنظيم الدولى أن نقدم لذلك بتحديد وتعريف لمقصود «العالمية» و «الاقليمية» . والواقع أن مدلول « العالمية » يثير الكثير من الجدل لأنه يعنى شمول التنظيم لدول العالم أجمع أو على الأقل قابلية التنظيم لأن يشمل تلك الدول .

---

(١) راجع فى ذلك - الدكتور محمد حافظ غانم - محاضرات فى المجتمعات الدولية الاقليمية ، القاهرة ١٩٥٨ .

Arregui, José Ramon de Orué: **Le Regionalisme dans l'Organisation Internationale**, R.C.A.D.I. 1935. III. T. 53.

Ghali. B. Boutros: **Contribution à l'Etude des Ententes Regionales, Paris, 1949.**

أما الاقليمية فهى التى تحتاج الى شىء من التمحيص · فما هو المقصود بلفظة « اقليم Region » هنا ·

اختلف الفقهاء فى ذلك :

(١) فعند فريق من الفقهاء مثل Debsi الاقليم هو وحدة أرضية تضم فى حدودها مصالح مترابطة ، أى أنهم يلجأون الى معيار جغرافى فى تعريف الاقليم · ولذا يستعمل نفر من هؤلاء الفقهاء لفظين للتعبير عن المنظمات الخاصة ـ أى التى ليست لها صفة العالمية ـ هما « اقليمى » ويقصدون به ما يتعلق باقليم معين ، و « قارى » ويقصدون به ما يتعلق بقارة معينة ولكن نظرا لغموض تعبير « قارة » وعدم اتفاق الجغرافيين أنفسهم على حدود القارات فقد قل استعمال تعبير « قارى » فى المجال الدولى اكتفاء بتعبير « اقليمى » فى هذا الخصوص ·

والفقهاء الذين يأخذون بالمعنى الجغرافى للاقليم يعرفون التنظيم الاقليمى بأنه اتفاق بين دول متجاورة لتنظيم الشئون الدولية الخاصة بهذه الدول على أسس معينة ·

ولعل أصلح التعريفات التى تمثل وجهة نظر هذا الفريق هو التعريف الذى تقدم به الوفد المصرى فى مؤتمر سان فرنسسكو أثناء مناقشة مشروع ميثاق الأمم المتحدة وكان التعريف ينص على أن « تعبير اتفاقات اقليمية يعنى الهيئات الدائمة التى تضم فى منطقة جغرافية معينة عددا من الدول تجمع بينها روابط التجاور والمصالح المشتركة والتقارب الثقافى واللغوى والتاريخى والروحى وتتعاون جميعا على حل ما قد ينشأ من منازعات حلا يعين على حفظ السلم والأمن فى منطقتها وحماية مصالحها وتنمية علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية » · ولكن هذا الاقتراح لم يحظ بموافقة اللجنة المختصة وكانت حجة الولايات المتحدة الأمريكية فى دفعه هى أن كل تعريف يعتبر تضييقا وأنه مع التسليم بما فى الاقتراح المصرى من الضبط والدقة فى الوصف فانه يخشى أن يخرج من التنظيمات الاقليمية ما قد يجب أن يدخل فيها ·

(٢) وعند آخرين مثل « الفاريز » أن الظروف هى التى تحدد مقصود

الاقليم فى كل حالة على حدة ، أى أنه لا يمكن وضع قواعد لتحديد الاقليم بل نرجع فى ذلك الى الاتفاق الاقليمى فهو الذى يحدد معنى الاقليم فيما يرسمه من قواعد وما يتضمن من نصوص ٠ وبذلك لا يتقيد هـــذا الفريق بالمعنى الجغرافى للفظة « اقليم » ٠ ولذلك يعرفون التنظيم الاقليمى بأنه تنظيم يضم عددا من الدول تربطها مصالح مشتركة بقصد تأكيد هذه المصالح عن طريق معاهدة ليست لها صفة عدوانية ٠

وقد اشترط « الفاريز » ألا يقل عدد الدول المكونة للتنظيم الاقليمى عن أربع دول ، واعتبر أن المصالح السياسية هى أهم المصالح التى يمكن أن يجتمع حولها التنظيم الاقليمى ٠ ولعلـه فى ذلك متأثر بالظروف الخاصـــة بالقـارة الأمريكية والاتحاد الأمريكى فهو فقيه من فقهاء أمريكا اللاتينية ٠

والذى نراه أن المعيـــار الجغرافى أضيق من أن يكون أســاسا لتحديد التنظيمات الاقليمية فى الوضع الحالى للمجتمع الدولى ، فهو قد يكـون عاملا قويا فى خلق التنظيم الاقليمى ، ولكنه ليس المعيار الوحيد لهذا التنظيم ، فان ذات المنطقة الجغرافية قد تحوى شعوبا مختلفة فى الجنس واللغة والثقـــافة والتقاليد الأمر الذى يجب معه استبعاد التجاور الجغرافى كأساس لايجاد تنظيم اقليمى بين هذه الدول ٠

ثم أن التطور السياسى والبشرى الذى وصل اليه المجتمع الدولى قد أوجد أسسا للترابط بين بعض شعوب المعمورة التى لا يربطها التجاور الجغرافى ٠ ومع ذلك فهى من القوة بحيث تبدو وكأن الطبيعة هى التى أملتها ولا يمكن تبعا أن نغفلها من الاعتبار فى التنظيم الدولى ٠ أى أن عوامل الترابط بين الدول لم تعد قاصرة على الجوار الجغرافى والتقاليد المشتركة فحسب ، بل هناك حاجات ومصالح مشتركة غير هذا يمكن أن تحقق الترابط مثل خطر اعتداء جار قوى على مجموعة من الدول ، فاشتراك فرنسا وروسيا مثلا فى حلف دفـاعى ضد ألمانيا هو تنظيم اقليمى بين دول غير متجاورة جغرافيا ولكن تجمعها رابطـــة قوية مشتركة هى التعاون على ابعاد الخطر الألمانى الذى يهدد كلا منهما والذى قد لا تستطيع كل دولة منهما منفردة أن تحاربه ٠ ولذلك هناك المصلحـــة

الإقتصادية المشتركة فالميثاق الذي يجمع بين الدول المنتجة للبترول هو تنظيم اقليمي يجمع بين دول متباعدة جغرافيا مثل المملكة العربية السعودية وفنزويلا ولكنها تجتمع عند مصلحة اقتصادية مشتركة هى توحيد سياستها البترولية حفظا لثروتها الاقتصادية الأساسية ومنعا لتحكم الشركات المنتجة للبترول في تلك الثروة ، وهكذا ٠

وقد ثار التساؤل فى مؤتمر سان فرنسسكو عما اذا كان من الممكن لدول غير متجاورة جغرافيا أن تقيم تنظيما اقليميا فيما بينها ولكن الجدل لم ينته الى رأى حاسم ، ومع ذلك فان روح الميثاق وعبارة نصوصه تشير الى امكان ذلك كما سنشرح فيما بعد ، ومن ثم لم يعد الجوار الجغرافى هو المعيار الوحيد لاقامة الاتفاقات الاقليمية وأصبح تعبير « اقليمى » لا يترجم عن فكرة جغرافية بحتة ٠

يؤكد هذا أن التنظيم الاقليمى لا يعدو أن يكون وسيلة من وسائل التنظيم الدولى ومن ثم فهو محكوم بالهدف الذى يتغياه التنظيم الدولى وتبعا فلا معنى لأن ننكر على التنظيمات الخاصة التى تسعى الى تحقيق هذه الغاية وصف التنظيمات الاقليمية لمجرد عدم توافر الجوار الجغرافى بين الدول المكونة لها ورغم قيام مصالح مشتركة بينها تدعو الى ذلك التنظيم فيها من الكفاية والمقدرة ما يجعل مثل هذا الترابط وسيلة من وسائل حفظ الأمن الدولى وتحقيق التضامن الدولى ٠

وعلى أساس ما قدمناه واستبعاد المعنى الجغرافى الحرفى لكلمة « اقليم » ، نخلص الى أن تعبير « اقليم » يجب أن يفهم فى مجال التنظيم الدولى على أنه يعنى جزءا من كل أى يعنى التنظيم الذى يضم بعض دول العالم وليس جميعها وذلك على أساس أن كلمة « اقليم » مهما اتسع مدلولها الجغرافى فهى تشير الى جزء بالنسبة للكل وهو الكرة الأرضية ٠

ومن ثم يكون معيار الاقليمية هو الجزئية فى عضوية المنظمة ٠ فالمنظمة التى تتكون من عدد محدود من دول الجماعة الدولية تكون منظمة اقليمية ٠ أما المنظمة التى تضم الدول جميعا أو تكون مفتوحة لتضم الدول جميعا فتكون منظمة عالمية ٠

على اننا اذا كنا قد أخذنا بالعضـــوية المحدودة للتفرقة بـين المنظمات الاقليمية والمنظمات العالمية ، فان هذا لا يعنى أن العضوية المحدودة هى العنصر الوحيد اللازم لقيام التنظيمات الاقليمية · بل هناك أصول أخرى لا بد أن تتوافر حتى يتكـــون من مجموعها التنظيم الاقليمى · ويمكن أن نجمل هذه الأصول فيما يلى :

(أ) أن يكون انضمام الدول الى التنظيم الاقليمى قد تم عن ارادة حرة · أى أن عنصر حرية الارادة يعتبر جوهريا لوصف التنظيم بأنه تنظيم اقليمى · ومن ثم فالتنظيمات التى تقوم تحت الاكراه لا تعتبر فى رأينا تنظيمـا اقليميا بالمعنى الذى نقصد اليه فى هذه الدراسة ، وانمـــا هى مجرد منطقة نفوذ أقامتها الدولة الكبرى المسيطرة بارادتها المنفردة ·

(ب) ويتصل بالأثر السالف مبدأ آخر هو أن يقـــوم التنظيم على أســاس المساواة القانونية بين أعضائه · ونكتفى بأن تكـــون المساواة مساواة قانونية لأن المساواة السياسية كثيرا ما يكون من الصعب تحقيقها اذ الغالب أن توجد فى كل تنظيم اقليمى دولة لها من القـــوة والظروف ما يجعلها من الناحية الواقعية هى الأكثر سيطرة على التنظيم ·

ومع ذلك فان شرط المساواة القانونية يعتبر الى حد ما قيدا يحقق قدرا من التوازن فى داخل التنظيم يجعل من غير السهل على احدى دول التنظيم أن تسيطر على مصائر جماعة الدول المكونة لذلك التنظيم ·

(جـ) يجب أن يقوم التنظيم على أساس من مصالح مشتركة قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية على ألا يكون له هدف عدوانى ، لأن التحالف ذا الصبغة العدوانية يدفع مجموعة الدول الأخرى التى يهـــددها ذلك العدوان الى أن تتحالف بذات الروح وهكذا ينقسم العالم الى معسكرات متناحرة بدلا من أن تتعاون تنظيماته الخاصة فى تحقيق الهدف الأسمى الذى تسعى اليه منظمته العالمية · ولذا لا نعتبر محالفة دول المحـــور التى أبرمت سنة ١٩٤٠ بمثابة تنظيم اقليمى لأنها كانت ذات أهداف عدوانية ·

وقد ذهب الفقهاء مذاهب شتى فيما تطلبوه لضمان عدم توافر الصبغة العدوانية للتنظيم ٠

فرأى بعضهم أن يهتم ميثاق التنظيم بتعريف الاعتداء والمعتدى تعريفا دقيقا ، وهذا اقتراح صعب التنفيذ لأن تحديد معنى « العدوان » لا زال مشكلة من مشاكل الفقه الدولى ٠ وأن يتضمن الميثاق كذلك نصوصا للتسوية السلمية للمنازعات التى تقوم بين أعضائه ٠

ورأى آخرون أن دستور التنظيم يجب ألا يحوى نصا يمنع الدول الأعضاء فى التنظيم من أن يكونوا أعضاء فى تنظيم آخر ، ذلك أن الاعتراف بحق الدول الأعضاء فى تنظيم ما بأن ينضموا فى ذات الوقت الى تنظيمات أخرى فيه صيانة للسلم العالمى اذ ترتبط الدول المشتركة فى أكثر من تنظيم بأغراض هذه التنظيمات فتعمل على ألا تتعارض سياستها أو أن يكون هدف أحدها هو العدوان على الأخرى ٠

ولعل أكثر الآراء توفيقا فى هذا الخصوص هو الذى اشترط ايجاد صلة بين التنظيم الاقليمى وبين المنظمة العالمية - أى الأمم المتحدة فى وقتنا الحالى - يسمح للمنظمة العالمية بمراقبة نشاط التنظيمات الاقليمية ومنعها من أن تتخذ صفة عدوانية ٠ وسنزيد هذا الرأى بيانا بعد قليل ٠

والغالب أن يكون للتنظيم هيئة ذات اختصاصات حتى يكتسب صفة الدوام ولا يكون مجرد مؤتمر اقليمى ٠ ولا يعتبر هذا العنصر جوهريا لأن المؤتمرات الاقليمية هى أيضا صورة من صور التنظيم الاقليمى كما سبق أن ذكرنا ، فاذا أردنا أن نجمع الأصول السالفة فى تعريف شامل نقول ان التنظيمات الاقليمية هى « التنظيمات التى تضم عددا محدودا من الدول عن ارادة حرة بقصد رعاية مصالح مشتركة بينها لأغراض غير عدوانية ويكون ذلك عادة عن طريق هيئة أو هيئات ذات اختصاصات بممارسة نشاط التنظيم » ٠

والذى يجب أن أوضحه هو أن تعريفنا السابق يتفق والمعنى الذى يفهم

به ميثاق الأمم المتحدة والتنظيمات الاقليمية(١) •

على أن نضع فى اعتبارنا ملاحظتين هما :

(أ) يهتم ميثاق الأمم المتحدة أساسا بالاتفاقات والتنظيمات الاقليمية التى تقوم على حفظ السلم والأمن الدوليين بمعنى أن التنظيم الاقليمى الذى يسعى الى تحقيق التعاون بين أعضائه فى القطاعين الاقتصادى والاجتماعى فحسب لايعتبر تنظيما اقليميا فىحكم مواد الميثاق مادام أن نشاط هذا التنظيم لا يمتد الى حفظ السلم والأمن الدوليين • ولكن هذا لا يعنى أن الاتفاقات الاقليمية فىقصد ميثاق الأمم المتحدة لايمكن أن تحوى نصوصا تتعلق بالأمور الاقتصادية والاجتماعية بل الذى تعنيه أن الميثاق يتطلب هدفا أصليا للتنظيم هو حفظ السلم والأمن الدوليين فان اقتصر التنظيم على ذلك الهدف أو أضاف اليه أهدافا أخرى اقتصادية واجتماعية فلا غبار على ذلك أما اذا استبعد التنظيم هدف حفظ السلم والأمن الدوليين من بين أهدافه خرج عن نطاق مقصود ميثاق الأمم المتحدة ، الأمر الذى يدعونا الى القول بأن الميثاق اشترط فحوى الزاميا فى دساتيرالتنظيمات الاقليمية هو أن تشير الى المسائل المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدوليين •

(ب) كذلك أقام ميثاق الأمم المتحدة شرطا جوهريا لصلاحية الاتفاقات أو التنظيمات الاقليمية هو أن يكون نشاط تلك التنظيمات متفقا مع مبادىء وأهداف الأمم المتحدة •

---

(١) كانت المادة ٢١ من عهد عصبة الأمم تنص على أن « الاتفاقات الاقليمية مثل مذهب مونرو التى تؤكد حفظ السلم لا تعتبر متعارضة مع أى نص من نصوص العهد » • وقد أثار هذا النص اضطرابا فى تفسير المقصود بالاتفاقات الاقليمية ذلك أنه مثل لتلك الاتفاقات بمبدأ مونرو فى حين أن هذا المبدأ ليس اتفاقا عقده أطراف وانما هو مجرد مبدأ سياسى أصدره رئيس الولايات المتحدة الامريكية بارادته المنفردة ثم اننا حتى لو تجاوزنا وقلنا انه اتفاق اقليمى فانه يتعارض مع أهداف عهد العصبة من حيث ان العهد قد سمح بالتدخل الجماعى حفظا للسلم هذا النص اضطرابا فى تفسير المقصود بالاتفاقات الاقليمية ذلك انه مثل لتلك الاتفاقات بمبدأ والواقع أن واضعى العهد أرادوا بذلك النص غير الموفق ارضاء الولايات المتحدة الامريكية نظرا لحرصها وقتئذ على المبدأ المذكور •

وقد ذهب كلسن(١) الى أن جزاء عدم مراعاة ذلك الشرط هو البطلان المطلق للمعاهدة أو الاتفاق الاقليمى ٠

وأهداف ومبادىء الأمم المتحدة هى :

١ — المساواة فى السيادة بين جميع أعضائها ٠

٢ — فض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ٠

٣ — الامتناع عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامه الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة أو على وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة ٠

٤ — تقديم العون للهيئة والامتناع عن مساعدة أية دولة تتخذ الهيئة ضدها عملا من أعمال المنع أو القمع ٠

٥ — تنفيذ الالتزامات بحسن نية ٠

٦ — العمل على أن تسير الدول غير الأعضاء على هذه المبادىء بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ الأمن الدولى ٠

٧ — ألا تتدخل الأمم المتحدة فى الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما دون أن يخل ذلك بتطبيق تدابير القمع ٠

والملاحظتان السابقتان مستمدتان من نص الفقرة الأولى من المادة ٥٢ من ميثاق الأمم المتحدة التى تقرر انه « **ليس فى هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أو وكالات اقليمية تعالج من الأمور المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدولى ما يكون العمل الاقليمى صالحا فيها ومناسبا ما دامت هذه التنظيمات أو الوكالات الاقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة** » ٠

وقد ثار جدل حول ما اذا كانت التنظيمات الاقليمية التى عناها ميثاق الأمم المتحدة يجب أن تقتصر عضويتها على الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة أم

---

(١) Hans Kelsen : The Law of the United Nations, p. 324.

أنه يمكن أن تضم هذه التنظيمات دولا أعضاء وأخرى غير أعضاء . والراجح أن نص م ٥٢/١٠ السالف لا يتعارض مع قيام تنظيمات اقليمية تكــون بعض الدول الأطراف فيها ليست أعضاء فى الأمم المتحدة .

ب - الآراء فى عالمية التنظيم الدولى واقليميته :

رغم ما يتسم به القانون الدولى العام من نزعة عالمية فان واقع الحيـــاة الدولية والظروف الاجتماعية والسياسية لبعض الشعوب يضطرنا الى الاقرار بأن بعض هذه القواعد يجب أن يتخذ صفة أكثر خصوصية . فكما قال جورج سيل(١) « انه توجد بجانب قواعد القانون الدولى العالمية قواعد قانونية أكثر تحديدا أو خصوصية لأنها تترجم عن ظواهر من التضامن الخاص فى قواعد اتفاقية أو عرفية » .

وهذه الظاهرة ليست قاصرة على الجماعة الـدولية بل نلحظها كذلك فى الجماعة الداخلية اذ تجد أحيانا بجانب القواعد التى تطبق على كل المواطنـين قواعد لا تطبق الا على فريق منهم فحسب لظروف خاصة .

وقد ترتب على نزعتى العالمية والتركيز القائمتـــين فى المجتمع الدولى بالنسبة لقواعد القانون خلاف بين الفقهاء حول التنظيم الدولى وهل يجب أن ينحو منحى عالميا أم يتخذ شكلا اقليميا .

فذهب فريق من الشراح الى أن التنظيم الدولى يجب أن ينحو منحى عالميا لأن التنظيمات الاقليمية فيها قضاء على الوحدة التى يجب أن تسيطر على القانون الدولى ثم انها غالبا ما تقوم على روح العدوان والبغضـاء الأمر الذى يقلل من ثقة الرأى العام العالمى فى صدق نيتها السلمية ومدى ما يمكن أن تحققه للأمن العالمى . وبديهى أن قيام منظمة على آساس عدوانى سيقابله قيام منظمة أخرى لرد العدوان بل وللعدوان على أعضاء المنظمة الأولى ان أمكن . وهكذا يجر

---

(١) G. Scelle : Une Crise de la Société des Nations. Paris, 1922, p. 224.

العدوان الى عدوان فينقسم العـالم الى معســكرات تتربص بعضها بالبعض الآخر ٠

وينادى فريق آخر بأن تقوم دعامة التنظيم الدولى فى مرحلته الحالية على التنظيمات الاقليمية لأن هذا هو الذى يتفق مع التطور الطبيعى للأمور فمن دول متباعدة ـ نتيجة لتمسكها المتغالى بســيادتها ـ الى تنظيم اقليمى يضم المجموعات من الدول ذات المصالح المشتركة أو العـوامل الموحـدة وذلك لكى دصل فى النهاية الى التنظيم العالمى ٠ ثم ان التنظيم الاقليمى يستجيب لحقيقة ملموسة وهى اختلاف مناطق العالم عن بعضها البعض فى ظروفها وأحوالها ٠

وقد كان هذا الموضوع محل مناقشة معهد القــانون الـدولى فى دورة « جرونوبل » التى عقــدت سنة ١٩٢٢ وانقسمت الآراء عنــدئذ الى ثلاثة مجموعات :

(أ) فريق يتمسك بالعالمية المطلقة التى يجب أن تبقى وحدة لا تتصدع ٠

(ب) وفريق يرى التركيز الكامل أى الاكتفاء حاليا بالمنظمات الاقليمية ٠

(جـ) وفريق ثالث يرى أن نبدأ من العالمية أى أن يكون أســاس التنظيم هو فكرة العالمية ثم يتجه بعد ذلك اتجاهين أحدهما هو التركيز الفنى أى تكوين منظمات اقليمية ذات اختصاصات فى بعض الشئــون الدولية والثانى انشاء تنظيمات اقليمية تكون بمثابة أجهزة للمنظمة العالمية ٠

والواقع أن كل رأى لا يخلو من وجــاهة ، فالأخذ بفكرة العــالمية له محاسنه وله مساوئه وكذا الأخذ بفكرة الاقليمية له محاسنه ومساوئه ٠

والخلاف حول فكرتى الاقليمية والعالمية فى التنظيم الــدولى يدعونا الى التساؤل عن الموقف الذى وقفه ميثاق الأمم المتحدة من هذا الخلاف ٠

ولتوضيح ذلك نرجع الى الوراء قليلا عندما وضع أول مشروع للميثاق فى دمبارتون اوكس ٠

كان شغل الدول الكبرى الأربعة ، بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية

والاتحاد السوفييتي والصين عندما اجتمعت في دمبارتون اوكس هو تأكيد وضمان الأمن الجماعي الدولي عن طريق منظمة دولية ولهذا هدفت مقترحات دمبارتون أوكس الى تركيز مهمة المحافظة على الأمن الجماعي في يد المنظمة العالمية ٠ ولذلك أدمجت تلك المقترحات المنظمات الاقليمية في نظام الأمم المتحدة وعنيت فقط بالمنظمات التي تعالج الأمور المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدوليين ثم قيدت نشاط تلك المنظمات في حفظ السلم والأمن الدوليين بأن حرمت عليها اتخاذ أي اجراء اكراه الا بتفويض من مجلس الأمن ٠

وعندما اجتمعت الدول في مؤتمر سان فرانسسكو بتاريخ ١٩٤٥/٤/٢٥ كانت هناك عدة اعتبارات قد جدت في الفترة ما بين اجتماع دمبارتون أوكس وما بين افتتاح مؤتمر سان فرنسسكو في شهري فبراير ومارس سنة ١٩٤٥ وكان لها أثرها على مناقشات المؤتمر ، أهمها :

١ - أبرمت الدول الأمريكية اتفاق شابلتبك في ٥ مارس سنة ١٩٤٥ الذي أحل التضامن والأمن القاري الأمريكي محل مبدأ مونرو واعترف بالمساواة القانونية بين الدول الأمريكية الأمر الذي أحدث تغييرا عميقا في أفكار الجمهوريات الأمريكية اللاتينية عن التنظيمات الاقليمية اذ جاهدت جميعها في مؤتمر سان فرنسسكو لكي تبقى للاتحاد الأمريكي ذاتيته ٠

٢ - كذلك أبرم ميثاق الجامعة العربية في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ولكن الدول العربية لم يكن قد مر عليها في تضامنها الاقليمي من الخبرة ما سبق أن مر على الدول الأمريكية اذ كان تضامنها قد بدأ منذ حوالي نصف قرن سابق على انعقاد مؤتمر سان فرانسسكو ، ثم ان بعض الدول العربية لم تكن كاملة الحرية عند ابرام ميثاق الجامعة العربية بل وكان بعضها لا زالت تحتل اقليمه قوات استعمارية ، وهذا يفسر الموقف المختلف الذي وقفته الدول العربية من التنظيمات الاقليمية اذ كانت تحبذ ادماج التنظيم الاقليمي في نطاق الأمم المتحدة ٠

فاذا أضفنا الى ذلك مواثيق المساعدة المتبادلة التي أبرمت بين دول الحلفاء

بقصد التعاون على محاربة دول المحور مثل الاتفاق الروسى البريطانى سنة ١٩٤٢ والاتفاق الروسى الفرنسى سنة ١٩٤٤ نكون قد ألمنا بالاعتبارات التى سيطرت على جو المناقشات التى دارت فى مؤتمر سان فرنسسكو بخصوص التنظيمات الاقليمية ٠

ويمكن أن نصنف الآراء المختلفة التى أبديت فى هذا الموضوع فى الآتى :

١ ـ رأى البعض أن يكون التنظيم الجديد مطلقا ومتسعا بقدر الامكان ما دام أن مقترحات دمبارتون أوكس قد أقرت بامكان قيام تنظيمات اقليمية بجانب المنظمة العالمية ٠ فيجب وضع تعريف للتنظيمات الاقليمية التى تعتبر مسايرة لأحكام الميثاق وحتى التصديق على مواثيقها من جانب المنظمة العالمية ٠

٢ ـ ورأى آخرون الاحتفاظ للتنظيمات الاقليمية بذاتية خاصة وكانت دول أمريكا اللاتينية أكثر الدول تحمسا لهذا الرأى اذ كان يشغل بالها أن ربط التنظيمات الاقليمية بمجلس الأمن مع اعطاء الدول الكبرى حق الفيتو على قرارات المجلس يعنى أن الدول الكبرى التى ليست أعضاء فى الاتحاد الأمريكى يمكنها عن طريق استخدام حق الفيتو أن تشل نشاط اتحاد الدول الأمريكية ٠

٣ ـ قدمت الدول الداعية للمؤتمر ـ وانضمت اليها فرنسا ـ اقتراحا بأن يستثنى من الرقابة السابقة على اتخاذ اجراءات الاكراه الممنوحة لمجلس الأمن قبل المنظمات الاقليمية ، أن يستثنى من تلك الرقابة الاجراءات التى تتخذ ضد الدول التى كانت أعداء فى الحرب العالمية الأخيرة ٠ وقد كان هذا الاقتراح سببا فى غموض مفهوم التنظيمات الاقليمية اذ أدخل فى هذه التنظيمات المحالفات العسكرية ٠

وبعد مناقشات طويلة انتهى المؤتمر الى اقرار المبادىء التى أخذ بها فى هذا الموضوع ضمن مادتين هما المادتان ٥٢ ، ٥٣ من ميثاق الأمم المتحدة(١) ٠

---

(١) ونورد فيما يلى نصيهما :

تقول م ٥٢ « ١ ـ ليس فى هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أو وكالات اقليمية

وهكذا نرى أنه بالنسبة لما أبدى من آراء فى المؤتمر تبنى الميثاق ما يلى من مبادىء :

١ — اتجه بالتنظيم الدولى اتجاها عالميا فأعطى للمنظمة العــالمية علوية على التنظيمات الاقليمية واشرافا على نشاطها وكأنها فرع من فروع المنظمة العالمية • ولكنه لم يضع تعريفا للتنظيم الاقليمى بغية عدم التحديد •

٢ — فرق بين اختصاص التنظيمات الاقليمية بتسوية المنازعــات التى تقوم بين أعضائها تسوية سلمية ، وبين اتخاذ اجراء القمع والاكراه • فمنح التنظيمات الاقليمية حق اجراء التسويات السلمية دون أن يعلق ذلك على اذن من مجلس الأمن • أما اجراءات القمـــع والاكراه فلم يجــزها للتنظيمات الاقليمية اذ باذن مجلس الأمن •

تعالج من الأمور المتعلقة بحفظ والسلم والأمن الدولى ما يكون العمل الاقليمى صالحا فيهــــا ومناسبا ما دامت هذه التنظيمات أو الوكالات الاقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة •

« ٢ — يبذل أعضاء الأمم المتحدة الداخلون فى مثل هذه التنظيمات أو الذين تتألف منهم تلك الوكالات جهدهم لتدبير الحل السلمى للمنازعات المحلية عن طريق التنظيمات الاقليمية أو بواسطة هذه الوكالات الاقليمية وذلك قبل عرضها على مجلس الأمن •

« ٣ — على مجلس الأمن أن يشجع الاستكثار من الحل السلمى لهــذه المنازعات بطريق هذه التنظيمات الاقليمية أو بواسطة هذه الوكالات الاقليمية بطلب من الدول التى يعنيها الأمر أو بالاحالة عليها من جانب مجلس الأمن •

« ٤ — لا تعطل هذه المادة بحال من الأحوال تطبيق المــادتين الرابعة والثالثة والخامســة والثلاثين » •

أما المادة ٥٣ فنصها : « ١ — يستخدم مجلس الأمن تلك التنظيمات والوكالات الاقليميــة فى أعمال القمع كلما رأى ذلك ملائما • ويكون عملها حينئذ تحت مراقبته واشرافه •

« أما التنظيمات والوكالات نفسها فانه لا يجوز بمقتضاها أو على يدها القيام بأى عمل من أعمال القمع بغير اذن المجلس ، ويستثنى مما تقدم التدابير التى تتخذ ضـــد أى دولة من دول الأعداء المعرفة فى الفقرة الآتية من هذه المادة مما هو منصوص عليه فى المادة ١٠٧ أو التدابير التى يكون المقصود بها فى التنظيمات الاقليمية منع تجدد سياسة العدوان من جانب دولة من تلك الدول وذلك الى أن يحين الوقت الذى قد يعهد فيه الى الهيئة بناء على طلب الحكومات ذات الشأن بالمسئولية عن منع كل عدوان آخر من جانب أية دولة من تلك الدول •

« ٢ — تنطبق عبارة (الدولة المعادية) المذكورة فى الفقرة الأولى من هذه المــادة على أية دولة كانت فى الحرب العالمية الثانية من أعداء أية دولة موقعة على هذا الميثاق » •

وبديهى أن تقييد حق المنظمات الاقليمية فى اتخـــاذ اجراءات الاكـراه لا يشمل حالة الدفاع الشرعى لأن الدفاع الشرعى كما أسلفت حـــق طبيعى للدول أن تمارسه فرادى أو جماعات ۰ وتبعا ، فلها أن تمارسه فى صـورة تنظيم اقليمى باعتباره صورة جماعية للتنظيم ، وفى هذا تقول م ١٥ من ميثاق الأمم المتحدة ما نصه :

« ليس فى هذا الميثاق ما ينتقص الحق الطبيعى للدول فرادى أو جماعات فى الدفاع عن أنفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضـــاء الأمم المتحدة وذلك الى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ الســـــلام والأمن فى الدولة » ۰۰۰۰۰ ولذا تتضمن نصوص بعض التنظيمات الاقليمية ما يفيـد اختصاص تلك التنظيمات باتخاذ تدابير الدفاع الشرعى ومثل ذلك نص المادة السادسة من ميثاق الجامعة العربية الذى يمنح مجلس الجامعة سلطة اتخـــاذ التدابير اللازمة لدفع أى اعتداء يقع أو يخشى وقوعه على دولة من دول أعضـاء الجامعة ۰

ويمكن أن نقول أن الميثاق بهذا الاستثناء المتعلق بحق الدفاع الشرعى قد استجاب استجابة جزئية لرغبة الدول المتحمسة لتنظيماتها الاقليميـة ۰ ويستفاد مما سلف أن الميثاق ـ فى سعيـــه لأن يمنح منظمة الأمم المتحـدة السلطان الواسع الشامل فى مسائل السلم والحرب ـ رأى أن يدمج فى نظام الأمن الدولى الذى أقيم على أسس عالمية تلك التنظيمات الاقليمية القائمة أو التى تنشأ فى المستقبل التى من شأنها أن تعاون الهيئة على تحقيق مقاصدها دون أن تضعف من سلطانها ودون أن تؤثر فيما رسم لنظام الأمن الذى قرره الميثاق من أحكام وفى تركيز المسئولية عن حفظ الأمن بيد المجلس ۰ والحق أن من شأن هذا الادماج أن يشد عضد الهيئة نفسها ويجعلها أقوى سببا وأعرض جانبا فى ادراك مقاصدها ۰

هل يوجد قانون دولى عربى

اتضح لنا مما سبق أن فكرة الاقليمية يمكن أن نجد لها سندا سليما فى القانون الدولى العام وأن هناك من القواعد ما يمكن أن يكون ذا تطبيق اقليمى

النطاق . « فالمنازعات الدائمة التى كانت تقوم بين دول أوروبا والحاجة الى خلق دول صغيرة تفصل بين الدول الكبيرة هى التى أوجدت نظام الحياد الدائم فى أوروبا . والتنازع بين الدول المكتشفة فى أمريكا والخلافات التى كانت تقوم بينها على الحدود هى التى أوجدت القواعد الخاصة بتعيين الحدود فى أمريكا ، واصرار بعض دول آسيا على عدم فتح بعض موانيها للتجارة الأجنبية هو الذى أوجد نظرية الباب المفتوح فى آسيا »(١) .

ولكن السؤال الآن هو هل يوجد بجانب القواعد الاقليمية التطبيق نظام قانونى دولى له ذاتيته ضمن نطاق القانون الدولى العام(٢) ، فان وجد نظام كهذا فهل هو قائم بالنسبة للمجتمع العربى ، وفى عبارة أخرى : هل هناك قانون دولى عربى ؟ يهمنى قبل أن أجيب على هذا السؤال أن أوضح أن هناك فارقا بين القواعد الدولية ذات التطبيق الاقليمى وبين نظام دولى اقليمى ، ولعل خير ما أذكره فى هذا التوضيح هو ما قاله الفقيه الذى كان أول من أثار الاشكال بالنسبة للدول الأمريكية وأعنى به اسكندر الفاريز
Alejandro Alvarez

الذى نشر كتابه فى سنة ١٩١٠ بعنوان « القانون الدولى الأمريكى Le Droit International Américain » وتساءل فيه عما اذا كان هناك قانون دولى أمريكى يحكم علاقات الدول الأمريكية . وقد أجاب على تساؤله بالايجاب . يقول الفاريز بصدد بيان الفرق

If certain precepts, which are held to be universal, are not accepted by the countries of the American continent, it is obvious that they no longer have that character and if American precepts are not recognised by the countries of other continents, they must be applied only in the New World.

A principle, custom, doctrine, etc., need not be accepted by

---

(١) نقلا عن الدكتور محمود سامى جنينة ــ القانون الدولى العام ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٤٠

(٢) هناك رأى بأن التفرقة بين القانون الدولى العام والقانون الدولى الاقليمى هى تفرقة فى النطاق أو المستوى وليس فى الطبيعة ، ويبدو ان الفاريز يميل الى هذا الرأى . ولكن هذا الرأى فى عقيدتى ينظر الى المشكلة من زاوية غير صحيحة لان طبيعة القاعدة القانونية واحدة دائما وانما الخلاف يكون فى مجال التطبيق أو فى طبيعة الأحكام التى تقررها القاعدة .

all of the States of the New World in order to be considered on a part of American international law. The same situation obtains in this case as in the case of universal international law.

American international law is binding upon all the States of the New World, it is also binding upon the States of other continents in matters affecting America.

American international law has its sub-divisions such as, for instance, Latin-American international law, or the law of the Latin Republics of the New World, which is not binding upon the United States.

Since there exist not only an American international law, but also a European international law, and an Asian international law in the process of formation......

...Such systems of law are not subordinate to universal international law, but correlated to it... (١)

وهكذا استطيع أن أقرر أن قاعدة القانون الدولى العام الاقليمية التطبيق قاعدة ترتبط بهذا القانون برابطة الخضوع والتبعية فالقاعدة الاقليمية يجب ألا تعارض القاعدة العامة أما القانون الدولى الاقليمى فيقف من القانون الدولى العام موقفا متميزا اذ يتصل الواحد بالآخر برابطة المناسبة والارتباط • هذا فضلا عن أن القانون الدولى الاقليمى هو نظام متكامل من القواعد الدولية فى حين أن الاشارة الى قواعد دولية اقليمية تفيد قواعد متناثرة لا تكون كلا متكاملا • وقد لاحظ كلسن أن القواعد ذات الصلاحية العالمية هى قواعد عرفية ـ وعلى رأسها قاعدة الانسان عبد التزامه pacta sunt servanda فى حين أن القواعد ذات الصلاحية النسبية أغلبها قواعد ذات طبيعة اتفاقية(٢) •

---

(١) نقلا عن حكم محكمة العدل الدولية الصادر فى قضية الملجأ I.C.J. Reports 1950, وقد رجعت اليه فى Green, L.C.: **International Law Through Cases**, London, 1959, p. 7.

(٢) Kelsen: *Théoric générale de droit international public*, R.D.C. 1932, IV, 42, pp. 140 et suiv.

أعود الى السؤال الأصلى فأقول ان الدعوة التى نادى بها الفاريز صادفت معارضة من بعض الفقهاء ٠ فقد تصدى له على الفور فقيـــه برازيلى إسمـه سافيانا SA VIANA فى كتاب طبع فى ريو دى جانيرو سنة ١٩١٢ بعنوان «فى عدم وجود قانون دولى أمريكى
« De la non existence du droit international américain

كذلك من الكتاب المعاصرين الذين يرفضون الفكرة الفقيه الفرنسى شارل رسو الذى يرى أنها فكرة تغرق فى المنهجية ولا تقوم على أسس صلبة(١) ٠ والذى يبدو لى أن المتمسكين بعالمية القانون الدولى متأثرون بفكرة القانون الطبيعى التى تتصور مفهوما عالميا نموذجيا يحتوى قواعد للقـــانون الدولى صالحـــة للتطبيق فى كل مكان وزمان ٠ وهذا تفسير له عذره لأن بدايات القـــانون الدولى امتزجت بفكرة القانون الطبيعى لذلك نجد فيتوريا مثلا ينادى بعالميـة القانون الطبيعى الذى يجب أن يطبق على المسيحيين وعلى غير المؤمنين بسواء ٠ ويتكلم سواريز عن قانون طبيعى عالمى أبدى لا يتغير ٠ ويؤيد بوفندورف - ومعه آخرون - أن قانون الشعوب هو مجرد قانون طبيعى امتد سلطانه الى الجنس البشرى كافة(٢) ٠ ولكن فكرة الفاريز لم تعدم أنصارا ومؤيدين من بين كبار الفقهاء أذكر منهم كاتيلانى(٣) فى ايطـــاليا وفوشيل(٤) فى فرنســـا وشتروب(٥) فى ألمـانيا ٠ ولم يكن الفاريز أول من تصور انقسام القـانون الدولى الى عدة أنظمة اقليمية ، فقد سبقه فى ذلك فقهاء آخرون - على خـلاف فى النظرة - مثل لوريمر الذى قسم البشرية الى ثلاثة أقسام : متمدينون ، برابرة ، متوحشون ٠ كما أكد كالفو أن القانون الدولى - سواء من الناحيـة

---

(١) Roussea, Charles : Principes généraux du droit international public, Paris, T.I., 1944, p. 849.

(٢) Sibert, Marcel : Traité de droit international, Paris, 1951, T.I. pp. 10-12.

(٣) Catellani, Enrico : Il Diritto Internationale Americano, Atti del Reale Instituto Veneto de Scienze, lettre e Atti.
وهو مقال منشور فى بادوا سنة ١٩١٢

(٤) Fauchille, Paul : Traité de droit international public, Paris, 1922-26.

(٥) Strupp, Karl : Eléments de droits international public, universel, européen et américain, Paris, 1930.

الموضوعية أو العمية ـ يكاد ينحصر فى دول أوروبا وأمريكـــا(١) • بيد أن الفارين له فضل ربط الفكرة بأساس سليم اذ من المسلمات أنه ما من وعى قانون بدون قانون وما من قانون بدون وعى قانونى •

كذلك يتكلم الآن بعض فقهاء الغرب عن قـــانون دولى أوربى(٢) ــ وان اختلفوا فيما بينهم حول مداه ــ فالبعض يرى أنه لا زال فى طـــور التكوين(٣) والبعض يعتقد أنه قد اكتمل • كما نشهد اشارات الى هذا القـانون فى أحكام بعض المحاكم الأوربية(٤) •

« والواقع المشاهد فى حياة الشعوب أن الوعى القانونى لكل شعب هو الذى يتولد عنه القانون الوطنى ، كما أن الواقع المشاهد فى الحياة الدولية انه اذا اشتركت كل الدول فى وعى قانونى فانه يتولد عنه (قانون الأمم Droit des gens) ،واذا وجد وعى قانونى خاص بمنطقة معينة،أو بمجموعة من الدول فان هذا الوعى يتولد عنه قانون خاص بهذه المنطقة أو بهذه المجموعة وهو قانون يجب أن يحسب القانون الدولى العالمى حسابه »(٥) •

وتصنيف هذه القواعد القانونية مسألة تخضـــع للمنطق فاذا اختلفت القواعد المعمول بها عن قواعد معمول بها فى مناطق أخرى من حيث الأحكـام

---

(١) Calvo, Charles : Le Droit international historique et pratique, Paris, 1896, T.I., p. 155.

(٢)راجع فى ذلك مقال Herman Mosle المنشور فى ص ١٧٠ وما بعدها من G.W. Keeton Current Legal Problems لسنة ١٩٦٦ الذى يشرف عليه G. Schwarjenberger, وعنوان المقال European Law, does it exist ?

(٣) يقدم أصحاب هذا الرأى بعض القواعد ــ مثل القواعد الخاصـــة بتسليم المجرمين ــ كمثل لمرحلة التطور هذه •

(٤) أسوق مثلا لذلك حكم محكمة الجمـــاعات الأوروبية فى لكسمبورج الذى صـــدر فى ١٩٦٥/٦/٢٢ فى قضية Merisider اذ جاء فى حيثياته

All member states of the Community have adhered to the treaty under the same conditions. For this reason the fact that a subject of a member state, in our example the joint stock company Merisider, renders the effect of this adherence doubtful, **stands in contradiction to the common legal order of the community."**

أخذت هذه الفقرة عن مقال موزلر السابق ص ١٧٠ وكتبت العبارة التى تشـير الى وجود نظام قانونى مشترك للجماعة بحروف أوضح •

(٥) نقلا عن محمود كامل ــ المرجع السابق ، ص ٢٤ •

التى تحتويها فمعنى هذا أن هناك خلافا بين القاعدتين من حيث مجال التطبيق ومن حيث جوهر الأحكام وعندئذ يجب أن ننظر الى كل من المجموعتين على أنها فرع مستقل من فروع القانون تلك هى الظاهرة التى نشاهدها دائما عند نشوء فروع جديدة فى القانون(١) . وعلى هذا فان توفر الوعى القانونى فى منطقة بعينها اذا اقترن بقواعد لها ذاتيتها مجالا وحكما فان هذه القواعد تكون فرعا مستقلا عن فروع القانون(٢) . ومن ثم فان القول بوجـود قانون دولى عربى انما يتأيد اذا ثبت وجود وعى قانونى فى المنطقة العربية وان هذا الوعى قد خلف قواعد لها ذاتيتها بالقياس الى قواعد القانون الدولى العام سواء من حيث مجال تطبيقها أم من حيث ما جاءت به من أحكام . وفى هذا المجال لا أحسبنى فى حاجة الى تكرار ما سبق أن عرضته بشأن حقيقة المجتمع العربى ووجود علاقات دولية عربية . وتبعا فاننى استغنى بما قدمته من قبل للتدليل على أن هناك وعيا قانونيا عربيا فى المنطقة العربيــة ينعكس من الضمير العـــربى الاجتماعى ومن رضاء المجتمع العربى بأن تنفذ القواعد التى تنظم تصرفاتهم بالقوة الخارجية عند الاقتضاء . ولا يبقى على لتأكيد حقيقة وجود القانون الدولى العربى الا أن أعرض لبعض القواعد التى يتضمنها ذلك القانون والتى تختلف فى الجوهر ونطاق التطبيق عن قواعد القانون الدولى ذات الصلاحية العالمية .

قد يتبادر الى الذهن أننى ـ عند الكلام على القانون الدولى العربى ـ أقصد الكلام على القانون الدولى الاسلامى ـ ولكن ليس هــذا فى الواقع هو ما يدور بخلدى . صحيح أن القانون الدولى الاسلامى قانون له طابعه الخاص وأحكامه التى قد تختلف فى بعض مبادئها اختلافا جذريا عن القانون الدولى الوضعى(٣) . بأن لهذا القانون الدولى آثارا واضحة فى ظلال ملموسة على

---

(١) Puig, Juan Carlos : Les principes du droit international américain, Paris, 1954, pp. 12-13.

(٢) عندما ناقش الامريكيون فكرة قانون دولى أمريكى فى مؤتمر سانتياجو سنة ١٩٥٨ رأوا الأخذ بتسمية أخرى ، فأطلقوا على القواعد الخاصة بهم اسم « مشاكل ومواقف أمريكية فى القانون الدولى » .

(٣) راجع فى الموضوع بصفة عامة Alghunaimi, M. Talaat : The Muslim Conception of International Law and the Western Approach, The Hague, 1969.

القانون الدولى العربى - ولكن القانون الدولى الاسلامى قانون عالمى النزعة فالشريعة الاسلامية تخاطب الانسانية جمعاء دون تمييز بسبب الأصل أو الجنس أو اللغة ، أما القانون الذى أتكلم عنه الآن فهو قانون اقليمى خاص بالمجتمع العربى سواء دار هذا القانون فى حلبة القانون الاسلامى الدولى أو القانون الوضعى الدولى • والكلام عن قانون دولى عربى له ذاتيته لا يتعارض مع النظرية الاسلامية ذلك أن الاسلام وان كان قد نعى على العصبة للجنس وشبه المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر الا أنه قرر للعرب - من بين المسلمين - مكانة خاصة » فان الذى عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد : ان جنس العرب أفضل من جنس العجم : عبرانيهم وسريانيهم ، رومهم ، وفرسهم وغيرهم •••• وليس فضل العرب •••• بمجرد كون النبى صلى الله عليه وسلم منها ، وان كان هذا من الفضل ، بل هم فى أنفسهم أفضل وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا • والا لزم الدور•••• ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ، ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (حب العرب ايمان • وبغضهم نفاق » ولا نقول بقول الشعوبية وأرازل الموالى ، الذين لا يحبون العرب ، ولا يقرون بفضلهم ، فان قولهم بدعة وخلاف • والدليل على فضل جنس العرب ••• ما رواه الترمذى من حديث اسماعيل بن أبى خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قلت(يا رسول الله،ان قريشا جلسوا ،فتذاكروا أحسابهم بينهم ،فجعلوا مثلك كمثل نخلة فى كبوة من الأرض •فقال النبى صلى الله عليه وسلم :ان الله خلق الخلق ،فجعلنى من خير فرقهم،ثم خير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة • ثم خير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم • فأنا خيرهم نفسا • وخيرهم دينا) • قال الترمذى : هذا حديث حسن •••• وقوله فى الحديث خلق الله الخلق فجعلنى فى خيرهم ، ثم خيرهم فجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير فرقة •••• وعلى كل تقدير فالحديث صريح فى تفضيل العرب على غيرهم •••• وأيضا فى المسألة ما روى أبو بكر البزار •••• عن أبى اسحاق بن صحيح

قال : قال سليمان (نفضلكم يا معاشر العرب لتفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلكم اياكم لا ننكح نساءكم ولا نؤمكم فى الصلاة) · وهذا اسناد جديد ·· وهذا مما احتج به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة الى العجمى ، واحتج به أحمد فى احدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقا لواحد معين ، بل هى من الحقوق المطلقة فى النكاح ، حتى أنه يفرق بينهما عند عدمها ·

واحتج أصحاب الشافعى وأحمد بهذا على أن الشرف مما يستحق به التقدم فى الصلاة ···· وفى المسألة آثار غير ما ذكرته ، فى بعضها نظر ، وبعضها موضوع ·

وأيضا فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لما وضع ديوان العطاء (كتب الناس على قدر انسابهم ، فبدأ بأقربهم نسبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضت العرب ذكر العجم) هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين وسائر الخلفاء من بنى أمية وولد العباس الى أن تغير الأمر بعد ذلك ·

وسبب هذا الفضل ـ والله أعلم ـ ما اختصوا به فى عقولهم وألسنتهم ، وأخلاقهم وأعمالهم ···(١) ·· فالعرب هم أمناء الدعوة الاسلامية ، وهم أول من خاطب القرآن وبلغتهم نزل ونحن نعلم انه قد « تم نشر العروبة عن طريق حلول اللغة العربية محل اللغات الأصلية لبعض البلاد المفتوحة وعن طريق نشر العنصر العربى بهجرة عدد كبير من العرب الخالص الى هذه البلاد واندماجهم بسكانها · أما انتشار الاسلام فقد تم عن طريق اعتناق كثير من سكان البلاد المفتوحة لهذا الدين ·

ولقد كان انتشار الاسلام أوسع نطاقا وأبعد مدى من انتشار العروبة بحيث أصبحت البلاد العربية فى الجزيرة العربية والشام والعراق وفى وادى

---

(١) نقلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، القاهرة ، ١٩٥٠ ص ١٤٨ ـ ١٦٠ ·

النيل وفي شمال افريقيا مجرد جزء فقط من دار الاسلام ... »(١) .

« وهؤلاء العرب الذين انتفض احساسهم بكيانهم القومي وماضيهم التاريخي في فترات متعاقبة من فترات هذا التاريخ تبينوا أن هناك أكثر من عامل واحد يسوغ وحدتهم - بشكل أو بآخر - ويفرض حتمية هذه الوحدة وهداهم وعيهم القومي في بادىء الأمر الى أن تتخذ هذه الوحدة شكل وحدة اسلامية أو حركة من حركات التحرر الاسلامي ... ولم تلبث هذه الحركة الدينية ان استهدفت أغراضا سياسية كتحرير العرب من السيطرة الأجنبية، وشهد العالم في أواخر القرن التاسع عشر آثار هذه (القومية) الشابة كما يبدو جليا في كتابات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي .... فلما انتفضت دولة الخلافة وهي تركيا على فكرة التضامن الاسلامي بالترويج لفكرة الوحدة الطورانية .... اتخذت فكرة الوحدة عند العرب اتجاها آخر يستند الى وحدة التاريخ والثقافة واللغة والكفاح المشترك في سبيل مصير تحرري مشترك ... »(٢) ويمكن أن أضيف أن الدول العربية راحت - منذ أن استقلت - بمبادىء بعضها لا يتفق مع المعمول به آنئذ من قانون الشعوب .

ولا يعني التميز الذى للقانون الدولى العربى حيال القانون الدولى الاسلامي أن هناك تنافرا أو تناقضا بين النظامين ذلك أن القانون الدولى العربى يقوم على فلسفة عامة مؤداها تحقيق الوحدة العربية بينما تبنى فلسفة القانون الدولى الاسلامي - فيما يتعلق بالمسلمين - على توثيق الأخوة الدينية ، وفرق بين جمع الدول العربية على وحدة سياسية قانونية وبين جمع المسلمين على رابطة اسلامية .(٣)

هذه الظواهر والأفكار التي نبتت وترعرعت في المجتمع العربى ولدت

---

(١) نقلا عن محمد حافظ غانم ، المجتمعات الدولية الاقليمية ، المرجع السابق ، ص ٣٥

(٢) نقلا عن محمود كامل - المرجع السابق ص ٩ - ١١

(٣) ساطع الحصرى فى مقال له بعنوان Muslim Unity and Arab Unity منشور على الصفحات ١٤٧ - ١٥٣ من كتاب Arab Nationalism, edited by Sulvia G. Haim, University of California Press, 1964.

خلقا دوليا عربيا انصهر فى بوتقة الوعى العام العربى قواعد ومبادىء تحكم علاقات العرب الدولية ٠ وهذه القواعد والمبادىء هى التى أقصد اليها عند الكلام على القانون الدولى العربى ٠ ومن هنا يمكن أن أعرف القانون الدولى العربى بأنه « مجموع النظم والمبادىء والنظريات الفقهية والأحكام الاتفاقية والعرفية والقواعد العملية التى تحكم العلاقات الدولية العربية » ٠ وذلك المجموع كما قلت قد يتفق فى بعضه مع أحكام القانون الدولى العام وقد يتغاير فى بعضه الآخر مع تلك الأحكام ٠ وقد رأيت أن أنتقى الأمثلة التوضيحية من القسم المغاير لأنها أكثر دلالة على المقصود كما قلت ٠(١)

وأول هذه المبادىء فى تقديرى هو مبدأ العروبة ٠ والعروبة كمبدأ من مبادىء القانون الدولى العربى تعنى أن : ١ ـ شعوب البلاد العربية أجزاء من أمة واحدة هى الأمة العربية ، ٢ ـ الهدف الأسمى للأمة العربية هو تحقيق الوحدة العربية ، ٣ ـ كل تدخل أجنبى فى الشئون العربية يعد مشجوبا ولو كان برضاء الدولة المعنية ، ٤ ـ فكرة السيادة أصبحت لا تمثل أكثر من مجاز قانونى Fiction juridique عارض وليس من المقبول أن نركز على فكرة احترام استقلال الدول وسيادتها فى علاقة هذه الدول بعضها بالبعض بنفس القوة التى نركز بها على الفكرة فى علاقة هذه الدول بغيرها من الدول ، ذلك أن الوعى الاجتماعى العربى قد هدهد كثيرا من مفهوم السيادة فى المجال العربى تمهيدا للانتقال الى مرحلة اندماج تلك السيادات(٢) ٠ وتلك حقيقة يجب ألا تغرب عن البال ونحن ندرس العلاقات العربية ٠

وفى تصورى أن العروبة ـ كمبدأ من مبادىء القانون الدولى العربى ـ بمفهومها السالف ـ قد لاقت اعترافا دوليا منذ سنة ١٩١٦ فى الرسائل التى تبادلتها الحكومة البريطانية مع الحسين بن على شريف مكة ٠ ثم تأيد هذا

---

(١) سأعرض مزيدا من هذه القواعد عند الكلام عن جامعة الدول العربية وغيرها من المنظمات والاتحادات العربية ٠

(٢) نلاحظ أن النظرة العربية تختلف هنا عن النظرة الأمريكية التى تحرص على تأكيده فكرة السيادة المطلقة فى نطاق العلاقات الدولية الامريكية ٠

الاعتراف فى الرسالة التى وجهتها الحكومتان البريطانية والفرنسية الى الشريف حسين في يناير سنة ١٩١٨ والتى جاء فيها « ان دول الحلفاء مصممة على أن تتاح للشعب العربى فرصة كاملة لاستعادة كيانه كأمة فى العالم ولا يتيسر تحقيقه الا بواسطة العرب أنفسهم باتحادهم ، وستتبع بريطـانيا العظمى وحلفاؤها سياسة ترمى الى تحقيق هذه الوحدة »[١]

كذلك تعتبر تصريحات ايدن وزير خارجية انجلترا فى ١٩٤١/٥/٢٩ و ١٩٤٣/٣/٢٤ بشأن تأييد بريطانيا لوحدة العرب وحثهم على انشاء جامعة تضمهم اعترافا بالعروبة كمبدأ دولى عربى ٠

وقد تكرر الاعتراف ـ ولكن فى صورة مختلفة ـ عندما وجهت بريطانيا الدعوة لحضور مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن الى الدول العربيـة : مصر والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الأردن وكـذلك عـرب فلسطين (وعقد المؤتمر خلال الفترة من ٩/١٠ ـ ١٩٤٦/١٠/٢ ، ثم استؤنف فى ١٩٤٧/١/٢٧) ٠ كما أن موقف الأمم المتحدة من القضية الفلسطينية فى سنة ١٩٤٨ ـ على ما فيه من مآخذ ـ هو بمثابة اعتراف بالعروبة اذ لم تنازع فى حق العرب ـ من حيث الأساس ـ فى الدفاع عن حقوق عرب فلسطـين ولكنها نظرت للنزاع من زاويته السياسية واتخذت ما اتخـذته من قرارات مؤسفة على هذا الأساس ، وكان برنادوت ـ وسيط الأمم المتحدة ـ يناقش العرب بوصفهم جميعا هم أصحاب الحق فى التكلم عن فلسطين ، وكذلك كان بانش من بعده ٠ كما دعت لجنة التوفيق ـ التى قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قيامها من مندوبين عن تركيا والولايات المتحـدة وفرنسـا ـ دعت الحكومات العربية الى مؤتمر عقد فى بيروت فى ١٩٤٩/٣/٢١[٢] ٠ فاذا أضفت

---

(١) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، المجموعة الأولى ، ١٩٥٧ ، ص ٧٧ ٠

(٢) أسوق على سبيل المثال عبارات من المشروع الذى وضعته اللجنة السياسية للأمم المتحدة والذى وافقت عليه الأمم المتحدة فى ١٩٤٨/١٢/١١ بشأن انشاء اللجنة : « ان الجمعية العامة بعد أن اتخذت فى ٢٩ من تشرين الثانى ١٩٤٧ قرار التقسيم واتخذت فى ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨ قرارا يخول الوسيط الدولى بذل مساعيه فى تنمية العلاقات الدولية بين العرب واليهود ٠٠ تؤلف لجنة توفيق من ثلاثة أعضاء ٠٠٠ وتنمى الصلات الحسنة بين اسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية ٠٠٠ » ٠

الى ذلك المواقف المتعددة والقرارات المتوالية التى اتخذتها البـــلاد العربيـــة استنادا الى فكرة العروبة ، وأن هذه المواقف والمراكز لم تكل محل اعتراض من حيث الأساس — من قبل الجماعة الدولية فان هذا يؤكد أن العروبة قد أصبحت — بمعناها السالف — مبدأ من مبادىء القانون الدولى العربى ٠

كذلك من الأفكار القانونية التى يستقل بها القانون الدولى العربى فكرته الخاصة عن الاقليم(١) ٠ والواقع أن المفهوم العربى للاقليم متأثر الى حد كبـير بالمفهوم الاسلامى للاقليم فالاقليم العربى له كافة خصائص الاقليم الاســـلامى عدا أنه أكثر تحديدا فهو خاص بالأمة العربية وحدها ٠ وقد سبق أن أوضحت أن الجماعة العربية قد تميزت منذ الهجرة — داخل الجماعة الاسلامية — تميزا يحرص على عدم تحطيم الأمة فهى ليست خصوصية عنصرية وانما تأكيد يسمح للاسلام بأن يحقق أبعاده ويعمق مبادئه لأن الأمة العربية ستظل دائما الأمينة على كلمة الله وحملها عبر المسافات ٠ أو فى كلمـــة موجزة هى ذاتية للعرب فى وحدة اخاء ٠ ولذلك فان الاقليم العربى — على خلاف الاقليم الاسلامى — يسهل تحديده ورسم علاماته ٠ وقد جاء تعريف هذا الاقليم فى اعلان الجمعية الوطنية لسوريا الصادر فى ابريل سنة ١٩٣٦ بأنه الاقليم العربى الذى توحده وحدة اللغة والفكر والذكريات التاريخية والعادات والثقافة والمصالح والآمال وأن الوطن العربى يتكون من الأقاليم التى تدخل فى الحدود التالية : من الشمال جبال طوروس والبحر المتوسط ، ومن الجنوب المحيط العـــربى (الهندى) وجبال الحبشة وسلاسل السودان والصحراء ، ومن الغرب المحيط الأطلسى وعلى شواطىء سوريا والبحر المتوسط، ومن الشرق جبال ايران وخليج البصرة٠ ويبين من هذا التعريف أن الاقليم العربى لا يستقيم مع المفهوم الغربى للاقليم الذى يربط الاقليم بدولة معينة ويجعل منه امتدادا جغرافيا لاختصاصات تلك الدولة على نحو ثابت محدد ٠ فالاقليم العربى يضم عدة دول عربية ، وهـــذا هو الذى انعكس على دساتير الدول العربية المختلفة التى أشارت — حسبمـا

---

(١) راجع Flory, Maurice: **La notion du territoire arabe et son application au problème du Sahara**, Annuaire Française de Droit International 1957, pp. d4 et suiv.

أوضحت فيما سلف – الى أنها جزء من الأمة العربية • ومن ثم فان تحديده لا يتأسس على معطيات جغرافية وانما يستند الى فكرة العروبة فهو يضم شعبا معينا وحضارة بذاتها بغض النظر عن فكرة الدين لأن من الشعب العربى جماعات كبيرة غير اسلامية • ورغم عدم وجود حدود جغرافية فانه ليس من الصعب أن نحدد حدوده ولكن الذى أريد أن أركز عليه هنا هو أن هذه الحدود الجغرافية ليست ثابتة بل متحركة لأنها ترتبط بالعروبة فهى تتغير مع امتداد أو انحسار الاتساع الحضارى العربى • ولعل هذا هو الذى يفسر فشل الفكر الغربى أحيانا فى فهم وجهة النظر العربية اذا أخذ النظرة العربية بمفهومه الخاص عن الاقليم[1] • ومن الأمثلة التى أوردها لتوضيح هذا الخلاف المشكلة التى ثارت بين فرنسا وبين المغرب • فقد ذهب الفرنسيون الى أن الصحارى اقليم فرنسى مستندين فى ذلك الى وضع اليد وممارسة السيادة والتحديد الجغرافى للحدود بينما اعتبرته المغرب اقليما عربيا لأنه يحتوى سكانا يتكلمون العربية ويقيم حضارة عربية • كذلك اسرائيل لا يمكن – فى نظر العرب – أن تكسب أى حق على الاقليم العربى لأنها تغتصب اقليما عربيا وذلك بغض النظر عن المعايير الغربية الخاصة باكتساب الاقليم • وهذا هو أيضا الذى يفسر لماذا تهب الحكومات العربية لمساعدة الثوار العرب الذين ينتفضون دفاعا عن حريتهم، دون التقيد فى هذه المساعدة بمطابقتها أو عدم مطابقتها لأحكام القانون الغربى لأن تمكين هؤلاء الثوار من التحرر فيه تحرير لجزء من الاقليم العربى الذى هو فى الحقيقة اقليم الأمة العربية جمعاء • ولما كانت فكرة الاقليم العربى مرتبطة الى حد كبير بفكرة العروبة • واذ أن فكرة العروبة قد كسبت اعترافا دوليا فان المنطق أن تعامل فكرة الاقليم العربى نفس المعاملة •

---

(١) أحب أن أوجه النظر الى أن المفهوم العربى للاقليم – على النحو الذى فسرته – ليس دائما محل تشبث فيما جرى عليه العمل العربى ذلك أن الظروف الدولية التى تحيط بالدول العربية وهى فى مرحلة نموها وما تواجهه تلك الدول من صعاب اقتصادية على الخصوص قد يدعوها الى التخفيف من التمسك بالفكرة على نطاقها الدقيق • ولكن هذا التساهل العرضى الذى قد تفرضه ظروف قاهرة لا يعنى تخلى العرب عن مفهوم الاقليم العربى بالمعنى الذى شرحته •

الفصل الثالث

فى

دراسة مثال من جماعات الاسترهاب الدولية(١)

المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية

سياق ادعاءات « الشعب اليهودى »

تعتبر الادعاءات القومية للشعب اليهودى هى لب القانون العام الصهيونى ، ولذا فان حسن فهم مبادىء هذا القانون يقتضى أن أقدم عجالة عن هذه الادعاءات ٠

تقوم الصهيونية على فرض جوهرى زكته منذ بدايتها فى ١٨٩٧ ألا وهو استغلال الفكرة المعادية للسامية ٠ وقد شرح هرتزل - أول رئيس للمنظمة الصهيونية - ذلك الفرض فى كتابه عن « الدولة اليهودية »(٢) فقال : « اننا نهاجر طبعا الى تلك الأماكن التى لا نلقى فيها اضطهادا ، وهناك يسبب وجودنا الاضطهاد ٠ تلك هى الحال فى كل بلد وسوف تظل هكذا حتى فى تلك البلاد المتقدمة فى المدنية - مثل فرنسا - الى أن تجد المشكلة اليهودية حلا على أساس سياسى ٠ ان اليهود التعساء يحملون معهم معاداة السامية فى انجلترا ، وقد أدخلوها فعلا فى أمريكا ٠٠

---

(١) جماعات الاسترهاب هى الجماعات التى سبق أن قلت ان الفكر الغربى يطلق عليها تعبير Les groupes de pression internatioaux. Pressure international groups. وأقد دأب الكتاب العرب على تسمية هذه الجماعات بجماعات الضغط الدولية ولكن هذه الترجمة لم تصادف قبولا فى نفسى لا لفظا ولا جرسا لان صناعة الترجمة فيها واضحة ولذا اخترت التسمية أعلاه اقتداء بمعنى قريب فى الآية الكريمة التى تصف فعل سحرة فرعون « واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » ٠

(٢) Herzl: The Jewish State, A Attempt at a Modern Solution of

Herzl : The Jewish State, An Attempt at a Modern Solution of
the Jewish Question, 19, 20 (Avigdor and Cohen Translation 1943).

We naturally move to those places where we are not prosecuted, and there our presence produces prosecution. This is the case in every country, and will remain so, even in those highly civilized—for instance. France—till the jewish question finds a solution on a political basis. The unfortunate Jews are now carrying Anti-Semitism into England, they have already introduced it into America."

فالصهيونية ودولتها اليهودية اذن تحاولان اقناع الرأى العام بأن الحركة المعادية للسامية ، هى حركة معادية لليهود وأن معاداتها هذه لايمكن استئصالها، وعلى هذا الفرض الأساسى تزعم الصهيونية أنه لا مناص من أن يتجمع الشعب اليهودى فى وحدة قومية اضافية تضفى عضويتها على اليهود كافة(١) . ومن هنا تسعى فكرة « الشعب اليهودى » الى استقطاب الهجرة اليهودية الى اسرائيل كحل لما يلاقونه من عداء للسامية(٢) والى أن تتحقق الهجرة الكاملة فان على اليهود كجماعة أن يدينوا بالولاء لاسرائيل . ولا تفتأ الصهيونية تستغل فكرة « الشعب اليهودى » فى تبرير ادعاءاتها القانونية واضفاء المشروعية على تصرفاتها الدولية ، ولعل أحدث مثل لذلك هو محاكمة ايخمان . فقد شعرت اسرائيل بأن القواعد المقبولة فى القانون الدولى لا تقيم لها اختصاصا بنظر هذه المحاكمة فراحت المحكمة الاسرائيلية تتلمس المبرر فى فكرة « الشعب اليهودى»

---

(١) من الأمثلة المعاصرة التى توضح لنا كيف تستغل الصهيونية فكرة معاداة السامية لصالحهاماقاله امريكىمرموقهو آرثر هرتسبرج Arthur Hertzberg فى كتابه The Zionist idea : A Historical Analysis And Reader, Introduction, 1966.

جاء فى ص ٤٩ منه ما نصه « The assumption that anti-semitism (makes sense) and that it can be put to constructive uses — this is at once the subtlest, most daring, and most optimistic conception to be found in political zionism... What is new in Herzel is that, assuming, as the heir of assimilation, that anti-semitism is rational, he boldly turned this idea onward to international arena."

(٢) واضح أن الصهيونية تبالغ فى استغلال الفكرة المناهضة للسامية لأن الحقائق تثبت أن كثيرا من أنصار هذه الحركة هم من غلاة المتحمسين للصهيونية وأذكر منهم لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية الأسبق الذى عرف بمناصرته للصهيونية فقد قدم لها من بين ما قدم تصريح بلفور .

وعلى تلك الفكرة بنت اختصاصها بنظر الدعوى(١) .

ولذا فانه يكون من قبيل الخطأ البالغ أن نتصور أن قيام دولة اسرائيل يعتبر نهاية المطاف بالنسبة للصهيونية فما هذه الدولة فى نظر كل من حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية الا خطوة نحو تدعيم الادعاءات القانونية«للشعب اليهودى » . ولذلك تقيم حكومة اسرائيل والمنظمةالصهيونية علاقتهما ببعضهما البعض على أساس فكرة « الشعب اليهودى » ووضعها موضع التطبيق . ورغم أن المناداة بفكرة « الشعب اليهودى » تعنى بوضوح أن على اليهود المقيمين خارج اسرائيل أن يدينوا بولائين أحدهما للدولة التى يعيشون فيها والآخر لاسرائيل(٢) ، فان كثيرا من قادة الفكر الصهيونى يحاولون تعمية تلك الحقيقة

---

(١) جاء فى حكم المحكمة الاسرائيلية التى نظرت الدعوى ما نصه :

"The connection between the State of Israel and the Jewish people needs us explanation. The State of Israel was established and recognised as the State of the Jews... It would appear that there is hardly need for any further proof of the very obvious connection between the Jewish people and the State of Israel . this is the sovereign State of the Jewish people."

قضية المدعى العام لاسرائيل ضد أدولف ابن كارل أدولف ايخمان Crim. Case No. 40/61, Dist. Ct. of Jerusalem, Israel, Dec. 11-12, 1961, aaf'd Crim. App. No. 336/61 Supp. Ct. of Israel, May, 29, 1962.

(٢) لذلك أنكرت الولايات المتحدة الامريكية فكرة « الشعب اليهودى » فى رسالة وجهها وزير خارجيتها المستر تالبوت الى الدكتور المر برجر Elmer Berger نائب الرئيس التنفيذى للمجلس الامريكى فى ١٩٦٤/٤/٢٠

(8 Whiteman, Digest of International Law, 35, 1967).

لما تتضمنه تلك الفكرة من تأكيد الاختصاص التشريعى والقضائى لاسرائيل على اليهود الامريكيين .

ويدعونى هذا الى استطراد يرتبط بالموضوع فقد أصدرت الحكومة الامريكية بيانا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٦ « بمناسبة الحالة الراهنة فى الشرق الأوسط » تحذر فيه المواطنين الامريكيين من فقدان جنسيتهم اذا ما انضموا أو خدموا فى جيش دولة أجنبية دون الحصول على اذن مسبق من وزير الخارجية ووزير الدفاع . وقد جرى القضاء الامريكى على اسقاط الجنسية عن الامريكى الذى يخدم فى دولة أجنبية دون اذن كتابى ، من ذلك الحكم الذى أصدرته محكمة استئناف ولاية نيويورك فى قضية عرضت أمامها بهذا المعنى عام ١٩٦٣ . ولكن حصل فى سنة ١٩٦٩ أن أصدرت المحكمة العليا الامريكية برئاسة قاض يهودى - فى قضية رفعها شخص يهودى - حكما ينص على جواز عدم اسقاط الجنسية عن الامريكى الذى يخدم فى جيش دولة أجنبية .

(٢) وقد عبر رئيس وزراء اسرائيل السابق بن جوريون عن ذلك صراحة بقوله :

"First of all there is the collective duty of the Zionist Organization and The Zionist Movement to assist the State of Israel in all conditions and under any circumstances towards accomplishment of 4 central

عن طريق التفرقة بين الجماعة اليهودية ككل وبين الفرد اليهودى ويزعمون أن الولاء لاسرائيل هو واجب مفروض على جماعة اليهود وليس على اليهود كأفراد(١) • وتبدو المراوغة واضحة فى ذلك التفسير اذا عرفنا أن القانون العام الصهيونى يكاد يحصر كل أحكامه فى الحقوق والواجبات الجماعية التى تناسب فكرة « الشعب اليهودى » • ومن ثم فان كل ما يتعلق بالجماعة يدخل فى نطاق الصهيونية وتهتم به أما كل ما يتعلق بالفرد فلا تقيم له الصهيونية وزنا • ومن هنا يبدو واضحا أن التفرقة التى يقول بها الصهاينة لتمويه الحقائق لا تغنى عن الحقيقة شيئا اذا حكمنا عليها على هدى من المبادىء الصهيونية لأن الصهيونية اذ فرضت الولاء الجماعى المزدوج دون التعرض للولاء الفردى المزدوج انما فرضت هذا الولاء فى النطاق الذى تقصر اهتمامها عليه وتضع له القواعد والأحكام •

قيام المنظمة الصهيونية ومحاولة جعلها هيئة دولية

تمخض أول مؤتمر صهيونى عالمى عقد فى بال سنة ١٨٩٧ عن اقامة منظمة صهيونية تكون بمثابة هيئة عامة تمثل اليهود • وقد شغل الصهاينة

---

matters: The Ingathering of the Exiles, the building up of the country, security and the absorption and fusion of the Dispertions within the State. This signifies assisting the State whether the government to which the Jews in question owe allegiance desire it or not...

هذا من مقالة عنوانها Tasks and Character of a Modern Zionist نشرت فى Jerusalem Post فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٥١ •

(١) أذكر نموذجا لتلك المغالطات كلام بيرل لوكر Berl Locker الذى تحدث كرئيس للمجلس التنفيذى الصهيونى فى دورة المجلس الصهيونى العام (٢١ - ٢٩ يوليو ١٩٥٤) فقال :

"The State of Israel lays no claim on the political loyalty of Jews resident in other countries. Jews are good citizens in all countries of their domicile and specially in the countries in which they enjoy equal rights. But Jews as a community do possess a collective loyalty to the State of Israel, as Israel is the national home of the entire Jewish people." Elmer Berger

ونلاحظ هنا أن المتحدث قد فرق بين وضع اليهودى كفرد وبين اليهود كجماعة وادعى - كما قلت فى المتن - أن واجب الولاء ملقى على عاتق الجماعة • وهذه تفرقة لا تعنى من حيث الواقع أن هناك فرقا حقيقيا بين واجبات الفرد اليهودى وواجبات الجماعة اليهودية حيال اسرائيل ولكنها صيغت على نحو يراد به تشويه الحقائق لا سيما وأنه لم يقرر صراحة أنه ليس على اليهودى كفرد أن يقدم ولاءه لاسرائيل وانما وصفه فقط بأنه « مواطن طيب » •

منذ البداية بكسب صفة دولية للمنظمة حتى يمكن أن تعمل على الصعيد الدولى بقدرات أشخاص القانون الدولى . ولما كان اضفاء هذه الصفة الدولية لا يكفى فيه تصرف من جانب واحد - وهو الصهيونية - بل لا بد أن يقابل ذلك اعتراف الجماعة الدولية فقد اتجهت الصهيونية بحيلها الى اكتســاب ذلك الاقرار سواء أكان ذلك صراحة أو ضمنا . فنجد هرزل بوصفه رئيسا للمنظمة الصهيونية يتفاوض مع قيصر ألمانيا وسلطان تركيا ثم يحصل فى سنة ١٩٠٣ على اقتراح من بريطانيا بمنح اليهود امتيازا باستعمار منطقة فى أوغندا ،فكانت تلك المفاوضات الدبلوماسية بمثابة اقرار جزئى محدود بالمنظمة كهيئة دولية ذات غرض معين . ثم جاء تصريح بلفور ليكشف عن اعتراف الحكومةالبريطانية بالمنظمة كهيئة دولية تصلح لأن تتلقى وعدا سياسيا وأن تلتزم بقيود قانونية تمثلت فى التحفظات التى تضمنها الوعد(١) . وقد ترتبت على هذا الرباط السياسى بين المنظمة الصهيونية وبين الحكومة البريطانية أن دعى مندوبون عن المنظمة ليمثلوا أمام المجلس الأعلى لمؤتمر السلام (الذى عقد بعد الحرب العالمية الأولى فى ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩)(٢) .

وقد أكسب هذا الوضع المنظمة اقرارا جماعيا مؤقتــا بصفتها كهيئة دولية فى نطاق معين حتى أن الفقيه الدولى اليهودى فينبرج Feinberg شبه المنظمة - بوصفها ممثلة للشعب اليهودى - بالدول المحايدة .

ورغم أن الصهيونية لم تحقق كل أهــدافها عن طريق مؤتمر الســلام

---

(١) ينص تصريح بلفور على ما يلى : « عزيزى اللورد روتشيلد

يسرنى جدا ان ابعث اليكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالى . تصريف العطف على الأمانى اليهودية الصهيونية الذى رفع الى الوزارة ووافقت عليه : ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة ملجأ وطنى قومى فى فلسطين للشعب اليهودى وسوف تبذل أقصى جهدها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لا يجــوز عمل شىء قد يضير الحقوق المدنية والدينية للطوائف اليهودية فى فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلاد غيرها » .

(٢) مثل المنظمة أمام مؤتمر السلام العالمى كل من الدكتور وايزمان وناحوم سوكولوف . وطالبا بانشاء مجلس يهودى Jewish Council يكون له كيــان قانونى ويقوم - من بين امور أخرى - بتنفيذ مشروع الملجأ الوطنى فى فلسطين .

ثانياً استطاعت أن تربح اعتراف عصبة الأمم بالمنظمة كهيئة دولية(١) ، فقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على أنه « يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عامة لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في انشاء الملجأ القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك دوما لمراقبة الادارة » . لقد منحت المادة للمنظمة سلطة « اسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها » ومعنى ذلك أن الحكومة البريطانية أصبحت تستطيع أن تتعاون سياسيا مع هيئة عامة اعترف لها بمركز دولي يمنحها حقوقا ويفرض عليها قيودا . وقد تكفلت المادة ١١ من صك الانتداب بالكلام عن وظائف اضافية للمنظمة(٢) .

وقد تأكد الاعتراف بالمنظمة كهيئة دولية بالحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية الدائمة في مجموعة قضايا عرفت بقضايا مافروماتس الخاصة

---

(١) الواقع أنه منذ أن دخل صك الانتداب طور التنفيذ أصبح مسميا « المنظمة الصهيونية » و « الوكالة اليهودية » مجرد اختلاف في الأسماء لذات الهيئة العامة . وهذا ما قررته صراحة المادة الثالثة من القانون الاسرائيلي الصادر في ١٩٥٢/١١/٢٤ المسمى « قانون المركز القانوني » .

(٢) تنص م ١١ من صك الانتداب على ما يلي : « تتخذ ادارة فلسطين جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ويكون لها من السلطة التامة في وضع ما يلزم من الأحكام لتملك أي مورد من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة في البلاد أو التي ستؤسس فيما بعد أو السيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها . ويترتب عليها أن توجد نظاما للأراضي يلائم احتياجات البلاد مراعية في ذلك ، من بين الأمور الأخرى ، الرغبة في تشجيع حشد السكان في الأراضي وتكثيف الزراعة .

ويمكن لادارة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تقوم هذه الوكالة بانشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية وترقية مرافق البلاد الطبيعية بشروط عادلة ومنصفة ما دامت الادارة لا تتولى هذه الأمور مباشرة بنفسها ، غير أن كل اتفاق كهذا يجب أن يشترط فيه ألا تتجاوز الأرباح التي توزعها الوكالة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقدار الفائدة المعقولة التي يعود بها رأس المال المستثمر ، وأن كل ما يزيد على هذه الفائدة من الأرباح يجب أن يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه الادارة » .

بالامتيازات الفلسطينية(١) • اذ أثبتت المحكمة فى حكمها الأول — استنادا الى نص م ٤ من صك الانتداب — بأن المنظمة هيئة دولية(٢) •

واذ اطمأنت المنظمة الى وضعها كهيئة دولية فقد راحت تمارس وسائل الاستر هاب داخل فلسطين بل وفى بريطانيا ذاتها عهد أن كان مركز نشاط الصهيونية هناك • فلما نقل المركز الى الولايات المتحدة تابعت المنظمة نفث القوى الضاغطة على أجهزة الحكم هناك •

فقد أصبحت المنظمة داخل فلسطين بمثابة حكومة ظل Shadow Government وما عادت تحترم من أحكام الانتداب الا ما يتفق مع أهدافها وأغراضها • وقد سجلت تلك الحقيقة اللجنة الأمريكية البريطانية التى شكلت سنة ١٩٤٦ لتحرى الحقائق فجاء فى تقريرها « لقد قدمت الوكالة تعاونا فعالا فى البداية لحكومة فلسطين ، ولكن الوكالة غدت — بدخلها الضخم واداريبها وخبرائها وموظفيها الأكفاء — غدت فى النهاية ولا زالت أقوى سلطة غير حكومية فى فلسطين بله الشرق الأوسط • وقد وصفتها لجنة بيل بأنها « حكومة تقوم جنبا الى جنب مع حكومة الانتداب وان الوصف لأكثر دقة اليوم »(٣) •

(١) تتلخص وقائع قضايا مافروماتس فى ان الحكومة التركية — عهد ان كانت فلسطين اقليما عثمانيا — كانت قد منحت شخصا يونانيا اسمه مافروماتس امتيازات مرافق عامة فى يافا والقدس ولكن حكومة الانتداب — مهتدية بالمادتين ٤ ، ١١ من صك الانتداب — رتبت مع المنظمة الصهيونية منح امتيازات الأشغال العامة الى شخص يدعى روتنبرج ، ويبدو ان هذه الامتيازات تداخلت مع امتيازات مافروماتس • وقد حاول مافروماتس أن يقنع حكومة الانتداب — بوصفها خليفة للحكومة التركية — أن تحترم امتيازاته فلما فشل فى ذلك تبنت الحكومة اليونانية دعواه ورفعت الأمر الى القضاء الدولى •

(٢) قالت المحكمة فى حكمها مشيرة الى المادة ٤ من صك الانتداب : «
This clause shows that the Jewish agency is in reality a public body, closely connected with the Palestine administration and that its task is to co-operate, with the Administration and under its control, in the development of the country...

(٣) قد يكون من المناسب أن أورد هنا الأصل الانجليزى لهذه الفقرة من تقرير اللجنة :
At first the Agency gave the Palestine Government effective co-operation. With its large revenue, its able administrators, advisors and ... its manifold activities, the Agency became finally and still the =

وبلغ من جرأة المنظمة على الحق أن اتخذت من فكرة « الشعب اليهودى » سندا ضد الحكومة البريطانية أمام لجنة الانتدابات الدائمة فى عصبة الأمم وأجبرت دولة الانتداب على أن تدخل معها فى مفاوضات لتقر بأن الالتزامات الأساسية التى يفرضها الانتداب على بريطانيا ليست حيال السكان المحليين الفلسطينيين وانما تدور حول المطلب اليهودى بتشكيل « الشعب اليهودى » ٠

وقد دلفت المنظمة فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ الى أروقة الأمم المتحدة وظلت تعمل هناك باسم « الوكالة اليهودية » الى أن انضمت اسرائيل الى عضوية الهيئة الدولية وحلت رسميا محل الوكالة ٠

وقد انتقل التمركز الأساسى لنشاط المنظمة كهيئة دولية من انجلترا الى الولايات المتحدة الأمريكية فى أوائل الحرب العالمية الثانية ٠ وكانت باكورة هذا النشاط اعلان بالتيمور فى ١١ مايو سنة ١٩٤٢ الذى كشف النقاب عن بعض من خبيئة الصهيونية فقد طالب الاعلان بانشاء كومنولث يهودى فى فلسطين دون اشارة أو اعتبار للتحفظات التى جاء بها تصريح بلفور والذى أدرج ضمن صك الانتداب(١) ٠

ولعل موقف التحدى هذا يرجع الى اطمئنان الصهيونية الى أنها لن تلقى مقاومة من مراكز القوى الأمريكية بعد أن طوقت رئيس الجمهورية ومجلس الشيوخ ووزارة الخارجية بسياج حديدى(٢) ٠ فليس غريبا اذن ألا يجد ترومان فى نفسه الجرأة وهو رئيس للدولة الا أن ينصاع لرغبات الصهيونية ، فلما ترك الرئاسة كشف فى مذكراته بصراحة واضحة عن بعض هذه المناورات(٣) ٠

---

most potent non-governmental authority in Palestine and indeed in the Middle East. The Peel Committee described it as "a government existing side by side with the Mandatory Government". The description is even more accurate today...".

(١) راجع نصوص هذا التصريح فى Jewish Agency for Palestine, Book of Documents Submitted to the General Assembly of the United Nations Relating to the Establishment of the National Home for the Jewish People, 226-27 (1947).

(٢) Stevens: American Zionism and U.S. Foreign Policy, 1942-1947, pp. 2-3, 1962.

(٣) Truman, Memoirs: Years of Trial and Hope 140, 153, 158 (1956).

وضع المنظمة الصهيونية بعد قيام اسرائيل

كان مفروضا أن تنتهى مهمة المنظمة الصهيونية بقيـــام اسرائيل حيث كان الهدف الأساسى للمنظمة هو انشاء دولة اسرائيل ، ولكن الوقائع كذبت ذلك فقد أشارت التقارير التى قدمت للمؤتمر الصهيونى الثـالث والعشرين سنة ١٩٥١ ــ وهو أول مؤتمر يعقد بعـــد قيام اسرائيل ــ الى أن المنظمــــة لا زالت مستمرة فى نشاطها بيد أن بعضا من اداراتها قد كف عن العمل مثل جهاز اجراء المفاوضات الدبلوماسية الذى كان ــ من بين اختصاصات المنظمة ــ يمثل أهمية قصوى قبل سنة ١٩٤٨ فقد تخلى عن اختصاصه لحكومة اسرائيل. أما استقطاب الهجرة اليهودية الى اسرائيل وتزويدها بالأموال فقد ظـــل من الواجبات الأولية للمنظمة . ومع ذلك فقد بقيت مشكلة تنسيق الاختصاصات بين حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية وتوزيع الأعباء العامة بينهما ذلك أن حكومة اسرائيل كانت حريصة على أن تستمر المنظمـــة فى أداء الدور الذى كانت تلعبه قبل خلق اسرائيل(١) . ومن ثم فقد شكلت لجنـــة تنسيق فى سنة ١٩٥١ من ممثلين عن الجهتين لتحديد العلاقة بينهما .

وقد أسفر مؤتمر سنة ١٩٥١ عن قرارات سياسية اخترت منها ما يتعلق بتنظيم العلاقة بين اسرائيل والمنظمة . فقد جاء فى أحد هـــذه القرارات أن اسرائيل « هى التعبير الأعلى لارادة الأمة اليهودية فى التحرر وتضم تآلفا بناء

---

(١) هذا هو ما قاله بن جوريون صراحة فقد ورد فى The Jewish Agency's Digest
Mr. Ben-Gurion said that during the British Mandatory regime, the Zionist Organization's function had been to shape the policy of the Palestine Government, insofar as the Mandatory had been faithful to the Mandate and to its international obligations, and to the promotion of immigration and settlement. The Jewish Agency had been to a certain extent "a state with a state, a government within a government."

This would not be tolerated under the State of Israel, Mr. Ben-Gurion said.

The Prime Minister warned against two misconceptions:
(1) That with the rise of the State, the Zionist Movement and the Jewish staff, Zionist funds become obsolete.

لكل فئات الأمة »(١) • وهذا يعنى أن الدولة ــ شأنها شأن المنظمة ــ تعمل لحساب « الشعب اليهودى » جميعه ولكن المنظمة لم تعدم تقوم ــ فى مجال الصهيونية السياسية ــ بالدور الأعلى • كذلك من بين القرارات قرار عنوانه « تقرير مركز قانونى للمنظمة الصهيونية »(٢) • وتنص الفقرة الأولى منه على

---

(1) That notwithstanding the rise of the State the Zionist Movement would continue to function as though the State did not exist."

(١) نص فقرة القرار هو "It [The State of Israel] is the supreme expression of the will of the Jewish nation for redemption, and it embodies the creative partnership of all sections of the nation."

(٢) وهذا هو نص القرار : « " (a) The Congress declares that the practical work of the World Zionist Organization and its various bodies for the fulfilment of its historic tasks in Eretz Israel calls for the fullest degree of co-operation and co-ordination on its part with the State of Israel and its government, in accordance with the laws of the land.

(b) The Congress considers it essential that the State of Israel shall grant, through appropriate legislative act, status to the World Zionist Organization as the representative of the Jewish people in all matters relating to organized participation of the Jews of the Diaspora in the development and upbuiding of the country and the rapid absorption of the immigrants.

(c) In relation to all activities conducted in the interests of the State of Israel within the Diaspora it is essential that the government of the State of Israel shall act in consultation and co-ordination with the World Zionist Organization.

(d) In all matters regarding legislation by the State of Israel touching upon the activities of the World Zionist Organization and the Jewish Agency, their property and their liabilities, it is essential that there shall be prior consultation between the Government and the Executive of the World Zionist Organization and the Zewish Agency.

(e) (1) On the basis of the Status to be granted to the World Zionist Organization, the Executive of the World Zionist Organization Agency shall be empowered to work within the spheres defined from time to time by special agreement with the Israel Government. (2) The following spheres of activity shall be fixed among others, for the forthcoming period :

(a) The organization of immigration, the transfer of immigrants and their property to Eretz Israel ;
(b) Participation in the absorption of immigrants ;
(c) Youth Aliyah ;
(d) Development of agricultural settlement ;
(e) Acquisition and amelioration of land by the Jewish National Fund.

(3) The co-ordinating Body of the Israel Government and the Executive of the World Zionist Organization and the Jewish Agency shall co-ordinate this above-mentioned spheres of activity.

Organization Dep't of the Zionist Executive, Fundamental Issues of Zionism at the 23th Zionist Congress 133-36 (1952).

أن تستمر المنظمة الصهيونية فى القيام بدورها التاريخى فى تعاون كامل مع اسرائيل • وتقرر الفقرة الثانية أن تمنح اسرائيل مركزا قانونيـــا للمنظمة بوصفها ممثلة للشعب اليهودى ، وهذا معناه أن تكون الممثلة لليهود من غير مواطنى اسرائيل(١) • وليس فى أحكام القانون الدولى ما يخول اسرائيـــل اضفاء هذا المركز بارادتها المنفردة على المنظمة • وتشير الفقرة الثالثة الى أن نشاط المنظمة يتضمن تعزيز مصالح اسرائيل القومية بين يهود الدول الأخرى وأن يتم تعزيز تلك القومية الصهيونية على أساس مخطط ترسمه اسرائيـــل والمنظمة معا ، ولعل هذه الفقرة وسابقتها هى السبب الذى من أجله تغـــير عنوان القرار • فقد كان المقترح هو أن يسمى « مركز ووظائف المنظمـــة فى اسرائيل » • وتتطلب الفقرة الرابعة أن تعامل المنظمة معـــاملة خاصة فكل ما تصدره اسرائيل من قوانين تمس نشاط المنظمة أو أموالها أو مسئولياتهـا يجب أن تستشير فيه الهيئة التنفيذية للمنظمة والوكالة اليهودية • ويتكلم

---

(١) واضح أن اسرائيل لا تملك ـ طبقا لأحكام القانون الدولى ـ أن تضفى بارادتها المنفردة مركزا كهذا على المنظمة • ولكن منطق اسرائيل فى هذا أن المنظمة هى امتداد للدولة وتستطيع أن تمارس بالنسبة للشعب اليهودى فى خارج حدود اسرائيل ما تمارسه الدولة فى داخل حدودهـا وذلك تحايلا منها على قيود الســـيادة التى يفرضها القانون الدولى فى هذا المجـال • ويهمنى لتوضيح هذه المسألة الهامة لغرابتها أن أنقل هنا فقرات من الخطـاب الذى قدم به بن جوريون القانون الخاص بالمركز القانونى للمنظمة الى الكنيست والذى يكشف عن ان المنظمة أبقيت لتصبح دولة داخل كل دولة بها يهود أو لليهود فيها مصالح •

قال بن جوريون ـ من بين ما قال ـ :

"This bill differs generally from other laws not only in form but also in content. Usually a law intended to change or improve something. This enactment is intended to maintain, to confirm, and to give legal force and State recognition, to a basic fact — the experience of the Jewish people, its historic continuity, unity and aspiration. It will give the impress of the State and the law to the fact that the State of Israel is the creation of the Jewish people, indelible proof and faithful base of its existence, and primary instrument for its liberation......

However unique is the State of Israel in the manner of its emergence and in its task, it is obliged to operate like every other state, and its capacity outside its borders is restricted. It is the Zionist Organization, built upon the voluntary association and activity, which is able to achieve what is beyond the power and competence of the State, and that is the advantage of the Zionist Organization over the State..."

القسم الأول من الفقرة الأخـيرة عن ابرام اتفاقات بين اسرائيل والمنظمـة الأمر الذى يعزز المركز القانونى المستقل الذى تتمتع به المنظمة حيال حكومة اسرائيل بل والمساواة فى القدرة على المفاوضة · ويحدد القسم الثـانى من الفقرة الأخيرة الوظائف التى تمارسها المنظمة مع تأكيد مستمر على الهجرة · ويذكر القسم الأخير من ذات الفقرة الأخـيرة هيئة تنسيق لتنسق مجـالات النشاط بين المنظمة والوكالة اليهودية من جهة وبين حكومة اسرائيل من جهة أخرى ، وهذا أيضا مظهر آخر من مظاهر المساواة بين المنظمة والحكومة(١) · بل انه يبين مما سلف أن على المنظمة أن تستمر فى أداء وظائفها السابقة وأنها — من أجل ذلك — فى حاجة الى مزيد من السلطات والى المركز القانونى المحدد ·

وانفاذا لقرار المؤتمر أصـدرت اسرائيل قانونا فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ باسم « قانون المركز القانونى The Status Law » الذى عد نافذا اعتبارا من الثـانى من ديسمبر سـنة ١٩٥٢ · وهو قانون من القـوانين الاسرائيلية الأساسية ذات الطبيعة الدسـتورية ولذا بدأ القـانون بتأكيـد الروابط الفعلية والقانونية التى تربط كلا من اسرائيل والمنظمـة بالشعب اليهودى كافة · وتنص الفقرة الرابعـة من القانون عـلى اعتراف اسرائيل بالمنظمة بوصفها الوكالة المخولة التى ستستمر فى العمـل داخل اسرائيـل لتطوير واستقرار البلاد واستيعاب المهاجرين من (المنفى !) وتنسيق نشاط المنظمات الصهيونية التى تعمل فى هذا المجال فى اسرائيل(٢) · وتقر المـادة الحادية عشرة بأن المجلس التنفيذى للمنظمة يعتبر جهازا ذا شخصية قانونية ويمكنه أن يتعاقد وأن يحوز ويتملك ويتصرف فى الأموال وأن يكون طرفا فى أية علاقة قانونية(٣) · ورغم أن المادة لم تتعرض لما اذا كان المجلس يعتبر من

---

(١) ان هيئة التنسيق هذه كانت قائمة فعلا قبل صدور القرار كما سبق أن قلت فى المتن·

(٢) النص الانجليزى للمادة هو : The State of Israel recognizes the World Zionist Organization as the authorized agency which will continue to operate in the State of Israel for the development and settlement of the country, the absorption of immigrants from the Diaspora and the co-ordination of the activities in Israel of Jewish institutions and organizations active in those fields.

(٣) النص الانجليزى للمادة هو : « The Executive is a juristic body and may enter into contracts, acquire, hold and relinquish property and be a party to any legal or other proceeding.

أشخاص القانون العام أم من أشخاص القـــانون الخاص فان طبيعة المهمـــة الرئيسية للمنظمة ـ وهي الهجرة ـ تشير الى أنه يعتبر من أشخاص القانون العام لأن تلك المهمة هي من الوظائف العامة ٠

وتمنح المادة الثانية عشرة للمنظمة وأموالها وأجهزتها اعفاءا من الضرائب وغير ذلك من الأعباء الحكومية الالزامية طبقا للحدود التى يقررها ، واعتبارا من تاريخ نفاذ الاتفاق الذى يبرم بين الحكومة والمنظمة(١) ومن الجلى أن هـــذه الاعفاءات تتضمن فى طياتها الاقرار بمركز حكومى للمنظمة الأمر الذى يدعونا ـ بالاضافة الى ما سبق ـ الى القول بأن المجلس التنفيذى للمنظمة يعتبر فى الواقع جزءا من الحكومة الاسرائيلية ٠ وقد عنيت المادة السابعة من القـــانون بتحديد العلاقة بين الحكومة والمنظمة فذكرت أن الاتفاق بين الهيئين سيحدد تفاصيل تلك العلاقة ٠

ومن الأمور التى تلفت النظر فى هـــذا القانون المبادىء الخطـيرة التى تضمنها تحت ذريعة تشجيع الهجرة الى اسرائيل فقد وجه نداء الى اليهود فى خارج اسرائيل ـ فرادى وجماعات ـ للتعاون مع اسرائيل على بنـــاء الدولة واعتبار الوحدة اليهـــودية أمرا لازما لتحقيق ذلك الغرض وأن على المنظمـة الصهيونية أن توسع من قاعدتها لانجاز تلك الوحدة(٢) ٠ ان اسرائيل بهـــذا

---

(٣) النص الانجليزى للمادة هو : « The Executive and its funds and other institutions shall be exempt from taxes and other compulsory Government charges, subject to such restictions and conditions as may be laid down by the Covenant, the exemption shall come into force on the coming into force of the Covenant.

(١) أسوق هنا النص الانجليزى للمادتين اللتين تعالجـــان هذا الموضوع وهما المـــادتان الخامسة والسادسة لأنهما يلقيان مزيدا من الضوء على الفلسفة الصهيونية المضللة ٠

م ٥ :

The mission of gathering in the exiles, which is the central task of the State of Israel and the Zionist Movement in our days, requires constant efforts by the Jewish people in the Diaspora ; the State of Israel, therefore, expects the cooperationo of all Jews, as individuals and groups, in building up the State, and assisting the immigration to it of the masses of the people, and regards the unity of all sections of Jewry as necessary for this purpose."

م ٦ : « The State of Israel expects efforts on the part of the World Zionist Organization for achieving this unity ; if, to this end, the Zionist Organization, with the consent of the Government and the approvel of the =

انما تقيم من اليهود فى العـــالم أجمع عملاء لها هدفهم هو بنـــاء اسرائيل وواجبهم هو اتمام وحدتها بغض النظر عمـــا تلقيه عليهم واجبات المواطنـــة الشريفة والتزامات المواطن النقى الطاهر ومن ورائهم منظمة تأخذ بيد الخائن وتشد أزر المتآمر • والعجيب ألا تجـــد اسرائيل حرجا فى اثبـات ذلك فى نصوص قوانينها واعلانه على الملأ فى جرأة لا تغتفر •

ان كل هذا يلخصه ـ من وجهـــة النظر الصهيونية ـ ما جاء فى كتاب موسى لاسكى وترجمته « ان كل يهود العـــالم يكونون أمة واحـدة ، ودولة اسرائيل هى الممثـــل الشرعى لذلك الجزء من الأمة الذى يسكن صـــــهيون (اسرائيل) ، والمنظمة الصهيونية هى الممثل المخول للأمة القاطنة فى أماكن أخرى من أية بقعة فى العالم • ان الاثنين ممثلان نظيران لأمة واحـدة وهكذا يمكن لهما أن يبرما مواثيق ومعاهدات وأن يتعاونا مع بعضهما البعض من أجل غاية مشتركة »(١) •

وثيقة ١٩٥٤ بين حكومة اسرائيل والمجلس التنفيذى الصهيونى(٢) :

ذكرت أن قانون « المركز القانونى » قد منح المجلس التنفيذى الصهيونى الشخصية القانونية وخوله حق الدخول فى اتفاقات ، كمـا نص على أن يبرم اتفاق بين حكومة اسرائيل والمنظمة لرسم الحدود التفصيلية للعلاقة بينهما ، واستنادا الى ذلك أبرم الطرفان فى سنة ١٩٥٤ ما أسموه اتفاقا •

وفى تقديرى أن تسمية هذا التصرف بأنه اتفاق أمر فيه نظر ذلك أن الشخصية القانونية التى أضفيت على المجلس التنفيذى الصهيونى والأهليـــة التى يتمتع بها بناء على ذلك كلها منحة من اسرائيل التى هى الطرف الثانى فى العلاقة وتبعا فحقيقة الأمر أنه تصرف من جانب واحد هو اسرائيل ترتب عليه

Knesset, should decide to broaden its basis, the enlarged body will enjoy the status conferred upon the World Zionist Organization in the State of Israel".
and Agency officials, headed by a representative of the Labor Ministry
(١) Lasky, Moses — Between Truth and Repose, 1956, p. 49.
(٢) نشر نص هذه الوثيقة فى Organization Dep't of the Zionist Executive, Session of the Zionist General Council, 106-109 (July 21-29, 1954).

تخصيص المجلس التنفيذى الصهيونى ببعض الوظائف العامة فى نطاق سيادة واحدة ، ولذلك فضلت أن أطلق عليها اسم « وثيقة سنة ١٩٥٤ » • ان هذه الوثيقة هى اتفاق فى شكلها وارادة منفردة فى حقيقتها •

فالمنطق السليم يقضى - وقد أصدرت اسرائيل قانونا يحـــدد المركز القانونى للمنظمة - أن تضمن القانون كافة التفاصيل اللازمة بشأن اختصاص المنظمة وطريقة أدائها لواجباتها • ولكن سياسة المخاتلة هى التى أوحت بابرام الاتفاق لتفصيل العلاقة بين الحـــكومة والمنظمة بقصـــد اظهار الجهتين بمظهر الاستقلال عن بعضهما البعض لأن ذلك الاستقلال المظهرى يساعد اسرائيل على تنفيذ سياستها الاستعمارية •

وقد نصت وثيقة سنة ١٩٥٤ على أن تقوم المنظمة بوظائف معينة تزيد عن الوظائف التى وردت فى قرار المجلس الصهيونى ســـــنة ١٩٥١ وهى : تنظيم الهجرة فى الخارج ونقل المهاجرين وأموالهم الى اسرائيل ، والتعاون فى استيعاب المهاجرين فى اسرائيل ، واحتيـــاز الأرض فى اسرائيل وتحسينها بواسطة أجهزة المنظمـــة والصندوق الوطنى اليهـــودى وهيئة الاســـتدعاء الاسرائيلية الموحدة(١) والمساهمة فى انشاء وتوســـعة مشروعات التنمية فى اسرائيل ، وتشجيع استثمار رأس المال الخاص فى اسرائيل ، وتقديم المساعدة للمشروعات الثقافية وأجهزة التعليم العالى فى اسرائيـــل ، وتحريك الموارد لتمويل أوجه النشاط هذه ، وتنسيق أوجه النشاط التى تقوم بها المؤسسات والمنظمات اليهودية فى اسرائيل التى تتمول من موارد عامة • وجاء فى الوثيقة أن تعمل المنظمة - فيما يتعلق بتنظيم الهجرة والمهاجرين - على أســاس خطة يتفق عليها مع الحكومة أو تقرها هيئة التنسيق •

---

(١) الاسم العبرى للصندوق الوطنى اليهودى هو « كرن كايميت لاسرائيل » ، والاســم العبرى لهيئة الاستدعاء الاسرائيلية الموحدة « كرن هايسود » • واظهار هاتين الهيئتين فى الوثيقة له مدلول قانونى هام لأنه يعنى أن المركز القانونى للمنظمة قد أصبح ينصرف أيضا الى هاتين الهيئتين ، وللعلم فان من المفروض أن كليهما يمارس نشاطا (خيريا !!) فى الولايات المتحـدة الإمريكية • وهذا يكشف عن وسيلة من وسائل التستر التى تحتمى بهـــا اسرائيل فى النفـاذ بنشاطها السياسى الى قلب المجتمع الامريكى •

وتضع الوثيقة المنظمة ـ بالنسبة لنشاطها الذى تمارسه فى اسرائيل ـ فى وضع التبعية بالنسبة للدولة اذ تقضى بأن أى نشاط يمارسه المجلس التنفيذى فى اسرائيل للقيام بوظائفه المحددة فى الوثيقة يجب أن يتم طبقا لقوانين اسرائيل واللوائح والتعليمات الادارية المطبقة فيها والتى تحكم نشاط السلطات الحكومية التى يغطى نشاطها نشاط المجلس التنفيذى أو يتأثر به ، وهذه بادرة تؤكد ما سبق أن قلته من أن المنظمة جزء من الحكومة الاسرائيلية ، ولذا فان المنظمة لا تملك أن تفوض فى سلطاتها أو حقوقها للغير الا بعد اخطار الحكومة .

والواقع أن التعاون بين الحكومة والمنظمة تعاون تام لا سيما بعد انشاء السلطة المشتركة بين الجهتين فى أوائل سنة ١٩٦٧ عن طريق هيئة التنسيق(١) ، الى حد أنه من الصعب أن نرسم خطا فاصلا بين الدور الذى تقوم به كل من الحكومة والوكالة فى السلطة المشتركة للهجرة ، وحتى لو استطعنا رسم خط كهذا فانه لا يعنى شيئا عملا حيث أن الحكومة والوكالة كلاهما أجزاء من سيادة واحدة(٢) ، الأمر الذى اعترف به المسئولون الصهاينة

---

(١) وتصف المصادر الرسمية الاسرائيلية هذه الهيئة بقولها :

Jewish Agency for Israel,
Incorporated, a New York Corporoation

..."The aim of the authority is to encourage immigration and to improve the absorption process by providing a single address for the immigrant, which will deal with all his problems.

The authority, composed of four Ministers and four Members of the Agency Executive, will be headed by the Chairman of the Executive, with the labour Minister as his deputy.

It will be administered by a joint Committee of Senior Governments and Agency officials, headed by a representative of the Labor Ministry and will function within existing machinery, with no additional personnel".

نقلا عن 10 Israel Digest (Amer. ed. published by Jewish Agency-American Section), No. 3, p. 4, 2,3 (Feb. 10, 1967).

(٢) تقول تقارير المجلس التنفيذى الصهيونى ان القنصليات الاسرائيلية تحيل كافة ما يرد اليها من طلبات الهجرة الى قسم الهجرة فى الوكالة الصهيونية لتقديم توصياته .

ولهذا التعاون بين المنظمة والوكالة الصهيونية وبين القنصليات الاسرائيلية مغزاه الهام لأنه يوحى بالصفة العامة للمنظمة والوكالة الصهيونية . لذلك فقد رسمت المنظمة والوكالة الصهيونية طريقة تخادع بها القانون الامريكى لتحويل أموالها الى اسرائيل . ذلك أن المنظمة

أنفسهم فى أكثر من مناسبة . ولا زالت تلك الصفة الحكومية للمنظمة التى أكدتها الأحكام التى تضمنتها وثيقة سنة ١٩٥٤ باقية لم تتغير(١) .

ان نصوص الوثيقة التى تميز بين المنظمة وبين الحكومة لأغراض معينة ، بينما تؤكد التبعية الفعلية للمنظمة حيال الحكومة انما تقيم هـــذه التفرقة لتحقيق مزيد من الكفاءة والمناسبة الادارية فى الوصول الى الأهداف العــامة للقومية الصهيونية . وما أشبه هذه التفرقة بفكرة الفصل بين السلطات داخل الدولة الواحدة ولعل الفرق بين الوضعين هو أن الفصل بين الســـلطات يتم بنصوص دستورية يقتضى تعديلهـــا تعديلا فى الدستور بينما انفصـــل بين السلطات التى لكل من الحكومة والمنظمة فى اسرائيل انما يستند الى المناسبة الادارية ولذا يمكن بسهولة اجراء تعديل عليه . ومن ثم فيجب أن نقر بأنه لا توجد الا سيادة واحدة هى السيادة الاسرائيلية الصهيونية وأن ما تمارسه المنظمة الصهيونية ليس الا جزءا من السيادة الاسرائيلية الصهيونية كما هــو

والوكالة الصهيونية تتلقى معظم المعونات المالية عن طريق مؤسسات تزعم أنها مؤسسات خـيرية أمريكية ترتبط بهيئة الاستدعاء الاسرائيلية الموحدة اذ تقوم الأخيرة بتحويل الأموال الى اسم

Jewish Agency for Israel Incorporated, a New York Corporation

لتقوم هذه بدورها بتحويلها الى المنظمة والوكالة الصهيونية فى اسرائيل . وتجرى هذه العملية تحت سمع وبصر جهاز الضرائب الامريكى ووزارة المالية رغم ما فيهـــا من تحايل واضح ولــكن السلطات الامريكية تغمض عينيها على زعم أن المنظمة والوكالة الصهيونية ليست حكومة اسرائيل ولا هى هيئة عامة مرتبطة بها . وقد أوضحت فى أكثر من موضع ســـابق أن الصفة العـــامة الحكومية للمنظمة والوكالة الصهيونية ليست محل أدنى شك .

(١) أحب أن أوجه النظر فى هذا المقام الى ما قاله الدكتـــور جولد مان ـ رئيس المنظمة الصهيونية ـ فى اجتماع للمجلس الصهيونى العام فى يناير ١٩٦٦ ـ لأن لهـذا القول خطورته من حيث أنه لا يوضح العلاقة بين الحكومة والمنظمـــة فحسب بل انه يشرح كذلك الرابطة بين الوثيقة والمذهب الصهيونى . يقول المذكور :

We have entered into a Covenant and are performing many tasks which in other countries are performed by Governments. The Covenant accordingly reflects an abnormal situation ; but the situation of the State of Israel is still abnormal and the majority of the Jewish people still live outside the borders of the State, and there is need of a movement bringing thousands and tens of thousands of Jews to the State. This was the reason for the Covenant. At the same time it is clear that all this — settlement, absorption and immigration — can only be carried on in cooperation with the State.

الحال بالنسبة للحكومة الاسرائيلية نفسها(١) ٠

الوضع القانونى والنشاط السياسى للسيادة الاسرائيلية الصهيونية فى أمريكا:

قد يكون من المناسب فى ختام العرض الذى أقدمه للمنظمة والوكالة الصهيونية أن أشير فى عجالة الى الوضع القانونى والنشاط السياسى للسيادة الاسرائيلية فى الولايات المتحدة الامريكية بوصف أن الولايات المتحدة الامريكية هى البؤرة الأساسية التى تركز عليها المنظمة والوكالة الصهيونية جهودها ٠

لست بحاجة لأن أزكى مبدأ القانون الدولى والمجاملات الدولية التى تحرم على الدولة أن تمارس نشاطا سياسيا فى داخل اقليم دولة أخرى ، ورغم وضوح المبدأ فان الولايات المتحدة الأمريكية قد أكدته بنصين(٢) اثنين فى معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة التى أبرمت بينها وبين اسرائيل فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥١ ٠ ومعروف فى القانون الأمريكى أن نصوص المعاهدات تعلو على القانون المحلى وتبعا فان السيادة الاسرائيلية الصهيونية لا تستطيع أن تمارس نشاطا سياسيا فى الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة مشروعة الا اذا خولت ذلك بمقتضى معاهدة لاحقة ، ولابد أن السلطات الأمريكية كانت على

---

(١) هناك رأى آخر بأن المنظمة والوكالة الصهيونية هى هيئة دولية عامة ذات علاقة قانونية وثيقة بالحكومة وتخضع لاشراف الحكومة ، ولكن هذا الرأى يهدره أن وجود هيئة عامة فى المحيط الدولى يستلزم اعترافا دوليا ٠ وحتى مع التسليم جدلا بهذا الرأى العليل فان الهيئة العامة الدولية تخضع لكافة القيود التى تخضع لها الدولة التى خلقتها وتبعا فعلى أى صورة قلبنا الأمر فاننا أمام سيادة واحدة هى السيادة الاسرائيلية الصهيونية ٠

واحب هنا أن أوضح أننى اذ أتكلم عن سيادة اسرائيلية صهيونية انما أناقش الأمر على سبيل الجدل ومن قبيل تفسير الواقع المادى للأمور ولا يعنى البتة الاقرار بأية سيادة قانونية فالمقصود هو تفهم العقلية الصهيونية فى سعيها لقلب الحقائق وفلسفتها التى تجهد نفسها لتضليل الرأى العام العالمى بها ٠ وهذا هو قصدى العام من هذا الفصل جميعه ٠

(٢) جاء تحريم ممارسة النشاط السياسى على اسرائيل فى الفقرة الثالثة من المادة الثامنة وتقول : «

Nothing in the present treaty shall be deemed to grant or imply any right to engage in political activities.

كما ورد أيضا فى الفقرة الرابعة من المادة الحادية والعشرين ٠ وتنص على أن

The present treaty does not accord any right to engage in political activities.

علم بنوع النشاط السياسى الذى تمارسه اسرائيل فى الدول لذلك لم تكتف بالمبادىء العامة بل نصت على ذلك صراحة فى المعاهدة بل انها رأت أن نصا واحدا لا يغني فكررت النص مرتين • ولكن هذه الحيطة لا تغرب على دهاء زعماء الصهيونية فقد لبسوا لهذه الحالةلبوسها الكاذب فتجدهم يفترون فى الولايات المتحدة الأمريكية تصريحات تقف على طرف نقيض مع تصريحاتهم فى اسرائيل ـ التى أشرت الى بعض منها فيما سلف ـ والتى تعترف صراحة بالصفة الحكومية العامة للمنظمة الصهيونية علهم بذلك يستطيعون أن يستغلوا المنظمة وأجهزتها فى تحقيق مآربهم اذا هم خدعوا المسئولين الأمريكيين وأقنعوهم بأنها ليست جزءا من اسرائيل(١) •

يوجد فى أمريكا قانون صدر سنة ١٩٣٨ يسمى « قانون تسجيل الوكلاء الأجانب Foreign Agents registration Act »(٢) ، يقضى بأنه لايجوز لأىشخص خاضع لأحكامه أنيعمل كوكيل عنأصيل أجنبى الا اذا قدم اقرار تسجيل الى النائب العمومى يحوى المعلومات التفصيلية التى يتطلبها القانون أو أية معلومات أخرى لها فى تقدير النائب العمومى صله بالموضوع • وقد رأت لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى سنة ١٩٦٣ أن تعيد النظر فى هذا القانون بتعديلاته ضمن اجراء شامل لاستعراض أوجه النشاط غير الدبلوماسى التى يمارسها ممثلون عن حكومات أجنبية والى أى مدى يحاولون التأثير على سياسات الولايات المتحدة الأمريكية • وقد مثلت المنظمة والوكالة الصهيونية أمام اللجنة بهذه المناسبة • وقد ظهرت المنظمة والوكالة الصهيونية فى دور مدع بثلاث وحدات • الأولى هى المنظمة والوكالة الصهيونية التى كانت تسمى نفسها أحيانا أثناء مناقشات اللجنة باسم « وكالة القدس Jerusalem Agency » • والثانية هى الوكالة اليهودية لاسرائيل ، شركة محدودة على زعم أنها هى التى تمثل الوكالة اليهودية فى

---

(١) لا شك أنه اذا حرصت السلطات الامريكية على تنفيذ أحكام المساهدة بدقة فان ذلك سيعوق الجهود الصهيونية لتعزيز فكرة الشعب اليهودى فى داخل الولايات المتحدة الامريكية ويساعد فى ذات الوقت المصالح الامريكية على أن تعيش فى جو سلمى فى الشرق الأوسط •

(٢) يعرف الامريكيون هذا القانون باسم Mc Cormack Act .

الولايات المتحدة الأمريكية وقد سجلت ـ على هذا الأساس ـ طبقا لقانون تسجيل الوكلاء الأجانب · وقد ادعت بأنها أصبحت تخضع منذ سنة ١٩٦٠ لاشراف المنظمات والمواطنين الأمريكيين كهيئة خيرية خاصة ولذلك أوقفت تسجيلها منذ ذلك الحين كوكيلة عن الوكالة اليهودية(١)· والثالثة هى الوكالة اليهودية ـ القسم الأمريكى ـ والذىسجل اعتبارا من سنة ١٩٦٠تحت قانون تسجيل الوكلاء الأجانب بوصفه وكيلا عن الوكالة اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية · وهكذا زعم الصهاينة أن نشاطهم فى أمريكا يتمثل فى الشركة المحدودة بوصفها أنها هى الأصيل وأن وكيلتها فى اسرائيل هى الوكالة اليهودية وأن الوكيل عن الوكالة اليهودية المسجل فى الولايات المتحدة هو القسم الأمريكى ·

ورغم ما بذلته الصهيونية من جهد فى تحوير الحقائق فانها فى تقديرى قد فشلت فى ابعاد الادانة عن نشاطها المريب داخل الولايات المتحدة الأمريكية لأن القول بأن القسم الأمريكى هو الوكيل عن الوكالة اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية يستتبع القول بأن القسم الأمريكى وكيل عن الشركة المتحدة التى هى الأصيل بالنسبة للوكالة اليهودية · فاذا ذكرنا بجانب هذا أن الوكالة اليهودية جزء من الحكومة الاسرائيلية فان أغلب الظن ـ ان لم يكن أصحه ـ هو أن الشركة المحدودة هى وكالة الحكومة الاسرائيلية لجمع الأموال فى الولايات المتحدة الأمريكية ·ولذلك فقد صرح المستر فلبرايت Fulbright ـ رئيس لجنة العلاقات الدولية فى مجلس الشيوخ الأمريكى ـ بأن العلاقة بين الوكالة اليهودية وبين حكومة اسرائيل هى موضوع تكييف قانونى وليست مسألة وقائع · وقد بنى الشيخ الأمريكى رأيه هذا على ما تكشف له أثناء التحقيق من حقائق(٢) ·

---

(١) زعم جوتليب همر Gottlieb Hammer أن الوضع قد انقلب منذ سنة ١٩٦٠ فاصبحت الوكالة اليهودية هى الوكيلة عن الوكالة اليهودية شركة محدودة ·

(٢) ويبدو أن الصهاينة قد أحسوا بوهن موقفهم فراحوا يشيرون الى ما أسموه المجلس الصهيونى الامريكى American Zionist Council زاعمين أنه يخضع لاشراف المواطنين الامريكيين وأنه هو الوسيط لنقل الأموال من المجلس التنفيذى للوكالة اليهودية الى جماعات

ولعل من المناسب أن أذكر أن ما وصل الى علم لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى من حقائق عن نشـــاط الصهيونية فى داخـل الولايات المتحدة الأمريكية كان من الأسباب الحاسمة التى أدت فى سنة ١٩٦٦ الى تعديل قانون تسجيل الوكلاء الأجانب · وقد تضمن التعـــديل ـ من بين ما تضمن ـ اضافة فقرة تعرف النشاط السياسى تعريفا ينطبق بدقة عـــلى النشاط السياسى الصهيونى الذى وضحت صورته للجنة ســنة ١٩٦٣(١) ، وكفى به اثما كبيرا ·

ولا ننسى ونحن بصدد الحـــكم على حقيقة الوضع القانونى للســـيادة الاسرائيلية الصهيونية فى الولايات المتحـــدة الأمريكية أن دستور المنظمـــة الصهيونية الأمريكية المعمـــول به حاليا يقرر ـ من بين أمور أخـــرى ـ أن « المنظمة الصهيونية الأمريكية يجب أن تنتسب الى المنظمة الصهيونية العالمية طبقا لنظمها وقواعدها ولوائحها ··· » · وأن الدستور المعمول به منذ سنة ١٩٦٠ بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية يركز على تحقيق فكرة « الشعب

مختلفة فى الولايات المتحدة الامريكية ، وعلق مستر فولبرايت على ذلك بأنه اجراء قصد به تجنب التسجيل طبقا لقانون الوكلاء الأجانب · راجع

Hearings on Activities of Non-diplomatic Representatives of Foreign Principals in the United States Before the Senate Committee of Foreign Relations, 1707, 1712 (1963).

(١) تقول الفقرة ما ترجمته « ان تعبير « أوجـــه النشاط الســـياسى » يعنى نشر الدعاية السياسية أو أى نشاط آخر يعتقد الشخص المنشغل به أنه ، أو ينتوى بناء عليه آن ، يسيطر على أو يبث عقيدة أو يبدل عقيدة أو يغرى أو يقنع ، أو يؤثر بأية طريقة أخرى على أى جهاز أو موظف حكومى أمريكى أو أى قطاع من الجمهور فى الولايات المتحدة الامريكيه مع الاشـــارة الى تشكيل أو تبنى أو تغيير السياسات الداخلية أو الخارجية أو مع الاشارة الى المصالح السياسية أو العامة أو السياسات أو علاقات حكومة دولة أجنبية أو حزب سياسى أجنبى ··· » والأصـــل الانجليزى كالآتى :

"The term "political activities" means the dissemination of political propaganda and any other activity which the person engaging therein believes will, or which he intends to, prevail upon, indoctrinate, couvert, induce, persuade or in any other way influence any agency or official of the Government of the United States or any section of the public within the United States with reference to formulating, adopting, or changing the domestic or foreign policies of the United States or with reference to the political or public interests, policies, or relations of a government of a foreign country or a foreign political party."

اليهودى » وبرنامج بال الذى تبناه أول مؤتمر صهيونى سنة ١٨٩٧ ولا جدال فى أن المنظمة بحسب وضعها القانونى الذى قدمته تعتبر « حكومة » فى مدلول القانون الأمريكى(١) ٠

واذن فمن المقطوع به أن النشاط الذى تمارسه اسرائيل والصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية هو نشاط غير مشروع طبقا للقانون الأمريكى(٢) ونصوص الاتفاقية المبرمة بين الطرفين سنة ١٩٥١ ولذا فان على الحكومة الأمريكية واجبا هو أن تتخذ كافة الاجراءات اللازمة للعمل على تنفيذ أحكام الاتفاقية السالفة تنفيذا سليما وصحيحا وفعالا ٠ وقد زود القانون الأمريكى النائب العمومى بالسلطات الكافية التى تعينه فى هذا الخصوص -

---

(١) يقرر القانون فى هذا الخصوص « أن تعبير « حكومة بلد أجنبى » تشمل أى شخص أو جماعة تمارس اختصاصا سياسيا بالسيادة القانونية او الفعلية على أى بلد ، عدا الولايات المتحدة ، أو على أى جزء من ذلك البلد ، ويتضمن أى قسم فرعى من أى من تلك الجماعة أو أى جماعة أو وكالة تفوض اليها - سواء بطريق مباشر أم غير مباشر - سلطة السيادة القانونية أو الفعلية تلك ٠

« The term "Government of a foreign country" includes any person or group of persons exercising sovereign de facto or de jure political jurisdiction over any country, other than the United States, or over any part of such country, and includes any subdivision of any such group and any group or agency to which such sovereign de facto or de jure authority or functions are directly or indirectly delegated ».

(٢) من الأمور غير المشروعة التى تمارسها الصهيونية فى الولايات المتحدة الامريكية أيضا مسألة التهرب من الضرائب تحت ذريعة الأعمال الخيرية وهذا أمر يتعلق مباشرة بنزاهة الجهاز الضرائبى الامريكى ٠ وقد أشار الى هذا الأستاذ سفران بقوله :

" Moreover, the American government never seriously attempted to question the classification of the billion dollars of donations made by American Jews as tax-exempt "charity", though this money went, in affect, into the general development budget of Israel ".

Safran : The United States and Israel, 1963, p. 275.

الباب الثانى

فى

علاقات العرب بالعرب

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

(الأنبياء ، ٩٢ ك)

الفصل الأول

فى

نظرة عقائدية فى العلاقات الدولية العربية (١)

« الثورية التحررية »

تمهيـــد

اذا نظرنا الى العلاقات الدولية العربية على هدى من النظرية العقائدية (الايديولوجية) نجد أن الخصيصة المميزة لها والظاهرة التى تحكمها ـ فى المحيط العربى ـ هى الثورية التحررية التى تحققت فى بعض أجزاء الوطن العربى وهى بسبيلها الى التحقق فى البعض الآخر . « لقد أثبتت التجربة ـ وهى ما زالت تؤكد كل يوم ـ أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال العربى أن يعبر عليه من الماضى الى المستقبل .

« فالثورة هى الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الأغلال التى كبلتها ومن الرواسب التى أثقلت كاهلها . ان عوامل القهر والاستغلال التى تحكمت فيها طويلا ونهبت ثرواتها لن تستسلم بالرضا . وانما لابد على القوى الوطنية أن تصرعها وأن تحقق عليها انتصارا حاسما ونهائيا ... »(١) .

« وان أعظم تقدير لنضال الشعب العربى فى مصر ولتجربته الرائدة هو الدور الذى استطاع أن يؤثر به فى حياة أمته العربية وخارج حدود وطنه الصغير الى آفاق وطنه الأكبر .

---

(١) الميثاق الوطنى ـ الباب الثانى (فى ضرورة الثورة) .

-تجربة الشعب المصرى أحدثت أصداء بعيدة المدى فى نضال أمته العربية »(١) ٠

حتى أن لغة السياسة العربية أصبحت تعرف اليـــوم مسميات جدت عليها مثل « الدول العربية التقدمية » و « الدول العربية التقليدية » ٠ لذلك رأيت أن أفرد كلمة للثورية التحررية كظاهرة فى العلاقات الدولية العربيـــة تستعرضها فى تأصيل علمى(٢) ٠

فى معنى الثورة(٣) :

استعملت لفظة « ثورة » أول ما استعملت فى علوم الطبيعـــة ، حيث قصد بها معناها اللاتينى الدقيق وهو التعبير عن حركة دوران النجـــوم فى انتظام وطبقا لقانون ثابت حتمى يخرج عن قدرة الانسان(٤) ٠

وقد ظلت اللفظة بعيدة عن القاموس السياسى فى العصر الوسيط فنجد ماكيافيلى ـ الذى يعتبره الكثيرون رائد الدراسة العلمية للثورة ـ يستعمل التعبير الرومانى القديم mutatio rerum ـ أى تغير الدولة ـ عندما يصف ظاهرة الاطاحة بالحكام بوسائل القوة أو احلال نمط من الحـــكم محل نمط آخر ٠ ولعل مرجع ذلك هو الفكرة التى سيطرت عليه وامتدت الى الفكر الأوروبى حتى قيـــام الثورتين ـ الأمريكية والفرنسية ـ وهى أن « الثورة » تعنى احياء القديم أو العودة الى نظام سابق حيث كانت الأمور على النحو الذى يجب أن تكون عليه ٠ هذا هو المفهوم الذى كان فى الأذهان عصر الاضطرابات

---

(١) الميثاق الوطنى ـ الباب الأول (نظرة عامة) ٠

(٢) تقوم الجامعات العربية علميا بتدريس مادة « ثورة ٢٣ يوليو » ٠ وقد ظهرت فى هذه المادة مؤلفات قيمة تغطى الكثير مما كان يمكن ايراده ضمن هذا الفصل والذى رأيت أن أتركه لهذه المؤلفات بعيدا عن التكرار ٠

(٣) راجع فى هذا Arendt, Hannah: On Revolution, London, 1963, pp. 13-52.

هناك آراء عدة فى شرح مفهوم الثورة ولكنى لا أقصد هنـــا الى مناقشتها فهى ليست من موضوعات الكتاب الرئيسية ٠

(٤) كان العـــالم الفلكى Copernicus هو أول من استعمل اللفظة بمعناها العلمى الدقيق فى كتابه De Revolutionibus Orbium Coelestium

التي عرفتها المدن الايطالية المستقلة وهذا هو المفهوم الذى كان فى البداية فى ذهن صانعى الثورتين الأمريكية والفرنسية(١) .

لقد كانت هذه الانتفاضـــات وغيرها ممـا يحكيه التــاريخ تسعى الى استبدال حاكم بحاكم ولكنها لم تكن تستهدف تحدى السلطة فى ذاتها بمعنى أنها لم تكن تقصد الى تمكين تلك الفئة الغالبة من الناس الذين عاشوا بفقرهم فى زوايا التاريخ من الوصول الى مراكز السلطة والحكم ، اذ كان صـــاحب الحق فى الحكم هو من ولد حاكمـا أو أن يكـون من الأشراف . حقـا كان للجماهير أن تقرر من لا يجوز له أن يحكمها ولكن لم يكن لها أن تحكم نفسها بنفسها أو أن تختار من بينها حكاما . ولذا نستطيع أن نقول ان ظاهرة الثورة بمفهومها المعاصر هى ظاهرة غير مسبوقة فى التاريخ الحديث .

اذا أردنا أن ندرس معنى « الثورة » فى المفهوم الحديث ومغزاها فى العالم الذى نحياه فيجب أن نتجـه الى تلك الفترات من التاريخ التى بدت فيهـا « الثورة » فى دور الاكتمال واتخذت شكلا محدد العلامات ، فاتخذت سبيلها فى الفكر مستقلة عن المساوىء التى سببتها . والمثلان التقليديان البارزان لذلك هما الثورتان الفرنسية والأمريكيـة . بل أكاد أقول الثورة الفرنسية وحدها لأن الثورة الأمريكية ـ رغم ما صادفته من نجـاح ـ ظلت ذات طابع شبه محلى فى حين أن الثورة الفرنسية ـ على ما انتهت اليه من كوارث ـ هى التى ألهبت الفكر الحديث . وهـذا هو الذى يفسر لماذا يحاول الـكتاب أن يتفهموا الثورات الحديثة فى ضوء الثورة الفرنسية وأن يروها فى مرآتها . ولعل أول استعمال دقيق للفظـة « ثورة » ، وأقصد استعمال اللفظـة فى مدلولها المعاصر ،هو الذىجاء علىلسان الدوق لاروشفوكولد ليانكور فى الرابع عشر من يوليو سنة ١٧٨٩ عندما سأله لويس ..... عن سقوط الباستيل

---

(١) تفسير ذلك أن رجال الثورة الامريكية كانوا يتحدثون عن الدستور الانجليزى والحريات الانجليزية وشكل الحكومة الاستعمارية ولكنهم انتهوا الى اعلان بالاستقلال . كذلك لم يكن فى ذهن رجال الثورة الفرنسية فى البداية أن يطيحوا بالنظام القـديم وانما ارادوا الرجوع به الى حيث تتقرر الحريات ولكنهم تبينوا بعد قيام الثـورة أن ذلك مستحيل وأن عليهم أن يرسموا مخططا جديدا للحياة الفرنسية .

وأطلاق سراح بعض السجناء وانهيار بعض القوات الملكية أمام هجوم الجماهير ،
قال الملك : « انهـــا تمرد c'est une revolte » ، فأجـــاب الدوق :
« لا يا مولاى ، انها ثورة « Non, Sire, c'est une révolution »
ذلك أن الانتفاضة كان قوامها الدهماء الذين عاشوا فى ظلال النسيان قرونا ثم هبوا يطالبون بمكانهم تحت الشمس . ومن هنا بدأت لفظة « ثورة » تتخذ مفهوما خاصا فى التفكير العلمى .

ان « الثورة » فى المعنى المعاصر هى أكثر من عصيان وهى ليست مجرد انقلاب ينتقل فيه الحكم من فرد الى آخر أو من جماعة الى جماعة . قد تشترك هذه الظواهر جميعا فى عنصر جامع هو العنف الأمر الذى يقود البعض خطأ الى وصفها جميعا بأنها « ثورة » . ولـــكن العنف ليس هو العنصر الســليم لوصف « الثورة » فهناك ثورات - كالثورة المصرية - تحققت دون استعمال العنف .

ان ظاهرة « الثورة » فى لغة السياسة المدنية تتوفر عندما تجتمـــع العناصر التالية :

أ - الابتداع أى تغيير ذات مفهوم الحياة الاجتماعية وخلق بداية جديدة للمعتقدات الأخلاقية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع .

ب - الرغبة فى التحرير والحرية .

فاذا اقترن الابتداع بالتحرير والحرية يكون من حقنا أن نقول اننا أمام ظاهرة تسمى « ثورة » .

ان الحدب على كل ما هو جديد وحب الابتداع لذات الابتـــداع هو من سمات العالم الذى نعيش وهذا ما نسميه بالروح الثورية ، واذن فلابد للثورة أن ترسم نمطا جديدا للحياة أما اذا سعت الى احياء القديم أو اصلاحه فانهـا تفقد بذلك عنصرا من العناصر اللازمة لوصف الثورة .

والتحرير فى المعنى الثورى يختلف عن الحـــرية . فالتحرير قد يكون

شرطا لتحقق الحرية ولكنه لا يقود حتما اليهـــا ولذا يجب أن نفرق بين نية التحرير وبين ارادة الحـــرية · ان التحرير هو التحرر من الضغط والارهاب والفقر والعوز ، وتلك ظاهرة سلبية · أما الحرية فتعنى المساواة بين الناس مساواة تستمد أصولها من آدميتهم أى أنهـــا حق يتقرر للفرد بمولده فهى صفة في الشخص ، وليست المساواة فى المفهوم الاغريقى أى المســـاواة التى يكتسبها الفرد كأثر من آثار المواطنة على انها صـــفة فى المدينة · ان الحرية الثورية لا تعنى الحريات الدســـتورية أى ما اصطلح على تسميته بالحقـــوق المدنية ، فهذه حقوق تقررت من حيث الأصل دون ثورة وانما الفحوى الحقيقى للحرية الثورية هى المساهمة فى الشئون العامة ، هى حق للجماهير لا يقبل التصرف فى أن تقوم بدورها فى ادارة شئون نفسها · ولذلك عرف هاميلتون الثورة بأنها الانتقام لشرف الانسانية(١) ·

واذن فالثورة بمدلولها العلمى تقتضى أن يتواكب الابتداع مـــع فكرة الحرية(٢) ، أو هى فى تعبير فقهاء القانون احلال نظام جديد للقيم القـانونية محل نظام قديم ، والنظام هنـــا يعنى النظام الذى يمس الجوانب المختلفـة للمجتمع ·

ولعل هذا يوضح لنا لماذا يتكلم الفلاسفة عن حتمية الثورة ، قاصدين بذلك ان صانعى الثورات لا يملكون من أمرها الا قليلا وأن سيطرتهم على سير أحداثها ضـــعيفة ان لم تكن منعدمة ، فالثورة اذا انطلقت اتخذت ســـبيلها سربا ·

---

(١) Hamilton: The Federalist, (1787), ed. Jacob E. Cooke, Meridian, 1961, No. 11.

(٢) عبر الميثاق عن ذلك فى الفصل الأول منه بقوله « وفى نفس الوقت أيضا فان الشعب المصرى ، تحت ظروف المعارك الثورية المتشابكة المتداخلة ، كان مصرا على ان يستخلص ، للمجتمع الجديد الذى يتطلع اليه ، علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم أخلاقية جديدة وتعبر عنهـــا ثقافة وطنية جديدة » ·

فكرة القومية والثورة(١) :

يدعونى الى الكلام عن العلاقة بين فكرتى « القومية » و « الثورة » أن الثورية التحررية العربيـــة تنبثق عن الشعور القومى العربى ، ومن ثم فان الدراسة العلمية لهذا الاتجاه العربى تقتضى أن نوضح الرابطة التى تربط بين القومية والثورة حتى نتفهم لماذا تتسم العلاقات الدولية العربية فى هـــذه المرحلة من تاريخنا بسمة التحررية الثورية ٠

القومية حركة سياسية تستهدف الوحدة القومية وتدافع عنها ٠ انهـــا تتغيا الحرية الأمر الذى يوحى بأن القوميين أنفسهم يستشعرون الكبت ٠ فاذا جمعنا الفكرتين الى بعضهما ـ الحرية والكبت ـ يمكن أن نعطى تعريفا أوليـا عاما للقومية بأنها « حركة سياسية تعتمد على شعور جماعى بالظلم ضـــد الدخيل » ٠ والدخيل هنـــا قد يكون أجنبيا ـ فى مفهـوم الجنسية ـ وقد لا يكون ٠

ان الظلم القومى يجب أن يكون جماعيا ، والجماعة يجب أن تكون أمة ، والظلم لابد أن يحدثه غريب ، فالقـــومية لا تتمثل الظلم فى وضع عقـــلانى فحسب بل تضيف اليه جديدا ، فكم من قوم حكمهم دخلاء وهم يظنون هذه الجنابة دليل حياد اذا ما قضوا فى أمورهم ٠ وقد مرت على المصريين حقبة من الزمن كان بعضهم يظن فيها أن وجود المستعمر على رأس الادارة فيـه ضمان ضد تحيز الرئيس الوطنى ٠ ولكن القومية علمت الناس أن الحـــكم الأجنبى بذاته اهانة لكرامة الانسانية ٠ فاذا عرفنا القومية على هذا النحو ، فانه يمكن القول بأن القومية تمر بمراحل متعاقبة متميزة أجمعها فى ثلاثة :

ويمكن ـ فى شىء من التساهل ـ أن نصف المرحلة الأولى بأنها مرحلة القلاقل حيث تحس الأمة بما تعـانيه من كبت وضغط ، تلك مرحلة ترفض فيها الأمة كل ما هو أجنبى فى الفكر والواقع ولذا نشهد رد فعل لهـــذا فى

---

(١) راجع فى ذلك Minogue, K.R.: Nationalism, London, 1967, pp. 25-32.

عديد من المظاهر كاحياء دين كان قد هجر كما حصل فى الهنـد مثلا اذ راح الهنود فى المرحلة الأولى من مراحـل قوميتهم يعملون عـلى احيـاء الديانة الهندوكية . وكما يفعل الأفارقة اليوم اذ يبحثون فى ماضيهم عن حضارات ضائعة تمدهم بسلف أمجد . أى أن الأمة تحاول فى هذه المرحلة أن تستمد من ماضيها وحيا تستلهمه فى حاضرها .

أما المرحلة الثانية فهى الصراع من أجل الاستقلال ، وهذه المرحلة هى حجر الزاوية في بناء القومية . قد لا نستطيع أن نحدد اللحظة التى تبدأ فيها هذه المرحلة ولكن تتحدد لها الآن نهاية ، تلك النهاية التى أصبح من المصطلح عليه اليوم أنها تتحقق ببلوغ الاستقلال والانضمام الى الأمم المتحـدة[١] . وطبيعى أن يختلف واقع الصراع من أمة لأخرى فقد يقتصر على المفاوضـات السلمية وقد يتخذ شكلا من أشكال العنف التى تبـدأ بالتظاهرات وأعمال الارهاب وتصل الى حد حرب العصابات بمعناها الكامل . وفى هذه المرحلة يظهر الأبطال القوميون الذين تتجسد فيهم الفضائل القومية .

والمرحلة الأخيرة هى مرحلة الكل المتماسك . وكثيرا ما تنتهى الأمة من المرحلة الثانية دون أن تصل الى المرحلة الثالثة عندما تكون لها مطالب اقليمية. فأندونيسيا مثلا ظلت — رغم حصولها على استقلالها — تطـالب بضم ايريان الغربية على أساس قومى . وهذا هو السبب الذى من أجله يعلن زعماء الدول حديثة الاستقلال — غداة الاستقلال — أن المعركة لم تنته بعد وأنها انما دخلت فى مرحلة جديدة . ولذا فانه يكون من ضيق الأفق أن نتصور أن كل مشاكل الأمة نابعة مما تعانيه من كبت أجنبى ، ويجب ألا تعقد الدهشة ألسنتنا عندما نكتشف أن الفقر والخلاف استمرا كظاهرة فى الحياة القومية بعد الاستقلال ، لا سيما وأن التماسك الوطنى أصبح ينظر اليـه فى السنوات الأخـيرة من الزاوية الاقتصادية . والأمة لا تعتبر أنها قد بلغت مرحلة الكل المتماسك الا

---

(١) هذا المفهوم ذاع منذ سنة ١٩٤٥ — أى بعد قيام الأمم المتحدة — أما قبل ذلك فكان الأمر يختلف فيمكن مثلا أن نقول ان مرحلة الصراع فى القومية الايطالية انتهت بدخول فيكتور ايمانويل روما سنة ١٨٦١ ، وأن تلك المرحلة قد انتهت بالنسبة للقومية الألمانية عندما أبرمت اتفاقية السلام مع فرنسا فى بهو المرايا بفرساى سنة ١٨٧١ .

إذا طورت اقتصادها ولو أن هذا قد يعنى أننا نلقى بالتماسك فى مستقبل غير محدود لأن الاقتصاد المتطور مسألة نسبية مرتبطة بباقى الدول ذات الاقتصاد المتقدم • بيد ان هذه وسيلة تساعد على أن تصفى النظرية القومية نفسها بتحويل طاقات الناس الى طرق التطور الاقتصادى المألوفة •

ان النظر الى القومية على أنها احساس جماعى بالظلم ضد الأجنبى وتحليلها الى مراحل ثلاث يبرز القومية كمفهوم متميز فى علوم السياسة الحديثة كما أنه يكشف عن أن بعض الدول - مثل الولايات المتحدة الأمريكية -(١) ذات خبرة ضحلة فى التجربة القومية • ولكن هذا لا يجيب على سؤال حائر : لماذا ولدت القومية فى العالم الحديث ؟ يقول مينوج ان أكثر الآراء اقناعا هو القول بأن القومية تمدنا بذريعة تغطى المتاهات الفكرية لأن أولئك الذين يعانون - صراحة أو ضمنا - من الجيشان الاجتماعى يسائلون أنفسهم عما هو حادث لهم • وهنا يكون الجواب القومى واضحا : « ان أمتنا تكافح لتولد ، انها تحارب أعداءها من أجل استقلالها » • ان هذا الجواب ليس هو كل الحقيقة وقد لا يكون له شأن بالحقيقة فى بعض الأحيان ، ولكن هذا لا يهم فان الصراع القومى صراع نبيل بما يضفيه من أمجاد على آلام الناس وبما يقدمه لهم من آمال يعملون من أجلها • ولذا فان فكرة القومية - من بين الأفكار الفلسفية - أصبحت سلاحا قويا للتغيير السياسى اذ يسهل على العقول العادية أن تستوعبها فلا غرو أن تصبح حلم الجماهير الذى تهب من أجله نفوسها •

عجالة عن الحركة التحررية الثورية العربية :

يسعى العرب الى تأكيد شخصيتهم فى عالم اليوم عن طريق تأكيد قوميتهم ، تلك القومية التى كانت باهتة العلامات منذ عقدين مضيا فأصبحت اليوم حقيقة واقعة • وقد عبر الميثاق الوطنى عن حقيقة دور الحركة التحررية

---

(١) يمكن أن ندرج حرب التحرير الامريكية ضمن هذا التحليل الثلاثى للقومية ولكنه اذا كان صحيحا ان سكان المستعمرات الامريكية قد شعروا بأنفسهم كأمريكيين الا أنهم لم ينظروا الى أنفسهم نظرة جدية على أنهم يكونون أمة أمريكية •

الثورية العربية بقوله : « والجمهورية العربية المتحدة ـ وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية ـ لابد لها أن تنقل دعوتها والمبـادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ، ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البـالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها »(١) ٠

« ان مبدأ القوميات ٠٠٠ شرارة منبعثة عن الارادة المعنوية ، شأنه شأن فكرة الحرية التى تتضمنه ٠

« ومبدأ القوميات متى تمكن مرة فى الشعور البشرى ، ومتى استشعره الناس كقاعدة للعدالة تفرض نفسها بما لها من هيمنة محايثة ، فانه يصبح قوة فعالة فى حياة الشـعوب ٠ ووثبـة للتحرر ، وهى فيض زاخر للارادة التاريخية ، قد اتجهت لأن تصبح فكرة قانونية ٠ وهذه الوثبة ، مع ارتباطها بفكرة الحق القانونى ، فانها ستخضع للعوامل الضابطة لهـذه الفكرة ٠٠٠ وأكثر من هذا أننا لن نلبث أن نرى انقلابا تبادليـا فى ترتيب الظواهر ٠ ففكرة « الحق » ، الاعتقـاد بأن الدول ينبغى أن تتحدد بمشـاعر الترابط الانتوجرافى ، لن تلبث أن تطلق بذاتها القوى نحـو تجمع جديد ٠ لم تعـد القـوة المحركة التى تطلق الأحـداث هى قوة الطبيعة ، ولا هى العـاطفة المشبوبة ، وانما الاقتناع بعمل عادل ينبغى انجازه هو الذى يحتم النزول الى الحلبة ٠٠٠ »(٢) ٠

وتفصيل ذلك أن الدول العربية تكونت كل منهـا على جزء من الوطن العربى ولذلك فان واقع كل دولة عربية يتصارع مع حقيقة الضمير الاجتماعى المستقر فى وعى الأمة العربية ٠ فالدولة ـ بحكم تكوينها كدولة ـ تميل الى ممارسة سيادة خالصة فى داخل اقليمهـا ، فى حين أن شعب الدولة ـ من حيث هو جزء من الأمة العربية الكبرى ـ ينطلق بولائه الفكرى وأحاسيسه خارج نطاق الحدود الاقليمية لدولته ليتعاطف مع مشاعر وآمال الشعب العربى

---

(١) الميثاق الوطنى ـ الباب التاسع الخاص بالوحدة العربية ٠

(٢) نقلا عن مخيمر ورزق ـ المرجع السابق ص ٥٥ ٠

فى مجموعه · ومن ثم فان واقـــع الدول العربية ينفصل عن حقيقة كيانهـا القانونى والذى دعى الى هذا الانفلاق هى معطيات القومية العربية · ومن ثم فلابد لهذا الفراغ الذى يباعد بين الواقع والقانون من أن يسد · والطريقـــة المثلى لملئه هى تطويع القانون لكى يستجيب لتلك الحاجة الاجتماعية الملحة عن طريق اعلان الدولة العربية الـــكبرى · ولما كان قيام هذه الدولة الـكبرى لا زالت تقف دونه عقبات فان الضرورة تستلزم — فى هـذه الفترة المرحلية — اتخاذ موقف يدور بين السياسة والقانون لمواجهة ذلك الفراغ ·

ان الثورية العربية تؤمن بالحاجة الملحة لازالة آثار السيطرة الأجنبيـــة من العالم العربى واتباع سياسة لا تنحاز لأى من الدول الكبرى واقامة وحدة عربية شاملة واعادة البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى للوطن العربى ، وأن هذه جميعا أهداف مترابطة لا يمكن تحقيقها الا بوسائل ثورية · وهـذا هو الدور الذى فرض على الثورية العربية فما كان للفـكر الثورى العربى أن تتحد فى نطـــاق اقليمى والا تنكر لدوره المقسوم وتقاعس عن أداء واجبـــه المفروض · والواقع أن الثـــورية العربية فى المرحلة الراهنـــة انما تعكس الازدواج بين المجتمع والدولة عندما تقوم الدولة على جزء من المجتمـــع الذى يشملها ويشمل دول أخرى غيرها ، وهذا الازدواج يقابل بدوره ازدواجا فى طبيعة الفرد لأن الفرد — فى فرض كهذا — يرتبط بالمجتمع برابطة الرعوية فهو فى هذا المجتمع رعية sujet ، كمـــا أنه يرتبط فى ذات الوقت بالدولة برابطة المواطنة فهـو فى الدولة مواطن citoyen (١) · ويجب ألا ننسى هنا أن التكامل الاجتماعى كثيرا ما يسبق التكامل السياسى ويؤدى اليه ، وعندئذ يتطابق المجتمع السياسى مع مكوناته الاجتماعية · ومن ثم فان الاتحادات العربية — التى عاش معظمها عمر الزهور — ليست الا محـــاولات لانتقال بالتكامل من دائرته الاجتماعية الى نطاقه الســـياسى · ومن ثم فان صور هذه الاتحادات يجب ألا تعشى أبصارنا عن حقيقة أن الوحدة العربيـة

---

(١) بوردو — المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٦ — ٥٢ · وقريب من هذا الرأى الذى نشر بجريدة الأهرام فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٦٢ عن التفرقة بين مصر الدولة ومصر الثورة ·

هى مفهوم مستقل عن تلك الاتحادات الاقليمية المبتورة وان شعارها قد ارتفع الى مرتبة القدسية التى لا تمس · ولذلك فان الوحدة العربية ـ علما وعملا ـ قد أصبحت قطب الرحى فى السياسات العربية والعلاقات الدولية العربية · صحيح أن هناك أهدافا أخرى ولكنها جميعا تتوارى أمام هذه الوحدة وتأتى فى مرتبة تالية لها ·

وليس من جدل أن الجمهورية العربية المتحدة قد قامت بالدور الرائد فى هذا المجال(١) فصدرت فى سياستها العربية عن اعتبارات الثـورية التحررية وهذا أمر منطقى لأن قدرة الجمهورية العربية المتحدة على السير فى الشوط حتى نهايته رهن بتضامن الجبهة التى تسلك نفس الطريق وتستهدف ذات الغايات وأن أية نكسة تصيب تلك الجبهة تعنى وضع الجمهورية العربية المتحـدة فى عزلة ·

صحيح أن متطلبات السياسة الخارجية قد تفرض على الجمهورية العربية المتحدة ـ كما سبق أن شرحنا عند الكلام على النظريات المختلفة فى العلاقات الدولية ـ قد تفرض عليها أن تحيد شيئا ما عن الخط الثورى ولكن هذا ينطبق على السياسة قصيرة الأمد دون أن تفقد من الرؤية الأهداف الثورية على المدى الطويل · يؤكد هذا المسلك الواقعى للجمهورية العربية المتحدة فهى مثلا لم تتوقف عن مساعدة الثورة الجزائرية كما قدمت مساعدتها دون قيد للثـــورة اليمنية والحركة الوطنية فى الجنوب العربى · وهذا ما سأزيده توضيحا فى الفصل التالى ·

---

(١) ساطع الحصرى ـ آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ، بغداد ١٩٥٤ ·

الفصل الثاني

نظرة عقائدية فى العلاقات الدولية العربية (٢)

« على طريق الوحدة »

تمهيـــد

قلت ان القومية العربية ليست قومية مذهبية تتخـــذ من القومية غاية بذاتها وانما تتشكل القومية العربية ـ فى عقيدتنا ـ على أنها مجرد وسيلة الى غاية هى الوحدة الشاملة ٠ ولذا لم تقنع الجماهير العربية بالجامعة العربيـــة تشخيصا لهذه العقيدة بل سلكت ـ على الصعيدين الحكومى والشعبى ـ الدروب المفضية الى تحقيق هذه الوحدة ، ودوت فى سمع الزمن ارهاصات بأن الوحدة آتية لا ريب فيها ٠ فنجد الحكومة السورية تتقـــدم ـ فى سنة ١٩٥١ ـ الى الجامعة العربية بمذكرة تشير فيها الى خطورة الوضع الدولى وما يحيط بالعرب من تهديد صهيونى وتقترح « مشروعا عمليا يشمل الدول العربيـــة جميعا ويكفل التوحيد فى السياسة الخارجية وفى الدفاع القومى والاقتصاد والمرافق الرئيسية »(١) ٠

وفى يناير سنة ١٩٥٤ يتقدم وفد العراق الى جامعة الـــدول العربيـــة بمذكرة تدعو الى اتحاد فعلى بين دول الجامعة أو من يرغب منها مبررة دعوتها بأن « السبيل الوحيد لانقاذ العرب فى محنتهم الحـــاضرة ومجابهـــة الخطر الاسرائيلى واقرار السلم فى هذا القسم الحيوى من العالم هو تحقيق الاتحـــاد العربى » ٠ وقد شجع العراق على تقديم هذه المذكرة ـ كما اعترفت المذكـــرة

---

(١) الدكتور أبو الفتوح رضوان ، القومية العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٥ ٠

نفسها - ما أبدته جمهورية مصر من رغبة صادقة فى العمل على تحقيق الوحدة العربية . وهذا هو ما عبر عنه رئيس جمهورية مصر فى خطاب ألقاه فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٤ بمناسبة ذكرى الثورة المصرية اذ أكد ايمان كل فرد عربى فى العالم العربى بأن الوحدة الحقيقية بين البلاد العربية هى السبيل الوحيد لتحقيق الأمانى والآمال العربية ودرء الأخطار عن العرب .

وقد عقدت مصر فى عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ثلاث اتفاقيات للدفاع المشترك الأول فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥ مع سوريا والثانية فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٥ مع المملكة العربية السعودية والثالثة فى ٢١ ابريل سنة ١٩٥٦ مع كل من المملكتين العربية السعودية واليمن . وتتلخص مبادىء هذه الاتفاقيات فى المحافظة على استقلال وأمن الدول المشتركة فيها عن طريق التعاون العسكرى فيما بينها فى زمن السلم وفى زمن الحرب . ويتم التعاون العسكرى عن طريق وضع جيوش الدول المتعاقدة تحت اشراف مشترك لرد أى عدوان يقع على احدى الدول المشتركة وتتعهد الدول المتحالفة بألا تعقد أى منها صلحا منفردا مع المعتدى أو تبرم معه أى اتفاق دون موافقة الدول الأخرى . وتنفيذا لأغراض الاتفاقية تنشىء جهازا يتكون من مجلس أعلى يكون المرجع الرسمى للقائد العام للقيادة المشتركة ، ومجلس حربى وقيادة مشتركة .

وقد شهدت القاهرة فى مارس سنة ١٩٥٦ اجتماعا ضم الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود وشكرى القوتلى يناقش - من بين موضوعات أخرى - الوحدة العربية وتوطيد التعاون بين الدول العربية فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية . كما اتفقت سوريا والأردن فى صيف العام ذاته على اقامة وحدة اقتصادية شاملة والغاء الجوازات بين البلدين .

وفى ١٩ يناير سنة ١٩٥٧ عقدت مصر والمملكةالعربية السعودية وسوريا اتفاقية التضامن العربى التي أكدت ديباجتها المسئوليات الكبيرة التى تقع على الدول العربية بشأن كيانها واستقلالها والاستجابة لرغبة وأمانى شعوبها فى التضامن لتحرير الوطن العربى وأن تحقيق هذا التضامن خطوة ايجابية نحو الوحدة العربية المنشودة . وقد عقدت هذه الاتفاقية بمناسبة عزم الدول

العربية على تقديم معونة مالية الى الأردن تغنيه عن الاعتماد على بريطانيا ولذا نصت على مساهمة الدول المتعاقدة فى الالتزامات الخاصة بدعم الحكومة الأردنية الهاشمية بمبلغ اجمالى قدره اثنا عشر مليونا ونصف المليون من الجنيهات العربية ·

وقد واكبت هذه المحاولات الحكومية جهود شعبية أفصحت فى أكثر من مناسبة عن شدة تعلق العرب بهدف الوحدة · فقد وضع مؤتمر خريجى الجامعة الأمريكية موضوع الوحدة العربية فى صدر قائمة الموضوعات التى ناقشها أثناء انعقاده ببيروت فى يونيو سنة ١٩٥٢ ، وهذا أيضا هو ما فعله مؤتمر خريجى الجامعات الذى التأم شمله بالقدس فى سبتمبر سنة ١٩٥٦ · وهو كذلك ما تكرره مؤتمرات المحامين العرب فى كل مرة تعقد ·

ولا يمنع عقم هذه الجهود من أن ننظر اليها على أنها علامات بارزة على طريق الوحدة العربية ومظاهر دالة على اقتناع الشعوب العربية بأن الوحدة حقيقة حتمية · وكان قيام الجمهورية العربية المتحدة باكورة لامتحان تلك الآمال عندما تتبلور فى شكل سياسى معين ، ذلك الامتحان الذى امتد الى أشكال أخرى من الاتحادات ·

« ان أى وحدة جزئية فى العالم العربى تمثل ارادة شعبين ــ أو أكثر من شعوب الأمة العربية ــ هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جذورها فى أعماق الأرض العربية » ·

وأعرض فيما يلى الاتحادات العربية على الترتيب التالى :

١ ــ الجمهورية العربية المتحدة ٢ ــ الدول العربية المتحدة ٣ ــ الاتحاد العربى الهاشمى ٤ ــ اتحاد الامارات العربية مسبوقا بكلمة عن اتفاق الوحدة الثلاثية وعن اتفاق التنسيق السياسى بين مصر والعراق واليمن ·

الجمهورية العربية المتحدة

عرضت فيما سلف الى ما نص عليه الدستوران السورى (١٩٥٠) والمصرى (١٩٦٤) من أن شعب كل من البلدين هو جزء من الأمة العربية ،

ولذا فليس غريبا أن يتجه البلدان الى وضع هذا المبـــدأ الدستورى موضع التطبيق العملى ٠ وأمسكت سوريا بزمام المبادرة فأصـــدر مجلس الوزراء السورى قرارا فى يوليو سنة ١٩٥٦ بالدعوة الى اتحاد عربى يبدأ بوحدة بين مصر وسوريا الأمر الذى قوبل بموافقة اجماعية متحمسة من مجلس النــواب السورى وترحيب بالغ من مصر ٠ وتلبية لدعوة وجهها مجلس النواب السورى، قام وفد من مجلس الأمة المصرى بزيارة ســـورية فى منتصف نوفمبر سنة ١٩٥٧ ٠ وقد تدارس الوفد المصرى موضوع الوحدة مع لجنة الشئون الخارجية بالمجلس السورى ٠ وأسفرت الدراسة عن تقرير جاء فيه :

« ان أعضاء وفد مجلس الأمة المصرى ، وأعضاء لجنة الشئون الخارجيـــة المجتمعين معا فى دمشق بجلسة مشتركة بتاريخ ٢٣ ربيع الثانى ١٣٧٧ و ١٧ تشرين الثانى ١٩٥٧ وبعد اطلاعهما على الخطوات والاتفاقات التى عقدت بين الطرفين يقترحون الاقتراع على القرار التالى :

« ان نواب المجلسين مجتمعين اذ يعلنون رغبة الشعب العربى فى مصر وسورية باقامة اتحاد فدرالى بين القطرين يباركون الخطوات العمليـــة التى اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية فى سبيل تحقيق هذا الاتحاد ، ويدعون حكومتى مصر وسورية للدخول فورا فى مباحثات مشتركة بغيـــة استكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد » ٠ وقد وافق المجلسان ــ المصرى والسورى ــ كل على حدة ، على هذا الاقرار بالاجماع ٠ وبدأت مرحلة المفاوضات بين الحكومتين المصرية والسورية ، ولما تم الاتفاق على الخطوط العريضة تقرر قيام الجمهورية العربية المتحدة فى ميثاق تاريخى أعلن فى الأول من فبراير سنة ١٩٥٨ وجاء فيه أن المجتمعين تذاكروا « ما توالى فى السنين الأخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ساد العرب فى مختلف أقطارهم، ولحاضر مشترك بينهم ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم ٠ وانتهوا الى أن هذه الوحدة التى هى ثمرة القومية العربية ، هى طريق العرب الى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبل الانسانية للتعاون والســـلام ٠ ولذلك فان من واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأمانى الى حيز التنفيذ فى عزم ثابت واصرار قوى ٠

« لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وايمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد سورية ومصر فى دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة ٠

« كما يعلنون اتفاقهم الاجماعى على أن يكون نظـــام الجمهورية العربية ديمقراطيا رئاسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعـــاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين أمامه ٠ كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ، ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظلل شعبا واحدا ٠

« ويعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى يريد أن يشترك معها فى وحدة أو اتحاد » ٠

وهكذا انطلق الأمل الحبيس من مصر وسورية ليحطم الحدود المصطنعة ويئد القوميات الاقليمية منطلقا فى طريق الوحدة العربية الشاملة ٠ وسجل الشعبان موافقتهما الاجماعية على الوحدة (٩٩ر٩٩٪ فى مصر ، ٩٨ر٩٩٪ فى سورية) فى الاستفتاء العام الذى أجرى فى البلـــدين فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨ ٠ أرادت مصر وسورية الحياة فاستجاب القدر ، وانجلى الليل والقيد انكسر ٠

الدول العربية المتحدة

تحقق بالجمهورية العربية المتحدة أمل طالما هفت اليه النفوس ونبضت به القلوب واشرأبت أعناق العروبة متطلعة الى مستقبل مجيد ، فلم تذهب دعوة بيان الأول من فبراير بأن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى صرخة فى واد ، بل لقيت صداها لدى الامام أحمد امام اليمن وأعرق حكام العرب رجعيـــة وتخلفا ٠ ولعله ريع لمولد هذا المارد فبادر باعلان رغبتـــه فى الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة على أساس الاتحاد ٠ وفى ٨ مارس سنة ١٩٥٨ أبرم اتفاق ينشىء اتحادا بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنيـــة فتح بابه لغيرها من الدول العربية التى ترغب فى الانضمام وجـــاء فى مادته الأولى : « ينشأ اتحاد يسمى الدول العربية المتحدة يتكـــون من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التى تقبل الانضمام الى هذا الاتحاد » ٠

وينص ميثاق الاتحاد على أن تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم فيها فهو اتحاد تعاهدى استقلالى يقف عند حد الأمور التى تقرر أن تكون مشتركة فقد قرر الميثاق أن تكون للدول الأعضاء سياسة خارجيـــة موحدة وأن يوحد التمثيل السياسى والقنصلى للاتحاد وأن يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة وأن تنظم الشئون الاقتصادية وفقا لخطط مرسومة وينســـق التعليم والثقافة فى الاتحاد وينشأ اتحاد جمركى بين البلاد العربية المتحدة ويشرف على شئون الاتحاد مجلس يسمى « المجلس الأعلى » يختص برسم الســـياسة العليا للاتحاد فى المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية واصدار القوانين اللازمة فى هذا الشأن وهو المرجع الأعلى فى تحـــديد الاختصاصات ويشكل من رؤساء الدول الأعضاء ، ويعاون المجلس الأعلى فى مباشرة سلطاته مجلس يسمى « مجلس الاتحاد » وهو هيئة دائمة ويشكل من عدد متساو من ممثلى الدول الأعضاء ، وتكون رئاسة مجلس الاتحاد سنويا بالتناوب فيما بين الدول الأعضاء ٠ ويتولى النظر فى الشئون السياسية ، ويعتمد المجلس الأعلى قراراته ٠

ويتبع مجلس الاتحاد الهيئات الآتية : « أ » مجلس الدفاع ، (ب) المجلس الاقتصادى ، (ج) المجلس الثقافى ٠ ويعتمد مجلس الاتحاد قرارات هـــذه المجالس ٠

وابقاء على استقلال الدول الأعضاء قضى ميثاق الاتحاد بأن تصدر قرارات المجلس الأعلى بالاجماع ٠

وواضح من نظام الاتحاد أنه اتحاد استقلالى يتجه فى حيطة نحو الاتحاد المركزى مراعاة لظروف الحكم فى اليمن وقتئذ ٠ فهو يحتفظ لكل من الدول المكونة له بشخصيتها الدولية ونظام الحكم فيها فى الوقت الذى يفرض فيه على الدول الأعضاء اتباع سياسة خارجية موحدة ويوحد التمثيل الســـياسى والقنصلى للاتحاد ويمنح المجلس الأعـــلى اختصاصا برسم الســياسة العليا للاتحاد ٠

الاتحاد العربي الهاشمي

يحيط المعلقون السياسيون هذا الاتحاد بالشك والريبة ويرون فيه رد فعل استعماري لوحدة الشعب المصري السوري التي قضت على آمال العرشين الهاشميين في تحقيق مشروعي الهلال الخصيب وسوريا الكبرى كما غدت شوكة في حلق الاستعمار البريطاني فوتت عليه أية فرصة لتوسيع نفوذه في المنطقة ذلك النفوذ الذي يسند كيان العرشين السالفين .

على أنه أيا كانت المآخذ التي تعاب على الاتحاد فان ميثاقه ـ الذي أعلن في ١٤ فبراير سنة ١٩٥٨ ـ قد قدم شكلا من أشكال الاتحاد(١) قوامه اتحاد عربي بين المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العراقية باسم الاتحاد العربي مفتوح للدول العربية الأخرى التي ترغب في الانضمام اليه . وقد رسمت شروط الاتفاق شكل ذلك الاتحاد على النحو التالي :

أ ـ تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة وبسيادتها على أراضيها وبنظام الحكم القائم فيها .

ب ـ تكون المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي سبق أن ارتبطت بها كل من الدولتين قبل قيام الاتحاد بينهما مرعية بالنسبة الى الدولة التي عقدتها وغير ملزمة للدولة الأخرى . أما المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي ستعقد بعد قيام الاتحاد والتي تدخل ضمن موضوعات الاتحاد فتكون من اختصاص وسلطة حكومة الاتحاد .

ج ـ اعتبارا من تاريخ الاعلان الرسمي لقيام الاتحاد تنفذ اجراءات الوحدة الكاملة بين دولتي الاتحاد في الأمور الآتية :

١ ـ وحدة السياسة الخارجية والتمثيل السياسي .

---

(١) أرسل الرئيس جمال عبد الناصر برقية الى ملك العراق مهنئا الدولتين بالاتحاد جاء فيها « ان الاتحاد العربي الذي وحد اليوم بين العراق والأردن هو خطوة مباركة تتطلع اليها الأمة العربية كلها بأمل كبير باعتباره اتجاها يستمد قوته من أعماق الضمير العربي واننا لواثقون تمام الثقة بأن الاتحاد العربي سوف يكون قوة لكل العرب على كل أعداء العرب ... » .

٢ ـ وحدة الجيش الأردني والعراقي باسم الجيش العربي ٠

٣ ـ ازالة الحواجز الجمركية بين الدولتين وتوحيد القوانين الجمركية ٠

٤ ـ توحيد مناهج التعليم ٠

د ـ يتفق الطرفان بأسرع وقت ممكن على اتخاذ الاجراءات اللازمة لتوحيد النقد وتنسيق السياسة المالية والاقتصادية بين الدولتين ٠

هـ ـ ١ ـ تتولى شئون الاتحاد حكومة اتحادية مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية ٠

٢ ـ ينتخب كل من مجلس الأمة الأردني والعراقي أعضاء المجلس التشريعي من بين أعضائهما بعدد متساو من كل من الدولتين ٠

٣ ـ تعيين أعضاء السلطة التنفيذية وفق أحكام دستور الاتحاد ليتولى الأمور التي تدخل ضمن اختصاص حكومة الاتحاد ٠

و ـ ملك العراق هو رئيس حكومة الاتحاد وفي حالة غيابه لأي سبب من الأسباب يكون ملك الأردن رئيس حكومة الاتحاد ٠ ويحتفظ كل من الملكين بسلطته الدستورية في مملكته ـ وعند انضمام دولة أخرى الى الاتحاد يعاد النظر في وضع رئاسة الاتحاد حسب مقتضيات الأحوال ٠

والاتحاد على الصورة التي رسم بها هو اتحاد من نوع خاص لأنه يمزج بقدر يكاد يتعادل بين كل من الاتحاد والاستقلال والاتحاد المركزي فهو استقلالي النزعة فيما يقرره من ابقاء الشخصية الدولية للدول الأعضاء والاحتفاظ لها بسيادتها على أراضيها وبنظام الحكم القائم فيها ٠ وهو مركزي الطابع عندما يقرر الوحدة الكاملة بين الدول الأعضاء في مجالات ذات أهمية على نحو ما عددت ٠

اتفاق الوحدة الثلاثية(١)

انتكست الوحدة بين مصر وسوريا - على تفاصيل سنلم بها فيما بعد - للانقلاب الانفصالى الذى حدث فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ ٠ ولكن الشعب السورى واصل جهاده لاعادة الوحدة فأطاح بالحكومة الانفصالية فى ٢٨ مارس سنة ١٩٦٢ ٠ وانعقد مؤتمر شعبى فى حمص نادى بتشكيل حكومة مؤقتة يعهد اليها باتخاذ الخطوات اللازمة لاعادة الوحدة مع مصر ، ولكن بعض العناصر الرجعية تسللت الى الحركة وسيطرت عليها مما أخر تنفيذ مقررات مؤتمر حمص ، وفى صبيحة يوم ٨ مارس ١٩٦٣ نجح انقلاب عسكرى فى الاطاحة بالحكومة القائمة ونادى باقامة حكومة ائتلافية تمثل كل الجبهات الوحدوية لتتولى مفاوضات اعادة الوحدة مع مصر ٠ وكانت حكومة عبد الكريم قاسم قد سقطت قبل ذلك بشهر أى فى ٨ فبراير سنة ١٩٦٣ وتولى السلطة المشير عبد السلام عارف ٠ وهكذا تعاصر الاتجاه فى كل من سوريا والعراق نحو السعى للوحدة مع مصر ٠ وفعلا بدأت محادثات ثلاثية بين مصر والعراق وسورية بغية اقامة وحدة عربية بين الأقطار الثلاثة ٠

وفى ١٦ أبريل سنة ١٩٦٣ أعلنت الوفود المتفاوضة باسم الشعب العربى فى هذه الأقطار الثلاثة ارادة هذا الشعب فى قيام الوحدة الاتحادية بينها على أساس « توحيد الشخصية الدولية والسياسة الخارجية للدولة الاتحادية لتصبح قوة واحدة تواجه الاستعمار داخل الوطن العربى وخارجه وجهدا واحدا ينتصر لحرية الشعوب ويدعم السلام العالمى ٠

« ٠٠٠٠ بتحقيق وحدة عسكرية قادرة على تحرير الوطن العربى من خطر الصهيونية والاستعمار وتحقيق هدفه فى الأمن والاستقرار وتعبئة قواه لاقامة الحق والعدل والسلام ٠٠٠

« بتوحيد أجهزة التخطيط لتوجيه امكانيات الدولة الاتحادية الى التنمية

---

(١) الدكتوران محمد طه بدوى ومحمد طلعت الغنيمى - دراسات سياسية وقومية ، المرجع السابق ، ص ١٦١ - ١٦٤ ٠

الاقتصادية والاجتماعية واستغلال جميع الطاقات والقوى خير استغلال لبناء مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع الاشتراكية » ٠

وقد تم الاتفاق على المبادىء الرئيسية التالية لتحديد شكل الدولة الاتحادية :

١ - أن تقوم دولة اتحادية باسم الجمهورية العربية المتحدة على أساس الاتحاد الحر بين كل من مصر وسورية والعراق ، وتكون أسماء الأعضاء بالدولة الاتحادية (القطر المصرى) و (والقطر السورى) و (القطر العراقى) ٠

٢ - أن يكون لكل جمهورية عربية مستقلة تؤمن بمبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة الحق فى أن تنضم الى هذه الدولة بارادة شعبية حرة ويتم الانضمام بعد موافقة السلطة الدستورية فى الدولة الاتحادية ٠

٣ - أن تكون السيادة الدولية الكاملة للدولة الاتحادية ٠

٤ - أن تكون لمواطنى الدولة الاتحادية جنسية واحدة هى الجنسية العربية ٠

٥ - أن يكون علم الدولة هو علم الجمهورية العربية المتحدة الحالى وفيه ثلاث نجوم بدلا من نجمتين ، وتزاد نجمة كلما انضمت دولة الى الدولة الاتحادية ٠

٦ - أن تكون القاهرة هى عاصمة الدولة ٠

٧ - أن تختص سلطات الدولة الاتحادية بالشئون الآتية : السياسة الخارجية بكل جوانبها بما فيها التمثيل الخارجى والمعاهدات مع الدول والهيئات الدولية ، والدفاع والأمن القومى ، والمالية والخزانة وتتناول الضرائب الاتحادية ، وميزانية الاتحاد ، واصدار أذونات الخزانة أو السندات الاتحادية لتمويل المشروعات الاتحادية ، والقروض الخارجية والداخلية ، وكذلك القوانين والسياسة الجمركية مستهدفة تكوين وحدة جمركية وسوق عربية مشتركة تتطور الى سوق عربية موحدة ، والاقتصاد والتخطيط الاقتصادى والتنمية ، والاعلام والثقافة والتعليم ، والعدل وتنسيق القوانين ويتناول وضع أسس موحدة للعدالة فى أقطار دولة الاتحاد ، والمواصلات الاتحادية ٠

٧ – وتختص الأقطار بجميع السلطات التي لا تدخل فى اختصاص الدولة الاتحادية ويمكن تفويض الأقطار بقانون اتحادى فى ممارسة بعض اختصاصات السلطة الاتحادية لأجل معين ٠

٨ – تكون مؤسسات الدولة الاتحادية والعلاقات بينها وفقا لما يلى :

أ – مجلس الأمة ، وهو أعلى هيئة لسلطة الدولة فى الجمهورية العربية المتحدة والهيئة التى تمارس السلطة التشريعية ، ويتكون من مجلسين : مجلس النواب الذى يشكل من عدد من الأعضاء بنسبة عدد السكان فى كل قطر ، ومجلس الاتحاد ويتشكل من عدد متساو من الأعضاء من كل قطر ٠ وينتخب أعضاء كل من المجلسين انتخاباً حرا مباشرا بالاقتراع السرى ومدة العضوية فى كل أربع سنوات ٠

وينتخب مجلس الأمة رئيس الجمهورية ونواب الرئيس ، ورئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ٠ ومدة الرياسة أربع سنوات ٠

ومجلس الوزراء الاتحادى مسئول أمام مجلس الأمة ٠ كما يختص مجلس الأمة بنظر طلبات انضمام الدول الجديدة الى الاتحاد ٠ ويكون للاتحاد محكمة عليا تسمى المحكمة الاتحادية العليا يختار مجلس الأمة أعضاءها – بناء على ترشيح رئيس الجمهورية – من بين رجال القضاء والقانون ٠

كما تم الاتفاق على أن تكون الأجهزة فى الأقطار على النحو التالى :

١ – رئيس القطر وينتخبه المجلس التشريعى للقطر لمدة أربع سنوات ، ويوافق عليه رئيس الجمهورية ٠

٢ – المجلس التشريعى للقطر وينتخب انتخابا حرا مباشرا سريا ، ويصدر التشريعات الخاصة بالقطر ٠

٣ – وزارة القطر وتسأل أمام المجلس التشريعى بالقطر ٠

٤ - القضاء بالقطر .

وهكذا رسم الاتفاق اتحادا مركزيا يتكون من الأقطار الثلاثة ويكون نواة لاتحاد مركزى شامل . ولكن يجب أن نلاحظ أن الاتفاق ترك الجيوش تابعة للحكومات القطرية ، وبمعنى آخر فان الوحدة لم تشمل الجيوش رغم أهمية ذلك ورغم أن الوحدة العسكرية كانت شرطا من شروط الوحدات السابقة جميعا . كما أن الاتفاق ترك لكل دولة أن تتخذ خطوات وقرارات معينة من قبلها فكل ما عليها أن تقيم جبهتها وهيئتها التشريعية وميثاق مبادئها السياسية وتمثيلها الخاص فى بعض اللجان المشتركة وفى المجلس الرئاسى الانتقالى ، ثم بعد ذلك عليها أن تنظم اجراءات الانتخاب فيها ، وتلك جميعها أمور لم يكن من المتوقع أن تتم بطريقة مرضية فى كل من سوريا والعراق بسبب الأوضاع التى كانت سائدة فيهما وقتئذ . ولذلك يمكن أن نقول ان هذا الاتفاق هو فى حقيقته وثيقة تعلن حسن نية الأطراف المتعاقدة بالنسبة للمستقبل .

اتفاقا التنسيق السياسى بين مصر وكل من العراق واليمن(١)

نكل حزب البعث عما تم عليه الاتفاق بشأن الوحدة الثلاثية ونقضها . فلما انهار سلطان البعثيين فى العراق بحركة ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٣ جرت مفاوضات بين العراق ومصر - على هدى من واقع التجربة والخبرة - تناولت الرأى فى تحقيق ما يتوق اليه الشعبان فى مصر والعراق من انجاز الوحدة بينهما . ولم تكن النتيجة اتفاق وحدة شاملة ولكن خطوة على طريق الوحدة حتى اذا ما اطمأن البلدان الى امتزاج الأسس الفكرية والعقائدية امتزاجا كاملا أمكن التقدم الى تحقيق الوحدة الشاملة . وقد وقع الطرفان « اتفاق التنسيق السياسى بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية » فى ٢٦ مايو سنة ١٩٦٤ . وفى ١٣ يوليو سنة ١٩٦٤ وقعت الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية اليمنية اتفاقا مماثلا يمهد للوحدة قبل البدء فيها انفاذا لما جاء فى الميثاق الوطنى من « أن تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) مصطفى أبو زيد - المرجع السابق ، ص ٤٥٩ - ٤٦٢ .

الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية • هذا الاختلاف الذى فرضته قوى العزلة والرجعية » •

والواقع أن الاتفاقيتين تستهدفان ذات الغاية وتقومان على المبادىء نفسها وهى تقيم بين الجمهورية العربية المتحدة وكل من العراق واليمن نظام الدول المتعاهدة فى أقوى صورة •

ويقرر الاتفاق قيام التنظيمات الآتية :

١ ـ مجلس الرئاسة المشترك (أو مجلس التنسيق المشترك حسبما أسماه الاتفاق مع اليمن) • ويتشكل من أربعة عشر عضوا هم رئيس جمهورية كل من الدولتين واثنا عشر عضوا تعين كل حكـومة ستة منهم على أن يكون ثلاثة منهم متفرغين بدرجة وزير وثلاثة غير متفرغين من بين أعضاء الحكومة • ومقر المجلس مدينة القاهرة وقراراته الزامية ونافذة بمجرد تصديق المجلس عليها عدا القرارات التى تحتاج الى استصدار قانون فيكون تنفيذها بعد المصادقة عليها حسب النظم الدستورية المعمول بها فى كل من البلدين • أى أن الاتفاق أعطى للمجلس سلطة أقوى من السلطة التى يعرفها عادة المجلس المشترك فى نظام الدول المتعاهدة •

ويختص المجلس بدراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لاقامة الوحدة بين البلدين ، وتخطيط وتنسيق سياسة البلدين فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفى ميدان الاعلام ، وتحقيق الوحدة الفكرية بين الشعبين عن طريق التنظيمين الشعبيين فى البلدين والعمل على توحيد التنظيمين فى المستقبل •

٢ ـ « تنشأ المنظمات المشتركة الآتية : أ ـ اللجنة السياسية ـ ب : القيادة العسكرية ـ جـ : اللجنة الاقتصادية ـ د : لجنة الثقافة والاعلام ـ هـ : لجنة الفكر الاشتراكى العربى ـ و : لجنة التنظيم الشعبى ـ ز : أى لجان أخرى تقتضى الضرورة تكوينها » •

وقد منح الاتفاق للقيادة العسكرية الاختصاص « بتنسيق تسليح وتدريب وتجهيز القوات المسلحة للبلدين ، ووضع خطط العمليات وتحريك

القوات المسلحة ، كما تتولى قيادتها وقت الحرب • وتتخذ القيادة المشتركة ـ فضلا عن ذلك ـ التدابير الكفيلة لمواجهة الحرب أو خطر الحرب • ويعتبر أى إعتداء أو تهديد بالاعتداء على أى من الدولتين موجها للدولة الأخرى » •

وإذا كان التنسيق قد أقام نوعا من نظام الدول المتعاهدة فانه قد ترك الباب مفتوحا ـ بعد التمهيد له ـ لاقامة النظام المناسب من وحدة اتحادية أو دولة موحدة •

اتحاد الامارات العربية(١) :

يضم هذا الاتحاد البحرين وقطر وأبو ظبى ودبى والشرجه وعجمان وأم القيوان ورأس الخيمة والفجيرة(٢) • وتم التوقيع على الاتفاقية الخاصة به

---

(١) Al-Baharna, Hussain M. : **The Legal Status of the Arabian Gulf States,** Manchester University Press, 1968.

(٢) تقع هذه الامارات ـ التى تعرف أيضا بالمشيخات ، وكذا بالمحميات البريطانية ـ على امتداد الشاطىء الشرقى والجنوبى الشرقى من الخليج العربى وتربطها ببريطانيا روابط اتفاقية على النحو التالى :

١ ـ مع البحرين منذ سنة ١٨٦١ باتفاق صداقة وقعه الشيخ محمد الخليفة بوصفه الحاكم المستقل للبحرين •

٢ ـ مع قطر منذ سنة ١٨٦٨ عندما انتهك حاكمها الشيخ محمد بن ثانى السلم البحرى • وقد دخلت قطر تحت الحماية البريطانية منذ سنة ١٩١٦ بناء على المعاهدة التى وقعها الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثانى •

٣ ـ مشيخات شاطىء عمان ـ أى شاطىء الصلح ـ وهى مشيخات أقام شيوخها استقلالهم فى نقاط مختلفة قبل ارتباطهم ببريطانيا بفترة من الزمن • وقد قامت العلاقات الاتفاقية بين هذه المشيخات وبين بريطانيا بعد حملة شركة الهند الشرقية سنة ١٨١٩ ضد شيخى القواسم ورأس الخيمة اذ أبرما معاهدة سنة ١٨٢٠ تعهدا فيها بالامتناع عن اعمال القرصنة والحفاظ على سلم دائم • واتبعت هذه المعاهدة بأخرى فى سنة ١٨٥٣ ثم اتفاق سنة ١٨٩٢ الذى يعتبر اليوم هو الأساس القانونى للعلاقات الاتفاقية التى تربط هذه المشيخات ببريطانيا •

والواقع أن عدد هذه المشيخات قد تغير على مر الزمن .فقد كانت رأس الخيمة مندمجة فى الشرجه ولكن بريطانيا اعترفت بها كمشيخة مستقلة فى سنة ١٩٢١ • كذلك كسبت الفجيرة استقلالها عن الشرجه سنة ١٩٠١ بيد أن بريطانيا لم تعترف بها كمشيخة مستقلة الا سنة ١٩٥٢ عندما انضم شيخها الى الالتزامات التعاقدية التى تربط باقى المشيخات ببريطانيا •

راجع الدكتور سيد نوفل ـ الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة » القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ •

فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٦٨ فى دبى ٠

وقد بدأ هذا الاتحاد باتفاقية أبرمت فى ١٨ فبراير سنة ١٩٦٨ لاقامة اتحاد بين أبو ظبى ودبى ٠ ثم رؤى - كما جاء فى ديباجة الاتفاقية - أن اتحادا كهذا يحسن أن يضم الامارات العربية جميعها لتدعيم الروابط الأخوية الوثيقة بينها وتوجيه جهودها نحو تأمين مستقبلها وخير العرب جميعا ٠

وتنص اتفاقية الاتحاد على أن الغرض منه هو تقوية الروابط بين الامارات الأعضاء وتعزيز التعاون فيما بينها فى كل الحقول وتنسيق خططها للتنمية والازدهار وتوحيد سياستها الخارجية وتنظيم الدفاع الجماعى عنها بقصد حماية شعوبها والحفاظ على أمنها والنظر عموما فى شئونها ومصالحها المشتركة بطريقة تؤمن آمالها وتحقق رغبات الوطن العربى الكبير ٠

ويشرف على شئون الاتحاد مجلس يعرف بالمجلس الأعلى يتشكل من حكام الامارات ، يقوم بوضع نظام للاتحاد وصياغة سياسته العليا فى الأمور الدولية والسياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية وغيرها من الأمور المرتبطة بأهداف الاتحاد ٠ كذلك يقوم الاتحاد باصدار التشريعات الاتحادية اللازمة فى هذا الخصوص ويعتبر المجلس أعلى سلطة فى تحديد الاختصاصات ، وتصدر قراراته بالاجماع ٠ ويرأس حكام الامارات هذا المجلس سنويا بالتوالى ويعتبر الرئيس هو ممثل الاتحاد داخليا وكذا بالنسبة للدول الأجنبية ٠ والمجلس هو الذى يحدد ميزانية الاتحاد ، كما يجوز أن يقرر تعديل اتفاقية الاتحاد لا سيما بقصد تحقيق مزيد من العلاقات الوثيقة بين الامارات ٠ ويعاون الأعضاء المجلس فى ممارسة اختصاصاته مجلس آخر يعرف بمجلس الاتحاد يعتبر الجهاز التنفيذى للاتحاد ويباشر اختصاصاته طبقا للسياسة العليا التى يرسمها المجلس الأعلى والقوانين الاتحادية ٠ ويحدد القانون كيفية تشكيل هذا المجلس ٠ ولا تعتبر قراراته نهائية الا بعد أن يصادق عليها المجلس الأعلى ٠ كذا يحدد القانون المجالس واللجان التى تساعد المجلس الاتحادى فى القيام بوظائفه ٠

وتقرر اتفاقية الاتحاد التزام الامارات المتعاقدة بالتعاون مع بعضها

البعض لتقوية قدراتها العسكرية ٠ وأن تقوم الادارات بواجبها المشـترك فى دفع أى عدوان مسلح ضدها وأن تعمل - فى حـدود الموارد والمتطلبـات - بالمساهمة فى تجهيز وسائل الدفاع الجماعية والفردية ٠

ويكون للاتحاد محكمة عليا تعرف باسم المحكمة الاتحادية العليا ويحدد القانون كيفية تشكيلها والاجراءات التى تتبع أمامها ٠

ويقرر المجلس الأعلى المقر الدائم للاتحـــاد ٠ ويجرى العمل باتفاقيـة الاتحاد اعتبارا من ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ طبقا للاجراءات المتبعة فى كل امارة وعندما يتم وضع اللوائح الخاصة بالاتحاد ٠

الفصل الثالث

نظرة تحليلية فى العلاقات الدولية العربية
« من الحرب الباردة الى مؤتمرات القمة »

تمهيـــــد

رأينا فى الفصلين السابقين كيف أن العقيدة كان عاملا فعالا فى تحديد العلاقات الدولية العربية ورسم اطارها العام . وستظل هـــذه العقيدة قوة تفرض نفسها على العلاقات الدولية العربية الى أن تصل الى غايتها .

بيد أننا اذا نظرنا الى العلاقات الدولية العربية على هـــدى من النظرية التحليلية نجد أن المصلحة الذاتية لبعض الدول العربية أو لبعض الجمـــاعات العربية اقتضت الخروج فى بعض الأحيان على مقتضيات العقيدة وسلوك مسلك المنفعة المحلية . فحزب البعث مثلا ينادى بالوحدة العربية ولكنه تنكر لها فى ظروف رأى أن صالحه يقتضى ذلك . والمملكـــة العربية السعـــودية ــ رغم اشتراكها فى بعض المحاولات التى جرت على طريق الوحدة العربية ــ رأت أن تقاوم حركة التحرر اليمنية لأنها توجست منها خيفة على النظام الملكى من حيث هو وخشيت أن تعصف ريحها بالأوضاع القائمة فى المملكة العربية السعودية ، وهكذا . ومن ثم فليس غريبا أن تعاصر الجهود الوحدوية العربيـــة أجواء من الصراع الذى يقاوم هذه الجهود فى كل مرة يرى أنها تمثل خطرا على مصالح محلية . وقد قويت موجة الصراع بين القوى الوحدوية والقوى الانفصالية على وجه الخصوص خلال الفترة التى بدأت عام ١٩٥٨ ، عام أن لفظ النفوذ الأجنبى آخر أنفاسه وانتقلت مصائر الأمور فى المنطقة من يديه ، عـــام أن تحققت الوحدة بين مصر وسوريا (٢٢ فبراير) فقضت على محاولات التسلط عـــلى سوريا التى اغرقت فيها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والعراق يقابلها الاتحاد السوفيتى ، وشبت الحرب الأهلية فى لبنان (مايو) فكتبت التجربة

الفاشلة بنزول القوات الأمريكية هناك خاتمة لقدرة أمريكا على لعب دور حاسم في الشئون العربية ، وقامت الثورة العراقية (١٤ يوليو) فاجتثت النفـــوذ البريطانى من البلاد ٠

وليس غريبا كذلك أن يوصف هذا الصراع الذى امتد على نيف وست سنوات بأنه نوع من الحرب الباردة بين قوى الوحدة وقوى الانفصال حتى ادكرت بعد أمة واجتمعت فى مؤتمرات للقمة ٠

« هناك قانون يربط بشكل ما هذا العالم العربى ولكن هناك متناقضات تعمل عملها داخل حركة هذا العالم العربى الا أن القانون المنظم كان هنـــاك وكانت له القدرة دائما على وضـــع ضوابط حـــول المتناقضـــات يصعب تجاوزها » ٠

ولعل أبرز مثل يوضح صور تلك الحرب الباردة هى قصة التكســة التى أصابت الوحدة بين مصر وسوريا ، وحرب اليمن ٠ قد يقول قائل ان حرب اليمن كانت حربا ساخنة فكيف نسوقها مثلا للحرب الباردة والرد على ذلك بسيط فان حرب اليمن كانت حربا ساخنة فيما بين القوات الجمهورية والقوات الملكية داخل اليمن ولكنها كانت حربا باردة فى نطاق العلاقات الدولية العربية طرفاها الرئيسيان هما الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ٠ ولذلك فاننى سأقدم كلمة عن الواقعتين(١) ٠

انتكاس الوحدة بين مصر وسوريا

لعب حزب البعث(٢) ـ الذى أعطى للقومية العربية عقائدية سياسية ـ فى سنوات ما بعد الحرب دورا ملحوظا فى الحياة السياسية فى سوريا يتجاوز بكثير نسبة تمثيله ٠ وقد توقع زعماؤه منذ سنة ١٩٥٥ أن دعوتهم الى الوحدة العربية لا يمكن أن تتحقق دون مساهمة مصر فيها لقناعتهم بأن مصر قادرة

---

(١) قارن Little, Tom: **Modern Egypt, London, 1967, pp. 177-216.**

(٢) حزب البعث الذى أشير اليه فى المتن هو الحزب الذى تكون من اندماج حزبين همـــا حزب البعث الذى كان قد أسسه كل من صلاح البيطار وميشيل عفلق قبـــل حقبة من الزمان وحزب أكرم الحورانى المسمى الحزب الاشتراكى العربى ٠

راجع محمد حسنين هيكل ـ ما الذى جرى فى سوريا ، القاهرة ١٩٦٢ ٠

بامكانياتها على أن تعوق جهودهم • وزادت رغبتهم فى استغلال طاقات مصر لتحقيق رغباتهم عندما أصبح الرئيس جمال عبد الناصر رمز القومية العربية وقد حقق بالعمل ما كان يزعمه حزب البعث بالكلام • وحسب زعماء الحزب أنهم قادرون على الاستفادة بمكانة الرئيس المصرى للوصـــــول بهم الى مراكز السلطة فى سوريا الأمر الذى عجزوا عن تحقيقه لأنفسهم بأنفسهم ، ومن هنا كان تحمسهم الشديد للوحــــدة مع مصر وتفانيهم فى اقناع حكــــومة الجبهة الوطنية فى سوريا للدخول فى وحدة مع مصر جزءا من برنامجهم السياسى •

وكان حزب البعث الانتهازى ـ فى محاولته لكسب مزيد من التأييد ـ قد أقام تحالفا مع الشيوعيين الأمر الذى استغله الشيوعيون لصالحهم بسبب حسن تنظيمهم فلم تمض فترة قصيرة حتى استطاعوا السيطرة على المراكز الحساسة فى الجيش السورى • ولما كان استقرار الأمور فى سوريا من المســـائل التى تشغل بال مصر فانها اضطرت ألا تقف مكتوفة الأيدى أمام استحثاث حكومة سوريا لها خشية أن يسيطر الشيوعيون على البلاد • وهنا لم تجد مصر محيصا من أن تقبل الوضع غير المقبول وهو أن تعمل لذات القضية التى يعمل من أجلها حزب البعث • وكانت مصر على بينة من أن الوحدة ســـابقة لأوانها ولكنها اضطرت تحت ضغط الحكومة السورية ومتطلبات الظروف السياسية المعاصرة لأن تقبل الدخول فى وحدة مع سوريا • وبدا للعالم وكأن القومية العربية قد بدأت تستجم لتحقق أهدافها وتعلقت عقائدية حزب البعث العاجز بأهداب الزعامة المصرية التى تآمرت بحق على العرب من الفرات الى النيل • وقد أحست حكومتا العراق والأردن مغبة ذلك على مصيرهما فهرعت الى اتحاد يضمهما ـ كما ذكرت آنفا ـ علها تقدم بذلك دليلا على ولائها لفكرة الوحدة ولكن الرأى العام العربى استقبل هذا الاتحادعلى أنه خطوة دعتاليها الاعتبارات السياسية. فلم يصادف صدى فى الأوساط الثورية التحررية • وملكت الوحدة القلوب حتى انه عندما اكتشف العرب أن الملك سعود دفع شيكـــات على البنـــوك البريطانية بمبلغ مليون وتسعمائة ألف جنيه استرلينى لتأييد مؤامرة تسعى الى تحطيم الوحدة وقع الأمر موقع الكارثة على الأسرة المالكـــة السعودية مما اضطر الملك الى التنازل عن سلطاته للأمير فيصل الذى سعى حثيثا للعـــودة

ببلاده الى الصنف العربى مع مصر .

كذا هلع الرئيس اللبنانى شمعون لأصداء الوحدة فخرج ببلاده عـــن سياسة الحياد التقليدية التى كانت تسلكها لبنان فى الشئون العربية وانحاز الى الدول الغربية المعادية للوحدة واستثار التوتر بين المسيحيين والمسلمين . وقد أغرت هذه القلاقل نورى السعيد بأن يتخذها ذريعة لاقتحام ســوريا بحجة مساندة لبنان فأمر لواء بالتحرك الى الحدود السورية ، ولكن اللواء عسكر خارج بغداد مساء الثالث عشر من يوليو سنة ١٩٥٨ ثم دخل المدينة فى الصباح الباكر ليغتال الأسرة المالكة ونورى السعيد ويستولى على السلطة ، الأمر الذى وضع الأسرة المالكة فى الأردن فى مأزق خطر . ولذا اتجه كل من الملك حسين والرئيس شمعون الى الغرب فى طلب المساعدة فطارت قوات بريطـــانية الى الأردن ونزلت قوات الأسطول السادس الأمريكى فى لبنان . وقد خفف من هذا التوتر فى المنطقة قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة الذى صدر فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٨ يدعو الدول العربية الى مراعاة علاقات حسن الجوار فيما بينها ، وجهود الأمين العام للأمم المتحدة الذى طار الى الشرق الأوسط ليطمئن على تنفيذ القرار . ولكن هذا لم يمنع من تصدع الجبهة التقدمية فى المنطقة فقد أحزن عبد الكريم قاسم أن العراقيين ينظرون الى جمال عبد الناصر على أنه محررهم ولذا لم يؤيد العرض الذى قدمه زميله فى الكفاح عبد السلام عارف أثناء وجوده فى سوريا بالاتحاد مع سوريا ومصر . وشجعه على اتخاذ هـــذا الموقف الانفصالى الالحاح المريب الذى قام به حزب البعث لضم العراق الى نوع من الاتحاد مع سوريا ومصر وكذا الشيوعيون الدين نقموا على الوحدة أنهـــا حطمت نفوذهم فى سوريا . ولذا نجده يتهم عبد السلام عارف بالخيانة ويحكم عليه بالاعدام فى فبراير سنة ١٩٥٩ ويقضى على ثورة ذات ميول وحدوية قامت فى الموصل بضراوة أراقت سيلا من الدم العراقى العربى .

كذلك خاب فأل حزب البعث فى سوريا بعد أن فشل فى اجتذاب أنظار العراق الى وحدة تكون له فيها الكلمة العليا وبعد أن اتضح له أنه لم يعجز فحسب عن أن يصبح الحزب الحاكم فى سوريا بل كان عليه أن ينهى نشاطه شأنه شأن باقى الأحزاب التى ألغيت . هذا الى جانب أن الوحدة قد أزعجت

طبقة الملاك الاقطاعيين الذين توقعوا أن تطبق عليهم قوانين الاصلاح الزراعى ، وقد تأكدت مخاوفهم عندما نفذت تلك القوانين فعلا فى سبتمبر من ذات العام وقد صادف هذا سوء المحصول لعدة سنوات متلاحقة ولكن الانتهازيين استغلوا تلك الصدفة لالقاء مسئوليتها على الوحدة ٠ وراحوا يهربون الأموال من سوريا الى لبنان الأمر الذى اضطر الحكومة لأن تفرض قيودا على النقد فى فبراير سنة ١٩٦١ وقد استغلت هذه القيود كذلك للتأثير على الرأى العـــام الســـورى الحساس بطبيعته لشئون التجارة والمال ٠ وقد انضم رأس المال المستغل الى الاقطاع الزراعى فى حقده بعد أن صدرت قوانين التأميم فى يوليـــو سنة ١٩٦١ ٠

وكان طبيعيا أن تتحالف هذه القوى ضد الوحدة وأن تعمل فى الخفاء على فصم عراها واتصلت من أجل ذلك بفريق من الجيش استطاعت أن تستميله الى جانبها بقصد اعادة النظام القديم الى سوريا ٠ وهى بحكم تعرفها عـــلى العقلية السورية وطريقة الحياة السورية أكثر قدرة من الوحدة الحديثة العهد التى لم يكتب لها من العمر ما يكفى لتفهم تلك الحقائق بذات المستوى ، والذى يبدو أن الجيش السورى كان وقتئذ مقتنعا بشعارات الوحدة ولكنه لم يكن على استعداد للدفاع عنها ٠ وقد توقعوا أن تمالئهم العراق فيما يبيتون لتوتر العلاقات على نحو ما ألمحت ، هذا الى جانب غبار الرجعية الذى كان عالقا بالجو العربى العام وقتئذ ، الأمر الذى اعتبره الانفصاليون السوريون ظرفا مناسبا لتحقيق أغراضهم ٠

وفى الثامن والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٦١ تحركت حفنة من القوات السورية كانت *ترابض فى قطنة واتجهت الى دمشق حيث انضمت اليها* قوات أخرى وأعلنت شروطا لاستمرار الوحدة رفضتها مصر ٠ وهكذا انتكست الوحدة التى استشهد من أجلها آباؤنا وأجدادنا ٠ على أنه اذا كان نموذج من نماذج الوحدة قد اختفى فان نوره لا زال وضاء ينير الطريق أمام المخلصـــين لأن الوحدة العربية حقيقة من حقائق التاريخ وحتمية من حتمياته ، والعروبة لا تعتمد على الحكام ولكن على الشعوب ٠ ولعـــل الدرس الذى استفدناه من النكسة أن الطفرة في تطبيق الوحدة أمر غير مأمون العاقبة ٠

ومن الاستطراد الذى يقتضيه المقام أن أضيف أن حـــزب البعث الذى حطم الوحدة الأولى هو بذاته الذى عاد فحطم اتفاق الوحدة الثلاثية ، فقد جاء الى المفاوضات التى انتهت باتفاق الوحدة الثلاثية آملا أن يحصل من مصر على اعتراف صريح أو ضمنى بشرعيته ليستغل ذلك فى معركته من أجل السلطـة ولذلك واجهم الرئيس جمال عبد الناصر أثناء المفاوضات بأنه يريد وحدة مع سوريا وليس مع حزب البعث . ونظرا لأن اتفاقية القاهرة (الوحدة الثلاثية) لم تحدد على وجه الدقة شروط الائتلاف بين حزب البعث ومنافسيه فقد عمل حزب البعث ـ بعد انتهاء مفاوضات القاهرة ـ جاهدا لكى يحصل على أكبر كسب ممكن فى مراكز السلطة ولم يرعو عن أى طريق تصل به الى تصفيـة العناصر الصديقة لمصر لا سيما بعد أن تمكن من الامساك بزمام السلطة فى كل من سوريا والعراق معا(١) . ووصلت الحال الى ما وصفته جريدة الأهرام فى ١٦ مايو سنة ١٩٦٣ بأن البعث يخطط لاستثارة مصر كيما تنسحب من اتفاق الوحدة لأن سياسة البعث اتجهت الى القضاء على اتفاق الوحدة ولكنه أراد القاء التبعة على غيره .

وقد أعلنت مصر فى ١٩٦٣/٧/٢٢ أنها غير ملتزمة حيال حزب البعث وأن التزامها باتفاق الوحدة هو التزام قبل الشعب السورى ، وأن الوحدة مع سوريا لا يمكن أن تتحقق فى ظل المشانق وحمامات الدم والقتل الجمـاعى . وهذا التصريح لا يعنى الغاء اتفاق الوحدة الثلاثية من جانب مصر وانما هو تجميد للاتفاق الى أن تقوم فى سوريا حكومة شعبية تمثل الشعب تمثيـــلا صحيحا حرا . وهكذا أدت مواقف الأنانية التى اتخذها حزب البعث السورى الى القاء حجر عثرة فى طريق وحدة أخرى كان يمكن أن تتخـــذ سبيلها الى الوجود المجيد .

---

(١) من المعروف ان البعث هو الذى قام مع عبد السلام عارف بالاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم ولذا فان القيادة الدولية للحزب هى التى كانت توجه نشاطه في كـــل من البلدين الى أن تخلص منها عارف .

حرب اليمن

لم يكن اتحاد الدول العربية الذى جمع بين المملكة المتوكلية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة مولودا صالحا للحياة فقد كان اتحادا بين ملكية اقطاعية وبين اللب الثورى للعالم العربى وفعلا فقد عمت الاضطرابات اليمن فى سنة ١٩٦٠ وسحب الامام ممثله من القاهرة فى يونيو من ذات السنة الأمر الذى كان يعنى وضع نهاية فعلية لاتحاد الدول العربية . بيد أن هذا الاتحاد لم ينه رسميا الا فى ديسمبر سنة ١٩٦١ عندما تأكد للجمهورية العربية المتحدة أن امام اليمن انضم الى الاتحاد بقصد تحقيق القوة والسلطان لذاته لا لصالح الشعب العربى فى اليمن . فثمة ثلاثة أسباب بررت قرار الجمهورية العربية المتحدة بطلب حل الاتحاد العربى مع اليمن :

« أولا : ان الجمهورية العربية المتحدة على استعداد منذ الآن أن تدخل فى وحدة أو اتحاد مع أى بلد عربى الا على أساس من نضاله الشعبى نحو الكفاية والعدل وأنها ليست منذ الآن على استعداد للدخول فى تجارب وحدوية لاتخدم غير أغراض الحكام وتستغل ضد أمانى الشعوب .

« ثانيا : أن الجمهورية العربية المتحدة تعتقد أن سياسة مهادنة الرجعية التى رضت بها الجمهورية العربية المتحدة فترة من الزمن على أساس الخطأ فى التقدير وعلى أساس ضغط الظروف قد انتهت وأنها الآن بدورها كطليعة ثورية لا تقبل تجربة مهادنة .

« ثالثا : أن الجمهورية العربية المتحدة منذ اليوم الأول لتجربة اتحاد الدول العربية كانت تعرف حقيقة الأوضاع فى اليمن ولكنها تصورت - وأثبتت الظروف خطأ تصورها - أن اقتراب اليمن من القوة المتحررة فى العالم العربى قد يؤثر على الأوضاع فى اليمن ولكنها وجدت بالتجربة العملية أن فكرة الاتحاد ذاتها قد استغلت ضد الشعب اليمنى وضد ارادته ولصالح استمرار الأوضاع الرجعية فى اليمن وتجميد فاعليات العناصر الوطنية »(١) .

---

(١) نقلا عن جريدة الأهرام ، العدد الصادر يوم الجمعة ١٩٦١/١٢/٢٥ .

وزادت الأوضاع تأزما فى اليمن سنة ١٩٦١ رغم فرض منع التجول فى المناطق الوسطى والشمالية فى يوليو وكثرت حوادث الانفجارات لا سيما فى الحديدة عندما أصيب الامام أحمد اصابة خطرة توفى على اثرها فى ٩ سبتمبر ليخلفه فى الامامة ابنه محمد البدر ٠ بيد أن الثورة اليمنية عاجلته اذ لم يكد يمضى عليه فى الخلافة ثمانية عشر يوما حتى كانت قوات من الجيش اليمنى تقذف قصره بالقنابل فسلمت الحامية وأعدم من وجد فيه من أسرة الامام ٠ وقد ناشدت الثورة اليمنية الجمهورية العربية المتحدة أن تمـد لها يد المعـونه فاستجابت الجمهورية العربية لذلك النداء لأن المسألة بالنسبة لها كانت مسألة مبدأ لا يترك لها الخيار فكان لزاما عليها أن تتدخل لتأمين الثورة ضد امامة رجعية وفعلا أرسلت بعض القوات المصرية بالطائرات ٠ وفى الثامن من أكتوبر أفاد المراسلون الأجانب أن المقاومة انتهت فى اليمن فاستقبل العالم العربى هذه الأنباء عن سقوط الامامة بترحيب كبير ، ولم يخرج عن ذلك الاجماع الا حكومتا الأردن والسعودية ٠

ثم اتضح بعد ذلك أن البدر لم يمت كما كان معتقدا بل اعتصم بجبال شمال اليمن حيث انضم اليه عمه الحسن ونفر آخر من أسرته ، وقاد مقـاومة تؤيدها المملكة العربية السعودية بالمال والسـلاح ويشرف عليهـا ضباط بريطانيون من المرتزقة ٠ ومع ذلك فقد استطاعت قوات التحرير أن تسيطر - قبل نهاية السنة - على المثلث الذى يضم صنعاء وتعز والحديدة - بيد أن العارف بطبيعة جبال اليمن وطبيعة الشعب اليمنى يعرف أن تطهير جيوب المقاومة - على قلتها - لابد أن يستغرق وقتا لا يتناسب فى أمده مع قلة أهمية تلك الجيوب الاستنزافية ، وهذا هو الذى حصل ٠

وقد تقدمت السعودية فى يناير سنة ١٩٦٣ باقتراح مؤداه وقف كل تدخل أجنبى فى اليمن بعقيـدة أن الامام قادر - اذا توقف العون الخـارجى للثوار - على سحق الثورة وحـده ٠ وقد تابع يوثانت - الأمين العـام للأمم المتحدة - هذا العرض فأرسـل مساعده مستر رالف بانش للتبـاحث مع القاهرة ومع الجمهـوريين وقد أبدت الجمهورية العربية المتحدة اسـتعدادها لسحب قواتها اذا أوقفت السعودية مساعداتها للامام ٠ ولما أكد الأمين العـام

أنه تلقى من الجمهورية العربية والسعودية والجمهوريين استعدادهم لانهاء أعمال العدوان ، وافق مجلس الأمن على ارسال قوة قوامها مائتا شخص لخلق منطقة حرام بين اليمن والسعودية ٠ ولكن المهمة فشلت بسبب أن عدد القوات كان أقل من المناسب ثم ان نية الطرفين لم تكن صادقة فى وقف القتال قبل تحقيق النصر التام ٠

وفى سنة ١٩٦٤ اعترفت الأردن - تحت ضغط الرأى العام - بالنظام الجمهورى فى اليمن فبقيت السعودية وحدها فى موقفها من ذاك النظام(١) ٠

وقد انتهز الأمير فيصل فرصة تحسن الجو العربى بمناسبة عقد مؤتمر القمة العربى الأول للعمل من أجل احلال السلام فى اليمن ٠ وفعلا قام وفد مصرى بزيارة المملكة العربية السعودية فى مارس سنة ١٩٦٤ وانتهت الزيارة ببيان أكد فيه الطرفان أنه ليست لأى منهما مطامع ذاتية فى اليمن وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ٠ وفى سبتمبر اتفقت الجمهورية العربية والسعودية على العمل من أجل ايجاد تسوية ، وبناء على هذا التشجيع قبل الجمهوريون والملكيون - فى مؤتمر عقد بأركونفى السودان - وقف اطلاق النار وعقد مؤتمر سلام فى نوفمبر ٠ ولكن مؤتمر السلام هذا لم يعقد لأن الجمهوريين أصروا على ألا يكون أحد من أفراد أسرة الامام بين ممثلى الجانب الملكى ٠

وقد تكررت الجهود من أجل السلام بجدة فى أغسطس سنة ١٩٦٥ عندما تقابل الرئيس المصرى والملك السعودى واتفقا على وقف اطلاق النار فورا وانسحاب القوات المصرية حتى ٢٣ سبتمبر وتشكيل حكومة مؤقتة واجراء استفتاء عام لتحديد شكل الحكومة المستقبلة للبلاد ٠ وطواعية لذلك الاتفاق أرسل كل من الملكيين والجمهوريين خمسة وعشرين مندوبا الى مؤتمر للسلام فى حرضه شمال اليمن وكان ذلك فى نوفمبر ٠ ولكن أعمال المؤتمر

---

(١) وكادت الحرب الباردة بين الجمهورية العربية والسعودية أن تنقلب ساخنة فى أوائل سنة ١٩٦٤ عندما اتهمت السعودية القوات المصرية بالقاء القنابل على بعض القرى السعودية فى الجنوب الأمر الذى دعاها لاعلان التعبئة العامة ثم قيام قواتها بمناورات مشتركة مع القوات الامريكية وأخيرا - فى يونيو - طلبت حماية جوية أمريكية ٠

جمدت وتوقف فى أواخر ديسمبر بسبب اصرار الجمهوريين على ألا تكون الحكومة المستقبلة حكومة ملكية وعزوف الملكيين عن اجراء الاستفتاء العام الا بعد انسحاب القوات المصرية . فكان أن استؤنف القتال بين الطرفين مرة أخرى . وتعرضت العلاقات بين الجمهورية العربية والسعودية الى التدهور ثانية . وكان واضحا أن انسحاب القوات المصرية فى ذلك الوقت يعنى الالقاء بسنوات من التضحية فى اليم ازاء القبائل اليمنية التى لم تتأصل فيها المبادىء الجمهورية بعد بل وبعض الجمهوريين من ذوى الصبر النافد الذين هيىء لهم أن هذه الحرب الأهلية لن تكون لها نهاية . ولذا رفضت الجمهورية العربية أن تتابع جهود السلام التى بذلت فى سنة ١٩٦٦ على أساس الوصول الى اتفاق وسط مع الملكيين واتخذت قرارا قاطعا بالدفاع عن الثورة . ولذا رأت الجمهورية العربية أن بقاء قواتها لازم حتى تستقر مبادىء الثورة ويصبح النظام الجمهورى الذى يدين بمبادئها فى مأمن . وقد صفى الوضع بين الجمهورية العربية والسعودية بالاتفاق الذى أبرمه الطرفان أثناء انعقاد مؤتمر القمة الثالث فى الخرطوم فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

مؤتمرات القمة :

شهدت نهاية عام ١٩٦٣ مزيدا من الفرقة بين الدول العربية : الحزازات مستعرة بين سوريا وبين الجمهورية العربية والعراق ، الجمهورية العربية والسعودية فى نزاع من أجل مستقبل اليمن ، الجزائر والمغرب يتضاربان بشأن الحدود ، والخلاف يستعر بين الجزائر وتونس ، تونس والمغرب على علاقات فاترة منذ أن اعترفت تونس باستقلال موريتانيا . الجمهورية العربية لم تكن علاقاتها ودية بالأردن وتونس وكذا كانت سوريا مع الأردن والمغرب ، سوريا تتبادل الاتهامات مع لبنان بشأن مشاكل الحدود . ومن بين الدول الثلاث العشرة الأعضاء فى الجامعة العربية كانت ثلاثة فقط هى التى ترتبط بباقى الدول بعلاقات مرضية ، تلك هى : الكويت والسودان وليبيا . ولعل أمر هذه الخلافات كان الخلاف القائم بين الحكم فى سوريا وبين الجمهورية العربية المتحدة . وكانت الجامعة العربية فى حالة جمود بسبب مقاطعة العراق

لها ثم مصر فى سنة ١٩٦٢ أما الأولى فقد قاطعتها بسبب مسألة الكويت(١) ، وأما الثانية فبسبب سوريا(٢) ، حتى أن البعض بدأ ينظر الى الجامعة على أنها عقبة في سبيل الوحدة العربية أكثر منها أداة مساعدة من حيث أنها تبارك السيادات المستقلة لأعضـــائها وتمنع كلا من التدخل في شئون الأخرى ٠ ولكن حافزا فرض نفسه على المجتمع العربي فى ذلك الوقت ليدفعه الى تناسى خلافاته ، ذلك هى اسرائيـــل التى كانت توشك على الانتهاء من مشروعهـا لتحويل مياه نهر الأردن من حوض خزانها الطبيعى فى بحر الخليل(٣) ٠ ذلك أن اسرائيل كان لديها مشروع بأن تحصل على تسعمائة وعشرين مترا مكعبا من مجموع مياه نهر الأردن المتوفرة وقدرها ألف وثلاثمائة متر مكعب ، ورغم أن الخطة التى كانت تنفذ استهدفت سحب مائة وثمانين مترا مكعبا فحسب الا أن العرب خشوا أن يكون قصد اسرائيل النهائى هو تحويل مجرى النهر كاملا وما يستتبع ذلك من افقـــار الأردن المجدبة وتيسير الأوضـــاع لهجرة يهودية واسعة النطاق ، لذا كان لابد من مجابهة اسرائيل فى محاولتها هـذه قبل أن تضع العالم أمام الأمر الواقع ٠ وازاء التمزق الذى كان يعانيه العالم العربى كما ذكرت فى الوقت الذى يجب أن تجتمع فيه الكلمة لاتخاذ موقف عربى موحد مشترك ـ دعـا الرئيس جمـــال عبـد الناصر فى خطـــاب له من بور سعيد (ديسمبر سنة ١٩٦٣) الى عقـــد اجتماع يضم ملوك العرب ورؤسائهم للقيام بعمل عربى موحد يواجه عدوا ناسرائيل بتحويل مياه نهر

---

(١) ذلك أن عبد الـكريم قاسم طالب بالـكويت كجزء من الاقليم العراقى وقرن مطالبته بالتهديد الأمر الذى دعى الكويت الى طلب حماية القوات البريطانية فكان إن قررت الجامعـة العربية ارسال قوات أمن عربيـــة الى الكويت لحماية استقلالهـا على أســاس أن الانضمام الى العراق لا يكون بالقوة وانما عن طريق استعمال حق تقرير المصير ٠

(٢) ذلك أن سوريا شكت الجمهورية العربية المتحدة الى جامعة الدول العربيـــة مدعية أن الجمهورية العربية المتحدة تتدخل فى شئونها الداخلية ٠ وقد عقد مجلس الجامعة اجتماعا لنظر الشكوى فى شتورة بلبنان ٠ وقد اتهمت سوريا الجمهورية العربية بأنها تتآمر فى السر مـع أمريكا على اهمال القضية الفلسطينية وقد آلم هذا القذف الجزافى وفد الجمهورية فخرج من الجلسة احتجاجا على اتخاذ الجامعة وسيلة للحط من قدر الدول الأعضاء فيها ٠

(٣) لا أريد الدخول هنا فى تفاصـــيل النزاع الطويل العربى الاسرائيلى بشأن مياه نهر الاردن ، ولكن يهمنى أن أقرر هنا أن العرب لم يوافقوا على أى مشروع لاستفادة اسرائيل بمياه نهر الأردن ٠

الأردن ، ويضع مشكلة فلسطين عموما في وضعها الصحيح . وقد نقعت هذه الدعوة غلة الرأى العام العربى الذى كان حزينا لما وصلت اليه العلاقات العربية فلم يجد زعماء الدول العربية مندوحة من الاستجابة لهذه الدعوة . واجتمع المؤتمر في القاهرة خلال الفترة من ١٣ الى ١٦ يناير سنة ١٩٦٤ ، وجاء في البيان الصادر عن ذلك الاجتماع أن اجتماع الملوك والرؤساء العرب قد أفضى الى الاتفاق « على انهاء الخلافات وتصفية الجو العربى من جميع الشوائب وايقاف جميع حملات أجهزة الاعلام ، وتوثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ضمانا للتعاون البناء الجماعى ، ودرءا للمطامع التوسعية العدوانية التى تتهدد العرب جميعا على السواء » . وبجانب هذا فقد أصدر المؤتمر قرارات لعل أهمها :

١ - تنفيذ المشروعات العربية بشأن استغلال مياه نهر الأردن وروافده لصالح العرب تحت اشراف هيئة تتمتع بالشخصية الاعتبارية . واعتماد مبلغ ستمائة وخمسة وعشرين مليونا من الجنيهات الاسترلينية لهذا الغرض . وتهدف المشروعات العربية أساسا الى تحويل الروافد الأساسية للنهر - بانياس والحصبانى - والحد من صبه في بحيرة طبرية. ومفروض أن تؤمن هذه المبالغ أساسا من الكويت والسعودية .

٢ - ونظرا لأن تنفيذ المشروعات العربية يستغرق حوالى ثلاث سنوات ، ولم يكن متوقعا أن تقف اسرائيل مكتوفة الأيدى أمام العمل العربى خلال هذه المدة فقد اتفق على انشاء قيادة عربية موحدة لحماية المشروعات العربية .

٣ - انشاء كيان فلسطينى يجمع ارادة شعب فلسطين ويقيم هيئة تطالب بحقوقه .

٤ - انشاء لجنة خاصة تشكل من مبعوثين شخصيين للملوك والرؤساء العرب ينضم اليهم ممثل فلسطين لدى مجلس الجامعة وتجتمع برئاسة الأمين العام للجامعة لمتابعة تنفيذ قرارات المجلس .

٥ - تنشيط الجهود الاعلامية لشرح قضية فلسطين وقيام وزراء خارجية

الدول العربية بزيارة مختلف العواصم لكسب التأييد الأدبى للقضية ٠

٦ - تعهدت الدول العربية بأن ترتب علاقاتها السياسية والاقتصادية مع غيرها من الدول على أساس موقف هذه الدول من الحقوق العادلة والمشروعة لشعب فلسطين ٠

وقد أعلن المؤتمر أمله فى أن تؤيد الدول الأفروآسيوية والدول الحرة المؤمنة بالسلام القائم على العدل ، موقف العرب فى نضالهم العادل ٠

ونظرا لأن « عقد مزيد من هذه الاجتماعات على أعلى المستويات أمر تقتضيه المصلحة العربية العليا » فقد اتفق على أن يجتمع الملوك والرؤساء مرة فى السنة على الأقل ، وتقرر أن يكون الاجتماع التالى بالاسكندرية فى أغسطس سنة ١٩٦٤ ٠

وقد شاء حسن الطالع أن يتحقق الكثير مما تقرر فى مؤتمر القمة العربى الأول اذ صفى الجو العربى من كثير من مظاهر التوتر التى كانت تسوده وأنشئت الهيئة التى ستشرف على المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الأردن وكذا القيادة العربية الموحدة ٠

« وانعقد المؤتمر الوطنى الفلسطينى فى القدس فى ٢٨ مايو سنة ١٩٦٤ ، وأنشئت نتيجة له « منظمة التحرير الوطنية الفلسطينية » واتخذت الخطوات لتدعيم الجيش الفلسطينى ٠

« وعملت معاهدة الوحدة الاقتصادية ، ووقعتها خمس دول هى الجمهورية العربية المتحدة والعراق والأردن وسوريا والكويت ، ثم انضمت اليها فيما بعد الجزائر ٠ وتم تكوين مجلس الوحدة الاقتصادية العربية الذى عقد دورته الأولى فى يونية ١٩٦٤ ، وتم الاتفاق فيه على انشاء السوق العربية المشتركة ٠ وعقدت عدة اتفاقيات اقتصادية أخرى مثل أنابيب البترول العربية ، وشركة حاملات البترول العربية ، وشركة الملاحة العربية ، وشركة الطيران العربية الموحدة ٠ وفى الطريق انشاء المؤسسة العربية للانماء لتعمل

على تمويل المشروعات الاقتصادية العربية ، وكل هذه الشركات والمؤسسات ما زالت فى انتظار التصديق عليها من الدول العربية لتوضع موضع التنفيذ ٠

« وأبرمت اتفاقية الوحدة الثقافية لمؤتمر وزراء التربية والتعليم والمعارف العرب الذى انعقد فى بغداد فى مارس سنة ١٩٦٤ ، وصدق عليها مجلس الجامعة فى مايو سنة ١٩٦٦٤ ، وكذلك انشاء المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم ، أو اليونسكو العربى ، وهى فى انتظار تصديق بقية الدول العربية عليها »(١) ٠

وقد عقد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الثانى بالاسكندرية فى موعده المحدد تقريبا (خلال الفترة من ٥ الى ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٤) ٠ وقد أكملت قرارات المؤتمر الثانى قرارات المؤتمر الأول فيما يتعلق بدعم « التضامن والعمل العربى المشترك » وزيادته قوة وفعالية ٠

وقد أصدر المؤتمر قرارات تتعلق بتصفية الاستعمار وانهاء القواعد العسكرية الاستعمارية المتبقية فى الوطن العربى ، وتقوية التضامن الأفروآسيوى ، والى جانب هذا قرر :

١ ـ تحديد الهدف القومى فى تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى والالتزام بخطة العمل العربى المشترك ، سواء فى المرحلة الحالية التى وضعت مخططاتها أم فى المرحلة التالية التى تقرر الاعداد لها ، وتنفيذ المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الأردن ٠

٢ ـ الترحيب بقيام منظمة التحرير الفلسطينية دعما للكيان الفلسطينى واعتماد انشاء جيش التحرير الفلسطينى ٠

٣ ـ متابعة الاتصالات والدراسة تمهيدا لتنفيذ مبدأ تنظيم علاقات الدول العربية بالدول الأجنبية على أساس موقفها من قضية فلسطين والقضايا العربية الأخرى ٠

---

(١) نقلا عن أبو الفتوح رضوان ـ المرجع السابق ، ص ٤٩٠ ـ ٩١ ٠

٤ - تقديم المساعدات لحركة التحرير فى الجنوب العربى ٠

٥ - العمل على دعم العمل العربى الموحد فى نطاق الجامعة العربية سياسيا ودفاعيا واقتصاديا واجتماعيا ، وتأليف مجلس عربى مشترك للبحوث الذرية للأغراض السلمية فى نطاق الجامعة العربية ٠

٧ - انشاء محكمة عدل عربية ٠

٨ - اعتبار الاعتداء على أى دولة عربية اعتداء على الدول العربية كلها تلتزم جميعا برده فورا ٠

وتوطيدا لذلك الاتجاه الوحدوى قرر المؤتمر أن يجتمع مجلس الملوك والرؤساء دوريا فى شهر سبتمبر من كل عام ، كما قرر انشاء هيئة تنفيذية تتشكل من رؤساء الوزراء أو نواب الرؤساء فى الدول أعضاء الجامعة تجتمع كل أربعة أشهر للبت فى الأمور العاجلة وتباشر تنفيذ الخطط المقررة ٠

ولكن هذا المجلس الوليد لم يكد يحبو خطوات على طريق الوحدة حتى تعثر من جديد اذ لم يقدر له أن يعقد بعد ذلك الا دورة ثالثة فى الدار البيضاء فى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ ثم حالت الخلافات التى أطلت مرة أخرى على العالم العربى دون عقد الدورة الرابعة التى كان مقدرا لها أن تجرى فى الجزائر فى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٦ بعد أن أعلنت الجمهورية العربية المتحدة عدم استعدادها للمضى فى سياسة اجتماعات القمة بسبب عدم اطمئنانها لاخلاص بعض الحكام العرب ٠

وقد نجحت السودان - بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ - فى أن تقنع الحكام العرب بلقاء على مستوى القمة فى مؤتمر اجتمع فى الخرطوم فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٦٧ ٠ وقد توصل المؤتمرون الى ابرام اتفاقية الدعم المالى للدول التى تعرضت للعدوان الاسرائيلى ، كما كان فرصة هيأت لعقد اتفاقية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بشأن اليمن٠

وقد دعى الى عقد اجتماع للمجلس فى أوائل سنة ١٩٦٨ ولكن موقف بعض الدول العربية أدى الى تأجيل الاجتماع الى موعد يحدد فيما بعد ٠

وقد طالعتنا الصحف العربية مؤخرا بأن وزراء الخارجية والدفاع العرب قد وافقوا على توجيه الدعوة الى الملوك والرؤساء العرب لعقد مؤتمر القمة الخامس ، وأن الرأى قد استقر على أن يعقد المؤتمر فى أيام ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ديسمبر القادم فى مدينة الرباط بعد أن تنازلت الجمهورية السودانية للمغرب عن استضافة المؤتمر .

وبجانب التوصية بعقد المؤتمر والقرارات السرية التى اتخذها الوزراء فقد أصدروا كذلك القرارات التالية :

١ - فشل الحل السلمى ووصوله الى طريق مسدود وأن الطريق الوحيد أمام العرب هو طريق التعبئة والقوة والحشد والاعداد لأعمال مادية جدية منظمة .

٢ - دعم الثورة الفلسطينية بكل طاقات الأمة العربية .

٣ - دعم الصمود العربى فى الأراضى المحتلة .

٤ - اعتبار موقف الولايات المتحدة بالسماح للمواطنين الأمريكيين بالعمل فى الجيش الاسرائيلى عملا عدوانيا(١) .

وقد نشرت الصحف العربية كذلك جدول أعمال المؤتمر الذى وضعه وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الأركان فى اجتماعات مجلس الدفاع المشترك ، ويتضمن :

١ - حشد أقصى الطاقات العربية سياسيا وعسكريا واقتصاديا من أجل معركة تحرير الأرض .

٢ - دعم المقاومة الفلسطينية وتوفير كافة الامكانيات المادية والسلاح اللازم لها فى نضالها ضد العدو .

٣ - دعم قدرة الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة على الصمود .

وقد أرفقت بالجدول مذكرتان من منظمة التحرير الفلسطينية باحتياجات العمل النضالى على أرض المعركة ومتطلبات الصمود للشعب الفلسطينى(٢) .

---

(١) عدد جريدة الأهرام الصادر يوم الثلاثاء الموافق ١١ نوفمبر ١٩٦٩ .

(٢) عدد جريدة الأهرام الصادر يوم الأربعاء الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٦٩ .

وقد اجتمع المؤتمر فعلا فى الرباط ولا زال منعقدا وهذه الصفحات ماثلة للطبع .

الفصل الرابع

في

ارساء قواعد القانون الدولي العربي (١)

« منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول »

الفرع الأول

في

عجالة عن البترول العربي في العلاقات الدولية(١)

شغل الناس في العصر الوسيط بالبحث عن اكسير الحياة الذي يمنحهم نعمة الشباب الدائم وعن حجر الفيلسوف الذي يحيل المعادن الأساسية الى ذهب ، فلما كشفت البشرية عن الزيت وجدت فيه ضالتها المنشودة فهو أثمن فائدة من حجر الفيلسوف . فالزيت ـ الذهب الأسود ـ عليه تعتمد حضارتنا اليوم أكثر من اعتمادها على أية سلعة أخرى فليس هناك من شيء تقريبا لا يستطيع الزيت أن يحققه . كان في القرن الماضي الغاز الذي يمدنا بالضوء قبل أن نعرف الكهرباء ثم أصبح وقود المواصلات في البر والبحر والجو بل والفضاء . وهو الآن عصب التزليق في العالم والمزود الأساسي بالحرارة والطاقة للصناعة . بل حرق الزيت الآن قد يكون تبديدا فالزيت أكثر فائدة من ذلك كمادة كيماوية خام فهو الأساس الذي تصنع منه منتجات البلاستيك والنيلون والتريلين وغير ذلك من الألياف الصناعية وكذا المخصبات

---

(١) راجع في هذا : Engler, Robert: The politics of oil, The University of Chicago Press, 1961.

Longrigg, Stephen Hemsley: Oil in the Middle East, Oxfort University Press, 1968.

وكذا النشرات البترولية ، وأكثرها صلة بالبترول العربي هي نشرة The Middle East Economic Survey

التي تصدر في بيروت .

ومبيد الأعشاب الضارة بالنباتات وهو قريب من أن يصبح مصـدرا أساسيا للبروتين • ومع الزيت يوجد الغاز الطبيعي الذى يعتبر أكثر كفاءة كمصـــدر للطاقة • والواقع أن الزيت أصبح موجها أساسيا للاقتصاد العـــالمى بعد أن فرض نفسه على قطاعات الصناعة الآلية الحديث منها والتقليدى وفتح بابا غير محدودة للصناعات الكيماوية ولعب دورا جوهريا فى الحروب وشـــكل حيـاة انسان القرن العشرين(١) •

وزيت البترول ترجمة للفظة الأفرنجية Petroleum ، التى تتكون من مقطعين : Petro وتعنى الصـــخرة ، Oleum أى الزيت • فكأن هذه المـادة ذات الشأن الخطير فى السلم والحرب عبارة عن زيت يستخرج

---

(١) تنافس البترول ـ كمصدر للطاقة ـ مصادر آخرى • فهنـــاك الطاقة الذرية حيث تم الآن بناء مصانع ذرية كبيرة فى مناطق الاستهلاك الكهربى الكبير ولا تزيد تكلفة انتاجها عن تكلفة انتاج المصانع التى تدار بوقود الزيت • ومن المقدر أن ١٥٪ من القوة الكهربائية فى الولايات المتحدة • ويعتبر وقود الزيت الذى تتنافس معه الطاقة الذرية أرخص المنتجات البترولية ثمنا •
المتحدة • ويعتبر وقود الزيت الذى تتنافس معه الطاقة الذرية أرخص المنتجات البترولية تمنا •
على أن الطاقة تحتاج الى مواد خام توجد فى الطبيعة بكميات محدودة ومن ثم فمآلها الى الزوال فى عالم يستخدم لتوليد الطاقة مادة لا تنفد مثل الهيدروجين • هذا فضلا عن أن تحويل كثير من معدات استهلاك البترول الى معدات استهلاك بالطاقة الذرية يحتاج الى أمد غير قصـــير • وقد أثبتت تقارير المؤتمر العلمى الذى عقد فى فيينا ســـنة ١٩٥٦ أن محطات القـــوى الذرية التى ستشيد فى أوربا خلال العشرين السنة التالية لن تمد الدول الأوروبية بأكثر من ٨٪ من مجموع حاجتها من الطاقة ، وهذا ما تؤيده الحقائق الى الآن •

هناك مصدر آخر للطاقة هو الشمس اذ يقدر ما يسقط من أشعة الشمس على المتر المربع من سطح الكرة الأرضية بحوالى ١ر٧ مليون كيلووات ، الا أن هذه البحوث لا زالت فى مراحلها الأولى بحيث يصعب الحكم على مدى جدواها الاقتصادية •

أما المنافس الحقيقى للبترول فهو قرين يعثر عليه عادة مرتبطا بالزيت ، ذلك هـــو الغاز الطبيعى • والغاز الطبيعى هو هيدروكربون فى حالة غازية وهو ينافس كلا من الوقود الصناعى وزيوت التدفئة المنزلية • وقد ثبتت فعالية منافسته فى أمريكا وهو بصدد ذلك فى أوروبا الأمر الذى شجعت عليه اكتشافات الغاز الطبيعى فى هولندا وفى بحر الشمال • وقد ظلت تكاليف نقل الغاز المرتفعة عائقا دون الوصول به الى أسواقه حتى طورت طريقة نقله ســائلا فى ناقلات مبردة وقد طبقت تلك الطريقة تطبيقا تجاريا لأول مرة فى مصـــنع أرزو بالجزائر الذى يسيل غاز حقل حسى رمل على بعد خمسمائة ميل من البحر المتوسط ثم يشحن الى فرنسا وانجلترا • ويوجد مصنع مماثل فى ليبيا • بيد أن الغاز الطبيعى السائل عملية تحتاج الى رأس مال أكبر وتعود بأرباح أقل من انتاج الغاز الخام •

من الصخر • وقد عرف الانسان زيت البترول منذ آلاف السنين ، وكان يخرج تلقائيا من مكامنه فى باطن الأرض على صـــورة سائل أو غاز • فاستعمله البابليون فى البناء لأربعة آلاف سنة قبل الميــلاد ، واستخدمه المصريون فى التحنيط على عهد تحتمس الثالث (٣٥٠٠ ق٠م) • كما دعت نيران غازاته المشتعلة الناس فى فجر التـــاريخ الى تقديسها وعبادتها فى كـــل من باكو وايران ، تلك النار التى أسماها الروم بنار الاغريق • وجعل منه الهنود الحمر طلاء الحرب • بيد أن صناعة البترول الحديثة لم تبدأ الا فى عام ١٨٥٩ عندما نجح الكولونيل دريك ـ كما كان يحلو له أن يسمى نفســـه ـ فى حفر أول بئر لاستخراج البترول الخام فى مدينة تيتوسفيل ببنسلفانيا •

أما ولزيت البترول تلك المكانة السياسية والاقتصادية فى العــــلاقات الدولية فانها نعمة السماء أن تكتشف معظم حقول الزيت فى الوطن العربى(١) فى بلاد كان لابد أن تعانى الفقر والفاقة لجدب الطبيعة وقلة الموارد فأصبحت بفضله تستطيع أن تتحكم فى مقدرات دول أكثر ثراء وامكانية ، الأمر الذى تؤكده نظرة سريعة الى الامكانيات البترولية للعالم العربى •

تقول تقديرات سنة ١٩٦٧ ان الاحتياطى الثابت الذى كشف عنه فى البلاد العربية المطلة على الخليج العربى تنـــاهز ٣٠ بليون طن من مجمــــوع الاحتياطى العالمى البالغ ٤٨ بليون طن ، وأن الانتاج الحالى فى الوطن العربى يربو على المليون ونصف المليون طن يوميا من مجموع الانتاج العالمى اليومى الذى قد لا يتجاوز أربعة ملايين طن • ومن المتوقع أن يصل استهلاك العـــالم من النفط سنة ١٩٧٥ الى مليــــارين من الأطنان سنويا ســيكون نصفه من البترول العربى • فلا عجب اذن أن يشــكل البترول العربى ظاهرة واضحة فى تموين الولايات المتحـــدة الأمريكية ، وسيظل الأمر هــكذا ما لم يكشف المستقبل عن مفاجآت ليست فى الحسبان • ويقول مستر اكس ـ رئيس هيئة

---

(٢) يوجد أكبر احتياطى للبترول فى العالم فى الحوض الرسوبى الذى تحده جبال طوروس وتركيا من الشمال وجبال لبنان وسوريا والمرتفعات السعودية من الغرب وسلسلة جبال ايران ومسقط وعمان من الشرق • وفى هذا الحوض يقع وادى نهرى دجلة والفرات والخليج العربى •

احتياطيـــات البترول فى أمريكا - ان على أمريكا اذا ما نشبت حرب عالميـة ثالثة أن تلجأ الى استخدام البترول الذى يملكه الغير حتى يصير فى مقدورها مواصلة القتال ، ويضيف مستر اكس أن عاصـــمة البترول تتجه الى الشرق الأوسط ٠

وحيث أن الولايات المتحدة هى الآن دولة مستوردة للبترول(١) فطبيعى - كما قال Friedrich Wilhelm Fernau - أن يأتى تمـوين أوروبا بالبترول عن طريق البحر المتوسط بعد أن كان يعتمد كلية - قبل الحرب - عـــلى ما يرد اليهـــا عبر الأطلنطى ٠ وأن يعترف André Giraud - أحد المسئولين بوزارة الصناعة الفرنسية - بأن فرنسا فى حاجة لأن تجد كل ثلاث سنوات بئرا كبئر حاجى مسعود وأن تبنى مصفيين كمصفى فزين لكى تواجه حاجاتها البترولية ٠ والواقع أن أوروبا الغربيـــة تستورد قرابة ثلاثة أرباع حاجاتها البترولية من الوطن العربى وعليها أن تمد البصر الى نصف قرن قادم على الأقل فى اعتمادها على البترول العربى ٠

ليس هذا فحسب بل ان أوروبا الشرقية تفتح مزيدا من الامكانيـــات للبترول العربى ذلك أن روسيا - التى تصدر اليوم حوالى ٤٥ مليون طن - ستزداد حاجتها الى البترول لتصل الى ٥٦٠ مليون طن ســـنة ١٩٨٠ حيث سيكون انتاجها وقتئذ حوالى ٣٥٠ مليون طن أى بعجز قدره ١٦٠ مليون طن تقريبا ٠ كما أن التقديرات أن باقى دول أوروبا الشرقية ستكون وقتئذ فى حاجة الى استيراد مائة مليون طن من الزيت سنويا ٠ وهذا يعنى انه بحلول سنة ١٩٨٠ ستضاف الى السوق العالمية للبترول سوق أوروبا الشرقية التى تتطلب قرابة ٢٥٠ مليون طن سنويا على وجه التقريب ٠ وفى تعبير آخر فان اعتماد أوروبا على البترول العربى لن يقتصر على جزء دون آخر منها بل سيمتد من غربيها الى شرقيها ، وأن المستقبل الاقتصادى لكل من أوروبا الرأسمالية والشيوعية يعتمد على علاقاتها البترولية مع البلاد العربية(٢) ٠

---

(١) تشير أحدث التقديرات الى أن حاجة الولايات المتحدة الى البترول المستورد لسد حاجاتها الاستهلاكية سيرتفع الى ٢٦٥ مليون طن عام ١٩٨٠ ٠

(٢) Tugenhadt, Christoper : **Oil, the biggest business**, London, 1968.
Dubreuil, Jean : **Le Pétrole Arabe dans la guerre**, Paris, pp. 10-11.

ولا ترجع حاجة أوروبا للبترول العربى الى الثروة البترولية الضخمة القابعة فى تلك البقاع ، بل هناك أيضا سبب لا يقل أهمية عن هذا السبب وهو رخص تكاليف انتاج البترول العربى ، الأمر الذى يستتبع امكانية بيع البترول العربى بسعر تنافسى • فثمن البرميل من البترول الأمريكى فى بريطانيا يتجاوز ٣½ دولار وثمن برميل الزيت الكاريبى هو ثلاثة دولارات فى حين أن ثمن برميل الزيت الكويتى حوالى دولارين وربع الدولار • ومعنى ذلك بلغة الأرقام أن بريطانيا تستطيع أن توفر حوالى ٦٠٠ مليون جنيه باستيرادها البترول العربى بدلا من الأمريكى(١) •

ولا يقف اهتمام الغرب بالبترول العربى عند حد أنه مصدر رئيسى للطاقة التى تعتمد عليها البلاد الغربية اعتمادا أساسيا ، بل أن البترول يشكل بجانب هذا موردا ماليا حيويا للاقتصاد الغربى(٢) عن طريق الأرباح التى تحققها الشركات الغربية التى تنتج البترول العربى والتى قدرت - عن مرحلة الانتاج فحسب - بمليارين ونصف المليار من الدولارات عن عام ١٩٦٧ ، وكذا الرسوم والضرائب التى تحصلها الدول المستوردة على ما يدخل اليها من بترول عربى ، وقد بلغت هذه الرسوم والضرائب حوالى عشرة مليارات من

---

(١) أورد هنا للمقارنة تكاليف انتاج البرميل الواحد بالسنت فى بعض مناطق العالم حسب تقديرات سنة ١٩٦٧ :

معدل الشرق الأوسط ١٥ ، فنزويلا ٥١ ، آندونيسيا ٨٢ ، الولايات المتحدة الامريكية ١٣١

وأضيف الى ذلك أن متوسط الانتاج اليومى للبئر فى الشرق العربى هو ٤٥٠٠ برميل مقابل ٣٠٠ برميل فى فنزويلا وخمسة عشر برميلا فى الولايات المتحدة الامريكية • هذا الى جانب أن معظم آبار البترول العربية ذات سيولة ذاتية فى حين أن البترول يضخ من الآبار الامريكية ومن نسبة عالية من آبار فنزويلا • ثم ان كمية كبيرة من الزيت العربى تنتج من أماكن قريبة من الفرضات البحرية وهذا يقلل تكاليف شحنها • ومن الأمور التى لابد من أن تدخل فى الاعتبار ضآلة الكمية التى يستهلكها العرب من بترولهم قياسا الى مجموع الانتاج ، وتقدر هذه النسبة بحوالى ٢٪ من الانتاج الكلى •

وتدل الاحصائيات على أن البترول العربى فى الشرق العربى يتمتع بسيطرة فى السوق العالمية وأن معظم هذا البترول يصدر حاليا الى أوروبا الغربية واليابان حيث لا يوجد احتباطى طبيعى الأمر الذى يجعل اعتماد هذه الأسواق على البترول العربى اعتمادا كليا •

(٢) راجع مقال الأستاذ نيقولا مركيس - البترول العربى فى ميزان القوى بين العرب واسرائيل ، مصر المعاصرة ، عدد يوليو ١٩٦٩ ، ص ٦٢٩ - ٤٥ •

الدولارات فى أوروبا الغربية وحدها لعام ١٩٦٧ · هذا فضلا عمـــا يعود الى البلاد الأوروبية من أرباح البلاد العربية من البترول وذلك بسبب ما تستورده الأخيرة من معدات وخبرات أجنبية · وطبيعى أنه كلما زاد انتـــاج البترول العربى كلما زادت استفادة الاقتصاد الغربى ·

وعلى ضوء هذه الحقائق يتبين لنا أن استخدام البترول كسلاح لردع الغرب لا يتأتى فقط عن طريق المقاطعة التى هى الوجه السلبى لقوة البترول كسلاح بل يتأتى كذلك عن طريق امساك العرب بزمام الأمور والاســـتفادة بالدور الايجابى الذى يلعبه البترول فى الاقتصاد الغربى من حيث أنه ـ كما قلت ـ محور جوهرى فى العـــلاقات الاقتصادية والســـياسية بين العرب والغرب · فاذا اســـتطاع العرب سن سياسة وطنية واعية أمكنهم اتخـاذ البترول كأداة فعالة فى المفاوضة والمســـاومة مع الغرب فمن يعـادى العرب يعرض نفسه لخسارة الكسب الاقتصادى الكبير الذى يمكن أن يحققه عـــلى نحو ما ذكرت ، ومن يساعد العرب يفتح لنفسه بابا لتحقيق هذا الكسب · وهذا الدور الايجابى هو المجـــال الجوهرى الذى يمكن أن تؤدى فيه منظمـة الأقطار العربية المصدرة للبترول ـ محل دراسة هذا الفصل ـ دورا فعالا · ويقوى المركز التفاوضى للعرب فى هذا المجال أن يمسكوا بزمام الأمور وذلك بتحويل اتفاقيات البترول من امتيازات الى مجرد عقود حيث أن الامتياز يميل بطبيعته الى وضع جزء من اقتصاد الاقليم تحت نفوذ عوامل اقتصـــادية قد لا تكون للسلطة المحلية السيطرة الكافية عليها · ثم ان الامتيـــاز يبرم بين ندين وكأن الشركة الأجنبية لها من السيادة ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع الحكومة المحلية · وانصافا للحق فان الدول العربية تتجه قدر المستطاع الى تعديل الأوضاع وتلافى مخاطر الامتيازات قدر المستطاع ، ويتضح هـــذا لمن يقارن عقود الامتيازات القديمة بعقـــود الامتيازات الحديثة · فقـد كانت الامتيازات القديمة تتميز بالطابع الاحتكارى حيث تنفرد شركة واحدة بالامتياز (كما هو الحال فى الكويت والبحرين) · وما من شك أن هذا الانفراد يضع الشركة فى مركز أقوى · وقد بدأت هذه الظاهرة الاحتكارية فى الزوال اذ تفتت الدول العربية الآن المناطق التى تمنح عليها الامتيازات كما أصبح على

شركة الامتياز أن تتخلى دوريا عن نسبة معينة من منطقة الامتياز غير المستغلة حتى تفسح المجال للشركات الأخرى كى تتقدم لاستثمار المناطق المتخلى عنها . كذلك لم يعد الامتياز ـ كما كان من قبل طويل الأمد (٩٩ سنة فى قطر ، ٧٥ سنة فى العراق ، ٦٦ سنة فى السعودية) اذ تتراوح مدته الآن بين ٢٥ ، ٤٠ سنة . ومما يلفت النظر فى المقارنة أن عددا من البلاد العربية يشترط أن تساهم الحكومة ـ أو مؤسسة عامة وطنية ـ فى رأس مال الشركة طالبة الامتياز فقد احتفظت المملكة العربية السعودية بحقها فى أن تساهم فى رأس مال الشركة الفرنسية أوكسبرت بنسبة يمكن أن تصل الى ٤٠٪ (اتفاقية سنة ١٩٦٥) . كما أن المؤسسة العامة (السعودية) للبترول والمعادن تستطيع ـ باختبارها ـ أن تساهم فى رأس مال شركة ايطالية أمريكية تعمل فى الربع الخالى بناء على اتفاق أبرم فى ديسمبر سنة ١٩٦٨ . بل أكثر من هذا فان هناك اتجاها بدأ وهو أن تصبح الشركة الأجنبية برأسمالها وخبرتها مقاولا يعمل لحساب الدولة أو المؤسسة العامة الوطنية كما هو الحال بالنسبة للاتفاقية التى أبرمتها شركة ايراب الفرنسية مؤخرا . ويمكن أن نقول فى ايجاز ان الوطن العربى ينتقل من مرحلة الامتياز التقليدى الى مرحلة العقد الادارى .

ولكن هذه الجهود لم تستأصل تماما سيطرة المصالح الأجنبية على استثمار البترول العربى[1] .

وفى تقدير أهمية البترول العربى فى العلاقات الدولية يجب ألا نشغل بالنا بمشكلة الفائض فى الانتاج البترولى فان تلك المشكلة فى رأى الخبراء لا وجود لها بل قد يكون العكس هو الذى يشغل فكر الاقتصاديين . فحسب احصاء Sir Steohen Gibson الرئيس السابق لشركة IPC فان الاستهلاك العالمى للبترول سيصل سنة ١٩٨٠ الى حوالى بليونين وثمانمائة وخمسين مليون طن ثم يزداد بسرعة بعد ذلك ليصل الى خمسة بلايين من الأطنان سنويا ، وتلك التوقعات الضخمة هى التى جعلت التنقيب عن البترول لا زال أهم أوجه نشاط صناعة البترول العالمية اذ تنفق عليه ما يقرب من نصف رأس المال المستثمر ، ويقدر ما أنفق حتى الآن على أعمال

---

(١) سأعرض لمزيد من التوضيح فيما بعد .

الكشف والتنقيب البترولية بمبلغ مائة وخمسين بليــون دولار أمريكي(١) وتشير البحوث العلمية الى أن سدس مساحة اليابسة والجرف القاري تحتوي على زيت البترول والغاز الطبيعي في حين أن الذي جرى التنقيب فيه حتى الآن لا يتجاوز ٥٪ · وتتوقع الاحتمالات العلمية العثور على مائة بليون طن في أعماق الجرف القاري التي لا تتجاوز ألف قدم · ومع هــذه الاحتمالات لابد أن نتوقع اكتشاف البترول في خارج منــاطق انتــاجه التقليــدية ، وقد يؤدي هذا الى التقليــل من اعتمــاد أوروبا الغربيــة واليــابان على المجموعة التقليدية - ومن بينها البــلاد العربية - للمنتجين · ولــكن أحدا لا يتوقع أن تسفر الكشوف العلمية عن آبار في مثل ثراء ورخص البترول العربي · ففي منطقة رمال القار في أثاباسكا بشــمال كندا ومكامن الزيت الحجري في الولايات المتحــدة الأمريكية توجد كميات للزيت قد تفوق بترول العرب ولــكن فصــل الزيت من الرمل في أثاباسكا **Athabaska** واستخراجه من الصخور الحجرية في أمريكا يجعل تكلفة انتاجه غير تجارية(٢)

---

(١) حسب تقرير للبنك الامريكي Chase Manhattan فان الدولار الامريكي الذي يخرج من الولايات المتحدة للاستثمار في أعمال البترول يعود اليها ثانية بعد ثلاث ســنوات · والواقع أن الحصة التي تحصل عليها الدولة المنتجة من الأرباح لا تقاس بمجمــوع ما تحققه الشركات المنتجة من أرباح فالبرميل من الزيت الخام الذي يبــاع مكررا في أوروبا بمبلغ ١١ دولارا تحصل عليــه الدولة المنتجة ضريبة لا تتجاوز ثلاثة أرباع الدولار أي حــوالي ٦ر٧٪ من السعر الذي يدفعه المستهلك ، ثم تأتي بعد ذلك الأرباح التي تتحقق من تصنيع المواد المكررة والتي تحصل منها الدولة المنتجة نصيبا · ولذا فان واقــع ما تحصل عليــه الدولة المنتجة قد لا يصل الى ٥٪ من الأرباح التي تحققها الشركات المنتجة · وهذا هو الذي دفع الحكومات العربية لأن تشترط في السنوات الأخيرة على شركات الامتياز الأجنبية أن تدفع ضريبة عن عملياتهــا البترولية المتكاملة التي تبدأ من الانتاج فالنقل فالتكرير فالتصنيع ·

(٢) البترول خليط من الهيدروكربونات السائلة ، فاذا جاء اليوم الذي لا يمكن فيه انتاج البترول بكميــات كافية لمقابلة الحاجة العالمية فهنــاك مكونات هيدروكربونية أخــرى يمكن استخدامها · تلك الهيدروكربونات الأخرى توجد في الرمال والحجر الصخري والفحم · ففي مقاطعة البرتا بكندا يوجد حوالي ٧٠٠ بليون برميل من الهيدروكربون السائل كامنة في رمال القار في أثاباسكا · كذلك توجد في الجبال الصخرية في الولايات المتحــدة الامريكية أكثر من ٣٠٠ بليون برميل من الهيدروكربون السائل محتجزة في تكوينات صخور النهر الأخضر · وقد بدأ مصنع في سنة ١٩٦٧ باستخراج ٤٠٠٠٠ برميل يوميا من الهيدروكربون السائل في رمال القار في أثاباسكا ولكن تكاليف الانتاج مرتفعة · كذلك هناك مكامن للفحم كبــيرة منتشرة في العالم يمكن أن يستخرج منها الهيدروكربون الســائل اذا ارتفعت أسعاره كثيرا أو اكتشفت الوسائل العلمية لجعل تكاليف انتاجه تنافسية · وعلى كل فهذه المصادر للهيدروكربون السائل هي منافس له امكانياته المحدودة بالنسبة للمصادر الطبيعية للبترول ·

ومثل عملي يزكي هذه النظرة أن شركة برتش بتروليوم تملك باحتياطيهـــا الكثير من الزيت في الكويت أكثر مما تحتاج ولكن هذا لا يعزيها فهي تشترى رغم ذلك زيتا من الشركات المنافسة لكي تمد شبكة توزيعها الـــكبيرة وتلك ظاهرة تدور ، فكل شركة بغض النظر عن انتاجها تحاول أن تحصـــل بقدر الامكان على موارد بترولية قريبة من أسواقها ٠

على أن هذا لا يعنى أن البترول العربى يتمتع باحتكار لا ينـــافس فى الأسواق العالمية اذ يجب أن نضـــع فى اعتبارنا الظروف التى تسيطر عـــلى السياسة العالمية البترولية ٠

ولعل من أبرز هذه الظروف ما يسمى بالحلف أو الكارتل العالمى الذى يضم شركات البترول السبعة الكبرى التى اشتهرت باسم « السبعة الكبار » و « الشقيقات السبعة » ، الذى استطاع منذ زهاء ربع قرن أن يحكم قبضته على سوق البترول العالمية(١) ٠ بيـــد أن نفوذ الكارتل العالمى وقدرته عـــلى التسلط قد تأثرت بالمنافسة التى يلقاها الآن لا سيما من الشركات المستقلة مثل فيليبس وأوكسدنتال وكذا من المؤسسات الحكـومية العـــامة لا سيما الفرنسية ايراب Erap والايطالية اينى Eni ، هـــذا الى جانب المؤسسات العامة الوطنية فى البـــلاد المنتجة للبترول ٠ والتى جرى العرف البترولى على تسميتها جميعا « القادمين الجدد New Comers "

ويمكن أن نضيف الى ذلك منافسة البترول السوفيتى حاليا اذ يباع بأسعار تقل عن الأسعار العالمية بما متوسطه ١٠٪ وبشروط أفضل أحيانا ٠ وكذا جهود المنظمات البترولية الدولية ٠

(١) تعود قضية ذلك الحلف الى ١٩٢٨/٩/١٧ عندما وقع رؤساء شركة استاندرد أويل أف نيوجرسى وشل وانجلو ايرانيان اتفاقا عرف باتفاق اشناكارى (نسبة الى القصر الذى وقع فيه) يقيم تحالفا يجمع هذه الشركات ويوزع بينها سوق البترول العالمية على أساس حصة لكل منهـا فى الحال والاستقبال ٠ وقد أصبح هذا الحلف سباعيا بانضمام شركات تكساس وسوكونى فاكوم وستاندرد أويل أف كاليفورنيا اليه بمقتضى اتفاقيتين أبرمتا فى عامى ١٩٣٢ ، ١٩٣٤ ٠ ورغم أن الناطق باسم شركة ستاندرد أويل أف نيوجرسى أعلن سنة ١٩٣٨ أن الاتفـــاق قد ألغى الا أن العمل والواقع يؤكد أن هذه الشركات لا زالت ترسم سياستها على أساسه ٠ ولعل من الأمثلة الواقعية لنفوذ هذا الكارتل محاربته للبترول الايرانى خلال الفترة ٥٤/٥١ عندما أممت ايران بترولها ٠

كذلك يجب ألا يغرب عن بالنا ـ ونحن نقوم دور البترول العربى فى العلاقات الدولية ـ أن كثيرا من الدول المستهلكة تصر على الشركات فى أن تنوع مصادر وارداتها وهو أمر يلقى هوى فى نفس الشركات أيضا بعد أن ارتبط البترول بسياسة التحرر فى الشرق الأوسط . فقد قرر العرب سنة ١٩٦٧ وقف ضخ البترول للدول التى ساعدت اسرائيل فى عدوانها وواجهت بذلك أوروبا أزمة وكان على ناقلات الزيت أن تعدل من خط سيرها لتمر برأس الرجاء الصالح . وتلك كانت هى المرة الثالثة فى ست عشرة سنة . كانت الأولى سنة ١٩٥١ عندما انقطع الزيت الايرانى بسبب تأميمه ، والثانية عندما أغلقت قناة السويس سنة ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى على مصر . وازاء هذا فقد وجهت صناعة الزيت جهودها بعد أزمة سنة ١٩٦٧ للبحث عن مصادر جديدة وتمثل نجاحها الأساسى فى ليبيا ونيجيريا حيث كشفت آبار أقرب الى السوق الأوروبية من آبار الخليج العربى وليس على زيتها أن يمر بقناة السويس . ولكن هذا الكشف لا يعنى التقليل من أهمية الزيت الذى تنتجه مناطق أخرى من العالم العربى فالبترول فى منطقتى الوطن العربى هذين يتكامل من حيث الخصائص ومن ثم فان أحدهما لا يغنى عن الآخر فضلا عن أن منطقة وحدها لا تستطيع أن تسد الحاجات العالمية المتزايدة . وكل ما قد يكون لهذه الكشوف من أثر هو التخفيف من حدة اعتماد أوروبا على بترول الخليج العربى لفترة قصيرة من الزمن فحسب وقت الأزمات(١) أما الكشوف الحديثة الهامة الأخرى فى أستراليا وكندا فليس لها دور على المسرح العالمى وقت الأزمات اذ تقتصر جدواها الأساسية على الاقتصاد المحلى فتساعده على التقليل من اعتماده على الواردات وهذا يعنى زيادة الفائض فى أجزاء أخرى من العالم .

ولقد كان للثروة البترولية الضخمة التى تكمن فى الوطن العربى

---

(٢) من الجدير بالذكر أن الجمهورية العربية المتحدة بصدد تنفيذ مشروع خط أنابيب بين السويس والاسكندرية لربط البحرين الأحمر والمتوسط وقد وقع الاختيار على مجموعة شركات « سوسيا » لتنفيذ المشروع وينتظر توقيع العقد النهائى قريبا ثم تبدأ المجموعة على اثره فى تنفيذ المشروع الكبير الذى تقدر تكاليفه بحوالى ٦٠ مليون دولار .

آثارها فى حياة المنطقة الاقتصادية والسياسية(١) ٠ فالبترول بما يحققه من دخل كبير يلعب دورا هاما فى ميزان المدفوعات بالنسبة للبلاد العربية المنتجة للبترول عن طريق المدفوعات المباشرة التى تتلقاها حكوماتها ، هذا فضلا عن الانفاق المحلى على الانتاج والمنشآت والقروض التى تعقدها بعض الحكومات بضمان انتاجها البترولى وكذا الفوائد التى تجنيها الدول التى يعبر البترول أقاليمها ٠

ليس هذا فحسب بل ان للبترول دورا فعالا فى الأخذ بيد التقدم الاقتصادى والرفاهية الاجتماعية فى المنطقة(١) ٠ وهكذا نستطيع أن نقول أن البترول الذى يعتبر أكبر صناعة موجودة فى الوطن العربى ـ وان كان مصدر ثروة للوطن العربى ـ الا أنه يمكن أن يكون مبعث خسر وركيزة استعمارية اذا غفلت الدول العربية عنه ٠ فهو مثل حى للتأثير المتبادل بين مجتمعين متباينين اذ هو من جهة مبعث تطور تقنى واقتصادى داخل مجتمعات تعيش غالبيتها على اقتصاد بدائى زراعى تجارى ، وهو من جهة أخرى يتم استغلاله بواسطة رأس مال أجنبى وتحت ادارة غير عربية فى مناطق تكافح من أجل استقلالها وحريتها وهو ـ مهما كان أريحيا واعيا ـ لا يعدو أن يكون عنصرا أجنبيا فى مجتمع يسوده اصرار على التحرر من الاعتماد على القوى والنفوذ

---

(١) أسوق على سبيل المثال الدخل الذى حققته أكثر الدول العربية انتاجا للبترول : فقد دخل للكويت فى العام الماضى حوالى ٨٠٠ مليون دولار ، ورصدت ليبيا فى ميزانيتها للعام المالى ٧٠/٦٩ مبلغ٣٥٦ مليون دينار ليبى (الدينار الليبى يعادل٨ر٢ دولارا) كدخل لها من البترول والغاز الطبيعى ، واقترب دخل السعودية عن العام المنصرم من بليون دولار ٠ وقد صرح وزير الصناعة والبترول والثروة المعدنية فى الجمهورية العربية المتحدة أن الجمهورية قد حققت دخلا قدره ٠٠٠ر١٠١ر١٣ جنيه من صادرات البترول فى العام الماضى (جريدة الأهرام ـ عدد الثلاثاء الموافق ١٩٦٩/١١/٢٥) ٠

وفى تقديرى أن هذه الحقيقة خلقت سوابق أرست قاعدة عرفية من قواعد القانون الدولى بمقتضاها تلتزم الدول العربية الغنية بمواردها الطبيعية بأن تقدم الدعم المالى اللازم للدول العربية الأخرى التى تدعوها ظروف قاهرة الى اعتياز ذلك الدعم بوصف أن هذه الثروة فى أصلها ملك للأمة العربية ٠ ومن السوابق التى أسوقها هنا ـ مؤيدة لما أقول ـ قرار مؤتمر القمة العربى الأول الذى حمل الكويت والسعودية العبء الأكبر فى تكاليف تنفيذ المشروعات العربية لتحويل مجرى نهر الأردن ، وقرار مؤتمر القمة العربى الرابع الذى فرض على الكويت والسعودية وليبيا تقديم دعم مالى للدول التى كانت محل العدوان الاسرائيلى ٠ ومن ثم فان الالتزام بتقديم الدعم لم يعد محل مناقشة وانما المفاوضة تجرى فقط بالنسبة لتحديد مداه المادى٠

الأجنبيين . ولا أكون مبالغا اذا قلت ان امكانيات الوطن العربى ــ التى عرفناها آنفا ــ تؤهله لأن يحتل مكانه تحت الشمس كقوة فعالة فى العلاقات الدولية اذا صفت النوايا وصدقت العزائم وتطهرت النفوس[1] .

---

(١) جاء فى كلمة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر خلال حديث صحفى نشر فى١٥/٢/١٩٥٣ قول سيادته « الا أننا نرى كل يوم برهانا جديدا على قوتنا وطاقتنا المادية والمعنوية ، وهـذا السائل الأسود الذى ينبثق اليوم فى أرضنا فيشعل نارا ونورا وانتاجا للحركة ، ويجعل أفئدة من الناس تهوى الينا وتسعى فى مرضاتنا وتلتمس أسباب الرزق بيننا ، ليقدم لنا برهانا جديدا على ما نستطيع أن نفعله لو أننا استكملنا أسباب الايمان بأنفسنا ، ولن نستكمل أسباب هـذا الايمان حتى نؤمن ابتداء بأننا أمة ... أمة واحدة » .

الفرع الثاني

فى

دراسة وجيزة لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول

نبذة عن تاريخ المنظمة :

دعت الظروف العالمية بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ الى انقسام الدول الأعضاء فى منظمة الأوبك(١) فريقين : فريق الدول العربية والفريق المقابل ٠

---

(١) الأوبك هو الاسم الذى اشتهرت به منظمة الأقطار المصدرة للبترول ولفظة «الأوبك» OPEC هى اختصار الاسم الكامل للمنظمة Organization of Petroleum Exporting Countries وقصة قيامها تعود الى الهبوط الذى طرأ على أسعار البترول فى عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ٠ ذلك أن الحقيقة الأساسية فى اقتصاديات صناعة البترول هى أن العثور على حقل بترول وتطويره قد يكلف ثروة ضخمة ولكنه اذا وجد فان تكاليف انتاجه قليلة نسبيا ٠ ولذلك فان شركات البترول المستقلة عندما بدأت منافستها فى السوق العالمية اتجهت الى الأسواق الاوروبية الكبرى لتبيع بأى سعر يحقق لها ربحا وكانت النتيجة أن هبط سعر الطن سنة ١٩٥٩ من ١٤٢ ماركا ألمانيا فى فبراير الى ٦٠ ماركا فى النصف الثانى من السنة ٠ كذلك كان على الشركات الكبرى التى تواجه هذه المنافسة أن تواجه منافسة أخرى من البترول السوفيتى الذى كان يحاول استعادة ما كان له من مركز قبل الحرب فى السوق العالمية ٠ كما أثار هبوط سعر المنتجات المكررة مشاكل سياسية واقتصاديه ٠ معروف فى السوق العادية أن انخفاض أسعار المواد المصنعة يؤدى الى انخفاض مماثل فى سعر المواد الخام ، ومن ثم فقد كان على الشركات أن تخفض أسعار الزيت الخام ولكن الحكومات رفضت أن تقبل ذلك عند تحصيل الضريبة اذ فرضت الضريبة على السعر الرسمى المعلن (بغض النظر عن السعر المتحقق الذى جرى البيع به) وهذا معناه أن شركات تسويق البترول كان عليها أن تشترى الزيت الخام بأسعار مرتفعة وتبيعه بسعر منخفض ولم تأبه الشركات المنتجة كثيرا لذلك حتى كانت صفقة البترول الروسى مع الهند فى مايو سنة ١٩٦٠ التى بيعت بتخفيض قدره ١٤٪ عن السعر المعلن لزيت الشرق الأوسط ثم بمزيد من التخفيض قدره ٤ر٥٪ فى ٩ أغسطس اذ اضطرت شركات البترول الى تخفيض السعر سنة ١٩٦٠ ٠ وقد نظرت الدول المنتجة للبترول الى هذا التخفيض نظرة جدية اذ أنه فضلا عن أنه يقل عن السعر المعلن بمتوسط تراوح بين ٢٪ ، ٥ر٥٪ (حوالى ٩ سنت سنة ١٩٥٩ للبرميل ثم ٨ سنت أخرى) فانه جرى دون أن تستشار — وفى هذا جرح لكبرياء هذه الدول — وهذا يؤثر على اقتصادها الذى يعتمد أساسا على دخلها من البترول ٠ فكان أن دعت الحكومة العراقية — فى ٥ سبتمبر ١٩٦٠ — الدول الكبرى الى اجتماع عقد فى بغداد لاتخاذ اللازم نحو منع الشركات من اتيان موقف هكذا فى المستقبل من جانبها وحدها كما حصل ٠ وانتهت الى ان أسلم اجراء هو

وذلك بمناسبة قرار الدول العربية بعـــدم ضخ البترول العربى للـدول التى ساعدت اسرائيل فى عدوانها الأمر الذى اســتغلته دول أخرى - مثل ايران وفنزويلا - لصالحها مخالفة ذلك مبادىء منظمة الأوبك • وكان واضـــحا من هذه التجربة أن صالح الدول قد يتعارض تعارضا جذريا مع الدول الأعضـاء فى الأوبك ومن ثم فان الحكمة تقتضيها أن تتسلح لمثل هذا الوضع ان تكرر بوحدة تجمع كلمتها وتقف بها صفا واحدا ازاء المعارض • ولـــكنها رأت فى ذات الوقت أن صالحها يدفعها ألا تنفصل عن الأوبك وأن تستمر فى عضويتها تسير على مبادئها ولا تخرج عن قراراتها • ومن هنا نبتت فكرة انشاء منظمة تضم أساسا الدول العربية الأعضاء فى الأوبك وترتبط فى سياستها العـامة بسياسة منظمـــة الأوبك • وقد تبلورت الفكرة فى ذهن المملكة العربيـــة السعودية فقدمتها مشروعا باتفاقية الى كل من الكويت وليبيا فى نهاية صيف عام ١٩٦٧ • وتناقشت الدول الثلاث فى المشروع ثم انتهت الى اتفاقية وقعها مندوبون عن الدول الثلاث فى ١٩٦٨/١/٩ بمدينة بيروت تقوم بمقتضـــاها منظمة باسم « منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول » •

أن تكون الدول الكبرى المنتجة للبترول جبهة موحدة حتى لا تتمكن الشركات بعـــد ذلك من أن تضرب دولة بالأخرى كما حصل أثناء أزمة عبـــدان • وكانت نتيجة مداولات الدول هـو انشاء منظمة الأوبك •

وفى ١٩٦٠/٩/٢٥ أعلنت البلاد الـــكبرى المنتجة للنفط وقتئذ وهى : المملكة العربيـــة السعودية والجمهورية العراقية وايران وفنزويلا والكويت اتفاقها على انشاء تلك المنظمـــة التى نص على أن غايتها الأساسية هى توحيد السياسات البترولية للأقطار الأعضاء وتمهيد أحسن السبل للمحافظة على مصالحهـا منفردة ومجتمعة • وتتجمع وسائل الأعضـــاء لتحقيق أغراض المنظمة حول :

أ - المحافظة على أسعار ثابتة للبترول بعيدة عن كل تذبذب لا ضرورة له •

ب - اعادة الأسعار الحالية الى المستويات التى كانت سائدة قبل التخفيض •

جـ - تحديد الانتاج ليحافظ على مصالح الدول المنتجة والمستهلكة على حد سواء •

د - اتخاذ موقف جماعى حيال الشركات المنتجة للنفط •

وتقوم الأمانة العامة لهذه المنظمة حاليا فى مدينة فيينا •

ومن الجدير بالذكر أن منظمة الأقطار العربية للبترول اشتهرت باسم قريب من الأوبك وكثيرا ما يثير الخلط عند عدم التدقيق وهو « الأوابك » •

اهداف المنظمة :

تنص ديباجة اتفاقية انشاء المنظمة على « ان الأقطار العربية المصـــدرة للبترول والموقعة على هذه الاتفاقية ٠٠٠٠٠٠

« ووعيا بأن البترول ثروة آيلة للنضوب وأن ذلك يلقى عليهـــا ازاء الأجيال المقبلة تبعة الحفاظ عليـــه ومسئولية اســـتثمار الثروة المتـأتية منه استثمارا اقتصاديا متنوعا فى مشاريع انتاجية وانمائية تتوفر لهـــا مقومات الحياة والازدهار ٠

« واعتقادا بأن الافادة الرشيدة من هـــذه الثروة ترتبط بالدور الذى يقوم به البترول فى خدمة اقتصاديات البلدان المستهلكة له وبالتالى بمراعاة المصالح المشروعة لتلك البلدان فى تزويد أســـواقها بالبترول بشروط عادلة تعود بالنفع والخير على الانسانية ٠

« ومساهمة فى تطوير صناعة الزيت العالمية وازدهارها ٠٠٠ » ٠

كما تقرر المادة الثانية من الاتفاقية ـ تحت عنوان « المنظمة وأهدافهـــا وصلاحياتها » ـ أن « هدف المنظمة الرئيسى هو تعاون الأعضـاء فى مختلف أوجه النشاط الاقتصادى فى صناعة البترول وتحقيق أوثق العـــلاقات فيما بينهم فى هذا المجال وتقرير الوسائل والسبل للمحافظة على مصالح أعضائها المشروعة فى هذه الصناعة ، منفردين ومجتمعين ، وتوحيـــد الجهود لتـأمين وصول البترول الى أسواق استهلاكه بشروط عادلة ومعقولة وتوفير الظروف الملائمة لرأس المـــال والخبرة المستثمرين فى صـــناعة البترول فى أقطار الأعضاء ٠٠٠ » ٠

ومن الديباجة والنص نســـتطيع أن نقول ان للمنظمة ثلاثة أهـداف رئيسية هى(١) :

---

(١) تنص الفقرة الثانية من المادة الثـــانية من اتفاقية انشاء المنظمة على أن على المنظمـــة ـ تحقيقا لأهدافها ـ أن تتوخى على وجه الخصوص :

(أ) القيام بمشروعات مشتركة تحقق للأعضاء استثمارا اقتصاديا منوعا يخفف من اعتمادها على البترول كمصدر وحيد للدخل وتبعا تقلل من سرعة استنفادها له وتطيل أجل استثماره فتترك منه للأجيال المقبلة ما تلقيه عليها تبعاتها حيال تلك الثروة القابلة بطبيعتها للنضوب ·

والاتفاقية صريحة فى أن المشروعات التى تنشئها المنظمة مشروعات ذات طبيعية اقتصادية وتنحصر فى مجال البترول ، ومن ثم فان نشاط المنظمة لا يمتد الى المجال السياسى · بيد أن المعروف أن البترول يميل الى التحكم فى السياسة ويمس المصالح الحيوية للدولة المعنية · فكما يقولون اذا سألت رجل البترول عما اذا كان هو أو مؤسسته ذات علاقة بالسياسة ، فانه يجيبك بجواب رجل الأعمال اذا سألته عما اذا كان سلوكه لا يتفق وآداب المهنة أو اذا استفسرت منه عما اذا كان أحد أعوانه مريبا · ولكن الزيت صناعة مزدهرة تحتاج فى تحقيق أهدافها الى مباركة الرأى العام والحكومة ولذا فان من الأوليات التى تكشف عنها دخيلة صناعة البترول - بغض النظر عما يتغياه الزيت من أغراض أو ما يحققه من انجازات - هو أن المؤسسات المعنية بشئونه ليست ضالعة فى السياسة بقدر ما أنها هى بذاتها مؤسسات سياسية كما أنها مؤسسات اقتصادية · ان القرارات التى تتخذها تلك المؤسسات لها أثرها الواسع على الاقتصاد القومى بأسره وهذا هو الذى يجعل من الصعب أن نفصل بين المظاهر الخاصة والمظاهر العامة لسلوك المؤسسات البترولية · فاذا ما اعترفنا بتلك الحقيقة يجب أن نعترف معها بأن المؤسسة البترولية تولى اهتماما كبيرا للرأى العام وتهتم بالمحافظة على البناء الاجتماعى الذى

« أ - اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنسيق السياسات الاقتصادية البترولية لأعضائها ·

ب - اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالتوفيق بين الأنظمة القانونية المعمول بها فى الأقطار الأعضاء الى الحد الذى يمكن (المنظمة) من ممارسة نشاطها ·

جـ - مساعدة الأعضاء على تبادل المعلومات والخبرات واتاحة فرص التدريب والعمل لمواطنى الأعضاء فى أقطار الأعضاء التى تتوفر فيها امكانيات ذلك ·

د - تعاون الأعضاء فى حل ما يعترضهم من مشكلات فى صناعة البترول ·

هـ - الافادة من موارد الأعضاء وامكانياتهم المشتركة فى انشاء مشروعات مشتركة فى مختلف أوجه النشاط فى صناعة البترول يقوم بها جميع الأعضاء أو من يرغب منهم ذلك » ·

يسمح لها بالسيطرة على الرأى العام . ومن ثم فان شكل المؤسسة البترولية كجهاز سياسى يتخذ مظهره المستمد من الحق الطبيعى للمالك المؤيد بالعلم الموجه بأشخاص همهم الأول هو تحقيق الربح يزكيه القانون بحقوق تؤكدها اتفاقية أو عقد أو ما الى ذلك . وعلى هذا فان نشاط المنظمة وان كان بحسب النص نشاطا بتروليا اقتصاديا الا أنه يرتبط ارتباط وثيقا بالمجالات السياسية وتبعا فلا يمكن أن نقلل من أهمية الدور السياسى الذى يمكن أن تؤديه هذه المنظمة فى واقع العلاقات الدولية للأقطار الأعضاء فيها .

والمشروعات التى تنشئها المنظمة مشروعات مشتركة - أى يسهم فيها الأعضاء - ولكن النص لا يلزم الأعضاء جميعا بالمساهمة فيما تنشئه المنظمة من مشروعات بل ترك ذلك لخيار الأعضاء من شاء منهم ساهم ومن لم يشأ لا يسهم . ولذا فان مؤدى المادة الخامسة من الاتفاقية أن يتم انشاء هذه المشروعات بمقتضى اتفاقيات تبرم بين المنظمة وبين الأقطار الأعضاء . وتجرى المنظمة فى هذه المرحلة المبتدئة من حياتها على الاستعانة بالمؤسسات العامة الوطنية فى الأقطار الأعضاء التى تنشغل بشئون البترول لاقتراح ودراسة المشروعات المشتركة التى يمكن أن تنشئها(١) . ولذلك يمكن أن أقول ان المؤسسات البترولية العامة الوطنية تقوم بالنسبة للمنظمة بدور الوكالات المتخصصة من حيث أن هذه المؤسسات تضطلع بتبعات واسعة فى شئون البترول لحساب حكوماتها وأن هناك تعاونا يتم فى مجال تخصص هذه المؤسسات بينها وبين المنظمة التى تضم هذه الحكومات . واذن فالمؤسسات الوطنية تجمع لحكوماتها الخبرة العملية ، والمنظمة تمنح هذه الحكومات مزايا المساومة الجماعية(٢) .

---

(١) توجد فى كل من الدول الثلاث المؤسسة للمنظمة مؤسسة عامة وطنية للبترول ففى الكويت توجد المؤسسة الوطنية الكويتية للبترول وفى السعودية توجد المؤسسة العامة للبترول والمعادن وفى ليبيا توجد المؤسسة العامة الليبية للبترول .

(٢) وقد سبق أن أوضح الأمين العام للمنظمة ، الشيخ أحمد زكى يمانى ، هذا الاتجاه فى محاضرة القاها بالجامعة الامريكية فى بيروت يوم ١٩٦٧/٤/١٦ بقوله :

"The more benefits we can get in the future from dyversifying ..., our sources of national income, the better off we shall be on all accounts. This will lead to a greater local oil consumption, and a stronger economy, and hence to a more intelligent ant fruitful policy".

ومن المشروعات المشتركة التي تدرسها المنظمة حاليا مشروع انشـــاء شركة لناقلات البترول ، وهذا المشروع يحسن أن تشترك فيه عدة دول حتى يقابل الامكانيات التى تملكها الشركات العالمية الكبرى ٠

ب ـ مراعاة المصالح المشروعة للمستهلك بتأمين وصـــول البترول الى أسواقه وبشروط عادلة ومعقولة ٠

ليس خفيا أن الدول الثلاث التى وضعت دستور المنظمة تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على البترول فى تحقيق وارداتها ، ومن ثم فان ايجاد أسواق للبترول هو من الأمور التى تستحوذ على اهتمامها وتستغرق شطرا غالبا من تفكيرها ٠ بيد أن قدرة هذه الدول على خلق أسواق لبترولها تحدها ظروف تحيط بصناعة البترول العالمية ٠ فانتاج البترول فى دولتين من هـــذه الدول ـ هى الكويت والسعودية ـ لا زال يحصل بناء على عقود الامتيازات التقليدية التى كانت نوعا من عقود الاذعان فى ظل الظروف التى عقدت فيها ٠ وحاملو هذه العقود هى الشركات العالمية الكبرى التي تسيطر على الجزء الغـالب من مقدرات السوق العالمية للبترول ٠ ولذا تحاول هـــذه الدول أن تتخلص من ربقة تلك الشركات عن طريق التعديل المتواصل فى أحكام امتيازاتها والدخول كشريكة ـ بنفسها أو بواســـطة مؤسساتها العامة ـ مـع شركات البترول الأجنبية المستقلة ٠ ولكن هذه المحاولات ما فتئت محـــدودة الأثر فالشركات الكبرى تسيطر على حوالى ٨٠٪ من انتاجها ٠ ولذا فان منافسة هذه الشركات ليس أمرا هينا فضلا عن أنه قد يعنى أن تضطر الدولة الى منافسة بترولهـا الذى تبيعه تلك الشركات فى الأســـواق التى تحتكرها تلك الشركات وهى سياسة قد تؤدى الى نتائج سيئة بالنسبة لدخل الدولة ٠ ولعـــل السوق المفتوحة لهذه الدول هى سوق الدول الشرقية حيث لا يوجد للشركات الكبرى نشاط بترولى وتستطيع الدول المصدرة للبترول أن تحصل من هذه السوق مقابل بترولها على سلع ومواد خام[1] ٠

---

(١) عقدت كل من الجزائر والسعودية والعراق صفقات مقايضة على كميات من بترولها مع رومانيا بمقتضاها تحصل رومانيا على كميات معينة من البترول لقاء سلع وخدمات تقدمها لهـذه الدول ٠

والحق أن ايجاد سوق خارجية للبترول ليس بالأمر الهين فهـو يقتضى انفاق مبالغ طائلة ما أحوج الاقتصاد الوطنى اليها فى بلاد نامية • ثم ان لهذه السوق مخاطرها ، وهذا هو ما تحققت منه الكويت عندما حصلت على حصة فى مصفاة أقيمت فى روديسيا اذ أغلقت تلك المصفاة عندما Umatli فرضت الجزاءات الاقتصادية على روديسيا(١) •

ليس هذا فحسب بل ان الدول المصدرة للبترول بدأت تواجه صعابا من قبل الدول المستهلكة التى تريد هى الأخرى أن تسيطر على السوق البترولية المحلية بدعوى أنها لا تستطيع أن تترك قطاعا هاما من الاقتصاد الوطنى فى أيد أجنبية • ولذلك نجد اتجاها فى دول الجماعة الاقتصادية الأوروبية الى رسم سياسة موحدة حيال استيراد البترول تقوم فى بعض البلاد ـ مثل ألمـانيا وبلجيكا ـ على فرض حماية جمركية لصالح الفحم وتقوم فى أخرى على انشاء شركات وطنية لتصريف بترولها (مثل فرنسا) وتقوم فى ثالثة على محاولة الحصول على البترول بأرخص الأسـعار الممكنة (ايطاليا) • ونحن نعرف أن أول من يتضرر من سياسة معادية أو مقيدة هى الدول العربية(٢) • حقا ان فى يد الدول العربية أن تمـارس ضغطا على الدول الأوروبيـة المستهلكة للبترول باتخاذ موقف جماعى • فقد أظهرت أزمة سنة ١٩٦٧ ضعف المقاومة

---

(١) يعتبر سوق جنوب أفريقيا ـ مثل أسواق أوروبا الشرقية ـ سوقا حرة من نشـاط الشركات الكبرى ولكن الدول العربية أحجمت عن الدخول فيـه بسبب موقف تلك الحكومة السياسى من التمييز العنصرى وسياستها حيال اقليم جنوب غرب افريقيا • وقد استغلت ايران هذا الوضع فدخلت هى هذه السوق ببترولها •

(٢) الواقع أن التحدى الجدى لن يأتى من قبـل دول أوروبا الغربية لأن حكوماتها غير مستعدة لانفاق المال اللازم لمقابلة مخاطر اتخاذ موقف معين فى صناعة البترول ، فضلا عن أن الشركات الأوروبية الكبرى تعارض الاتجاه الاقليمى فى صناعة البترول على أساس أن هـذا الاتجاه يحد من امكانيات الصناعة ويضعف من استقلالها • ولكن التحدى الحقيقى سـوف يأتى من اليابان التىلا تريد أن تتخلى عن سياستها التقليدية وهى عدم السماح للمصالح الأجنبيـة بالسيطرة على أى قطاع من اقتصادها • ونظرا لأن المصالح الامريكية كانت قد تمكنت ـ استنادا الى النفوذ الامريكى بعد الحرب العالمية الثانية ـ من التحكم فى بترول اليابان فقد بدأت اليابان سياسة جديدة مؤداها التحرر من تلك السيطرة ولذلك أعلنت برنامجا يقضى بأن تكون اليابان ـ بحلول عام ١٩٨٥ ـ قد أصبحت تسـيطر على ٣٠٪ من بترولها واعتمـدت لذلك البرنامج مساعدات تبلغ ١٩٠٠ مليون دولار •

التى تملكها أوروبا حيال هذا الوضع • بيد أن لهذا الضغط حسموما لأن الموقف العربى الجماعى لا يمكن أن يحقق آثاره كاملة الا اذا انضمت اليه باقى الدول الكبرى المنتجة للبترول أو معظمها وهذه خطوة من الصعب أن نتصور لها واقعا عمليا •

ثم ان على الدول العربية — وهى بصدد فتح أسواق جديدة لبترولها — أن تضع فى اعتبارها العقلية التى أصبحت تفكر بها الدول المستهلكة • فتلك الدول تخشى الآن من الاعتماد على مورد واحد فى تموينها بالبترول الأمر الذى قد يعرضها لمخاطر اذا ما دعت ظروف السياسة الى قطع هذا المورد ، لا سيما وأن البترول أصبح الآن من الأسلحة الاقتصادية التى يمكن تخويف الدول العاصية بها كما حدث بالنسبة لروديسيا • صحيح أن روديسيا مثل خاص ولكن احتمالات تكرره ليست ببعيدة فقد جرى كلام فى بعض الدوائر السياسية أثناء النزاع العسكرى الذى دار بين الهند وباكستان على أساس قطع البترول عن الدولتين المتنازعتين ، كما أنه ليس خافيا أن الولايات المتحدة انتهزت فرصة قطع البترول عن بريطانيا سنة ١٩٦٧ وراحت تهددها بالحد من تموينها بقصد الضغط عليها لتساير سياستها الخاصة •

وخلاصة القول أن العلاقات الدولية البترولية تعيش اليوم فى عالم قومى ، فكلما ازدادت الدول التى تنتج البترول أو تستهلكه كلما زادت رغبتها فى السيطرة عليه • وفى هذا المحيط يجب على المنظمة أن تعمل لتؤمن « وصول البترول الى أسواق استهلاكه بشروط عادلة ومعقولة » •

(ج) تطوير صناعة الزيت العالمية وازدهارها عن طريق توفير الظروف الملائمة لرأس المال والخبرة المستثمرين فى صناعة البترول فى أقطار الأعضاء • والنص بهذا العموم يمكن أن ينصرف الى رأس المال والخبرة سواء أكانت وطنية أم أجنبية ما دامت تستثمر فى صناعة البترول فى أقطار الأعضاء • وبديهى أن تطور رأس المال والخبرة فى هذا المجال هو من الأولويات التى يجب أن تهتم بها الحكومة المعنية دون حاجة الى نص على ذلك ، ولكن أهمية النص تبدو فى أنه يفرض التزاما مشتركا على الأقطار الأعضاء ، ولعل من أهدافه

الجوهرية هو تمكين الأقطار الأعضاء من تحريك رأس المـــال والخبرة من قطر يفيض فيه عن الحاجة الى قطر يكون فى حاجة(١) ، وتلك طبعا مسألة نسبية وفتح الباب للكفاءات العربية كى تجد مجالها فى خـــدمة البترول العربى عن طريق هذه المنظمة ٠

ومن الجدير بالذكر أن الاتفاقية حرصت فى مادتها الثالثة على أن تضع إطارا عاما لتحرك المنظمة فى تحقيق أهدافها ذلك هـــو مراعاة ما تتضـــمنه اتفاقية الأوبك من حقوق والتزامات العضوية وما تصدره الأوبك من قرارات وفرضت على أعضائها التمشى بموجب هذه القرارات حتى ولو لم يكونوا أعضاء فى منظمة الأوبك ٠ وهذا معناه أن اتفاقية الأوبك تعتبر بمثابة دستور يحكم على مشروعية نشاط المنظمة ، وأن الانضمام الى عضوية المنظمة يلقى على العضـــو المنضم ـ الذى لا يكون فى ذات الوقت عضوا فى الأوبك ـ التزامات نصت عليها اتفاقية هو ليس طرفا فيها ٠

أجهزة المنظمة :

تعدد المواد من ٨ ـ ٢٥ أجهزة المنظمة وتصف تشكيلها واختصاصاتها ، ويمكن أن أوجز ذلك فيما يلى :

تمارس المنظمة اختصاصاتها ومسئولياتها عن طريق الأجهزة التالية :

١ ـ مجلس وزراء ، « يتكون من ممثل واحد عن كل قطر من الأقطار الأعضاء وهو وزير البترول أو من يقـــابله مستوى فى المسئولية عن شـــئون البترول » و « المجلس هو السلطة العليـــا فى « المنظمة » وهـــو الذى يرسم سياستها العـــامة ويوجه نشاطها ويضع القواعد التى تســـير عليها » ٠

---

(١) أشير بذلك الى أن بعض الأقطار الأعضاء لديهـــا مؤسسات علمية تهتم بالدراســـات البترولية ويمكن الاستفادة بها فى هذا المجال ، من ذلك المعهـــد الفنى بالكويت وكلية البترول والمعادن بالسعودية ٠ ويبدو أن كلية البترول والمعادن هذه قد تطورت الى حد جعل المســـئولين السعوديين يفكرون فى جعلها جامعة للبترول والمعادن ، وترسل بعض البلاد العربية أبناءها لتلقى العلم فى هذه الكلية حاليا ٠

٢ ـ مكتب تنفيذى ، يتكون « من ممثل واحد من كل قطر من الأقطار الأعضاء يعينه القطر المعنى ويتولى المثلون رئاسة « المكتب » بالتناوب وفقـا للترتيب الأبجدى للأقطار الأعضاء وذلك لفترات كل منهـا لمدة سنة واحدة » .

و « يختص المكتب فى الأمور الآتية :

(أ) النظر فى الشئون المتعلقة بتطبيق هذه الاتفاقية وممارسة المنظمة لنشاطها واختصاصاتها .

(ب) رفع ما يراه من توصيات واقتراحات الى « المجلس » بشأن الأمور التى تدخل فى نطاق هذه الاتفاقية .

(جـ) اقرار نظام موظفى « الأمانة » وكذا اجراء ما يراه مناسـبا من تعديلات عليه وذلك بعد التشاور مع الأمين العام .

(د) النظر فى مشروع الميزانية السنوية «للمنظمة» ورفعها «للمجلس» مشفوعة بملاحظات الأمين العام .

(هـ) اعداد جدول أعمال « المجلس » .

(و) ما يعهد اليه المجلس به من اختصاصات أو مهام أخرى » .

٣ ـ أمانة عامة ، تتكون « من الاذارات واللجـان التى تحـددها اللوائح ، وتضطلع بالجوانب التخطيطية والادارية والتنفيذية لنشاط « المنظمة » وفقا للوائح وتوجيهات المجلس » .

وقد أنشئت حتى الآن ثلاث ادارات هى الادارة القـانونية ، والادارة الاقتصادية ، والادارة الفنية .

« ويتولى ادارة « الأمانة » أمين عام يعاونه عدد من الأمناء المسـاعدين لا يتجاوز ثلاثة الا أن يقرر المجلس زيادة العدد » .

٤ ـ هيئة قضائية ، يتفق الأطراف الموقعون على كيفية تشكيلهـا والقواعد التى تنظمها وذلك فى بروتوكول خاص يلحق بالاتفاقية . وقد تفاهمت الدول المؤسسة على ارجاء النظر فى أمر هـذه الهيئة الى حين ، وكان

الخلاف في وجهات النظر بشأنها هو السبب في عدم تضمين الاتفاقية تفاصيل الأحكام الخاصة بها كما جرى بالنسبة للأجهزة الأخرى ٠ الا أن الاتفاقية نصت في المادة ٢٣ على اختصاصات الهيئة فجعلت لها اختصاصا الزاميا بنظر المنازعات :

(أ) التي تتعلق بتفسير وتطبيق الاتفاقية وتنفيذ الالتزامات الناشئة عنها ٠

(ب) التي تنشأ بين عضوين أو أكثر من أعضاء المنظمة في مجال النشاط البترولي ٠

(ج) التي يقرر المجلس اختصاص الهيئة بها ٠

كما جعلت لها اختصاصا اختياريا رهن باتفاق أطراف النزاع وذلك فيما يتعلق بالمنازعات التالية :

(أ) المنازعات التي تنشأ ما بين أي عضو وبين شركات البترول التي تعمل في اقليم ذلك العضو ٠

(ب) المنازعات التي تنشأ ما بين أي عضو وبين شركة بترول تابعة لأي عضو آخر ٠

(ج) المنازعات التي تنشأ ما بين عضوين أو أكثر من أعضاء المنظمة عدا ما يدخل في الاختصاص الالزامي للمحكمة ٠

وواضح أن أساس التفرقة بين الاختصاصين الالزامي والاختياري هو أطراف المنازعة فاذا كان أحد أطراف المنازعة شركة فان المحكمة لا تختص الا باتفاق الطرفين منعا لازدواج الاختصاص لاحتمال أن تكون هناك وسيلة محلية للفصل في المنازعة ٠

أحكام العضوية :

تنص المادة السابعة على ما يلي :

« (أ) أعضاء المنظمة المؤسسون هم الأطراف الموقعون على هذه الاتفاقية[١]

---

(١) الأقطار المؤسسة هم المملكة العربية السعودية ودولة الكويت والمملكة الليبية (الجمهورية الليبية حاليا) ولا زالت هي فقط الأقطار الأعضاء ٠

(ب) يجوز أن ينضم الى عضوية المنظمة أى قطر عربى بشريطة توافر ما يلى

١ - أن يكون البترول هو المصدر الرئيسى والأساسى لدخله القومى .

٢ - أن يقبل الالتزام بأحكام هـــذه الاتفاقية وما يطرأ عليهـا من تعديلات .

٣ - أن يوافق المجلس المشار اليه فى المادة الثامنة أدناه(١) على انضمامه بأغلبية ثلاثة أرباع الأصوات على أن يكون من بينها أصوات جميع الأعضاء المؤسسين » .

وتقوم الاتفاقية على المساواة فى العضوية من حيث الحق فى التصويت بيد أنها فرقت بين نوعين من العضوية : عضوية التأسيس والعضوية العادية . وقد رتبت على هذه التفرقة آثارا قانونية اذ أعطت للأقطار المؤسسة حق الفيتو ضد قبول أى قطر جديد فى المنظمة . وقد تضمنت أحكام الاتفاقية امتيازات أخرى لعضوية التأسيس فلا يكتمل نصاب مجلس الوزراء الا بحضور عضوين مؤسسين على الأقل ولا يجوز اصـــدار اللوائح أو اتخـاذ قرارات فى الأمور الموضوعية الا اذا كان من بين الأغلبية المطلوبة صوتا عضوين مؤسسين على الأقل .

وقد سميت المنظمة بمنظمة « الأقطار » العربية وليست بمنظمة «الدول» العربية حتى يمكن لأى اقليم عربى تتوفر فيه شروط العضوية - سواء أكان دولة بالمفهوم القـــانونى الدولى أم لا - أن ينضم الى عضـــوية المنظمة . ولم تكتف المادة فى العضو أن يكون مصدرا للبترول بل اشترطت بجـانب ذلك أن يكون البترول هو المصدر الرئيسى والأساسى لدخله القومى .

كذلك تنص المادة لتوافر شروط العضوية قبول الالتزام بأحكام الاتفاقية وما يطرأ عليها من تعديلات ، وهذا الشرط فى تقديرى لا يكون له معنى الا

---

(٢) المقصود هنا هو مجلس الوزراء .

اذا فسر عـلى أنه يحرم القطر الذى يريد أن ينضم من أن يقرن انضمامه بتحفظات ما(١) .

ولم تعالج الاتفاقية حق الانسحاب من عضوية المنظمة انسجاما مع واقع أنها تنظيم يجمع دولا عربية واتفاقا مع طبيعة التعاون الذى يجب أن يقوم بين الدول العربية .

الوضع القانوني للمنظمة :

تتمتع المنظمة - طبقا لنص المادة الرابعة من دسـتورها - بشخصية اعتباريا وبأهلية حقوقية تخولها القيام فى اقليم كل عضو بكافة صـلاحيات الأشخاص الاعتباريين ، كما تتمتع فى أقاليم الأعضاء بالحصانات والامتيازات اللازمة لتحقيق أهدافها وممارسة نشاطها ، وتكون المبانى التى تشغلها ذات حصانة . ويعتبر موظفو المنظمة بمثابة موظفين دوليين . وقد وقعت الدول المؤسسة اتفاقا يفصل الحصانات والامتيازات الخاصة بالمنظمة وموظفيها .

ومعنى هذا أن المنظمة تتمتع بأهلية محلية فى اقليم كل قطر عضو وان

---

(١) تقيم الاتفاقية التزامات على الأعضـاء أهمهـا فى تقديرى ما نصت عليه المواد ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وتنص بالتوالى على ما يلى :

٢٨ - « على أعضاء المنظمة أن يتعاونوا تعاونا وثيقا مـع أجهزتها وأن ينسقوا سياستهم البترولية الى الحد اللازم لتحقيق أهدافها وأن يتخذوا كافة الاجراءات اللازمة لتسهيل قيـام المنظمة بمهامها ولتنفيذ التزاماتهم الناجمة عن هذه الاتفاقية وأن يمتنعوا عن أى تصرف يعرقل تنفيذ ما تقره « المنظمة » من أمور ومشاريع » .

٢٩ - « سياسات الأعضاء المتعلقة بالشئون البترولية تعتبر ذات أهمية مشتركة ، وعـلى ذلك يتعهد الأعضاء بالتشـاور فيما بينهم وفى نطاق المنظمة لتنسيق مواقفهم وما يتخذونه من اجراءات ازاء الأوضاع والظروف الجارية فى صناعة البترول » .

٣٠ - « اذا تعرض أحد الأعضـاء لطارىء مفاجىء وجسيم جاز للعضو المعنى أن يتخـذ الاجراءات اللازمة للحماية مراعيا ما أمكن ذلك ألا تتجاوز تلك الاجراءات الحد الأدنى الضرورى لمواجهة الصعاب الناجمة وألا تؤثر على استمرار المنظمة فى ممارسة نشاطها .

وعلى العضـو المعنى أن يخطر رئيس المجلس فورا باجراءات الحمـاية التى اتخـذها وعـلى الرئيس ، اذا ما استدعى الأمر ذلك ، أن يدعو المجلس لاجتماع استثنائى للنظر فى الموضوع » .

وتعفى م ٣٢ الأعضاء من الافضاء بمعلومات قد تهدد المصالح الجوهرية لأمنهم الخـاص ولكنها تتطلب ألا يمارسوا هذا الحق الا فى أضيق الحدود .

صح - تأسيسا على نظريات الحقوق المضمرة - أن نقول انها تتمتع بشخصية دولية فى نطاق المجتمع الدولى الذى يضم الأقطار الأعضاء ٠

وتتخذ المنظمة من مدينة الكويت فى دولة الكويت مقرا لها ٠

وتلزم م ٣١ أجهزة المنظمة بالحرص « على عدم الاضرار بالاستقرار الداخلى لأعضاء المنظمة وأن تتجنب ما من شأنه تعكير علاقاتهم الخارجية » ٠

وتنص م ٣٤ على أن « تعمل « المنظمة » عن طريق الأمانة العامة على اقامة اتصالات مناسبة بأجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، وكذا بالمنظمات الأخرى » ٠

كما تقرر م ٣٦ أن « تظل هذه الاتفاقية نافذة المفعول لأجل غير محدد ، ويجوز النظر فى تعديل أحكامها كل عشر سنوات أو اذا ما طلب ذلك نصف الأعضاء ويتبنى التعديل بقرار من المجلس يصدر بأغلبية ثلاثة أرباع أصوات جميع الأعضاء » ٠

ونظرا لأن جامعة الدول العربية تدرس مشروعا يتعلق بانشاء منظمة عربية للدول المصدرة للبترول فان علامة استفهام ترتسم حول علاقة المنظمة القائمة بالمنظمة المقترحة ٠

الفصل الخامس

في
ارساء قواعد القانون الدولي العربي (٢)
« جامعة الدول العربية »

الفرع الأول
في
الجامعة ، كيف قامت(١)

واجهت بريطانيا منذ نهاية القرن التاسع عشر حركات معادية في الشرق العربي استطاعت أن تتغلب عليها ، ولكنها تلقت منها درسا قويا دعاها لأن تبحث عن طريقة تحافظ بها على هيبتها المتداعية . ولذلك نجد ايدن وزير خارجية بريطانيا يصرح في ١٩٤١/٥/٢٩ - أي في ذات اليوم الذي هرب فيه رشيد عالي الكيلاني وأنصاره وفي وقت أن كانت قوات المحور تقف على حدود مصر وقوات فرنسا الحرة تتأهب لدخول سوريا ولبنان - بأن العالم العربي قد قطع شوطا واسعا الى الأمام منذ الحرب العالمية الأولى ، الأمر الذي دعا كثيرا من مفكري العرب الى المناداة بايجاد نوع من الوحدة بين الشعوب العربية معتمدين في تحقيق هذا الأمل على بريطانيا ، وأن بريطانيا لا يمكنها أن تعير هذه الدعوة الصادرة من أصدقائها أذنا صماء .

---

(١) راجع Kirk, George: The Middle East in the War, London, 1953.

واذا كانت بريطانيا قد أعلنت تأييدها لحركة الوحدة العربية تحت ضغط روح العداوة التى بدأت تتخذ مظهرا ايجابيا ضدها فى منطقة الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية ، فانها لم تسع الى ذلك عن شعور الصداقة الحقة للعرب ، وانما دعاها الى ذلك ما كانت تعلمه من أن مشكلة فلسطين ستكون بعد انتهاء الحرب مثار تعكير لصفو السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الشرق الأوسط سيكون محل أطماع السوفييت لا سيما بعد أن أثار ستالين مشكلة فلسطين فى مؤتمر طهران • ولذلك رأت أن تتبع سياسة « اجمع واحكم » بأن تجمع الدول العربية حول تنظيم واحد تقف هى من ورائه لتنفيذ أغراضها دون أن تتحمل مسئولية ذلك بل تلقيها على جامعة الدول العربية(١) •

فلا عجب أن يجدد ايدن دعوته فى ١٩٤٣/٢/٢٤ معلنا أن الخطوة الأولى لتحقيق هذا المشروع يجب أن تأتى من قبل البلاد العربية ذاتها • وانعكس تصريح ايدن فى ذهن البعض على أنه فرصة لتحقيق أطماع اقليمية ، فخرج نورى السعيد بمشروع وحدة سوريا وفلسطين ولبنان والأردن تحت رعاية الامم المتحدة وانشاء جامعة عربية تضم الدول الموحدة والعراق أساسا ويفتح بابها للدول العربية الأخرى • وفهمه الأمير عبد الله على أنه اقامة دولة سوريا من سوريا وفلسطين ولبنان والأردن تحت حكمه وتنظيم اتحاد عربى يجمع دولته الجديدة والعراق والدول العربية الأخرى • وازاء هذه النزعات المحلية التى بدأت تطل برأسها رأت مصر أن تسرع باتخاذ الخطوات الأولى لعقد مؤتمر عربى يناقش الوحدة العربية ؛ فأعلن رئيس وزرائها بمجلس النواب فى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٣ أنه سيسعى الى تفهم وجهات نظر الحكومات العربية ثم يعقد بعد ذلك مؤتمر بقصد الوصول الى اتفاق فى هذا الخصوص • وفعلا جرت عدة

---

(١) تنبأ بعض الكتاب البريطانيين بأن بريطانيا سيكون مثلها مع الجامعة العربية مثل فرعون التقط عيسى ليكون هما له وحزنا • من هؤلاء دايتون الذى قال بالنسبة للجامعة العربية :
"Hostility to Britain will become its driving force".

راجع Deighton, H.S.: The Arab Middle East and the Modern World, International Affairs, XXII, 1946, pp. 518-19.

مقابلات بين رؤساء الدول العربية انتهت بعقد مؤتمر تحضيرى بالاسكندرية خلال الفترة من ٩/٢٥ الى ١٩٤٤/١٠/١٠ ساهمت فيه سبع دول عربية هى سوريا وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعـــودية ولبنــان ومصر واليمن ، واشترك فيه موسى العلمى ممثلا لفلسطين ٠

وأسفر المؤتمر عن بروتوكول هو بمثابة مذكرة تثبت تفاهم المجتمعــين على انشاء جامعة للدول العربية ٠ وتعهدت الدول الموقعة عليه باحترام استقلال لبنان فى حدوده القائمة وقتئذ ، كما أكدت حقوق العرب فى فلسطــين ، وأعربت عن أملها فى أن ترعى انجلترا التزاماتها بوقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضى لليهود ، وأن تعمل على التطور بفلسطين نحــو الاستقـــلال ٠ ولذا اقترحت انشاء صندوق عربى وطنى لشراء أراضى فلسطين وأبدت عطفها على يهود أوروبا ، ولكنها استنكرت أن تحل مشكلتهم بمشكلة أخرى بعيدة عن العدل يكون عرب فلسطين ضحاياها ٠ وفى الجملة فان البروتوكول لم ينظر الى المتحدة) الأمر الذى حفزها لأن تتجه الى تنظيم اقليمى يرتبط بالأمم المتحدة المقبلة ٠

وفى ١٩٤٥/٢/٤ أعلن رئيس وزراء مصر انه دعى وزراء خارجية الدول العربية للاجتماع فى القاهرة ٠ وفعلا بدأت هذه الاجتماعات فى ١٩٤٥/٢/٨ حيث شكلة لجنة لتحضير ميثاق للجامعة يؤسس على بروتوكول الاسكنــدرية وكانت تحت يد اللجنة نصوص مشروعات دمبارتون اوكس (الخاصة بالأمم المتحدة) الأمر الذى حفزها لأن تتجه الى تنظيم اقليمى يرتبط بالأمم المتحدة المقبلة ٠

وفى ١٩٤٥/٣/٢٠ تحولت اللجنة الى مؤتمر عام لمناقشة المشروع ٠ وفى ١٩٤٥/٣/٢٢ وقع المشروع من ممثلى سوريا ولبنان وشرق‌الأردن والعراق والسعودية ومصر ٠ « ولم تحضر اليمن المؤتمر العربى العـــام ولكنها وقعت الميثاق فى صنعاء فى ٥ مايو سنة ١٩٤٥ ٠ ثم صدقت الدول الأعضاء عــلى الميثاق ودخل فى دور التنفيــــذ فى ١٠ مايو ١٩٤٥ ، وبذلك ظهرت الجامعة العربية الى حيز الوجود »(١) ٠

(١) نقلا عن الدكتور محمد حافظ غانم — محاضرات عن جامعة الدول العربية ، القـــاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٦ ٠

وانه لمن المؤسف أن نسجل هنا أن ميثاق جامعة الدول العربية جاء أضعف في مبادئه من الأسس التى كان قد استقر عليها بروتوكول الاسكندرية رغم أن الأخير كان دون أن يحقق ما توقعه وأمله العرب ٠ ونتمثل فى توضيح ذلك بالآتى :

١ - استبعد الميثاق ما كان منصوصا عليه فى البروتوكول من أنه لا يجوز بأية حال لدولة عربية أن تنتهج سياسة تخالف سياسة الجامعة أو سياسة دولة عربية أخرى ٠

والنص السالف نص لازم في رأينا لضمان الوحدة العربية واتساق سياسات الدول العربية حتى تبدو فى المجال الدولى كتلة متضامنة مترابطة ٠

٢ - كما استبعد الميثاق ما كانت تنص عليه المادة الثالثة من البروتوكول التى كانت تسعى الى درجة أقوى من الوحدة ٠

٣ - وأضاف الميثاق قيدا لم يكن فى البروتوكول هو التزام الدول الأعضاء بعدم التدخل فى نظم الحكم الخاصة بعضها بالبعض ٠

والأمثلة التى سقناها تدل على حرص الدول العربية على استقلالها وعدم تأصل روح الوحدة العربية فى نفوس واضعى الميثاق على النحو المرجو ٠ واننا لنرجو أن تصل الدول العربية فى القريب العاجل الى تحقيق الوحدة الكاملة واقامة الوطن العربى الكبير على أسس من التضامن الكامل الشامل الذى يجمع بين العرب على هدف واحد ويربطهم بوشائج من الأخوة والمودة الصادقة ٠

وقد عرض على الجامعة العربية موضوع تعديل ميثاقها ، فانبعثت الآمال

وقد وجدت فى بعض المصادر أن اليمن وقعت على الميثاق فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٥ ٠ وأن الميثاق دخل طور التنفيذ اعتبارا من ١١ مايو سنة ١٩٤٥ أى بعد خمسة عشر يوما من ايداع العراق لتصديقها عليه لدى الأمين العام للمنظمة فى القاهرة ٠

Macdonald, Robert W.: The League of Arab States, Princeton, 1965, p. 42.

فى توثيق العروة العربية على نحو أقوى ، ولكن الأمر مر دون أن تتقدم هذه الوحدة خطوة الى الأمام • ولكن الجامعة العربية وليدة العلاقات العربية التى كانت قائمة بين العرب يوم أن خرجت الى النور • « واذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشوط العربى الى غايته العظيمة البعيدة ، فانها تقدر على السير به خطوات •

« ان الشعوب تريد أملها كاملا •

« والجامعة العربية ـ بحكم كونها جامعة للحكومات ـ لا تقدر أن تصل الى أبعد من الممكن •

« لهذا فان الجامعة العربية تستحق كل التأييد ، على ألا يكون هناك ـ تحت أى ظرف من الظروف ـ وهم تحميلها أكثر من طاقتها العمليـــة التى تحدها ظروف قيامها وطبيعته »(١) •

وميثاق جامعة الدول العربية هو معاهدة دولية تشبه فى ايجازها عهد عصبة الأمم وتكاد بعض عباراتها تكون منقولة عن عهد العصبة أو عن مشروع ميثاق الأمم المتحدة •

الفرع الثانى
فى
وصف عام للجامعة(٢)

اغراض الجامعة ووظائفها

تنص المادة الثانية من الميثاق على أن الغرض من الجامعة :

أ ـ توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها •

---

(١) الميثاق الوطنى ـ الباب التاسع (الوحدة العربية) •

(٢) راجع مقال : Mouskhély : **La Ligue des Etats Arabes,** R.D.G.I.P., 1946

ب - وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها ·

جـ - والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها ·

« كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل منها وأحوالها فى الشئون الآتية :

أ - الشئون الاقتصادية والمالية ، ويدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة ·

ب - شئون المواصلات ، ويدخل فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد ·

جـ - شئون الثقافة ·

د - شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين ·

هـ - الشئون الاجتماعية ·

و - الشئون الصحية » ·

ولا يحتاج المرء الى جهد كبير كى يتبين أن المادة - وهى تتكلم عن التعاون الوثيق بين الدول الأعضاء - لم تشر الى الدفاع ضد العدوان الأجنبى أو تنسيق الامكانيات العسكرية وتوحيد السياسة الخارجية (الأمر الذى عالجته معاهدة سنة ١٩٥٠) ·

على أن المادة الخامسة تسمح للجامعة بأن تقوم بدور الوسيط فى المنازعات التى تثور بين الدول الأعضاء وبعضهم البعض أو بين الدول الأعضاء ودولة من الغير · كما تقرر المادة الثالثة أنه مما يدخل فى مهمة المجلس أن يقرر « وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية » ·

ومن ثم فانى أستطيع أن أقول ان الغرض الأساسى للجامعة - باختصار - هو رعاية وتعزيز أوجه النشاط غير السياسى وانها انما تدخل حلبة السياسة بصفة عرضية ·

معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى(١)

تعتبر تلك المعاهدة معاهدة فريدة الى حد ما فى ربطها بين مشاكل الأمن والمشاكل الوظيفية رغم أن السبب الظاهر لابرامها كان هو تحقيق الانسجام بين الجامعة وبين الأمم المتحدة فيما يتعلق بشئون الأمن الجماعى . فهى تستند - شأنها فى ذلك شأن ميثاق الدفاع الخاص بمنظمة الدول الأمريكية - الى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة .

وتنص ديباجة المعاهدة على أن الدول الموقعة « استجابة لرغبة شعوبها فى ضم الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ولأهدافها .. » .

وقد عدلت المعاهدة من العلاقات بين الدول الأعضاء الى حد أنه طبقا للمادة العاشرة « تتعهد كل من الدول المتعاقدة بأن لا تعقد أى اتفاق دولى يناقض هذه المعاهدة .

« وبأن لا تسلك فى علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكا يتنافى مع أغراض هذه المعاهدة » ، الأمر الذى يذكرنا بالمحاولة السابقة فى بروتوكول الاسكندرية لضمان سياسة خارجية موحدة . والنص - فى خارج نطاق الوحدة العربية - يشبه المادة ٢١ من عهد عصبة الأمم(٢) .

وقد دعت ظروف العالم العربى ألا تنضم الى هذه المعاهدة عند توقيعها الا الدول السبع الأصلية ورغم أن عدد الدول الأعضاء بلغ ثلاث عشرة دولة فى سنة ١٩٦٢ فان تسعا منها فقط هى التى انضمت الى المعاهدة . على أن الدول غير المنضمة كانت تستطيع حضور الاجتماعات كمراقبين دون أن تساهم

---

(١) وقعت هذه الاتفاقية من مصر وسوريا ولبنان والسعودية واليمن فى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠ ، ثم وقعتها العراق فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٢ والأردن فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٢ . وقد أصبحت المعاهدة نافذة اعتبارا من ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٢ .

(٢) تنص المادة ٢٠ من عهد العصبة على ما يلى :

"The Members of the League ... solemnly undertake that they will not hereafter enter into any agreements inconsistent with the terms hereof".

في اجراءات اتخاذ القرارات ، وهو موقف قلـــق لا سيما بالنسبة للمجلس الاقتصادى · وقد انضمت باقى الدول الى المعاهدة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ كمظهر من مظاهرة الاخوة العربية ·

وقد أنشئت بمقتضى المعاهدة ثلاثة أجهزة جـــديدة هى مجلس الدفاع المشترك ، والمجلس الاقتصادى ، واللجنة العسكرية الدائمة ·

العضوية فى الجامعة

تنص المادة الاولى من الميثاق على أن الجامعة « تتألف من الدول العربيـــة المستقلة الموقعة على هذا الميثاق · ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم الى الجامعة فاذا رغبت فى الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » · ومن ثم فان العضوية فى الجامعة العربية قاصرة الدول :

(أ) العربية ، فلا يجوز لدولة غير عربية أن تكون عضوا فى تلك الجامعة حتى تحتفظ الجامعة بصبغتها العربية الخالصة ·

(ب) المستقلة ، لأن الدول غير المستقلة لا يمكنها أن تقوم بالالتزامات التى فرضها الميثاق على الدول الاعضاء ·

والدول العربية الداخلة فى عضوية الجامعة العربية حاليا هى :

(أ) الدول السبعة التى وقعت على الميثاق عند ابرامه وهى : سوريا وشرق الأردن (الأردن حاليا) والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنـــان ومصر واليمن ، ويمكن أن أضيف اليها فلسطين على تفصيل يلى ·

(ب) دول أخرى عربية استقلت وانضمت الى عضوية الجامعة العربية وهى : ليبيا والمغرب وتونس والسودان والجزائر واليمن الجنوبية ·

(جـ) بالنسبة لفلسطين تضمن الميثاق ملحقا هذا نصه « منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ــ ومنها فلسطين ــ ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى · وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن

فيها واذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها فان ميثاق العصبة في ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها الا على أساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك فى استقلال البلاد العربية الأخرى ، واذا كانت المظـــاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة .

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربيـــة أنه نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة العربية أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله » .

ويمكن لأية دولة تكون عربية وتتمتع بالاستقلال أن تنضم الى عضوية الجامعة ، وذلك بأن تقدم طلبا يودع لدى الأمانة العامة للجامعة ويعرض على مجلس الجامعة فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

الانسحاب من العضوية(١) :

تولت المادتان ١٨ ، ١٩ من الميثاق تنظيم الانسحاب من عضوية الجامعة وتنص الأولى على أنه « اذا رأت احـــدى دولة الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة . ولمجلس الجامعة أن يعتبر أية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره باجماع الدول عدا الدولة المشار اليها » .

أما المادة الثانية فتنص على أنه « يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن واوثق لانشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل

---

(١) راجع مقال الدكتور بطرس بطرس غالى ـ فقدان العضوية فى جامعة الدول العربية ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، المجلد الحادى عشر ١٩٥٥ .

لكفالة الأمن والسلام • ولا يبت فى التعديل الا فى دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب • وللدولة التى لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيد بأحكام المادة السابقة » •

ومن استعراض المادتين السالفتين نجد أن هناك ثلاث حالات لفقدان العضوية فى الجامعة العربية هى :

(أ) الانسحاب الارادى •

(ب) الانسحاب بسبب تعديل الميثاق •

(جـ) الفصل •

وكنا نفضل لو أن ميثاق الجامعة العربية استبعد حالات فقدان العضوية واقتصر فقط على الوقف عن ممارسة حقوق العضوية ، اذ المفروض أن يقوم على روابط من التضامن القوى والوحدة الطبيعية • فاذا جاء بأحكام لفقدان العضوية فانه كان يجب أن يكون أكثر تشددا وتمسكا بابقاء الدول العربية أعضاء فى جامعتها ولا يجعل فقدان العضوية سهلا كما فعل •

ولنوضح ما نقول نناقش حالات فقدان العضوية حالة بعد أخرى •

الانسحاب الارادى :

اذا رأت احدى دول الجامعة أن مصلحتها تقضى عليها أن تنسحب واستقر رأيها على الانسحاب كان عليها أن تعلن المجلس قبل التنفيذ بسنة •

ونلاحظ على هذا الوضع ما يلى :

١ - اكتفى الميثاق بأن يكون الاخطار سابقا على الانسحاب بمدة سنة واحدة فقط وهى مدة قصيرة اذا قيست بالمدد التى تنص عليها مواثيق المنظمات الدولية بالمعنى العام فعصبة الأمم مثلا كانت تحدد تلك المدة بسنتين • وليس هناك من مبرر مطلقا لتساهل واضع الميثاق فى ذلك القيد فى حين كان المفروض أن يكون القيد هنا أكثر تشددا لأن الرابطة التى تجمع الدول العربية رابطة طبيعية كما قلنا •

٢ - لم يعلق الميثاق الانسحاب على أى قيـــد ومن ثم فيمكن لأية دولة أن تنسحب سواء وفت بما عليها من التزامات قبل الجامعة العربية أو لم تف بتلك الالتزامات وسواء أكانت تلك الالتزامات سياسية أم مالية أم ادارية · وقد كان من الأولى أن يراعى واضع الميثاق تلك الناحية حفظا لكيان الجامعة من أن ينهار بنيانه اذا سمح بالانسحاب دون اعتبار لهذه الظروف ·

الانسحاب بسبب تعديل الميثاق :

اذا تراءى لدول الجامعة العربية أن تغـــير الميثـاق ورأت احدى الدول الأعضاء أن هذا التعديل لا يتفق ومصالحها ولم تقبله جاز لها أن تنسحب من عضوية الجامعة عند تنفيذه دون التقيد بالمـــدة المحددة للانسحـاب الارادى السالف ·

ونلاحظ على ذلك أمرين :

الأول : أن الميثاق لم يحدد فترة معينة يجب أن يتم خـــلالها تصديق الـــدول الأعضـــاء على التعديل · ومن ثم لو أن هنـــاك تعـديلا أجرى فى الميثاق ولم يكن محل قبول من احدى الـــدول الأعضاء وأزمعت تلك الدولة الانسحاب من العضوية اذا تم التصديق على ذلك التعديل ، فان هذه الدولة تظل قلقة الوضع من وقت حصول التعديل الى أن يتم التصديق ، فاذا طالت فترة على التعديل ولم يبت فى أمر التصديق عليه أى لم يعرف بعد اذا كان هذا التعديل سينفذ أم لا فان الدولة المذكورة تظل جاهلة بمصير عضويتها فى الجامعة ، لأن هذا المصير معلق على نفاذ التعـــديل من عـدمه · وكان الأولى فى هذه الحالة أن يحدد موعد للتصديق اذا لم يتم خلاله يعتبر قرار التعديل كأن لم يكن ، حتى لا نواجه حالة القلق السالفة دون مبرر لأنها وضع لا يأتى بخير للجامعة بلا شك ·

والثانى : أن الميثاق لم يحدد المدة التى يجوز أن ينسحب خلالها العضو الذى لا يوافق على التعديل ، وهذا ضعف فى الميثاق يزيد ما فيه من ضعف بالنسبة لقيود الانسحاب الارادى ، اذ يمكن للدولة غير الراغبة فى التعديل أن

تقف موقف الصمت من الانسحاب فترة تطول أو تقصر حسب رغبتهـا وأن تحتفظ بالتعديل كذريعة للانسحاب وقتما تشاء . والأسلم أن تحـــدد المدة التى يجوز أن تنسحب خلالها الدولة التى لا توافق على التعديل فلا يظـــل الإنسحاب بسبب التعديل حجة يمكن أن تتعلل بها الدولة العضـــو وقتما يحلو لها .

الفصل من الجامعة :

لمجلس الجامعة أن يعتبر أى دولة لا تقوم بواجبات الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدر باجماع الدول عدا الدولة المشار اليها .

ونلاحظ على هذا الحكم أنه لم يوضح مركز الدولة المفصولة حيال الجامعة بعد الفصل . فهل يجوز لهذه الدولة مثلا أن تشترك فى اللجان الفنية الدائمة شأنها فى ذلك شأن الدول العربية الأخرى التى ليست أعضاء فى الجامعة ؟ وهل يمكن للدولة المفصولة أن تتقدم بطلب انضمام جديد أم لا ؟ كان الجدير بالميثاق أن يعالج هذه الأمور على نحو يتفق مع أسلفناه من أن الاشتراك فى الجامعة العربية حق طبيعى لكل شعب عربى مستقل .

وكنا ننتظر أن تعالج هذه المآخذ عند ابرام معاهدة الدفـــاع المشترك والتعاون الاقتصادى ، التى عقدتها الدول العربية فى ١٧ يونيه سنة ١٩٥٠ . ولكن المعاهدة غضت النظر عن ذلك ، بل وتضمنت حكمـــا زاد الأمور تعقيدا بالنسبة لحالات فقدان العضوية ذلك أن المادة ١٢ من تلك المعاهدة تنص على أنه « يجوز لأى دولة من الدول المتعاقدة بعد مرور عشر سنوات من نفاذ المعاهدة أن تنسحب فى نهاية سنة من تاريخ اعلان انسحابها الى الأمانة العامة للجامعة العربية » .

وهذا النص يثير التساؤل من حيث كيفية التوفيق بينه وبين أحكـــام ميثاق الجامعة ، لا سيما وأن معاهدة الدفاع المشترك تستند الى أحكام ميثاق الجامعة وترتبط به وتعتبر نتيجة له .

فالميثاق يسمح بالانسحاب بعد سنة من تاريخ الاخطار ، فى حين أن

المعاهدة السالفة لا تسمح بالانسحاب خلال السنوات العشرة الأولى من نفاذها . فلو أن دولة انسحبت من الجامعة خلال هذه الفترة ، هل تبقى مع ذلك ملزمة بأحكام المعاهدة ، مع ما فى ذلك من تناقض ؟ ونقابل نفس التناقض فى حالة فصل دولة من عضوية الجامعة ، اذ يثور نفس الوضع ، وهو هل تظل تلك الدولة طرفا ملزما بأحكام معاهدة الدفاع المشترك ولها ما تمنحه المعاهدة من حقوق ؟ أم تسقط عنها أحكام تلك المعاهدة ؟

والواقع أن الاجابة على هذه الأسئلة ليست أمرا هينا . وهناك أكثر من رأى يمكن الادلاء به فى هذا الخصوص . فقد يقال بأن نأخذ بحرفية أحكام المادتين ١٨ و ١٩ من الميثاق العربى ، وأحكام المادة ١٢ من معاهدة الدفاع المشترك ، فيباح لأى دولة عضو أن تنسحب من الجامعة بناء على المادتين ١٨ و ١٩ من الميثاق العربى ، غير أنها تظل مقيدة بما توجبه المادة ١٢ من معاهدة الدفاع المشترك .

وقد يقال باعطاء الأولوية لأحكام ميثاق الجامعة ، باعتبار أنه هو الأصل والأساس . ففى التعارض الذى نحن بصدده يتعين الأخذ بما تقضى به أحكام الميثاق العربى .

وقد يقال بأن تكون الأولوية لبعض أحكام معاهدة الدفاع المشترك ، على أساس قاعدة أن الخاص يخصص العام . ومعنى هذا أنه عند التعارض ، تطبق أحكام معاهدة الدفاع المشترك .

ولكن كل رأى من الآراء السالفة لا يعتبر علاجا حاسما للغموض الذى يكتنف تلك الأحكام ، ولا يخلو من نقد .

هيئات الجامعة واختصاصاتها :

١ ـ مجلس الجامعة .

٢ ـ أمانة عامة .

٣ ـ لجان خاصة .

وتنص م ١٩ على أنه يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعـديل الميثاق لانشاء محكمة عربية • ورغم أن المحكمة كانت موضوع مناقشات طويلة الا أنها لم تنشأ حتى الآن(١) • ولم تضف الى هذه الأجهزة أجهزة أخرى سوى المجلس الاقتصادى ومجلس الدفاع المشترك واللجنة العسكرية الدائمة بمقتضى المعاهدة التى أبرمت سنة ١٩٥٠(٢) •

ويبدو أن ميثاق الجامعة قد استفاد بعهد العصبة من حيث المبادىء العامة ولكنه ضم اليها ما أسفرت عنه تجربة العصبة فقد جعل العضوية فى مجلس الجامعة ـ على عكس العصبة ـ لكافة الدول الأعضاء ولكنه أقام بجانب المجلس عدة لجان وهو الأمر الذى توصل اليه مجلس العصبة بعد تجربة •

وأتناول كلا من هذه الهيئات بكلمة موجزة •

---

(١) Foda, Ezzeldin: The Projected Arab Court of Justice, The Hague, 1957.

(٢) هناك رأى بأن مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة يعتبر جهازا جـديدا مستحدثا من أجهزة الجامعة العربية وأن اجتماعات الملوك والرؤساء ليست مجرد اجتماعات لمجلس الجامعة على مستوى رؤساء الدول ويؤيد الرأى وجهـة نظره بما تضمنته البيانات التى تصدر عن هـذه الاجتماعات (الدكتور محمد سامى عبد الحميد ـ قانون المنظمـات الدولية ، الكتاب الثانى ، المنظمات الاقليمية عامة الاتجاه ، الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٣٦ ـ ٣٨) • وفى تقديرى أن استحداث جهاز جديد فى الجامعة حتى ولو كان لجعل الروابط بين دولها أمتن وأوثق يعتبر بمثابة تعديل لميثاق الجامعة ، وهذا هو ما يوافق عليه الرأى السالف • وتعديل ميثاق الجامعة له حكم نصت عليه م ١٩ من الميثاق وتقرر « يجوز بموافقـة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ، ولانشاء محكمة عدل عربية ، ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام •

« ولا يبت فى التعديل الا فى دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب •

« وللدولة التى لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيد بأحكام المادة السابقة »•

والموافقة المقصودة فى المادة هى الموافقة التى تتم طبقـا للأوضاع الدستورية فى الدول الأعضاء • ولا ننسى هنا نص م ٧ التى تقرر أن قرارات المجلس تقرر فى كل دولة وفقا لنظمها الأساسية • ثم ان القول بأن هذا المجلس يعتبر من أجهزة الجامعة ويختص بما يختص به مجلس الجامعة قد يضعنا أمام المحظور وهو تقييد مجلس الملوك والرؤسـاء بقيود اختصاصات مجلس الجامعة وهى قيود تتخلف ـ كما بينت من قبل ـ عن متطلبات الوحدة العربية فى حين ان المأمول هو أن يكون لمجلس الملوك والرؤساء حرية الحركة والانطلاق بلا قيود قانونية لتحقيق الهـدف الأسمى أو للسير بها قدما نحو التحقيق ، ولذلك فقد أشرت الى مجلس الملوك والرؤساء وأنا بصدد الكلام عن العلاقات السياسية العربية •

مجلس الجامعة :

تنص المادة الثالثة من ميثاق جامعة الدول العربية على أن « يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها ٠

وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشئون المشار اليها فى المادة السابقة وفى غيرها ٠

ويدخل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية » ٠

ومن ثم فان مجلس الجامعة يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة ٠ وتقضى المادة الأولى من النظام الداخلى لمجلس الجامعة بأن « تختار الدول الأعضاء فى الجامعة ممثليها الذين يتألف منهم المجلس ويزودون بوثائق اعتماد نيابتهم كما يزودون بوثائق تفويضهم كلما اقتضى الحال وتبلغ أسماؤهم للأمين العام » ٠

أى أن النظام لم يحدد عددا للممثلين ، وترك ذلك لتقدير كل دولة عضو ، ولكن ليس للدولة سوى صوت واحد مهما كان عدد ممثليها ٠

ومهمة المجلس هى :

(أ) تحقيق أغراض الجامعة ٠

(ب) مراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فى الجامعة من اتفاقات ٠

(جـ) تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل (أى فى تاريخ لاحق لقيام الجامعة العربية) لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ٠

(د) يقوم بمهمة المحكم اذا لجأ اليه المتنازعون لفض خلاف يتعلق باستقلال

الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ، ويكون قراره فى هذه الحالة نافذا وملزما ٠

وهنا لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته ٠

(هـ) يتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما ٠

(و) تحديد نصيب كل دولة عضو فى نفقات الجامعة ٠

ويقرر المجلس :

١ ـ التدابير اللازمة لدفع أى اعتداء يقع أو يخشى وقوعه على دولة من الدول أعضاء الجامعة العربية ٠

واذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لا يدخل رأيها فى حساب التصويت ٠

٢ ـ تحديد الأحوال التى يجوز فيها لممثلى البلاد العربية غير المستقلة الاشتراك فى اللجان الخاصة وقواعد التمثيل وينعقد مجلس الجامعة انعقادا عاديا مرتين فى العام فى كل من شهرى مارس وأكتوبر ٠ ويحدد الأمين العام التاريخ الذى تبدأ فيه الدورة العادية فى كل من الشهرين السالفين ٠ وتستمر الدورة الى أن يتم بحث المسائل المدونة فى جدول الأعمال ما لم يقرر المجلس فض الدورة قبل ذلك ٠ وينعقد المجلس بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة الى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة ٠ وينعقد المجلس فى الدورات غير العادية فى وقت لا يتجاوز الشهر الواحد من تاريخ وصول طلب الانعقاد القانونى للأمين العام ٠ أما فى حالات الاعتداء التى أسلفنا ذكرها فيكون الانعقاد فى أقرب وقت ممكن خلال ثلاثة أيام من تاريخ وصول الطلب القانونى للأمين العام ٠

وقد نصت المادة الخامسة عشرة من الميثاق على أن « ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية» . « ويكون انعقاد المجلس صحيحا اذا حضره ممثلون لأغلبية الدول الأعضاء » . وتسند رئاسة المجلس عند افتتاح كل دورة اعتيادية بالتناوب على أساس الترتيب الهجائى لأسماء الدول الأعضاء فى الجامعة . ويظل الرئيس يباشر أعمال الرئاسة الى أن تسند الرئاسة لخلفه فى مستهل أعمال الدورة الاعتيادية التالية .

ويؤلف المجلس فى بداية كل دور اجتماع عادى اللجان الآتى بيانها :

١ - لجنة الشئون السياسية .

٢ - لجنة الشئون الاقتصادية .

٣ - لجنة الشئون الاجتماعية والثقافية .

٤ - لجنة الشئون الادارية والمالية .

٥ - لجنة الشئون القانونية .

وله أن يؤلف غيرها من اللجان اذا اقتضت الحال .

وتكون اجتماعات المجلس سرية ، الا فى الحالات التى يقرر فيها المجلس العلنية بأغلبية الآراء .

وتنص المادة السابعة من الميثاق على أن « ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله .

وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقا لنظمها الأساسية » .

على أن هناك حالات تكون فيها قرارات المجلس الصادرة بالأغلبية ملزمة منها :

١ - قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط وتكون بأغلبية عادية .

٢ - تعيين الأمين العام ، ويكون باغلبية الثلثين .

٣ - القرارات الصادرة في شئون الموظفين واقرار ميزانيـة الجامعة ووضع نظام داخلي لكل من المجلس واللجان والأمانة العامة ٠

وهنا تكفي الأغلبية العادية ٠

وتكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة أن يجتمع في أي مكان آخر تعينه ٠

الأمانة العامة :

تنص المادة ١٢ من ميثاق الجامعة على أن يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين ٠

ويعين مجلس الجامعة الأمين العام بأكثرية ثلثي دول الجامعة ، ويعـين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسين في الجامعة ٠٠٠٠٠٠ ويكون الأمين العام في درجة سفير والأمناء المساعدون في درجـة وزراء مفوضين ٠٠٠٠ » ٠

وتنص المادة الثانية من النظام الداخلي للأمانة العامة على أن يكون تعيين الأمين العام لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد ٠ وقد أوضحت المادة الأولى من النظام الداخلي مهمة الأمين العام فقالت : « الأمـين العام يتولى باسم الجامعة تنفيذ قرارات المجلس واتخاذ الاجراءات المالية ضمن حدود الميزانية المعتمدة من المجلس ، وبوصف كونه أمينا عاما للجامعة يحضر اجتماعات مجلس الجامعة واللجان ، ويقوم بالوظائف الأخرى التي تكلها اليه هـذه الهيئات ٠ وهو مسئول وحده أمام مجلس الجامعة عن جميع أعمال الأمانة العامة ، وعن تطبيق أنظمة العمل في ادارات الأمانة العامة وأقسامها التي تقوم بأعمالها تحت اشراف الأمين العام وبموافقته » ٠

وتتكون الأمانة العامة من الادارات الآتية :

ادارة السكرتارية ، والادارة المالية والمستخدمين ، والادارة السياسية ، وادارة الشئون الاقتصادية والمواصلات ، وادارة الشئون الاجتماعية والصحية ،

والادارة القانونية ، وادارة الاستعلامات والنشر ، وادارة الشئون الثقافية ، وادارة شئون فلسطين . هذا الى جانب مكتب مقاطعة اسرائيل ، ومكتب مكافحة المخدرات ومكاتب الدعاية فى بعض العواصم العالمية ، ومعهد الدراسات العربية العليا بمدينة القاهرة .

اللجان الخاصة :

تنص م ٤ من ميثاق الجامعة على أن تؤلف لجان للشئون الاقتصادية والمواصلات والثقافة والجنسية والجوازات والشئون الاجتماعية ، تتولى وضع قواعد التعاون ومداه وصياغة ذلك فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيدا لعرضها على الدول المذكورة .

ولكل دولة عضو فى الجامعة أن تمثل بمندوب واحد أو أكثر فى كل لجنة ويكون لها صوت واحد . ويجوز أن يعهد لشخص بذاته بتمثيل دولته فى أكثر من لجنة . ويجوز أن يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى . ويحدد مجلس الجامعة الأحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين فى التمثيل . واباحة اشتراك الدول العربية التى لا تستطيع بحكم مركزها السياسى أن تشترك رسميا كأعضاء فى الجامعة . واباحة اشتراكها فى اللجان الخاصة أمر محمود لأنه يجعلها على اتصال بالجامعة عن طريق الاشتراك فى تلك اللجان التى تضطلع بمختلف الشئون غير السياسية .

ومن الطريف أن أشير هنا الى نص م ٢/أ التى تجعل من بين أغراض الجامعة « النظر بصفة عامة فى شئون **البلاد العربية** ومصالحها » فهى ليست محصورة فى شئون **الدول الأعضاء** . وقد أرفق بالميثاق ملحق خاص بالتعاون مع الدول العربية غير المشتركة فى مجلس الجامعة ، نص فيه على أنه « نظرا لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجانها شئونا يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها .

فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن يوصى مجلس الجامعة عند النظر فى اشراك تلك البلاد فى اللجـــان المشار اليها فى الميثاق بأن يذهب فى التعاون معها الى أبعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك ، بألا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم أمانيها وآمالها وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكـــل ما تهيؤه الوســـائل السياسيـــة من أسباب » ·

وقد بعثت البلاد العربية التى لم تكن تتمتع بالاستقلال عند قيام الجامعة العربية بممثلين لها اشتركوا فى لجان الجامعة المختلفة ·

ويكون انعقاد كل لجنة صحيحا اذا حضره ممثلون لأغلبية الدول أعضاء الجامعة · وتصدر القرارات بأغلبية الحاضرين ، وتكـــون اجتمـــاعات اللجان سرية ·

ويجوز للجان الأصلية أن تؤلف من بين أعضائها لجانا فرعية تخصص كل منها بشأن من الشئون الفنية المنوطة باللجنـــة الأصلية · ولكل لجنة أن توصى بالدعوة الى عقد اجتماعات لخبراء يمثلون الدول الأعضـــاء فى الجامعة والبلاد العربية الأخرى عند الاقتضاء للاستئنـــاس برأيهم فى المسائل التى تدخل فى اختصاص اللجنة ·

المجلس الاقتصادى :

شكل المجلس الاقتصادى لتنسيق تنمية الاقتصاديات العربية « وبوجه عام ··· تنظيم نشاطها الاقتصادى وتنسيقه وابرام ما تقتضيه الحـــال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الأهداف » ·

ويتكون المجلس من وزراء الدول المتعاقدة المختصين بالشئون الاقتصادية أو من يمثلونهم عند الضرورة ، وله أن يستعين فى أعماله بلجنة الشـــئون الاقتصادية والمالية التى ألمحت اليها آنفا · ورغم أن المعاهدة لم توضح أن مجلس الجامعة يشرف على أعمال المجلس الاقتصادى الا أن روح الاتفـــاقية والقياس على حكم مجلس الدفاع المشترك يؤدى بنا الى القـــول بأن المجلس

الاقتصادى يخضع لاشراف مجلس الجامعة . وتحقيقا لرغبة أبداها المجلس فى قرار له بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٥٩ بأعطاء كيان ذاتى على المجلس وافق مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة فى ٢٦ مارس ١٩٥٦ على قواعد تسمح لكافة الدول الأعضاء بل والدول الغربية غير الأعضاء بأن تنضم الى المجلس وضمن تلك الأحكام فى بروتوكول خاص أبرم فى ذات التاريخ(١) . على أن مركز هذا المجلس أصبح شاذا كنتيجة لانشاء مجلس الوحدة الاقتصادية على نمط السوق الأوروبية المشتركة والمقترح بمقتضى اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية. (٣ يونيو ١٩٥٧) اذ المفروض أن يصبح مركز النشاط الاقتصادى للجامعة العربية(٢) .

---

(١) تنص أحكام البروتوكول على ما يلى :

م ١ – يجوز لأية دولة عضو فى جامعة الدول العربية أن تنضم الى عضوية المجلس الاقتصادى المنصوص عنه فى المادة الثامنة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية ويتم ذلك بناء على طلب تتقدم به تلك الدولة الى الأمين العام لجامعة الدول العربية الذى يبلغ طلب الانضمام الى الدول الأعضاء .

م ٢ – للمجلس الاقتصادى أن يقرر قبول عضوية أى بلد عربى آخر ويتقدم البلد الراغب فى ذلك بطلبه الى الأمين العام لجامعة الدول العربية لعرضه على المجلس .

م ٣ – ان الارتباط بعضوية المجلس الاقتصادى وفقا لأحكام هذا البروتوكول لا يخضع العضو المرتبط بطريق مباشر أو غير مباشر للالتزامات الخاصة بمجلس الدفاع المشترك أو الهيئات واللجان المتصلة به .

م ٤ – يقرر المجلس الاقتصادى الأنصبة التى تؤديها البلاد العربية غير الأعضاء فى جامعة الدول العربية التى تقبل فى عضوية المجلس مساهمة منها فى الأعباء المالية .

م ٥ – يعتبر هذا البروتوكول فيما تضمنه من أحكام جزءا مكملا لمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية .

(٢) فى ٦ يونيو سنة ١٩٦٢ اثر انتهاء الدورة الثامنة للمجلس الاقتصادى وقعت خمس دول عربية هى الأردن والكويت والمغرب وسوريا والجمهورية العربية المتحدة اتفاقا ينشىء مجلسا للوحدة الاقتصادية العربية ويمنح الدول الموقعة الحريات التالية :

١ – حركة وانتقال رأس المال .
٢ – تبادل السلع .
٣ – الاقامة والعمل والنشاط الاقتصادى .
٤ – الترانزيت واستخدام الموانىء والطائرات .
٥ – حق الملكية والميراث .

وتتضمن المادة الثانية الاجراءات التى تتبع للوصول الى الأهداف بحيث يمكن أن نقول انها تتغيا نوعا من السوق العربية المشتركة على مدى عشر سنوات . ويتشكل المجلس من عضو دائم =

مجلس الدفاع المشترك :

أنشىء هذا المجلس استنادا الى المادة السادسة من ميثاق الجامعة ويتكون من وزراء الخارجية والدفاع الوطنى للدول المتعاقدة أو من ينوبون عنهم ·

ويعمل تحت اشراف مجلس الجامعة فيما يتعلق بشئون الأمن الجماعى « بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة ، لرد الاعتداء ولاعادة الأمن والسلام الى نصابهما » ، وتنسيق موارد الدول المتعاقدة وحاجاتها « فى تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى اعتداء مسلح » ·

اللجنة العسكرية الدائمة :

وتؤلف « من ممثلى هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه » · « وترفع هذه اللجنة الدائمة تقاريرها عما يدخل فى دائرة أعمالها الى مجلس الدفاع المشترك » الذى أشرت اليه فيما سلف · وقد نص الملحق العسكرى للمعاهدة على اختصاص للجنة يعتبر قرينا لاختصاصها العسكرى وملازما له وهو « تقديم المقترحات لاستثمار موارد الدول المتعاقدة الطبيعية والصناعية والزراعية وغيرها لصالح المجهود الحربى والدفاع المشترك » ·

التزامات الدول الأعضاء :

فرض ميثاق الجامعة العربية على الدول الأعضاء التزامات تقتضيها ضرورة تحقيق الغرض الذى نشأت من أجله الجامعة · ويمكن أن نجمع هذه الالتزامات أساسا فيما يلى :

متفرغ من كل دولة عضو ويكون مقره فى القاهرة · وقد دخل الاتفاق طور التنفيذ اعتبارا من ابريل ١٩٦٤ · وقد انضمت خمس دول أخرى الى الاتفاق هى الجزائر والمغرب والسودان وتونس واليمن ·

واجتمع المجلس للمرة الأولى فى ٤ يونيو ١٩٦٤ وأقام بضع لجان دائمة · ولا شك أن مجلسا كهذا يمكن أن يطور مستقبل الجامعة العربية · اننى لا أدعى أن انشاء سوق عربية مشتركة يمكن أن يتحقق بلمسة من عصا سحرية ولكننى أركز على أهمية الدور الكبير الذى يمكن أن يقوم به هذا المجلس بالنسبة للاقتصاد العربى خاصة والوحدة العربية عامة ·

١ — لا يجوز لدول الجامعة أن تلجأ الى القوة لفض المنازعات فيما بينها ٠

٢ — على كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة أن تحترم نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى وأن تعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بالا تقوم بعمل يرمى الى تغيير ذلك النظام فيها ٠

٣ — تلتزم الدول الأعضاء بتنفيذ قرارات المجلس حسب النظام الذى رسمه الميثاق ٠

٤ — على الدول المشتركة فى الجامعة أن تودع الأمانة العامة نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها أو تعقدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها ، وهذا النص يشبه نص م ١٨ من عهد عصبة الأمم ، وهو دون متطلبات السياسة الموحدة التى نص عليها بروتوكول الاسكندرية بكثير ٠

٥ — اذا رغبت دولة فى الانسحاب فعليها ابلاغ المجلس عن عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة ٠

٦ — على الدول الأعضاء أن تدفع كل منها حصتها فى نفقات الجامعة(١) ٠

---

(١) يبدو أن الطبيعة الحساسة لبعض بنود الميزانية — مثل مقاطعة اسرائيل — تجعل من غير الميسور الحصول على البيانات الخاصة ببنود الميزانية ٠ ويحدد مجلس الجامعه حصة كل عضو فى الميزانية (تتحمل الجمهورية العربية المتحدة حوالى ربع ميزانية الجامعة) ٠ ولكن بعض الأعضاء قد يتأخرون فى الوفاء بحصتهم أحيانا فقد شكى الأمين العام فى أكتوبر ١٩٥٣ من أنه لم يتلق مخصصات أية دولة ٠

ويقر مجلس الجامعة أحيانا — بجانب الميزانية العادية — بعض المخصصات ففى سنة ١٩٥٨ صوت مجلس الجامعة على منح معونة سنوية للجزائر قدرها ٢ مليون جنيه مصرى ٠ كما قرر مجلس الملوك والرؤساء سنة ١٩٦٤ ميزانية قدرها ٤٢ مليون دولار للدفاع ، ١٧٫٥ مليون دولار للنفقات الأولية لمشروع تحويل مجرى نهر الأردن ٠ وتوزيع هذه المخصصات ليس دائما بنسبة حصة الدول فى الميزانية العادية فقد يكون بنسب أخرى ٠

الفرع الثالث
فى
رسم سياسة الجامعة وتنفيذها

تمهيـــــد

قلت ان عيبا من العيوب الرئيسية التى تؤخذ على الجامعة العربيـــة هو أنها بديل هزيل للوحدة العربية أو أنها على الأقل فشلت فى أن تحقق الوحدة العربية ٠ على أننا يجب - عند دراسة الجامعة العربية - أن نضع فى اعتبارنا أن واضعى ميثاق الجامعة قد عزفوا عن - ان لم يكونوا قد اتخذوا قرارا ضد - الوحدة العربية وأحلوا محلها تنظيما اقليميا ٠ ولذلك فاننى لا أتفق مع أولئك الذين يبحثون فى ميثاق الجامعة عن أحكام كان المقصود بها تحقيق الوحـــدة العربية بالمعنى الذى نفهمه ٠ ولعل الحقيقة الجوهرية لقيام الجامعة بدورهـــا كمنظمة اقليميـــة هى - بحسب تعبير كابلان فى نظريته عن تطـــور النظم الدولية(١) - نظام غير موجه ٠ ويتميز النظام الذى ليست له قدرة على التوجيه فى رأى كابلان بالآتى :

أ - يجرى تحديد الاختصاص القانونى لأعضاء التنظيم الدولى بالنسبة لبعض الوظائف بواسطة نظم سياسية فرعية من الغــــير (مجموعة الـــدول الأعضاء) بينما يترك تحديد الاختصاص فى وظـــائف أخرى للنظم الوطنية الفرعية ٠

ب - يملك النظام الدولى وسائل للتكامل تؤدى وظائف قانونية واقتصادية وسياسية وادارية ٠

جـ - يمكن أن يتكون ائتلاف داخلى رسمى أو غير رسمى لأغراض انجـــاز الأهداف الوطنية عن طريق النظام الدولى ٠

---

(١) راجع الفصل الثانى من كتاب Kaplan, Morton A. : System and Process in International Politics, New York, 1957.

د ـ يكون هناك تنافس بين أعضاء النظام ولكنه لا يصل الى حد تحطيمهم فالحفاظ على النظام له الأسبقية ٠

هـ ـ يملك النظام الدولى تسهيلات وموارد تعلو على ما للاعضاء الوطنيين ويكون فى وضع يسمح له بأن يخصص هذه التسهيلات والموارد فى نطاق عضوية النظام ٠

و ـ يعتبر عدم الاستقرار لازمة للنظام فاذا نجح أدى هذا الى تطويره الى نظام تسلسلى (رئاسى) دولى واذا فشل لجأ الى مراكز القوى التقليدية وانقلب الى نظام توازن قوى ٠

ان البناء الداخلى للجامعة هو فى جوهره بناء غير موجه فنظام رسم سياسة الجامعة على نحو ما سوف أوضح يتطلب تنسيقا وثيقا وهو فى ذات الوقت يسمح بمدى فسيح للتصرف الفعال ٠ ومع ذلك فهناك عوامل تؤيد التكامل وأخرى تساعد على التفتيت ٠

الضوابط القانونية لاتخاذ القرارات :

تعود مهمة رسم سياسة الجامعة الى مجلس الجامعة الذى يتكون من ممثلين عن الدول الأعضاء وعن فلسطين ويجتمع مرتين كل عام (عادة فى مارس وسبتمبر[1]) ٠ « وينعقد المجلس بصفة غير عادية كلما دعت الجامعة الى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة » ٠ وقد وضع الميثاق ضوابط قانونية لنشاط المجلس تتمثل أساسا فى الأحكام الخاصة بالتصويت والقيود المتعلقة بالدور الذى يمكن أن يقوم به المجلس كهيئة ٠

ينص الميثاق على قواعد للتصويت تختلف باختلاف الحالات ٠ ومع ذلك فان الميثاق لم يعالج كافة الحالات فقد أغفل مثلا النص على الأصوات اللازمة

---

(١) تنص م ١١ من الميثاق على أن يكون الاجتماع فى كل من شهرى مارس واكتوبر ولكن العمل جرى على عقد إجتماع أكتوبر فى شهر سبتمبر حتى يكون لدى المجلس فرصة للنظر فى جدول أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة ٠

لقبول الأعضاء الجدد الأمر الذى أثار أزمة خلافة سنة ١٩٦٩ بالنسبة للكويت ٠

وتنص م ٧ على قاعدة هامة هى أن« مايقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله » ٠ وقد جاءت هذه القاعدة توفيقا بين أولئك الذين أرادوا وحدة أقوى وأولئك الذين أرادوا الدفاع عن السيادات الوطنية ٠ كذلك يصدر قرار المجلس بالاجماع فيما يلزم من تدابير لدفع الاعتداء الذى يقع أو الذى يخشى من وقوعه من دولة على دولة من أعضاء الجامعة ، « فاذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لا يدخل فى حساب الاجماع رأى الدولة المعتدية »٠ وتتبع نفس القاعدة عند التصويت على فصل عضو من الجامعة ٠ وليس بمستغرب أن يأخذ الميثاق بقاعدة الاجماع اذا ما ربطنا ذلك بالمصدر التاريخى للميثاق وهو عهد العصبة (م ٥/١ من العهد)(١) ٠ أما القرارات الخاصة بالتحكيم والوساطة فتحتاج الى الأغلبية العادية ، ومثلها الأمور الادارية والاجرائية فى حين لا بد من توافر أغلبية الثلثين لاختيار الأمين العام ولتعديل الميثاق ٠

أما التصويت فى لجان الجامعة فيتطلب عادة الأغلبية العادية ، واستثناء من ذلك فان التصويت فى مجلس الدفاع المشترك يقتضى أغلبية الثلثين ٠ ومن المناسب أن نذكر هنا أن لجان الجامعة ذات طبيعة استشارية ومهمتها الأساسية هى تقديم توصيات للمجلس ٠

---

(١) فى رأى البعض أن قاعدة الاجماع لها ميزة تجنب سيطرة دولة عضو على المنظمة وأن الأخذ بقاعدة الأغلبية العادية قد يحطم توازن المنظمة ان لم يحطم المنظمة لأنه ليس تعزيزا للوحدة العربية وانما تغطية على الاتجاهات الامبريالية لبعض الدول الأعضاء ٠ وعلى كل فقد أيد الأمين العام للمنظمة فكرة الأغلبية العادية منذ سنة ١٩٥٥ وقد أخطرت الدول الأعضاء بذلك الاتجاه فى سنة ١٩٥٨ ٠ وقد أيدت اللجنة السياسية ذلك الاتجاه فى تقرير لها فى مارس سنة ١٩٦٤ ولكن اجراء ما لم يتخذ حتى الآن لتبنى ذلك التعديل ٠ والذى أعتقده أن الأخذ بقاعدة الأغلبية يجب أن يقترن بمنح الجامعة سلطات جزائية تستطيع أن تفرض بها قراراتها والا كان عبثا أن تصدر الجامعة قرارات بالأغلبية ثم تقف الأقلية المعارضة منها موقف عدم الإكتراث الأمر الذى يحطم الجامعة بدلا من أن يقويها ، وربما كان الاجراء الوسط مؤقتا هو الأخذ بأغلبية موصوفة ٠

وينص الميثاق ـ بجانب اجراءات التصويت ـ على قواعد يترسمها المجلس فى تسوية المنازعات بالطرق السلمية على أساس امتناع الطرفين عن الالتجاء الى القوة • فتقرر م ٥ أنه « لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فاذا نشب بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذا وملزما » وللمجلس كذلك الحق فى أن يتوسط فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها ، للتوفيق بينهما ••• » • فاذا وقع الاعتداء فعلا أو كانت هناك خشية من وقوعه « فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا » • وهذا فى تقديرى استثناء من حكم المادة ١١ التى تستلزم لعقد المجلس فى دورة عادية أن يقدم الطلب من دولتين من دول الجامعة •

ولم تضف معاهدة الدفاع المشترك جديدا لهذا الحكم سوى أنها زودت بمجلس دفاع مشترك ووكالات عسكرية صالحة لأن تعالج العدوان المتحقق من داخل أو من خارج المنطقة • على أن معاهدة ١٩٥٠ قد أكدت أن الدول المتعاقدة تعتبر أن « كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها ، أو على قواتها ، اعتداء عليها جميعا ••• » •

ومما يؤخذ على الميثاق أنه بجانب عدم تفصيله للأحكام الخاصة بالوساطة والتحكيم ـ من حيث أنها اجراءات اختيارية ـ فان المادة ٥ استبعدت صراحة المنازعات التى تتعلق باستقلال الدول أو سيادتها أو سلامة أراضيها من بين ما يجوز عرضه على التحكيم • ويبدو أن واضع الميثاق أراد باستبعاد هذه المنازعات أن يفرق بين ما يسميه الفقهاء المنازعات القضائية والمنازعات غير القضائية فكانت النتيجة أن اختار صيغة تعوق مجلس الجامعة عن اتخاذ أى تصرف(١) •

---

(١) مما يذكر من تاريخ مجلس الجامعة أنه ـ فى باكورة ايامه ـ نظر شكوى سوريا ضد الأردن بشأن مشروع سوريا الكبرى • وقد أبدى رئيس الوزراء الأردنى أمام المجلس ـ فى ٢٦ =

اتخاذ القرارات : اللجنة السياسية بدلا من المجلس :

ينص ميثاق الجامعة على أن تتخذ القرارات بمعرفة مجلس الجامعة طبقا لقواعد محددة ، الا أن ظروف العمل أدت الى أن تتولى اللجنة السياسية كافة اختصاصات المجلس عدا الاسم . وتشكل اللجنة السياسية عادة من وزراء خارجية الدول الأعضاء وان كانت كثيرا ما تتكون من الممثلين الدبلوماسيين للدول الأعضاء في القاهرة ، وتختص بتقديم توصيات للمجلس .

والذى يحصل عملا أن اللجنة السياسية تجتمع قبيل دورة انعقاد المجلس ، وكذا فى فترات أخرى وتناقش توصيات اللجان الفنية الأخرى كما أنها تناقش التوصيات التى تدخل فى اختصاصها . فقد ناقشت مثلا فى دورة سنة ١٩٥٧ خطة لسوق عربية مشتركة وردت من المجلس الاقتصادى .

وتتخذ اللجنة السياسية توصياتها بالأغلبية العادية ثم تصاغ فى شكل قرار يعرض على مجلس الجامعة حيث تجرى الموافقة عليه دون مداولة جدية . ولذا كثيرا ما تقوم اللجنة السياسية ـ بسبب المقتضيات العملية ـ بدور الجهاز الرئيسى فى اتخاذ قرارات مجلس الجامعة وقد ساعد على ذلك أن أعضاء هذه اللجنة كثيرا ما يكونون هم أنفسهم أعضاء المجلس . وقد تكشف العمل تدريجيا ـ فيما يتعلق بهذا الموضوع ـ عن مؤتمر لوزراء الخارجية خارج ميثاق الجامعة ونظرا لأن تشكيله كثيرا ما يتطابق مع تشكيل اللجنة السياسية ومجلس الجامعة فى دورة بعينها فانه كان يقوم عادة بدور اللجنة السياسية بصفة غير رسمية . ثم حصل مؤخرا أن مؤتمر وزراء الخارجية طور نفسه فأصبح اللجنة السياسية وتبعا أصبح مجلس الجامعة وهكذا أصبحت توصياته غير الرسمية تسجل فى وثائق الجامعة . وهكذا فان مجلس الجامعة ـ الذى لا زال من الناحية الرسمية هو جهاز اتخاذ القرارات ـ أصبح مجرد «كليشيه» لاعتماد التوصيات التى تصل اليه من اللجنة السياسية دون مناقشة حتى أن

نوفمبر سنة ١٩٤٦ ـ أن المجلس لا يختص بنظر منازعة أو خلاف بين دولتين من الأعضاء الا اذا عرضها الطرفان للتحكيم . وقد ناقش المجلس فى مارس سنة ١٩٦٤ تعديل الميثاق للنص على التحكيم الالزامى .

بعض التصرفات الادارية التى ينص الميثاق على أن تصـــدر بموافقة المجلس أصبحت تتخذ الآن بموافقة اللجنة السياسية فحسب مثال ذلك أن اللجنـــة السياسية وافقت فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٨ على تعيين أمينين مساعدين — وهو قرار ينص الميثاق على أن يصدر عن المجلس — ومع ذلك فلم تكن هناك حاجة لعرض هذا القرار على المجلس بعد أن صدر عن اللجنة بالأغلبية •

ويمكن أن نصف الوضع الذى وصلت اليه اللجنة السياسية — أو مؤتمر وزراء الخارجية — من الناحية القانونية حيال مجلس الجامعة بأنه أميـــل الى تفويض السلطة منه الى الانتقاص منها • وليس من مبرر أن ننظر الى هذا التطور على أنه رجوع بالجامعة الى القهقرى بل انه على العكس مرونة تمشت فيها اجراءات اتخاذ القرارات مع متطلبات المواقف المختلفة حيث تعلو المصلحة العامة على القيود القانونية الشكلية •

اتخاذ القرارات : العوامل المؤثرة :

يبدو لمن ينظر الى سير العمل فى الجامعة عن كثب أن قدرة الجامعة على اتخاذ الاجراءات تتأثر بتفاعل عاملين متأصلين أولاهما محاولة الدول الأعضاء أن تحقق أهدافها الوطنية عن طريق أجهزة الجامعة وثانيهما تضحيتها بشطر من غيرتها على سيادتها للسير قدما بالأهداف الجماعية للجامعة تقديرا منها لجدوى النظام ، ولاشك أن تغلب أحد العاملين على الآخر هو الذى يسيطر على مدى استمرار الخلاف • ولا ننسى أن قرارات مجلس الجامعة هى توصية أو طلب أو استحثاث للدول الأعضاء لاتخاذ اجراء مشترك ، وهذه حصيلة طبيعية لواقع أن الجامعة صممت لكى تكون وكالة تنسيق تفتقر الى سلطات القهر التى تملكها الحكومة ولذا فان مجلس الجامعة هو جهاز لرسم الســـياسة وليس هيئة تشريعية • ولا يملك اتخاذ قرارات توجيهية الا للأجهزة الداخلية للجامعة كالأمانة العامة مثلا • ولعل هذا هو الذى دعى البعض لأن يصف مجلس الجامعة بأنه يزيد قليلا عن مؤتمر حكومات مجهز بأقل العوامل المشتركة(١) •

---

(1) Haas, Ernest B.: International Integration: The European and the Universal Process, International Organization, XV, 1961, p. 379.

وقريب من الملاحظة التى أبديتها بشأن العاملين اللذين يشكل تفاعلهما سياسة الجامعة ما حاوله بعض الكتاب من تصنيف للموضوعات التى تعرض على جامعة الدول العربية تصنيفا يتفق فى عمومه مع سياسة الجامعة فى اتخاذ قراراتها . وأسوق هنا ما ذهب اليه ماكدونالد(١) .

اختار ماكدونالد عشرة موضوعات هى فى نظره الموضوعات الرئيسية التى تهتم الجامعة العربية بها . وهى :

١ - الحفاظ على السيادات .

٢ - الوحدة السياسية (الوحدة العربية) .

٣ - التعاون العسكرى .

٤ - التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٥ - مشكلة فلسطين .

٦ - الاستقلال السياسى لكل الدول العربية .

٧- التضامن الأفرآسيوى .

٨ - الحيـــــاد .

٩ - التعاون مع الأمم المتحدة .

١٠- العلاقات مع اسرائيل .

ويعترف ماكدونالد بأن هذا التجميع هو تحديد تقريبى للموضوعات لأن الموضوعات تتداخل بطبيعتها . مثال ذلك أن الحفاظ على السيادات يرتبط بالاستقلال السياسى لكل الدول العربية وأن التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتكامل مع التعاون مع الأمم المتحدة وأن مشكلة فلسطين والعلاقات مع اسرائيل تبدوان وجهين لعملة واحدة وهكذا . ويجرى الكاتب تصنيفين لهذه الموضوعات أولهما هو تصنيفها الى موضوعات داخلية (يدرج ضمنها الموضوعات

(١) ماكدونالد - المرجع السابق ، ص ٨٢ - ١٠١ .

الخمسة الأولى) وموضوعات خارجية (يدخل فيها الموضوعات من ٦ - ١٠) ٠ والتصنيف الثانى هو تقسيمها الى موضوعات تتكامل حيـــالها موقف الدول الأعضاء ويضع تحتها الموضوعات العشرة السابقة عدا الحفـــاظ على السيادات والوحدة السياسية والحياد ومشكلة فلسطين فيدخلهافى الموضوعات التىيتفتت فيها موقف الدول الأعضاء(١) ٠

ويقصد ماكدونالد باجراءات التكامل تلك التى تكون بالاجماع أو تحبذ اتخاذ سياسات مشتركة أو اجراء جماعى تجاه هدف مشترك ٠ أما اجراءات التفتيت فهى التى تعوق أو تنفى الاجماع أو اتخاذ تصرف جماعى وذلك مرجعه أساسا تعارض المصالح الفردية مع أهداف الجماعة ٠ ومن ثم فان التصنيف يقوم على القدرة النسبية للدول الأعضاء على اخضاع مصالحها الذاتية للخـــير المشترك ٠ ويرى المؤلف المذكور أن عوامل التكامل والتفتيت تتبادل الدور فى التأثير على ما تتخذه الجامعة من قرارات وأن عوامل التكامل ذاتها قد تتعارض مع بعضها البعض وكذا الحال بالنسبة لعوامل التفتيت ٠ فان التكامل الذى يتجه ناحية الوحدة الاقتصادية لا يعنى دائما قيام تعاون بين الجامعة وبين الأمم المتحدة لأن هناك عاملا آخر من عوامل التكامل قد يعارض هذا التعاون وهو العلاقة مع اسرائيل حيث تمتنع الدول العربية عن الدخول فى علاقـــات مع اسرائيل وان كان الأكثر أن يحصل التوازن والاختلال بين عوامل التكامل من ناحية وعوامل التخاذل من ناحية أخرى ٠

السياسة الخارجية للجامعة العربية

تهتم دساتير المنظمات الدولية عادة بتحديد الأهداف التى تسعى الى انجازها تحقيقا للخير المشترك للدول الأعضاء فيها - وهذا ما يمكن أن نسميه

---

(١) هناك ملاحظة تفرض نفسها لدى تفهم تصنيف ماكدونالد وهى أنه وضع العلاقة مـــع اسرائيل فى جانب عوامل التكامل بينما وضع مشكلة فلسطين تحت عوامل التفتيت ، ويجيب ماكدونالد على ذلك بأن موقف العرب حيال اسرائيل موقف موحد أما قضية فلسطين فيقصد بهـا سياسة العرب حيال مشكلة اللاجئين واقامة حكومة منفى لفلسطين واعادة فلســـطين كاملة الى سكانها العرب السابقين ، وفى رأيه أن وجهة النظر العربية ليست متفقة حيال هـــذه البنود الثلاثة ٠

بالسياسة الداخلية للمنظمة - ولكن دستور المنظمة قل أن يقدم العون لمن يريد أن يتعرف على السياسة الخارجية للمنظمة ، وعلى الدارس ان يستنبط ذلك من بين السطور وأن يهتدى فيه بما جرى عليه عمل المنظمة ٠ ولكن الطريق ليست دائما ميسورة لا سيما اذا كان القصد هو الوصول الى تعميمات ٠

ويمكن - أخذا بالأمور فى مجموعها - أن نقول ان السياسه الخارجية للجامعة العربية تتجمع حول ثلاثة خطوط عريضة هى : التعاون مع الأمم المتحدة ، والحياد الايجابى وعدم الانحياز ، ومقاطعة اسرائيل ٠ وأتناول كلا من هذه الخطوط بكلمة واحدا بعد الآخر ٠

أ - التعاون مع الأمم المتحدة(١) :

نظرت الدول العربية الى الأمم المتحدة فى البداية على أن دورها التعاونى هو تسهيل التكامل الوظيفى الذى يقوم أساسا فى مجال الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وليس فى تحقيق الأمن الجماعى ٠ ولذا أبرز المتحدث باسم الجامعة العربية أثناء مناقشة مشروع ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ أهمية التعاون الاقليمى مع الأمم المتحدة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية مقدما ذلك على التعاون فى تحقيق السلم والأمن الدوليين ٠٠ ولكن الناطق باسم الجامعة لم يعن بذلك اهمال دور الأمم المتحدة السياسى ٠ ومن المظاهر الأولى للتعاون السياسى بين الجامعة والأمم المتحدة أن مجلس الجامعة أحال النزاع بين فرنسا وسوريا ولبنان بشأن الانتداب على الدولتين العربيتين الى مجلس الأمن حيث أمكن الوصول سنة ١٩٤٦ الى تسوية مرضية للعرب ٠ ولكن سرعان ما تبين العرب أن الميثاق لا يعنى دائما ذات الشىء بالنسبة للجميع فقد أصابتهم خيبة أمل مريرة للطريقة التى عالجت بها الأمم المتحدة قضية فلسطين ١٩٤٧/١٩٤٨ والفشل الذى منيت به فى قضية مصر ضد الاحتلال البريطانى الأمر الذى أكد للجامعة ضرورة مضاعفة جهودها للحصول على اعتراف رسمى بها كمنظمة اقليمية طبقا لميثاق الأمم المتحدة والاستفادة من موارد الأمم المتحدة حتى يمكنها حل المشاكل الاقليمية الكبرى مثل مسألة استقلال دول

---

(١) سأعود الى هذا الموضوع فيما بعد لمعالجة جوانب اخرى له ٠

شمال افريقيا(١) ٠

فاعترفت الأمم المتحدة رسميا فى دورة مارس سنة ١٩٥٠ بالجامعة بوصفها منظمة اقليمية طبقا للفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة ٠ ويواظب الأمين العام للجامعة منذ سنة ١٩٥١ على حضور دورات اجتماع الجمعية العمومية كمراقب رسمى ، وتقوم مكاتب الجامعة فى نيويورك وجنيف بتنسيق برامج وسياسات تمس المنظمتين ٠ على أنه ليس من السهل أن نحدد بدقة مدى أثر الجامعة العربية على الأمم المتحدة ٠ لا شك أن جهود دول الجامعة — التى كانت من أول الجبهات الداخلية التى عرفتها المنظمة العالمية — ساعدت على تدعيم مركز الجمعية العمومية حيال مجلس الأمن ، كما نجحت الى حد كبير فى تحقيق استقلال الدول العربية عن طريق المنظمة وكان تشجيع دول الجامعة للجبهة الأفروأسيوية دعامة مكنت الجبهة من السيطرة على الجمعية العمومية ٠

أما فى نطاق الدور الوظيفى فقد سعت الجامعة العربية الى توسعة المجال للمجلس الاقتصادى والاجتماعى وكانت من بين المحركات البارزة وراء انشاء وكالات الأمم المتحدة التى تغذ الخطى نحو التنمية الاقتصادية وتنظيم التجارة العالمية ٠ كما أقامت — فى تاريخ مبكر من حياتها — علاقات غير رسمية مع كثير من الوكالات المتخصصة وأبرمت اتفاقات رسمية مع منظمة الصحة العالمية ومنظمة التغذية والزراعة ومنظمة العمل الدولية واليونسكو(٢) ٠

ب — الحياد الايجابى وعدم الانحياز :

أصبحت سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز من الاعتبارات الجوهرية

---

(١) عبر مجلس الجامعة عن وجهة نظره حيال الأمم المتحدة فى قرار له بتاريخ ٢ فبراير ١٩٥١ ذكر فيه ان الجامعة العربية تتخذ من مبادىء الأمم المتحدة مبادىء لها وتنذر نفسها طبقا لهذه المبادىء للعمل على استئصال الحرب بيد أن الجامعة لا تستطيع أن توفى بالتزاماتها كاملة اذا كانت بعض الدول الأعضاء فيها لم تصل بعد الى مرحلة السيادة الكاملة وقد حرمت حق الدفاع عن النفس ٠

(٢) سألقى مزيدا من الضوء على علاقة الجامعة بالأمم المتحدة فى جزء لاحق من هذا الكتاب ٠

التى تشكل موقف الجامعة العربية عموما وفى داخل الأمم المتحـــدة خصوصا لا سيما بعد مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ الذى عزز وقوى تلك السياسة وان كانت بدايات هذه السياسة قد ظهرت قبل ذلك · ويمكن أن نرجع تاريخ تلك السياسة الى الموقف العاجز الذى وقفته المنظمة العالمية فى شكوى مصر ضـد بريطانيا ، الأمر الذى خلف تصميما عربيا مشتركا على عـــدم التعـاون مع بريطانيا الى أن تتحقق الأهداف العربية · ولم يقتصر الأمر على بريطانيا بل امتد الى دول غربية أخرى لها مصالح فى الشرق الأوسط وشــمال أفريقيـا وأخصها فرنسا ·

كما يعتبر فشل الولايات المتحـــدة الأمريكية فى فرض معاهدة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط التى اقترحها دالاس علامة بارزة فى تطور سياسة عدم الانحياز العربية · وتولت مصر القيـادة فى التبشير بسياسة حيـادية عندما تبينت لها الأبعاد الحقيقية للحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية وربما كانت السابقة الأكثر وضوحا لسياسة عدم الانحياز هى الموقف الذى اتخذته الجامعة العربية فى أزمة كوريا داخل الأمم المتحـــدة اذ امتنعت دول الجامعة (عدا العراق) عن التصويت على الموضوع عندما تورطت الأمم المتحدة فيه · بيد أن هذه جميعا تعتبر فى الواقع بدايات باهتة لسياسة عدم الانحياز التى أصبحت فيما بعد ركيزة من ركائز السياسة الخارجية للجـــامعة العربية لأن موقف الدول العربية من عدم التعاون مع الغرب لا يمكن أن يوصف بأنه تمسك منها بسياسة الحياد بالمعنى الصحيح فقد وقف نورى السعـــيد سنة ١٩٥٤ ليؤكد فى مجلس الجامعة أن هذا المجلس رفض سنة ١٩٥٠ أن يقر الحياد كمبدأ سياسى وان كان قد اشترط أن تستجاب المطالب العربيـــة كمقدمة للتعاون مع الغرب · كذلك نجد مجلس الجامعة ١١ يناير سنة ١٩٥٤ يؤيد مصر ضد بريطانيا ولكنه يرفض التقيد بسياسة الحياد ثم كان عـــام ١٩٥٥ الذى دفع بالجامعة العربية الى حلبة العالم الثالث ·

وكان مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥(١) هونقطة التحول الواضحة بالنسبة

(١) من المحتمل أن ظروفا سبقت المؤتمر هى التى مهدت الضمير العربى للايمان بسياسة الحياد الايجابى ، ويذكر المعلقون هنا زيارة المستر نهرو التى قام بها فى اغسطس سنة ١٩٥٣

لانتهاج الجامعة العربية لسياسة الحياد بعد أن ساهم العرب مساهمة واضحة في ذلك المؤتمر · ولذا نقرأ فى تقرير السيد أمين حسونة الأمين العام للجامعة الذى قدمه عن المؤتمر أن موضوعات نوقشت فى اجتماعات المؤتمر لها أهمية خاصة للجامعة وهى :

١ ـ مشكلة فلسطين ·

٢ ـ تحرير الدول العربية فى شمال أفريقيا وعدن ومحميات الخليج العربى ·

٣ ـ التعاون مع الأمم المتحدة ·

٤ ـ تقوية التمثيل الاقليمى فى مجلس الأمن ·

ويختم الأمين العا متقريره بأنه ما دام أن أهداف مؤتمر باندونج هى فى جوهرها أهداف الجامعة فان الأمانة العامة للجامعة يجب أن تعمــــل كمركز تنسيق فى الشرق الأوسط للنشاط الأفرواسيوى وأن يقوم مكتب الجامعة فى نيويورك بذات المهمة لدى الأمم المتحدة ·

ثم تابعت الجامعة سيرها على سياسة الحياد فنجد اللجنـــة السياسية للجامعة تشجب ـ فى اجتماع لها عقــد ببيروت فى ٧ أبريل سنة ١٩٥٩ ـ موقف العراق لتورطها فى علاقات مع الكتلة السوفيتية ملاحظــة أن الجامعة العربية قد ارتبطت بسياسة عدم الانحياز · ونقرأ فى نشرة رسمية للجامعة العربية صدرت فى يونيو سنة ١٩٦١ تعريفا للحياد سبق أن أخذ به مؤتمر الدول غير المنحازة الذى كان قد عقد فى القاهرة وحضرته معظم الدول العربية· وما أن حل عام ١٩٦٣ حتى كان مبدأ عدم الانحياز قد استقر كسياسة للجامعة لا تحيد عنها · وقد أغرت سياسة عدم الانحياز الدول العربيـــة فى شمال أفريقيا عندما استقلت وأصبحت أعضـــاء فى الجامعة ، بعد أن أثبتت هـذه

للقاهرة واجتمع أثناءها ببعض المسئولين العرب ، وكذا الأثر الذى تركته آراء السفير الهنــدى مستر بانيكار ـ الذى بقى سفيرا لحكومته فى القــاهرة الى سنة ١٩٥٤ ـ والتى كانت تدافـع بحماس ومنطق أخاذ عن سياسة الحياد الايجابى ·

السياسة نجاحها الملحوظ . والحق أن سياسة الحياد هى أسلم سياسة يمكن لمنظمة اقليمية أن تتبعها فهى تسمح للجامعة بحرية أكبر فى الحركة ومزيد من النفوذ داخل الأمم المتحدة . وقد ساعد على فعالية تلك السياسة تعاون الجامعة العربية مع الدول الأفروأسيوية مما انتهى بالشرق والغرب الى التنافس للحصول على فرص فى العالم العربى لبناء السدود ومحطات القوى والمصانع والمدارس وغير ذلك .(١)

ج ـ مقاطعة اسرائيل :

تمثل مقاطعة اسرائيل اتجاها أساسيا فى السياسة الخارجية لجامعة الدول العربية وذلك بقصد اعاقة نمو اسرائيل ، أى فلسطين التى اغتصبتها الصهيونية . وقد اتفقت كافة الدول أعضاء الجامعة ـ بقرار مجلس الجامعة رقم ١٦ الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ـ على مقاطعة السلع التى تنتجها المصانع الصهيونية فى فلسطين . وكان القصد أولا من المقاطعة هو منع التهريب ولذا فقد رأس مكتب المقاطعة مصرى من خفر السواحل حتى سنة ١٩٥١ . ولكن المقاطعة تبدلت منذ سنة ١٩٤٨ ـ أى قيام اسرائيل ـ الى أداة رفاهية اقتصادية منعت بمقتضاها كافة الصفقات التجارية بين الدول العربية واسرائيل ومن ثم فان كل من يتعامل مع اسرائيل من رجال الأعمال يوضع فى القائمة السوداء فلا يسمح له بالعمل أو الاتجار فى الدول العربية . وتجرى المحاولات لتقييد المواصلات فى البر والبحر والجو التى تخدم اسرائيل . ولم تشذ دولة عربية عن هذه المقاطعة فقد داومت مؤتمرات المقاطعة على الانعقاد حتى فى أحلك فترات العلاقات العربية .

وقد استخدمت الجامعة العربية سلاح المقاطعة كسلاح سياسى دولى فى بعض المناسبات رغم أن الاجراء العادى هو وضع المصلحة الأجنبية فى القائمة السوداء بحسب الحالة . ومن الأمثلة ذات الأهمية على ذلك قرار مجلس الجامعة

---

(١) نظر المراقبون الغربيون ردحا من الزمن الى سياسة العرب فى الحياد الايجابى من خلال سحابة سوداء جعلتهم يتصورون الحياد على أنه رفض لكل ما هو غربى وقبول لكل ما هو شرقى ونسوا أن سياسة الغرب الامبريالية وتجاهله الفاضح لصالح العرب هو المسئول عن ذلك ، فلو أن الغرب أصلح من شأنه وعدل فى كيله لكسب ثقة العرب ورضاهم .

سنة ١٩٥٧ بمقاطعة خطوط طيران ايرفرانس بسبب استثمارات تلك الشركة في مشروعات التنمية الاسرائيلية فتوقفت أعمال الشركة فى القاهرة ودمشق ثم اضطرت بعد ثمانية عشر شهرا الى الاستسلام للمطالب العربية ٠ وقد تكرر المثل فى سنة ١٩٥٩ بالنسبة لشركة رينولت الفرنسية للسيارات الأمر الذى أدى الى انهيار مشروع الشركة الفرنسية لانشاء مصنع تجميع فى فرنسا بعد أن هدد مكتب المقاطعة بغلق الأسواق العربية فى وجه الشركة ، ونظرا لأن كلا من اير فرانس ورينولت مملوكة للحكومة الفرنسية فان المقاطعـــة كانت تهدف للقصاص من المساعدة التى قدمتها فرنسا لاسرائيل خـــلال العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ٠

وقد استخدمت المقاطعة على المستوى الســـياسى سنة ١٩٥٧ لمنـــع تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا من الاتجـــار مع اسرائيل ٠ كما أن العلاقات بين العرب وتركيا قد فترت لعدة سنوات بسبب الروابط التجارية التى بين تركيا واسرائيل ٠ وقد اهتم مكتب المقاطعة بقبرص من حيث امكان استخدامها كمستودع تشحن منه السلع الاسرائيلية الى الدول العربيـــة أو العكس بالعكس ٠ وقد هددت الجامعة العربية بمقاطعة ايران بعد أن قطعت الجمهورية العربية علاقاتها الدبلوماسية بالأخيرة فى يوليو سنة ١٩٦٠ اثر دمغ مجلس الجامعة لتأكيد الشـــاه بأن ايران ســـبق أن اعترفت اعترافا واقعيا de facto باسرائيل ٠

وقد أولت الجامعة اهتماما كبيرا فى ١٩٦٣/١٩٦٤ لاعتراف ألمانيا الغربية باسرائيل ومارست ضغطا شديدا على ممثلى ألمانيا فى الدول العربية وممثلى الدول العربية فى ألمانيا لوقف ألمانيا عن اتخاذ تلك الخطوة المتهـــورة ٠ كما هددت الجامعة فى ١٩٦٢/١٩٦٣ الجماعة الأوروبية الاقتصادية بالمقاطعة لأن العرب توجسوا أن تلك الجماعة على وشك أن تبرم اتفاقا يجعل من اسرائيل عضوا منضما فى السوق الأوروبية المشتركة ٠

ولكن يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تلقى بالا كبـــيرا الى تلك المقاطعة حتى أن ثمانين مصلحة أمريكية وضعت دفعة واحدة فى أكتوبر سنة ١٩٦٢ ضمن القائمة السوداء ٠

وقد التفتت الجامعة ـ منذ سنة ١٩٦١ ـ الى النشاط الاقتصادى والفنى الذى تمارسه اسرائيل فى افريقيا ، ولكن الجامعة لم تنجح بعد ـ رغم العديد من الاجراءات المضادة ـ فى اقناع بعض الدول الافريقية بأن ترفض العروض الاسرائيلية لتقديم المساعدات الفنية والتدريبية وأن تعزف عن انشاء علاقات تجارية مع اسرائيل • وقد استفادت الجامعة فى محاربة الجهود الاسرائيلية فى أفريقيا بفشل المشروع المشترك لانشاء حوض للسفن بين شركة السفن الاسرائيلية « زم Zim » وحكومة سيراليون بوصفه واجهة سيئة للمعونة الاسرائيلية •

ويؤيد الجامعة فى موقفها من اسرائيل أن الحرب التى نشبت بين العرب واسرائيل فى سنة ١٩٤٨ لم تنته بعد وأن حالة الحرب لا زالت مستمرة • وتستند الجامعة فى ذلك على السوابق الدولية مثل مقاطعة عصبة الأمم لايطالية سنة ١٩٣٠ ، وكذا الحظر الاقتصادى الذى فرضته مؤخرا الولايات المتحدة على كوبا • وقد أيدت الجامعة موقفها هذا فى تصريح رسمى صدر عن الأمانة العامة للجامعة فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٦٣ بمناسبة تهديد شركة التأمين البريطانية British - Norwich Union ،حيث فند ادعاء الصهيونية العالمية بأن هذا الاجراء من الجامعة يعتبر تدخلا فى الشئون البريطانية الداخلية موضحا أن الصهيونية العالمية تتجاهل بهذا الادعاء أن العرب بمقاطعتهم لاسرائيل انما يدافعون عن أنفسهم ضد قوى العدوان التى تحتل جزءا من أرضهم والتى هم فى حالة حرب معها • وطبقا لبيان الأمانة العامة فان اجراء المقاطعة :

١ ـ ليس عملا من أعمال الانتقام وانما هو اجراء دفاعى ووقائى •

٢ ـ وهو لا يقوم على أى تمييز دينى أو عنصرى فالعرب يتعاملون مع شركات يملكها يهود لا يؤيدون اسرائيل •

٣ ـ ثم انه سلاح مشروع لا يتناقض مع القانون الدولى •

٤ ـ والدول العربية حريصة على ألا تضر بمصالح الشركات الأجنبية ولذا فانها تتصل بالشركات التى تتعامل مع اسرائيل لتستوضح طبيعة تلك العلاقات فاذا كانت علاقات تجارية خالصة فانها لاتتخذ ضدها أى اجراء أما اذا ثبت أن تلك العلاقات مما يقوى الاقتصاد

الاقتصاد الاسرائيلى ومجهودها الحربى ونواياها العدوانية التوسعية فانها تطلب الى الشركة أن تختار بين العرب وبين اسرائيل ٠

وتمارس الجامعة برنامج المقاطعة عن طريق مكتب الجامعة للمقاطعة الموجود فى دمشق والذى يعقد اجتماعات نصف سنوية ، ويقوم ضباط اتصال بتنسيق سياسات المقاطعة وبرامجها فى العالم أجمع تحت الاشراف العام لمجلس الجامعة والمجلس الاقتصادى ٠

ولا يمكن انكار الأثر الذى أحدثته المقاطعة فى الاقتصاد الاسرائيلى ، ولعل من بين الفوائد العملية للمقاطعة أنها تبقى قضية فلسطين حية فى نظر العرب خاصة والعالم عامة ٠

الفرع الرابع
فى
دور الأمين العام

تمهيد :

لم يحدد ميثاق الجامعة ـ على عكس ميثاق الأمم المتحدة ـ اختصاصات الأمين العام على وجه الدقة ، ولذا فان منصب الأمين تطور مع نطاق نشاط الجامعة ـ شاذا فى بعض الأحيان وتحكميا فى أحيان أخرى ـ كما تأثر الى حد كبير بشخصية الأمينين اللذين شغلا المنصب ٠

وكان عبد الرحمن عزام[1] (باشا) أول من شغل منصب الأمين العام وهو من الوطنيين الذين تحمسوا لفكرة القومية العربية منذ العشرينيات اذ كان

---

(١) تنص م ٣/١٢ من ميثاق الجامعة على أن يعين « فى ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة » ٠ وقد جاء فى الملحق الخاص بتعيين الأمين العام للجامعة ما نصه : « اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام بك أمينا عاما لجامعة الدول العربية ٠ ويكون تعيينه لمدة سنتين ٠ ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة » ٠

يرى أن العرب هم أمة المستقبل . وقد دعاه تحمسه لهذه الفكرة وعدم وجود نصوص فى ميثاق الجامعة تفصل اختصاصات (الأمين العام) ، دعاه ذلك الى أن يشعر بأنه هو الجامعة العربية ، أو كما سماه البعض « السيد الجامعة العربية »[1] . وقد أدى هذا الى شن حملة ضده من بعض الدول العربية لتعديه اختصاصاته كأمين عام كما اعتبره البعض مسئولا عن نكبة فلسطين والطريقة غير الناجحة التى عولجت بها قضية فلسطين بعد ذلك ومعارضة مشروع وحدة الهلال الخصيب . وانتهت هذه الحملات باستقالته من منصبه فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وخلفه فى المنصب محمد عبد الخالق حسونة (باشا) الذى لا زال يشغل المنصب الى الآن .

والواقع أن اختصاصات الأمانة العامة فى عهد عزام لم تتطور كثيراً بسبب اتجاه مجلس الجامعة الى عدم تقوية الأمانة العامة حتى لا يزداد تحكم الأمين العام . ولذا فان اختصاصات ادارة فلسطين الحالية كانت بيد لجنة وظلت فى يدها الى أن استقال عزام سنة ١٩٥٢ فأصبحت تحت اشراف الأمين العام ، كذلك فان مكتب مقاطعة اسرائيل حيث كانت تقوم بأعماله لجنة مقاطعة الى سنة ١٩٥١ عندما استغرق مكتب للمقاطعة كان قد أنشىء حديثا اختصاصات تلك اللجنة . فى حين أن حسونة استطاع ـ بتأييد من مجلس الجامعة ـ أن يوسع من اختصاصات الأمين العام كما زاد من عدد موظفى الأمانة .

ويمكن ـ على هدى مما جرى عليه العمل ـ أن نقسم اختصاصات الأمين العام الى قسمين رئيسيين :

(أ) الاختصاصات الداخلية : تنفيذ قرارات مجلس الجامعة ، وتقديم توصيات

---

(١) يصف بعض الكتاب الأجانب الدور الذى قامت به الأمانة العامة للجامعة فى عهد عزام بأنه :

"An influential and frequently autonomous role in the formation of the league policy."

انظر Seabury, Paul: The League of Arab States, Debacle of a Regional Organization, III, 1949, p. 637.

بشأن سياسة الجامعة ، والوساطة بين الدول الأعضاء .

(ب) الاختصاصات الخارجية : المتحـــدث الرسمي باسم الجامعة ، والممثـــل الدبلوماسي الرئيسي لدى الدول غير الأعضاء ، وضابط الاتصال الرسمي مع الأمم المتحدة .

الإختصاصات الداخلية للأمين العام :

لم يعد دور الأمين العام المتعلق برسم السياسة محل خلاف كما كان في عامي ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ بل ان هناك مزيدا من التأكيد على دور الأمين العام بوصفه الموظف التنفيذى الأعلى للجامعة العربية ، وبهذا الوصف يعهد اليـــه مجلس الجامعة بمهام معينة . وتعاون الأمين العام فى القيام بمهامه الادارات المختلفة فى الأمانة . فنجد الادارة القانونية مثلا تعد تقريرا سنة ١٩٥١ عن مشروعية ضم الأردن للضفة الغربية لنهر الأردن وتجهز بيانات تتكون تحت يد الوفود العربية لدى الأمم المتحدة سنة ١٩٥٣ عند اثارة مشكلة الجزائر ، كما نجد جمـــاعة تقوم سنة ١٩٥٤ بدراسة مشروع جونسون لوادى الأردن وتقـدم توصياتها ، وأخرى تضع مشروعا لبنك عربى للتنمية وثالثة تدرس مشـاكل مثل أثر السوق الأوروبية المشتركة على الاقتصاد العربى أو الوســائل التى يمكن بها تقوية أواصر الجبهة الأفروأسيوية .

كذلك يكلف السكرتير العام بتنفيذ مشروعات واسعـــة تحت اشراف مجلس الجامعة ، من ذلك برنامج مقاطعة اسرائيل . ويعتبر الحاق ادارة فلسطين بالأمانة العامة مثلا آخر لتفويض الأمين العام فى المسئولية التنفيذية لبرنامج طويل المدى . ولذا ترأس الأمين العام ، فى فبراير سنة ١٩٦٠ ، لجنة من خمسة خبراء عهد اليها بتحضير مشروع لعمل عربى مشترك بشأن مشكلـــة فلسطين .

وتعتبر اقتراحات الأمين العام بادخال تعديلات جذرية على ميثاق المنظمة هو مظهر من مظاهر تشكيل سياسة الجامعة . وقد بدت بوادر هذا الاتجاه فى مؤتمر صحفى عقد فى يناير سنة ١٩٥٥ صرح فيه الأمين العام لجمـــاعة من

الصحفيين السوريين بأن ميثاق الجامعة يجب أن يعدل لكى يجعل قرارات المجلس التى تصدر بالأغلبية ملزمة ، وقد أرسل الأمين العام مقترحات بهذا الشأن للدول الأعضاء فى يوليو من ذات السنة • وتكرر الاقتراح للجنة السياسية فى مارس سنة ١٩٥٨ بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ووحدة العراق والأردن ، وزاد الأمين العام بأن أوصى بتقوية معاهدة سنة ١٩٥٠ للدفاع المشترك وترتيب اجراءات للتحكيم الالزامى وتشكيل محكمة العدل العربية فورا •

وقد أعيد احياء هذه المقترحات عند انعقاد مؤتمر القمة سنة ١٩٦٤ •

وتعتبر اقتراحات الأمين العام هذه خروجا على السياسة التقليدية للجامعة العربية من حيث أنها تزيد من السلطة المركزية للجامعة وتقترب بهـا من الجماعات الأوروبية كخطوة تنتهى بالوحدة العربية(١) •

وقد كان للأمين العام ـ بجانب دوره فى تشكيل وتنفيذ سياسة الجامعة ـ دور كبير كوسيط سواء بين الدول الأعضاء أم بين الدول الأعضاء ودولة من الغير • ولعل القيود التى تضمنها الميثاق بشأن تسوية المنازعات هى التى ألقت عبئا ثقيلا على كاهل الأمين العام فى تحقيق السلام والتوفيق • وهنا أذكر المادة الخامسة من الميثاق التى استثنت من اختصاص المجلس المنازعات التى تتعلق باستقلال الدول وسيادتها وسلامة أراضيها •

وربما كان أول دور ذى بال قام به الأمـين العـام كوسيط هو تدخل الجامعة العربية فى فبراير ومارس سنة ١٩٤٨ فى الصراع الداخـلى فى اليمن اثر مقتل الامام يحيى اذ سافر وفد يتكون من مندوبين من الدول الأعضـاء برئاسة الأمين العام الى اليمن فى ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨ بقصد وقف أعمال العدوان بين الفريقين المتحاربين •

---

(١) مما يذكر بالثناء فى هذا المقام أن الأمين العام افتتح دورة الجامعة فى سبتمبر ١٩٥٨ باسم الله والقومية العربية والوحدة العربية • كما أكد اتجاه الوحدة عند افتتاح المبنى الجديد للأمانة العامة فى مارس سنة ١٩٦٠ •

ومما يذكر هنا أيضا الجهد المتواصل الذى بذلته الجامعة فى خصوص الخلاف بين اليمن وبريطانيا على حدود عدن والذى انتهى بالوصول الى تسوية سنة ١٩٥٤ أنهت عشرين عاما من الصراع القبلى . وقد قام الأمين العام الحالى بعدة وساطات ناجحة وأشيد فى ذلك المقام بوساطته سنة ١٩٥٩ بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة وجهده الذى وفق بعودة العراق الى مجلس الجامعة فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ بعد مقاطعة دامت عامين . كما كان له تأثيره فى حل الأزمة التى نشبت بسبب مطالبة العراق بالكويت . وقد نجح الأمين العام فى أواخر سنة ١٩٦١ فى ابرام اتفاق بين مصر وسوريا لتبادل القوات العسكرية الوطنية بعد الانفصال .

وقد شهد عام ١٩٦٣ ــ عام الأزمة ــ جهودا متواصلة من الأمين العام للتوفيق بين الدول الأعضاء وتنقية الجو العربى من شوائبه . كل هذا أهل الأمين العام لاكتساب احترام الدول الأعضاء لقاء حرصه الواضح على انجاح المنظمة .

الاختصاصات الخارجية للأمين العام :

قلت ان الاختصاصات الخارجية للأمين العام تتمثل أساسا فى كونه المتحدث الرسمى باسم الجامعة وممثلها الدبلوماسى الأول والذى يحضر جلسات الأمم المتحدة باسمها كمراقب .

وتساعد الأمين العام فى القيام بوظيفته الأولى ادارة اعلام . وليس من جدل أن مهمة التحدث رسميا باسم منظمة دولية ليست بالمهمة السهلة ونظرا لأن الجامعة العربية تخرج عن الروابط الدبلوماسية فان ممارسة الأمين العام لهذا الاختصاص تمثل أهمية خاصة . وقد جرت العادة على أن تمارس الجامعة علاقاتها العادية ــ كمنظمة اقليمية ــ مع الدول غير الأعضاء عن طريق الممثليات الدبلوماسية لتلك الدول فى القاهرة . ومع ذلك فان الأمين العام لم يتردد بعض الأحيان فى الاتصال مباشرة بوزارات الخارجية الأجنبية . وأسوق مثلا لذلك أن وزارة الخارجية البريطانية قررت سنة ١٩٤٦ أن تتعامل مباشرة مع الأمين العام للجامعة فى الشئون المتعلقة بالدول العربية كما كانت ترسل

صورا الى الأمين العام من مراسلاتها مع الدول العربية الأعضاء • ويقوم الأمين العام بالاتصال بالسفارات الأجنبية فى القاهرة فى الأمور التى تتعلق بتقرير السياسة العربية ، من ذلك اتصال الأمين العام الحالى بسفارة ألمانيا الغربيـة لاعلامها بمعارضة الجامعة لاتفاق التعويضات وغير ذلك من العلاقات بين ألمانيـا الغربية واسرائيل •

وقد منح الأمين العام رتبة سفير حتى يتبوأ مكانته اللائقة به لدى الهيئات الأجنبية ، وقد مكنه هذا الوضع من أن يجوب البلاد غير العربية سواء كممثل دبلوماسى للجامعة أم كزائر رسمى • فقد حضر الأمين العـام الأسبق مؤتمر فلسطين الذى عقد بلندن فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ وقدم مشروعا لتسـوية القضية • كما تناقش سنة ١٩٤٧ مع كل من المستر بيفن وزير خارجيـة بريطانيا والمستر مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة بشـأن الوضع فى فلسطين • كذلك حضر الأمين العام الحالى مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ بوصفه المندوب الرسمى للجامعة العربية ومثل الجامعة سنة ١٩٦٣ فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة تنصيب البابا بولس •

ويبدو أن الولايات المتحدة - على عكس الحال فى أوروبا وآسيا - تميل الى التحفظ فى الاعتراف للأمين العام بوصف الممثـل الدبلوماسى والناطـق الرسمى باسم الجامعة •

وقد زادت أهمية الدور الذى يقوم به الأمين العام كممثل للجامعة العربية لدى الأمم المتحدة منذ أن دعيت الجامعة سنة ١٩٥٠ لحضور اجتماعات الجمعيـة العمومية كمراقب وللجامعـة الآن وفد دائم فى كـل من نيويورك وجنيف • وتدور بين الجامعة والأمم المتحدة الآن مراسلات رسمية بدأت بالكتـاب الذى أرسله الأمين العام للجامعة الى الأمين العام للأمم المتحدة متضمنا قرار اللجنة السياسية بتأييد سياسة مصر بشأن الملاحة فى قناة السويس ورد الأمين العام للأمم المتحدة بتسلم الكتاب المذكور(١) •

---

(١) سأتناول هذه الناحية بمزيد من التفصيل عند الكلام على علاقة الجامعة العربية بالأمم المتحدة •

الفرع الخامس

فى

النطاق الوظيفى للجامعة

تمهيـــــد :

رأينا من الدراسة السابقة كيف أن ميثاق الجامعة قد ركز على الأهداف الوظيفية للجامعة حتى أن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى أعطت للتعاون الاقتصادى أهمية تعادل التعاون العسكرى ٠ وقد تضمنت الوثيقتان - الميثاق والمعاهدة - نصوصا للتعاون الوثيق والتنسيق مع الأمم المتحدة ولذلك فأننى سأتناول فى هذا الفرع الخامس وصف وتحليل البرامج العريضة التى تنشغل بها الجامعة فى مختلف الحقول ٠

البرامج الثقافية والاجتماعية والفنية :

قامت فلسفة التنظيم الاقليمى فى منظمتيه الكبريين اللتين سبقتا قيام الأمم المتحدة على التركيز على الجانب الوظيفى للمنظمة ٠ وقد زاد اهتمام العرب بتحقيق تلك الفلسفة فى بناء الجامعة العربية على أساس أن تحقيق التعـاون الوثيق فى مجالات الاقتصاد والثقافة والاجتماع والعلوم يعتبر خطوة على طريق الوحدة السياسية ٠ ولذلك نصت م ٢ من ميثاق الجامعة على أن من أغراض الجامعة أن تتعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا فى الشئون الاقتصـادية والمالية وشئون المواصلات والثقافة والجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيـذ الأحكام وتسليم المجرمين والشئون الاجتماعية والصحية ٠ بيد أننا يجب ألا ننسى أن التعاون - على المستوى الدولى - يمثل أدنى عامل مشترك لنسيج تصنعه السيادة الوطنية والاسـتقلال السياسى والغايات الوطنيـة الذاتية ٠ ولذا يمكن أن نقول ان التكامل الوظيفى يتقدم بنسبة عكسيـــة مع أثره على السيادة الوطنية والذاتية السياسية ٠ ولذا فان من المناسب أن نتساءل هنا عن مدى تأثير العوامل الداخلية والخارجية التى تمس الجامعة العربية على العلاقة بين الأهداف الوطنية السياسية وبين النطاق الوظيفى للجامعة ٠ وأنا الآن أحصر اجابتى على مجالات التعاون الثقافى والاجتماعى والفنى ٠

تهتدى سياسة الجامعة فى الشئون الاجتماعية والثقافية بالمعاهدات الثقافية(١) واللجنة الثقافية الدائمة للجامعة وادارة الشئون الثقافية والاجتماعية فى الأمانة العامة للجامعة · وتقوم الخطوط العريضة لبرنامج الجامعة الثقافى على تحسين المرافق التعليمية وتبادل الأساتذة والطلبة وتشجيع نشاط الشباب والرياضة ، وحفظ ونشر التراث الثقافى العربى وتعزيز الانجازات الأدبية والعلمية والفنية وترجمة الأعمال العالمية الأدبية الكبرى وانشاء المكتبات والمتاحف وتطوير الجمعيات المهنية والعمل على تقدم الوسائط الجماهيرية ·

أما البرامج الاجتماعية فتتضمن تطوير برامج اجتماعية مشتركة ودراسات للمشاكل الاجتماعية الجارية وتدريب العاملين فى الحقول الاجتماعية والتعاون فى مجالات العمل والطب والصحة والعامة وعلم الاجرام ·

وتتعاون الجامعة ـ فى مجال الثقافة والاجتماع ـ مع الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة بما فى ذلك اليونسكو ومنظمة الأغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولية ·

وتتبع الجامعة وسائل متعددة لتحقيق برامجها الثقافية والاقتصادية · من ذلك عقد المؤتمرات(٢) وحلقات الدراسة(٣) · وتشجيع الكتابة الفنية بتقديم جوائز للانتاج العربى فى السياسة والعلوم والاقتصاد والاجتماع والآداب وغيرها من المؤلفات · وقد وجهت الجامعة عناية واضحة الى تطوير

---

(١) وافق مجلس الجامعة على اتفاقية فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وصدقت مصر وسوريا على المعاهدة وقبلتها اليمن والسعودية بتحفظات سنة ١٩٤٧ · وقد عقدت اتفاقية اخرى فى ٢١ مايو ١٩٦٤ لتدعيم الوحدة الثقافية بين دول الجامعة وأنشئت بمقتضاها منظمة عربية للتربية والثقافة والعلوم للعمل على تحقيق الوحدة الثقافية ·

(٢) أذكر على سبيل المثال المؤتمرات الثقافية العديدة التى عقدت منذ سنة ١٩٤٧ لمناقشة مشاكل التعليم ، ومؤتمرات الكتاب العرب ومؤتمرات المدرسين العرب ومؤتمرات الصحفيين العرب · والمؤتمرات الطبية وطب الأسنان ومؤتمرات المحامين ·

(٣) من ذلك الحلقة التى نظمت بالتعاون بين الجامعة والأمم المتحدة سنة ١٩٥٣ عن الدفاع الاجتماعى ناقشت الجريمة والسجون · وحلقة عن تطور المجتمع اقيمت سنة ١٩٦٣ وقد حضرها مراقبون من بعض وكالات الأمم المتحدة المتخصصة والحلقات الصحية التى تخططها الجامعة ·

مجالات نشاط الشباب فنظمت منذ سنة ١٩٥٣ دورات أوليمبية عربية كل أربع سنــوات كما بدأت منــذ سنة ١٩٥٥ تنظيم برامج لتمرين المـدربين الرياضيين • وسنت مؤتمرات كشفية منذ سنة ١٩٥٤ كل عامين •

وتقوم الجامعة ـ كغيرها من المنظمات ـ بخدمات احصائية فى مجـالات مختلفة ولو أن أهمية هذه الخدمات لا زالت محـدودة بسبب تبدد البيانات الاحصائية فى بعض البلاد العربية •

كذلك تعمل عدة أجهزة تحت اشراف الجامعة لتنفيـذ برامج وتقـديم خدمات مستمرة بطريقة أو بأخرى مثل المكتب العربى لمكافحة المخدرات ومعهد المخطوطات العربية والمتحف الثقافى وعدد من مراكز الخـدمة الاجتماعية فى العراق ولبنان واليمن والأردن وسوريا ومركز التدريب التعـاونى ومعهـد الدراسات العربية العليا ومساكن للطلبة والطالبات فى القاهرة ، وكلهـا مرتبطة بالأمانة العامة • وتقدم الجامعة ـ بالاضافة الى هذا كله ـ منحا لـكل دولة عضو تغطى نفقات المرشحين الذين يختارون لحضـور مركز الزيتـون للعميان ومدرسة الأعمـال الاجتماعيـة ومعهد التربية البدنية ، وكلاهما بالقاهرة •

وطبيعى أننا لا يمكن ـ فى هذا العرض الوجيز ـ أن نتناول تفصيل أوجه نشاط الجامعة فى نواحى الثقافة والاجتماع بيد أننا نستطيع أن نقرر أن أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى التى قامت بها الجامعة منذ انشائها قد كسبت للجامعة ـ بوجه عام ـ حصيلة طيبة من الثناء على اختلاف فى الدرجة بالنسبة للبرامج • ولا ننسى فى تقدير دور الجامعة فى هذه الناحية أن الجامعة لا تملك سلطة الاكراه بالنسبة للدول الأعضاء فى هذه المجالات وأن عـدد موظفى الأمانة المحدود لا يسمح لها بالارتباط ببرامج واسعة المدى • ويكفى للتدليل على نجاح الجامعة أن نذكر أن نشاطها أدى الى تشكيل عدد من الجمعيات المهنية المستقلة(١) • فقد كان المؤتمر الطبى العاشر للجامعة الذى عقد فى بغداد سنة

---

(١) يسمى جابريل ألموند هذه الجمعيات باسم :
Associational interest groups.
انظر مقدمة الكاتب لكتاب
Almond and Coleman : The Politics of the Developing Areas, Princeenton, 1960.

١٩٦٣ مثلا هو أول مؤتمر يعقده اتحاد الأطباء العرب وهو اتحاد له أمانته الخاصة وأمينه الخاص ، وما أشبه هذا الاتحاد بوكالة عربية متخصصة للجامعة فى شئون الصحة ــ كذلك قام اتحاد المحامين العربى سنة ١٩٥٦ تحت رعاية الجامعة بقصد مطابقة المصطلحات القانونية ورفع مستوى المهنة وتوحيد القوانين والاجراءات العربية • كما يعتبر اتحاد الغرف التجارية العربية مثلا آخر ولو أنه لم يكن ثمرة مباشرة لنشاط الجامعة • وآخرا وليس أخيرا اتحاد الجامعات العربية •

وقد تعاصر نشاط الجامعة فى نطاق العلوم مع نشاطها فى الحقل الثقافى والاجتماعى • وقد لعبت الجامعة دورا بارزا فى تحقيق التطور العلمى والتقنى الذى تحقق فى المنطقة ولو أن الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة تتقاسم هذا الفضل مع الجامعة وكذا الى حد ما الحكومات الأجنبية والبرامج الخاصة (مثل برنامج مؤسسة فورد) • وقد عقدت الجامعة عدة مؤتمرات علمية على نمط اجتماعات الجمعيات العلمية حيث تقدم دراسات وأبحاث وتلقى محاضرات من قبل علماء مبرزين (بعضهم من خارج العالم العربى) •

ويصور الاتحاد العلمى العربى الدور الفنى لأمانة الجامعة • الذى اقترح فى المؤتمر العلمى الأول الذى عقد سنة ١٩٥٣ بمدينة الاسكندرية •

والاتحاد العلمى العربى منظمة مستقلة تتعاون مع الجامعة العربية ومركزه الرئيسى فى القاهرة وأغراضه الرئيسية هى تنظيم مؤتمرات علميـــة دورية واقامة علاقات مع المنظمات العلمية الأجنبية ونشر مجلـــة علميـــة وتزويد الدارسين بمساعدات مالية للبحث والنشر وتشجيع التعـــاون بين المعـــاهد والمؤسسات العلمية فى المنطقة •

كذلك أثبتت مؤتمرات المهندسين جدواها فى مجالها خلال فترة تجاوزت حقبة الآن •

واذا كانت الجـامعة لم تقم بعـد مرافق للبحث والتدريب فى المجـالات العلمية والتقنية كما فعلت بالنسبة للشئون الثقافية والاجتماعية فان هذا لم

يمنع من أن تشجع نطاق البحوث العلمية النظرية والتطبيقية تحت رعاية الجامعات العربية وكذا معاهد البحوث الوطنية • ومما يجدر ذكره أن هناك مؤسستين علميتين لهما مكاتب مرتبطة بالأمانة العامة للجامعة فى القـــاهرة ألا وهما الاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية واتحاد البريد العربى • وقد أنشىء الاتحادان بمقتضى معاهدات دولية وربطـا بالجـــامعة بمقتضى اتفاقات رسمية ، والاتحـــادان يعتبران أيضا من قبيل الوكالات المتخصصة للجامعة العربية •

ونظرا لأن الجامعة العربية ليس لديها حتى الآن برنامج منسق للمساعدة الفنية كما أنها غير مزودة بوكالات على نمط البنك الدولى أو صندوق الأمم المتحدة الخاص فان كثيرا من مشروعاتها العلمية لا بد أن تؤجل اللهم الا اذا استطاعت أن تحصل على عون من وكالات الأمم المتحدة أو من حكومة أجنبية • وقد يكون من الأفضل ـ بسبب الصفة الاقليمية لهـــذه البرامج ـ أن تنظم الجامعة برنامج معونة فنية مع بنك التنمية العربى عندما يعمل •

ويمكن اذا ألقينا الآن نظرة شاملة على العرض السابق أن نستخلص حقيقتين : الحقيقة الأولى أن تنسيق وادارة البرامج الطموحة ذات الطبيعـــة العلمية المتعمقة يقتضى اعطاء مزيد من الاعتبار الى اقامة وكالات عربية متخصصة تشبه الوكالات المنتسبة الى الأمم المتحدة حتى تعفى الأمانة العامة من الارهاق الذى يتجاوز طاقتها فى هذا الخصوص •

والحقيقة الثانية هى أن الأمانة العامة دأبت على تشجيع تأسيس العديد من الجمعيات المهنية التى تتجاوز الحدود الاقليمية الوطنية وتعين على الوصول الى اتفاق بشأن مشاكل معينة •

برامج التنمية الاقتصادية :

كان التعاون الاقتصادى هدفا من الأهداف الأساسية التى كمنت وراء قيام الجامعة واتخذت برامجه أولوية فى مخطط الجامعة ومع ذلك فان التقدم نحو تحقيق هذه الغاية لا زال محدودا ، وربما كان سبب ذلك راجعـــا الى التجربة التاريخية التى عاشتها دول الجامعة • فقد أدى النفوذ الفرنسى فى

سوريا ولبنان والمغرب والجزائر وتونس الى أن يخلف النموذج الفرنسي للدولة أثرا على هذه المجتمعات ، في حين وقعت العراق والأردن والسودان ومصر تحت النفوذ البريطاني • أما باقي الدول العربية فقد ظلت بعيدة كـــل البعد عن صورة الحياة الاقتصادية الحديثة •

واصطحب هذا التباين فى البناء الاقتصادى بقيود اقتصـادية أخرى تسببت عن صيرورة الحدود التى كانت تقيم حواجز ادارية بين هذه البلاد أثناء الحكم التركى حدودا سياسية واقتصادية وما يقترن بذلك من فرض اللوائح الجمركية وتحصيل الرسوم على الصادر والوارد وتنظيم تبادل العملة وما الى ذلك • هذا الى جانب أن التجارة بين الدول العربية وبعضها البعض كانت أقل أهمية من التجارة فيما بين الدول العربية والدول غير العربية ذلك أن المنطقة كانت ـ فيما سبق ـ تعتمد أساسا على الزراعة وكانت صادراتها هى المواد الخام والمنتجات الزراعية مقابل استيراد المواد كاملة التصنيع التى تردهـــا أساسا من أوروبا وبريطانيا • وهذا يفسر لنا سبب اهتمام الجامعة العربية بالسوق الأوروبية المشتركة •

كذلك فان استثمار العرب لرؤوس أموالهم فى الصناعة كان ضيقا وكان لابد للدول غير المنتجة للبترول من أن تحصل على معونات أجنبية لتحقيـــق التنمية الاقتصادية والاجتماعية •

أما استثمار الدخل الناتج من البترول فحديث عهد بالبلاد العربية ومع ذلك فان الدخل الكبير الذى يحققه العدد القليل من الدول العربية المنتجـــة للبترول لم يكن دائما فى متناول الاستثمار البناء • وان كانت الأوضاع قد تحولت الآن اذ أنشأت الكويت مثلا سنة ١٩٦١ صندوق التنمية الاقتصادية العربى برأس مال قدره ٢٨٠ مليون دولار ليكون موراد للقروض ذات الفائدة المنخفضة التى تكون الدول العربية (غير المنتجة) فى حاجة اليها • كما تقوم الكويت والسعودية ببرامج لتقديم المعونة الاقتصادية لمشيخات الخليج العربى • يضاف الى هذا كله الوجود الاسرائيلى فى المنطقة الذى قطع الاتصال البرى بين بعض أجزاء المنطقة وفرق نمط التجارة داخل منطقة الهلال الخصيب وحد من امكانية تطوير وادى نهر الأردن لمصلحة المنطقة كلها •

ومن الأمور التي يجب أن تخطر بالبال في هـذا الصـــدد أن المجلس الاقتصادي ـ وهو الأداة الرئيسية للجامعة في تحقيق برامجها الاقتصادية ـ الذي أنشيء بمقتضى معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي قد ربط برابطة قوية مع اللجنة العسكرية التي أنشأها الملحق العسكري للمعاهدة حيث نص البند الأول من الملحق على أن من بين اختصاصات اللجنة العسكرية « تقـــديم المقترحات لاستثمار موارد الدول المتعاقدة الطبيعية والصناعية والزراعيـــة وغيرها لصالح المجهود الحربي والدفاع المشترك » • وقد أدى ربط الاقتصـــاد بشئون الأمن أن ظلت عضوية المجلس الى سنة ١٩٦٠ قاصرة على الدول التي انضمت الى معاهدة سنة ١٩٥٠ • ثم انه طبيعي على هذا أن يكـــون لركود النصوص العسكرية ردحا من الزمن أثره على المجلس الاقتصادي •

وهكذا نجد أن الظروف الاقتصادية والسياسية شجعت على أن يســير التطور الاقتصادي في الاتجاه الذاتي(١) ، وكنتيجة لهذا تعثرت الجامعــــة العربية في المنطلق الاقتصادي فلا زال ما حققته دون ما كان مأمولا • ولا أعني بقولي هذا أن الجامعة فشلت في القيام بأعبائها حيال الاقتصاد لعربي • فالحق يقال انها تولي البرامج الاقتصادية أهمية كبرى وأنها استطاعت ـ رغم العقبات السياسية ـ أن تحقق تقدما ما • وتتوسل الجامعة لذلك بعـــدة طرق تتمثل أساسا في ابرام الاتفاقات التي تسهل التبادل التجاري وانتقال رأس المال ، وعمل مشروعات التنمية المشتركة التي تقوم عليها مؤسسة تنمية صناعية بتأييد من احدى الدول العربية ، ومحاولة اقامة اتحاد اقتصادي مستقل ـ على نمط الجماعة الأوروبية الاقتصادية ـ وسوق عربية مشتركة •

---

(١) نجد أن الدول المنتجة للبترول تريد أن توجه الاقتصاد العربي في ناحية ، في حين أن البلاد ذات العقلية التجارية مثل لبنان تريد أن توجهه وجهـــة أخرى • وفي ذات الوقت تريد البلاد ذات الاتجاه الصناعي مثل مصر أن تدفعه في ناحية ثالثة • كمـــا ان للدول التي كانت مرتبطة بمنطقة نظرة رابعة ، وهكذا •

ومما يثلج الصدر أن تتجه دولة من الدول العربية ذات الانتاج البترولي الكبير الى سياسة التضامن الاقتصادي العربي فقد نشرت الأهرام تصريحا عن رئيس مجلس الثـــورة الليبي بأن ليبيا تدرس حاليا مجالات التعـــاون مع الدول العربية لتحقيق التكامل الاقتصادي بينهـــا وأن سياسة التصنيع في ليبيا ستقوم على أسس التكامل الاقتصادي بين أجزاء الوطن العربي الواحد • (جريدة الأهرام ، عدد الثلاثاء ٢ ديسمبر ١٩٦٩) •

وقد تجمعت – منذ مؤتمر القمة الأول – الظروف التى تساعد على تنفيذ هذه المشروعات التى ان تحققت تصبح ذات مغزى اقتصادى عظيم ٠

وقد أبرمت – بين دول الجامعة – اتفاقيتان سنة ١٩٥٣ تمثلان أول خطوة لمعالجة التكامل الاقتصادى الاقليمى هما : اتفاقية بشأن تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت بين دول الجامعة العربية(١) ، واتفاقية بشأن تسديد مدفوعات المعاملات الخارجية وانتقال رؤوس الأموال بين دول الجامعة العربية(٢) ٠

وواضح أن حسن تحقيق الاتفاقيتين لأهدافهما يتوقف على صفاء النية فى التعاون لأنهما يفتحان المجال بما تضمناه من نصوص للدولة التى تريد أن تتملص من التزاماتها ٠ فمثلا تنص م ٢ من اتفاقية تسهيل التبادل على أن نصوصها لا تنطبق على المواد التى تكون محل احتكار حكومى ، كما تستبعد المادة ٣ من المواد التى تستورد المواد الممنوعة أو التى تمنع طبقا للقواعد التى

---

(١) تتضمن الاتفاقية الأحكام التالية :

أ – اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية – المنصوص عليها فى جدول ملحق بالاتفاقية – من كافة رسوم الاستيراد الجمركية بشرط أن يكون منشأ هذه المنتجات احدى البلاد أطراف الاتفاقية ٠

ب – تخفيض رسوم الاستيراد – بنسبة ٢٥٪ على أساس شرط الدولة الأكثر رعاية – على المنتجات الصناعية العربية التى يكون منشئوها احدى البلدان أطراف الاتفاقية (والمنصوص عليها فى جدول ملحق بالاتفاقية) ٠

ج – عدم اخضاع المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية المنتجة فى بلد أحد الأطراف المتعاقدة – والمستوردة من بلد طرف آخر – الى رسوم داخلية تفوق الرسوم المفروضة على المنتجات المحلية المماثلة أو على مواردها الأولية فى البلد المستورد ٠

د – تعامل البلاد العربية فيما بينها من حيث اجازات الاستيراد والتصدير على أساس المعاملة التفضيلية ، وتسهيل حركة الترانزيت عبر البلاد أطراف الاتفاقية ٠

وقد عدلت هذه الاتفاقية مرتين فى ١٩٥٤/١٢/١٥ ، ١٩٥٦/١/٢٥ ٠

(٢) تسعى هذه الاتفاقية الى تحقيق :

أ – تسهيل تحويل مدفوعات المعاملات الجارية (المبينة فى جدول ملحق بالاتفاقية) الى بقية البلدان المتعاقدة ومنحها أقصى ما يمكن من معاملة مفضلة ٠

ب – تشجيع انتقال رؤوس الأموال بين البلدان المتعاقدة تمكينا لرعاياها والمقيمين فيها من الاشتراك فى مشاريع الاعمار التى يتفق عليها بين الأطراف أصحاب العلاقة ، وتضمن حكومات الدول المنقولة اليها رؤوس الأموال استعمالها فى الغايات المشار اليها ٠

تضعها كل دولة . كذلك تعترف اتفاقية تسديد المدفوعات بالقيود التى يمكن أن تضعها القوانين المحلية . ولذا أرى أنه يكون من قبيل الاغراق فى التفاؤل أن ننظر الى هاتين الاتفاقيتين على أنهما أداة جدية لتسهيل التجارة بين الدول العربية فأثرهما فى هذا المجال يعود أساسا الى أنهما مهدا الطريق الى عقد عدة اتفاقيات ثنائية اهتمت بتأكيد شرط الدولة الأكثر رعاية ومنح اعفاءات من القيود الجمركية القائمة .

وقد توصلت الجامعة فى يونيو سنة ١٩٥٧ ـ بعد دراسات مشتركة أجرتها مع البنك الدولى ـ الى مشروع لانشاء مؤسسة مالية عربية للتنمية الاقتصادية(١) ـ أو بنك التنمية العربى حسب التسمية العامة ـ ويستهدف تشجيع النمو المضطرد للمشروعات الانتاجية التى تقوم بها الحكومات والمؤسسات والأفراد . ويقوم البنك بمهمة البنك الدولى والمؤسسة المالية الدولية وجماعة التنمية الدولية المرتبطة بالأمم المتحدة . وقد حدد رأس مال البنك أولا بعشرين مليون جنيه مصرى يقسم الى ألفى سهم ثم رفع الى ٢٥ مليون جنيه وتشترك فيه الدول العربية بالاكتتاب فى الأسهم كل بنسبة حصتها فى ميزانية الجامعة . وهو مبلغ متواضع اذا قيس بمتطلبات التنمية الاقتصادية العربية .

وقد افتتح البنك رسميا فى ١٢ يناير سنة ١٩٥٩ عندما غطى ٧٥٪ من رأس ماله (ويدفع بالذهب أو بعملة قابلة للتحويل الى ذهب) ولكننا لم نسمع عن نشاط للبنك حتى الآن ، وربما كان الاسراع فى انشائه راجعا الى الرغبة فى اثبات التضامن العربى ومعارضة مشروع أيزنهاور(٢) لانشاء مؤسسة تطوير عربية تعمل تحت اشراف الأمم المتحدة على أساس اقليمى .

والحق أن بنك التنمية العربى يمكن أن يؤدى خدمات جليلة اذا أصبح

---

(١) راجع تفصيلا عن هذه المؤسسة فى كتاب الدكتور محمد حافظ غانم ـ جامعة الدول السابق .

(٢) جاء ذكر هذا المشروع فى الخطاب الموجه للجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٥٨ .

جهازا للتخطيط والتنمية الاقليمية ، ويمكن أن يستمد أمواله من البنك الدولى ومن مصادر أخرى . ويدعونى الى التفاؤل هنا نجاح سابقة مماثلة هى بنك التنمية الخاص بالبلاد الأمريكية الذى استطاع سنة ١٩٦٤ أن يبيع سنداته فى السوق الأوروبية وهى سابقة جديرة بالدراسة للاستفادة منها فى خصوص بنك التنمية العربى .

ويبدو أن برامج الجامعة فى شأن المشروعات التجارية المشتركة لم تحقق نجاحا بعد ثم ان معظمها ذا صلة قليلة بالجامعة بوصفها منظمة اقليمية — اذا حكمنا على المنظمة بمقتضى دستورها — من ذلك مشروعات انشاء شركة ناقلات عربية وخط أنابيب وشركة طيران وشركة ملاحة بحرية وكلها لا زالت فى مرحلة المحاولة(١) . ولعل المشروع الوحيد الذى تخطى مرحلة التخطيط هو مشروع استغلال البحر الميت ، فقد قرر المجلس الاقتصادى بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٥٦ تأسيس شركة لذلك الغرض هى شركة البوتاس العربية المحدودة وأوصى أن يوقع ممثلو الحكومات العربية عقدها فى عمان . وقد تم توقيع عقد التأسيس فى ١٩٥٦/٦/٢١ بعمان . وينص على أن رأس مال الشركة الأسمى هو أربعة ملايين ونصف المليون من الدنانير الأردنية ، يساهم المؤسسون بما قيمته مليون وألف دينار وتطرح باقى الأسهم فى الأسواق العربية خلال ستة أشهر من تسجيل الشركة بقرار من مجلس ادارتها ، على أن تغطى الحكومات العربية — بنسبة مساهمتها فى موازنة الجامعة — ما لا يغطى من الأسهم التى تطرح للاكتتاب الأهلى . ومن المتوقع أن تحقق الشركة انتاجا كبيرا(٢) .

ولم تنس الجامعة — وهى بصدد تعزيز الاقتصاد العـــربى — أن تهتم

---

(١) فى تقديرى أن أقرب المشروعات المشتركة الى التحقيق — من حيث الظروف الحـــالية للجامعة — هو مشروع انشاء شركة طيران عربية متحدة بسبب أن معظم شركات الطيران العربيـــة الوطنية مملوكة للحكومات العربية .

(٢) قامت اسرائيل بمشروع مماثل ولكن فى صورة متواضعة بالنسبة لاستثمار البوتاس من جهتها .

بشئون البترول على الصعيدين السلبي والايجابي[١] . فمن الناحية السلبية سعت لحرمان الدول غير الصديقة من البترول وحاولت أن تستخدم البترول كسلاح فى الصراع السياسى العربى . وجرت أول تجربة لذلك عندما حدثت الأزمة الفلسطينية عام ١٩٤٧/١٩٤٨ اذ أصدرت الجامعة العربية عدة قرارات فى مؤتمر بلودان سنة ١٩٤٦ كان احداها حرمان الغرب من البترول ، ولكن هذا القرار لم يطبق بسبب معارضة المملكة العربية السعودية التى اعتقدت أن أعمال البترول التجارية يجب فصلها عن الاعتبارات السياسية . وقد تأثر عدد من الشركات البترولية بقرار مقاطعة الجامعة لاسرائيل . ومن الأمثلة فى هذا الصدد ما وجهه المجلس الاقتصادى للجامعة فى شكل انذار الى شركتى شل وسوكونى فى مطلع عام ١٩٥٦ بأن تكفا عن نشاطهما فى اسرائيل وقد اضطرت الشركة البريطانية شل - ازاء هذا الضغط - أن تعلن تصفية أعمالها فى اسرائيل .

ومن الناحية الايجابية بذلت الجامعة جهودا لابراز أهميـــة البترول فى الاقتصاد العربى وشكت بصـــورة خاصـــة من أن الدول الأعضاء ليس لها صوت فى تقرير مستوى الانتاج والأسعار فى اتجاه الصادرات وأوضحت أن الامتيازات القائمة فتحت مجالا عظيما ومنعت الحكومات المضيفة من الاشراف المعقول على نشاطها وقد أدت هذه الاعتبارات بالجامعة الى وضع بعض القرارات الأساسية بالنسبة لقضايا البترول . وقررت اللجنة السياسية فى اجتماعها الذى عقد سنة ١٩٥١ أن تنشىء لجنة خبراء البترول .

ويطول بنا المقام لو أننا تتبعنا تفاصيل النشاط الذى قامت به الجامعة العربية فى هذا السبيل . ولذا أختار من ذلك قرارا أصدره المجلس الاقتصادى الأعلى سنة ١٩٥٧ يدعو الى تنظيم مؤتمر عربى للبترول . وقد عقد أول مؤتمر

---

(١) هناك رأى فى المجال العربى يقوده وزير البترول السعودى السابق الشيخ عبـــد الله الطريقى يقول بضرورة تقوية قبضة العرب على بترولهم ومن أجل ذلك يحبذ - دون القول حتما بتاميم صناعة البترول - أن تقوم البلاد العربية بالتعـــاون مع شركات البترول بتصدير المواد البترولية المكررة - بما فى ذلك البتروكيماويات - بدلا من أن تصدر الزيت الخام .

عربى للبترول - بعد أن تأجل عدة مرات - بالقاهرة عـــام ١٩٥٩ ويجرى التمهيد لعقد المؤتمر السابع بالكويت فى شهر مارس سنة ١٩٧٠ ٠

الفرع السادس
فى
الأمن الجماعى
والتسوية السلمية للمنازعات

تمهيـــــد :

قلت ان الجبهة العربية بذلت جهد المستميت - فى سان فرنسسكو - لتكسب اعترافا بالجامعة العربية كمنظمة اقليمية ولكنها لم توفق وعاد العرب من المؤتمر بخيبة أمل اذ كان اتجاه ميثاق الأمم المتحدة الى أن المنظمة لا تعتبر منظمة اقليمية الا اذا تزودت بترتيبات لحفظ الأمن الاقليمى ٠ ولذا فان تفكير العرب اتجه منذ ذلك الوقت الى استكمال النقص الذى يحتويه ميثاق الجامعة فى هذا الخصوص برغبة الحصول على اعتراف الأمم المتحدة بالجـــامعة كمنظمـة اقليمية[1] ٠

وربما كان السبب الذى دعى العرب منذ البداية الى عدم الاهتمام بايجاد جهاز - ضمن الجماعة - لحفظ الأمن والسلام الاقليميين هو عدم اعتقادهم عندئذ

---

(١) فى تقديرى أن المادة الوحيدة التى تعرضت لمشكلة الأمن الجماعى فى الميثاق بطريقة متواضعة ومترددة هى المادة ٦ التى تنص على انه « اذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا ٠

« ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ، ويصدر القرار بالاجمـــاع فاذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لا يدخل فى حساب الاجماع رأى الدولة المعتدية ٠

« واذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة فى الفقرة السابقة ، واذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من اعضائها أن تطلب انعقاده » ٠

بأن مشاكل من هذا القبيل ستنشأ من داخل المنطقة ، وأنه اذا جاء الخطر من خارج المنطقة فان عون بريطانيا وأمريكا المتوقع يكفى لحمايتهم ٠

فلما تطورت قضية فلسطين الى نزاع مسلح بين العرب واسرائيل زاد ايمان العرب بضرورة تنظيم نوع من الأمن الجماعى ٠ فكان أن أقر مجلس الجامعة فى أكتوبر سنة ١٩٤٩ — أى فى أول دورة عقدها بعد الحرب مع اسرائيل — أقر مبدأ الأمن الجماعى(١) ٠

الأمن الجماعي في نطاق الجامعة :

وفى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠ أبرمت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى ٠ فلا غرو أن تدعى الجامعة العربية فى نوفمبر من ذات السنة — أى بعد أقل من ستة أشهر من تنظيم شئون الأمن الجماعى — لحضور اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة كمراقب ٠

وقد بينت فيما سلف أن معاهدة الدفاع المشترك اعتبرت امتدادا للمادة السادسة من ميثاق الجامعة ولكنها استندت أيضا الى م ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة(٢) ٠ وقد أقامت المعاهدة مجلس دفاع مشترك ولجنة عسكرية دائمة (سبق أن تكلمت عنهما) ٠ ونص فى بروتوكول اضافى على أن « تؤلف هيئة استشارية عسكرية من رؤساء أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة للاشراف على اللجنة العسكرية الدائمة » ٠ ولكن المعاهدة لم تقم قيادة مشتركة دائمة ٠ ولذا يمكن أن نقول ان معاهدة الدفاع المشترك هى أقرب الى المبادىء التى

---

(١) عاصرت ذلك القرار حركة فى الغرب تسعى لادخال الشرق الأوسط ضمن تنظيم دفاعى جماعى كامتداد لحلف الأطلنطى حديث النشأة وذلك بقصد حماية المنطقة من امتداد النفوذ الروسى ٠ فجاءت المعاهدة بمثابة مقاومة للضغط الغربى فى رأى بعض الكتاب الغربيين ٠

(٢) تنص المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة على ما يلى : « وليس فى هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعى للدول ، فرادى أو جماعات ، فى الدفاع عن أنفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء « الأمم المتحدة » وذلك الى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولى ، والتدابير التى اتخذها الأعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ الى المجلس فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأى حال فيما للمجلس — بمقتضى سلطته ومسئولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق — من الحق فى أن يتخذ فى أى وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولى أو اعادته الى نصابه » ٠

تتضمنها المادتان ٤٥ ، ٥٠ من ميثاق الأمم المتحدة[1] منها الى معاهدة دفاع اقليمى نموذجية • فالجامعة العربية ليست لديها قوات عسكرية يمكن أن تتصرف فيها ولم تعمل جهود جدية حتى سنة ١٩٦٤ لتخصيص وحدات وطنية لتكون تحت القيادة العربية المشتركة[2] •

ورغم أن المعاهدة أبرمت سنة ١٩٥٠ فانها بقيت عاطلة حتى سنة ١٩٥٣ عندما اجتمع رؤساء أركان الحرب العرب فى القاهرة لرسم الخطط النهائية • وفى ١٩٥٤ ناقش المجلس الاقتصادى ميزانية للدفاع العربى المشترك • ولكن هذه الجهود شلت بسبب انضمام العراق ــ سنة ١٩٥٥ ــ الى حلف بغداد[3] • ثم ارتدت الحياة الى المعاهدة شيئا ما فى سنة ١٩٥٦ اثر العدوان الثلاثى على مصر حيث هدد رؤساء الدول العربية المجتمعين فى بيروت فى شهر نوفمبر بوضع معاهدة الدفاع المشترك موضع التنفيــذ اذا لم تحترم قرارات الأمم المتحدة الخاصــة بوقف اطـلاق النار • وزاد الضغط منذ سنة ١٩٥٨ ــ وقد زادت الحرب الباردة التى قسمت العالم الى المعسكرين الشرقى والغــربى من مشاكل الأمن الجماعى العربى ــ لرسم سياسة عربية مشتركة حيال اسرائيل خصوصا بعد أن تكشفت خطط اسرائيل لتحويل مجرى نهر الأردن • وساعد على ذلك قيام الثورة فى العراق ، اذ انسحبت العراق سنة ١٩٥٩ من حلف

---

(١) تقول م ٤٥ « رغبة فى تمكين الأمم المتحدة من اتخاذ التدابير الحربية العاجلة يكون لدى الأعضاء وحدات جوية أهلية يمكن استخدامها فورا لأعمال القمع الدولية المشتركة • ويحدد مجلس الأمن قوة هذه الوحدات ومدى استعدادها والخطط لأعمالها المشتركة ، وذلك بمساعدة لجنة أركان الحرب وفى الحدود الواردة فى الاتفاق أو الاتفاقات الخاصة المشار اليها فى المادة الثالثة والأربعين » •

وتقرر م ٥٠ أنه « اذا اتخذ مجلس الأمن ضد أية دولة تدابير منع أو قمع فان لكل دولة أخرى ــ سواء أكانت من أعضاء « الأمم المتحدة » أم لم تكن ــ تواجه مشاكل اقتصادية خاصة تنشأ عن تنفيذ هذه التدابير ، الحق فى أن تتذاكر مع مجلس الأمن بصدد حل هذه المشاكل » •

(٢) عين الفريق على عامر ــ فى سنة ١٩٦٤ ــ أول ضابط اتصال لهذه القيادة وهو أمين عام مساعد للشئون العسكرية •

(٣) ورد ذكر معاهدة الدفاع المشترك فى م ٤/١ من معــاهدة الجــلاء التى أبرمت بين بريطانيا ومصر فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ ، كما أشارت مقدمة حلف بغداد اليها •

وربما كان جمود هذه المعاهدة هو الذى حفز مصر لأن تبرم فى تلك الآونة معــاهدة دفاع ثنائية مع سوريا والسعودية والأردن واليمن •

بغداد فأزالت عقبة كأداء فى سبيل برنامج الأمن الجماعى العربى · هذا الى جانب أن نجاح الجامعة العربية فى وساطتها فى الأزمة اللبنانية قد زكى كذلك فكرة الأمن الجماعى العربى · وأدى انضمام الكويت والمغرب للمعاهـــدة الى توسيع نطاقها ·

وقد حصلت عدة اجتماعات فى داخل الجامعة العربية للاتفاق على خطة عربية مشتركة ضد اسرائيل كان آخرها فى شتاء سنة ١٩٦٣ · ثم عقـــد اجتماع القمة سنة ١٩٦٤ حيث وافق ملوك ورؤساء الدول العربية على انشاء قيادة عربية واحدة تحمى المشروعات العربية ، على أن تشترك الدول العربية فى نفقات هذه القيادة وما تتضمنه أعمالها من تعزيزات عســـكرية للدول المتاخمة لاسرائيل وهى سوريا ولبنان والأردن · وقد انضمت الدول العربية الباقية — فى مؤتمر القمة الثانى — الى القيادة المشتركة اظهـــارا للتضامن العربى فى صورة أكثر اكتمالا(١) ·

التسوية السلمية للمنازعات :

جرى العمل فى محيط الجامعة على تسوية المنازعات فيما بـــين الدول العربية وبعضها البعض بالوسائل التقليدية لتسوية المنازعات تسوية سلمية مثل الوساطة والتوفيق والتحكيم ولو أن الجهود التى تبذل فى هذا الطريق لم تكن دائما موفقة ·

---

(١) من الغريب أن أهم تجربة حتى الآن قامت بها الجامعة العربية فى نطاق الأمن الجماعى كانت فى الكويت عندما نزلت قوة عربية مشتركة هناك فى خريف عام ١٩٦١ (أول هذه القوات وصل فى ١٠ سبتمبر) لحماية الكويت ضد تهديد العراق بضمها · وكانت هذه هى المرة الأولى فى العشر السنوات التى مرت على المعاهدة التى تطبق فيها أحكامها · وقد قامت القيادة العربية المشتركة بدور رمزى فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ·

ويجدر بنا أن نذكر هنـــا أن عددا من الدول العربية زودت الأمم المتحـــدة بقوات أثناء العمليات التى قامت بها المنظمة العالمية فى الكونجو ·

كذلك اقترح الأسقف مكاريوس ، رئيس الجمهورية القبرصية ، ارسال قوات من الجامعة العربية لتحقيق السلم فى المنطقة أثناء الأزمة القبرصية سنة ١٩٦٤ ·

وتنقل الأخبار لنا الآن أنباء اشتباكات عسكرية بين السعودية واليمن الجنـــوبية دون ان يقترن ذلك بعمل ايجابى من ناحية الجامعة ·

وتنص المادة ٥ من ميثاق الجامعة(١) على مبدأ التحكيم الاختيـارى وهو تحكيم يقوم به مجلس الجامعة بناء على طلب المتنازعين • ولكن شدة احساس الدول العربية بسيادتها أدى الى الحد من الدور الذى يمكن أن يؤديه المجلس كمحكم اذ استثنت المادة كما قلت من قبل المنازعات التى تتعلق باستقـلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها •

كذلك تخول المادة للمجلس القيام بدور الوسيط للتوفيق بين المتنازعين وفى تقديرى أن المجلس يستطيع أن يقوم بهذا الدور أيا كانت طبيعة النزاع ما دام أنه يهدد بقيام حرب بين المتنازعين •

وفيما عدا المادة الخامسة لا نجد اشارة الى وسائل للتسوية السلميـة للمنازعات فى الميثاق اللهم الا نص المادة ١٩ التى تتكلم عن انشاء محكمة عدل عربية ، التى لمـا تنشأ(٢) •

ورغم أن المادة الأولى من معاهدة الدفاع المشترك قد نصت على أنه لاتؤكد الدول المتعاقدة ، حرصا منها على دوام الأمن السلام واستقرارهما ، عزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية ، سواء فى علاقاتها المتبادلة فيما بينها أو فى علاقاتها مع الدول الأخرى • فان المعاهدة لم تتضمن مزيدا من التفصيل لكيفية تسوية المنازعات بالطرق السلمية • ولا جـدل فى أن

---

(١) تنص المادة الخامسة على أنه « لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فاذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذا وملزما •

« وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته •

« ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها ، للتوفيق بينهما • وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء » •

(٢) من الطريف أن الاتفاقية الخاصـة بحصانات وامتيازات الجامعة العربية تنص على اختصاص محكمة العدل العربية بنظر المنازعات الخاصة بتفسير وتطبيق الاتفاقية •

ولا مرية فى أن المشروعات الاقتصادية الكبرى التى تتطلع اليها الجامعة العربية ـ مثـل السوق العربية المشتركة ـ تجعل قيام هذه المحكمة ضرورة ملحة •

التقصير في تفصيل اجراءات التسوية السلمية للمنازعات بالاضافة الى التضييق من الاختصاص التحكيمي لمجلس الجامعة يجعل من الجامعة جهازا عاجزا عن أن يؤدى دورا فعالا فيما يثور بين الدول العربية من خلافات(١) ·

وربما كان هذا من الأسباب التى أدت الى اعتماد الجامعة على أمينها العام لتقديم خدماته الحميدة أو انشاء لجان عرضية لتحرى الحقائق · والواقع أن الجامعة لم تكن أكثر نجاحا فى الحالات القليلة التى أرادت فيها أن تقوم بدور الوسيط بين الدول العربية ودول غير عربية(٢) · وكل هذا يدعو الى ضرورة اعادة النظر فى ميثاق الجامعة لكى يتضمن من الأحكام ما يسمح للجامعة بالقيام بدورها السلمى المرموق فى العلاقات العربية ·

الفرع السابع

فى

علاقة الجامعة العربية بالمنظمات الدولية الأخرى

تمهيد :

قلت ان علاقة الجامعة العربية بالأمم المتحدة كانت مشكلة من المشاكل الجوهرية التى جابهتها منذ البداية ، ذلك أن مقترحات دمبارتون أوكس ـ التى كانت تحت يد واضعى ميثاق الجامعة ـ أقرت بمركز قانونى للتنظيمات

---

(١) اتفقت سوريا ولبنان سنة ١٩٤٩ على احالة منازعة بينهما بشأن تسليم المجرمين الى مصر والسعودية للتحكيم · يقابل هذا عجز مجلس الجامعة سنة ١٩٥٨ عن التصرف فى الأزمة اللبنانية واضطراره الى احالتها الى مجلس الأمن ولو أن المجلس توصل الى قرار فيها قبل أن يتخذ مجلس الأمن أى اجراء · كذلك فان المغرب رفضت فى أكتوبر سنة ١٩٦٣ أن تقبل وساطة اللجنة التى شكلتها الجامعة بمناسبة النزاع على الحدود بين المغرب والجزائر ·

(٢) من تلك الوساطة غير الناجحة التى قامت بها الجامعة فى مشكلة البوريمى بين السعودية وبريطانيا · والدور الذى قام به الأمين العام سنة ١٩٦١ لتسوية النزاع بين تونس وفرنسا ذلك النزاع الذى أدى الى اشتباك عسكرى فى بنزرت ·

الاقليمية فكان طبيعيا أن يتوقع واضعو الميثاق أقامة علاقة وثيقة بين منظمتهم والمنظمة العالمية الجديدة لا سيما فى نطاق النشاط الوظيفى ٠ وأخذا بهـــذا التوقع نصت م ٣/٣ من ميثاق الجامعة على أنه « ويدخـــل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية » ٠

وقلت أيضا ان دول الجامعة العربية لم تنجح ـ حالها حال دول أمريكا اللاتينية ـ فى أن تخرج من مؤتمر سان فرنسسكو باعتراف بالجامعة كمنظمة اقليمية ، ولكن جرى تفاهم غير رسمى على أن يعلق هذا الاعتراف على اقـامة نظام فعال للأمن الجماعى ٠ فلما أبرمت معاهدة الدفاع المشترك كانت وسيلة الجامعة لاثبات قدرتها على أن تتحمل مسئولية الأمن الجماعى فى منطقة الشرق الأوسط العربى ولذا أصدر مجلس الجامعة ـ عندما كان متوقعا ابرام المعاهدة ـ توصية فى ابريل سنة ١٩٥٠ بأن تطلب الدول الأعضاء الى الأمين العام للجامعة أن يدرج فى جدول أعمال الجمعية العمومية التالية مســـألة المركز القانونى للجامعة ٠ وفى شهر يوليو ـ أى بعد شهر من ابرام المعاهدة ـ طلب المندوب السورى فى الأمم المتحدة من الأمين العام أن يضمن جدول أعمـــال الجمعية العمومية موضوع دعوة الجامعة بصفة دائمة لحضور دورات الجمعية العمومية ٠ وقد عرض الأمر على اللجنة القانونية وجرت الموافقة على مشروع قرار بدعوة الجامعة ومن ذلك الوقت تتكرر دعوة الجامعة سنويا لحضور اجتماعات الجمعية العمومية كمراقب ٠ وقد نظرت الجامعة الى هذه الخطوة ـ التى قصدت بها الأمم المتحدة فى البداية أن تكون مجاملـة ـ على أنهـــا اعتراف واقعى من الأمم المتحدة بالجامعة ، ولذا استمرت المفاوضات بين الأمين العام للجامعة والأمين العام للأمم المتحدة بقصد جعل هـــذا الاعتراف الواقعى اعترافا قانونيا(١)٠

وفى تصـــورى أن هـــذا سعيـــا وراء اعتراف ليست له جـــدوى عملية ، ذلك أنه تصور بعيد أن تصبح الجامعة عضوا فى الأمم المتحدة لأن

---

(١) أبرمت كل من منظمة العمل الدولية واليونسكو ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة اتفاقات مع الجامعة العربية معترفة بمركزها كمنظمة اقليمية ٠

عضوية الأمم المتحدة قاصرة على الدول المستقلة ، وحتى لو فرضنا جدلا أن هذه العضوية ممكنة فان ذلك سوف يثير مشكلة التمثيل · فهل سيظل عندئذ أعضاء الجامعة أعضاء كذلك فى الأمم المتحدة أم أنه سيطلب اليهم أن ينسحبوا مكتفين بممثل واحد عن الجامعة ؟ ·

ان الذى يهم فى العلاقة بين المنظمة العالمية والمنظمة العربية هو تنسيق تلك العلاقة ـ وهذا هو ما يكفله الاعتراف الواقعى ـ وليست هناك جدوى من محاولة تطوير بنية الأمم المتحـــدة ـ وهو الأثر الذى يمكن أن يترتب على الاعتراف القانونى ·

علاقة الجامعة العربية بالأمم المتحدة : السياسة والاجراءات

رغم أن مسألة الاعتراف بالجامعة لا زالت مفتوحة فقد قامت الجامعة بجهد كبير يحكى تاريخا غنيا عن العلاقة بين الجامعة والأمم المتحـــدة · وطبيعى أن دراستنا هذه التى تتوخى الايجاز لا تتسع لتفصل ذلك التاريخ · ولذا سأمر عليه مرا سريعا ·

ان جوهر سياسة الجامعة فى الأمم المتحدة يقوم على تنظيم جبهة موحدة تظهر فى مختلف نواحى النشاط وفى كافة أجهزة المنظمة الدولية · فقد عينت الادارة السياسية فى الأمانة العامة ـ فى باكورة حياة الجامعة (ديسمبر سنة ١٩٤٦) ـ الوكالة الرئيسية للجامعة لمعالجة الأمور المتعلقة بالأمم المتحدة · ان تنظيم هذه الجبهة الموحدة مستمد من قرارات مجلس الجامعة اذ يقوم المجلس فى دورة سبتمبر بمراجعة جدول أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة وتتخذ حيالها قرارات تبلغ للممثلين الدائمين للدول العربية لدى الأمم المتحدةللتمشى بموجبها · وقد تكون هذه القرارات مجرد خطوط عريضة للارشاد وقد تصل الى حد التعليمات الدقيقة التى يجب التقيد بها · أما بالنسبة للأمور التى تنظر أمام الجلسات الطارئة التى تعقدها الجمعية العامة فان تنسيق السياسة العربية حيالها يحصل عادة بواسطة الأمانة العامة عن طريق وفود الدول الأعضاء فى القاهرة أو بالاتصال المباشر مع مختلف المكاتب العربية فى الخارج · وقد ظهر

اجراء جديد فى السنوات الأخيرة هو عقد دورة غير عادية لمجلس الجامعة فى نيويورك(١) ٠

وللجامعة مراقب دائم لدى الأمم المتحدة ولو أن الأمين العام يحضر دائما شطرا على الأقل من الدورة ٠ ومهمة المراقب الدائم أن يرعى تنفيذ سياسة الجامعة فهو يقوم اذن بدور هام ٠

ومن القواعد المتبعة فى كل من مجلس الأمن والجمعية العمومية أن يقوم مندوب عربى بمهمة المتكلم المؤقت باسم باقى الدول العربية فى الموضوعات المهمة ٠ ففى أكتوبر سنة ١٩٥٣ افتتح مندوب لبنان مناقشة الجمعية العمومية بشأن المسألة التونسية ، كما لفت المندوب السعودى نظر مجلس الأمن فى يناير سنة ١٩٥٥ الى الوضع الخطير فى الجزائر ٠ وقد أثار المندوب السورى نفس الموضوع فى سنة ١٩٥٧ أمام الجمعية العمومية ، وعرض المندوب التونسى القضية المغربية فى الدورة الثالثة ، وهكذا(٢) ٠

ولا تقتصر اهتمامات الجامعة على الأجهزة الاسياسية للأمم المتحدة ومجلس الأمن بل انها تتناول النواحى المختلفة لنشاط المنظمة العالمية بما فى ذلك

---

(١) قام البعض بدراسة لمسلك التصويت فى الجمعية العمومية وقد وقدر مسلك كل دولة عربية فى التصويت على أساس نسبة خروجها على موقف الأغلبية العربية ٠ وتدل قائمته على أن الخلافات الداخلية بين الدول العربيـة كانت ذات أثر ضعيف على التصويت فى الجمعية العمومية فمثلا فى الفترة ١٩٥٥ — ١٩٥٨ التى قاست فيها الجامعة كانت العراق والأردن ولبنان تصوت مع باقى الدول العربية أو على الأقل لا تصوت ضد الأغلبية ، وحتى فى سنة ١٩٦٢ عندما هددت الجمهورية العربية المتحدة بالانسحاب من الجامعة فانها استمرت على التداول مع الوفود العربية بشأن الأمور التى ستكون محل مناقشة فى الدورة :

انظر :

A. Hovet, Thomas : Bloc Politics in the United Nations, Cambridge, Harvard University Press, 1960, p. 62.

B. Lyphart, Arend : The Analysis of Bloc Voting in the General Assembly, A Critique and a Proposal, American Political Science Review, LVII, Dec. 1963, pp. 902-17.

(٢) وكما أن مجلس الجامعة يقرر اثارة بعض المسائل أمام الأمم المتحدة فانه قد يقرر عدم عرضها فمثلا فى السنوات الأخيرة كان مجلس الجامعة يصوت على عدم عرض القضية الفلسطينية على الجمعية العمومية ٠

مراجعة قائمة موظفى الأمم المتحدة بمختلف أجهزتها وما يطرأ على مناصب الأمم المتحدة من شغور لترشيح العرب المؤهلين لها[١] ·

ويلاحظ بعض الباحثين أن الجامعة العربية مع حرصها على توثيق الروابط بينها وبين الأمم المتحدة فانها ليست مهتمة فى تزويد الأمم المتحدة بالمعاهدات والاتفاقيات التى تبرم بين أعضاء الجامعة ، كما أنها لم ترتب اجراءات منتظمة لمد الأمم المتحدة بوثائق مثل التقارير السنوية للجامعة وقرارات مجلس الجامعة ·

واذا كانت الجامعة حريصة من ناحيتها على تطوير قواعد لتحقيق أهدافها ضمن اطار الأمم المتحدة فان الأمم المتحدة من ناحيتها لم ترسم اجراءات منظمة لعلاقتها مع الجامعة حتى سنة ١٩٦٠ ، أما قبل هذا التاريخ فكان اتصال الأمم المتحدة بالجامعة متوقفا على الظروف · فقد رأى الكونت فولك برنادوت - وسيط الأمم المتحدة - أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ أن يشرك الجامعة العربية فى مناقشاته وعقد عدة اجتماعات مع الأمين العام وبعض المسئولين فى الجامعة · وقد شمل اتصال الأمم المتحدة بالجامعة مشكلة اعادة توطين المهاجرين ولذا طلب جون بلاندفورد John Blandford - مدير هيئة غوث اللاجئين - فى أكتوبر سنة ١٩٥١ - الى لجنة فرعية منبثقة من اللجنة السياسية أن تقدم له مقترحاتها بشأن توطين اللاجئين ، كما أرسلت مقترحات الأمين العام للأمم المتحدة بشأن تسوية مشكلة اللاجئين الى الجامعة العربية سنة ١٩٥٩ بقصد الدراسة والتعليق · وقد رفضت الأمانة العامة تقرير المستر همرشلد · ومن الحرى بالذكر أن كافة الدول الأعضاء وقعت تقرير الجامعة فى الوقت الذى كانت العراق وتونس تقاطع الجامعة · وقد اتخذت الجامعة موقفا موحدا كذلك سنة ١٩٦٢ من رفض مشروع يوسف جونسون Joseph Johnson بشأن

---

(١) على أن اختيار الجامعة لا يلقى دائما القبول العام من الدول العربية ، كما حصل سنة ١٩٥٨ اذ رشحت الجامعة محمود محجوب لرئاسة الجمعية العمومية بقرار بالأغلبية اعترضت عليه لبنان ورشحت شارل مالك الذى تمكن فعلا من الفوز اذ حصل على ٤٥ صوتا مقابل ٣١ لمحجوب (١٦ سبتمبر ١٩٥٨) ·

اللاجئين .

ان الأمم المتحدة لم تنظم تعاونا مخططا مع الجامعة حتى فى النطاق الذى كانت ترجوه الجامعة منذ البداية وهو نطاق التكامل الوظيفى اذ نجد أن مكاتب الأمم المتحدة فى الشرق العربى وشمال أفريقيا تقوم ببرامج للتنمية فى مختلف الدول أعضاء الجامعة دون أن تقيم علاقة مباشرة ما بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية . وهذا أيضا هو الموقف الذى تتخذه هيئة برامج المعونة الفنية رغم أنها وكالة تنسق برامج ذات نطاق اقليمى .

ونظرا لأن التنمية الاقتصادية هى من الأمور التى تشغل مكان الصدارة فى اهتمام الجامعة فقد سعت الجامعة منذ البداية الى انشاء وكالة اقتصادية اقليمية تحت اشراف الأمم المتحدة شبيهة باللجان الاقتصادية التى شكلت لمناطق أخرى ، ولكن الجهود لم تثمر لا سيما بعد قيام اسرائيل ورفض الدول العربية أن تتعامل معها . بيد أن انشاء لجنة اقتصادية لأفريقيا سنة ١٩٥٨ كان له بعض الأثر على التنمية الاقتصادية للدول العربية الكائنة فى أفريقيا . وانى لأرجو أن يزدهر التعاون بين المنظمتين فى المجالات الوظيفية على هدى مما تضمنته المذكرة التى تبودلت بين أمين عام الجامعة وأمين عام الأمم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ وألا يحول الموقف المتحيز لاسرائيل دون ذلك . وينفتح باب الأمل أمامنا على أوسع عندما ننظر الى العلاقات القائمة بين الأمم المتحدة وبين منظمة الدول الأمريكية .

الجامعة العربية والوكالات المتخصصة :

ترتبط الجامعة بالوكالات المتخصصة للأمم المتحدة بوشائج متينة وقد أبرمت الجامعة مع تلك الوكالات عددا من الاتفاقات - كما سبق أن ألمحت(١) . وتماثل تلك الاتفاقات - من ناحية عامة - تلك التى أبرمتهاالوكالات المتخصصة

---

(١) وافق اليونسكو على اتفاق مع الجامعة فى يونيو سنة ١٩٥٧ ، ووقع الاتفاق بين الجامعة ومنظمة العمل الدولية فى ٢٨ مايو سنة ١٩٥٨ ، وأبرم الاتفاق بين الجامعة وبين منظمة الصحة العالمية فى يونيو سنة ١٩٦١ ليحل محل مذكرات سبق أن تبادلها الطرفان فى ابريل سنة ١٩٥٤ ، أما الاتفاق مع منظمة الأغذية والزراعة فقد وقع فى يونيو سنة ١٩٦٠ .

مع منظمة الدول الأمريكية ، ومجلس أوروبا وغير ذلك من المنظمات الحكومية ٠ فهى تنص على تبادل المعلومات والوثائق والتشاور فى الأمور ذات الأهمية المشتركة والتعاون فى تنفيذ وتخطيط البرامج الاقليمية وتبادل المراقبين والمندوبين والخبراء وتقوم — فى ظروف معينة — بنشاط مشترك ٠ وتنص الاتفاقات عادة على أن يجرى الاتصال مباشرة ما بين الأمين العام للجامعة ومدير عام الوكالة أو من يعادله ٠

وقد أبرم اليونسكو اتفاقه مع الجامعة على الرغم من الجهود التى بذلتها اسرائيل للحيلولة دون ذلك ٠ وللجامعة العربية ممثل دائم لدى اليونسكو فى باريس ، والمشاورات مستمرة بين المنظمتين ٠ وتشرف اليونسكو على معاهد وبرامج تعليمية فى المنطقة العربية بالنسبة للدول العربية واللاجئين العرب ، كما ترعى اجتماعات ثقافية تنعقد فى المنطقة ما بين الفينة والفينة ٠

كذلك تتبادل الجامعة التقارير الفنية والخبراء مع هيئة الأغذية والزراعة وقد استعارت الهيئة خبيرا عربيا للاشراف على برنامج مكافحة الجراد فى الموارد النباتية والحيوانية وزيادة التسهيلات الزراعية وتطوير الأسواق وتوزيع المنتجات الزراعية ٠ ومن قبيل التمثيل أذكر أن الهيئة أقامت تحت رعايتها سنة ١٩٦٢ حلقة تدريبية فى القاهرة عن التخطيط الزراعى ٠

أما التعاون بين الجامعة وبين منظمة العمل فيجرى على مستوى العمل ، فالمنظمة مستمرة على تقديم المعونة الفنية وقد ساهمت بنصف المبلغ اللازم لمشروع الجامعة الخاص بترجمة كافة اتفاقيات المنظمة الى اللغة العربية ٠ وقد اعترفت المنظمة بالاتحاد الدولى للاتحادات التجارية العربية كمنظمة عمل اقليمية بغرض تشجيع الثقافة العمالية والتنظيم فى البلاد العربية ٠

وقد صاغت المنظمة الاتفاقية المبرمة مع منظمة الصحة العالمية برنامجا تعاونيا كان ساريا منذ سنة ١٩٥٤ يهدف الى التعاون فى كل الأمور المتعلقة بالشئون الصحية ٠

وتحقق — بالاضافة الى هذا — البرامج الاقليمية التى تهم الجامعة العربية

عن طريق عدد آخر من الوكالات المتخصصة التى ليست بينها وبين الجامعة علاقات رسمية ٠ فقد كان للبنك الدولى مثلا دوره الواضح فى صياغة براءة بنك التنمية العربى سنة ١٩٦٢ ، كما قامت منظمة الأرصاد الدولية بدراسة واعية للمناخ فى الشرق الأدنى ٠

ونظمت منظمة الطيران المدنى الدولية عدة حلقات فى الدول العربية وأقيم مركز تدريب اقليمى للنظائر سنة ١٩٦٢ بالقاهرة وهو مشروع مشترك بين وكالة الطاقة الذرية الدولية وبين الدول العربية المشتركة ببعض المال من برنامج الأمم المتحدة للمعونة الفنية ٠ ولذا يمكن أن نقول ان اهتمام الجامعة العربية بأوجه نشاط وبرامج الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة لا يقف عند حد الاتفاقات التى أبرمتها الجامعة مع بعض هذه الوكالات ٠ وقد نجحت الجامعة نجاحا نسبيا فى علاقاتها بالوكالات المتخصصة وهو ما يحقق بعض الآمال التى تعلقها الجامعة على الأمم المتحدة ووكالاتها ولكن لا زال الكثير ليعمل ٠ وقد يعين على ذلك الى حد كبير انشاء وكالات متخصصة للجامعة العربية تكون لها ذاتيتها فى اطار الجامعة(١) لتعمل فى اتصال وثيق مع الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ومركز تنسيق المعونة الفنية الاقليمية للأمم المتحدة ومثل هذا التخطيط لو تحقق يرفع عبئا ثقيلا عن كاهل الوكالات المتخصصة ويتجنب التكرار ٠

الفرع الثامن

فى

الجامعة العربية فى كفة الميزان

عود على بدء :

ما أن آذنت الحرب العالمية بالانتهاء حتى هرع الحلفاء — ومن فى ركابهم — الى سان فرنسسكو ليرسموا صورة عالم ما بعد الحرب وفى ضمير

---

(١) سبق أن تكلمت عن اليونسكو العربية التى تعتبر نموذجا للوكالات التى أعنيها هنا ٠

كل أن يضع فى الصورة من اللمسات ما يتفق وذوقه ومن الألـــوان ما يسر خاطره • وكان الله قد من على الدول العربية بجامعة لم تكن قد آكملت أشهرها الأولى فلا غرو أن يتمثل فى هذا الوليد آمالهم وأمانيهم ، ولا عجب أن تحرص على أن تنعكس ملامح الوليد على الوجه الأكبر لعالم ما بعد الحرب • ولكن الدول الكبرى ـ وقد أثملتها نشوة النصر القريب ـ أرادت غير ما أرادوا وأضمرت غير الذى يحبون •

ظنت الدول العربية أن وليدها يمكن أن يترعرع فى رحاب أم رؤوم وحسبت أنها تستطيع أن تعهد اليها برعايته ، ولكن الأم تنكرت للأمومة وقد استهوتها مراءاة المنتصر وممالأة الغالب •

كان فى جعبـــة الدول العربية أن التنظيم الاقليمى غايته هـــو تحقيق التعاون فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتلك شئـــون يمكن فصلها عن السياسة • وفى خبيئة نفسهـــا أن مزج التنظيم الاقليمى بمزاج السياسة ودفعه الى شئون الأمن الجماعى فيه تهديد لسيادتها وما أحرصهـا عليها ومساس باستقلال وما أشد تمسكها به • فى حين أن الدول الكبرى فكرت ودبرت ـ وقتلت كيف فكرت ودبرت ـ أنها يجب أن تظل القمينة على مستقبل البشرية الوصية على مصالح الانسانية واذن فلا بد للدول التى خرجت عن طوقها بكسب استقلال وشيك أن تعود الى ربقتها من جديد فذهبت الى أن التنظيم لا يكون اقليميا الا اذا جعل غايته الكبرى هى حفظ الأمن والســـلم الاقليمى ثم أخضعت هذا التنظيم لوصاية مجلس الأمن حيث تتربع هى عـلى مقاعد دائمة لا تزول ولا تزعزع • فلما التقى الجمعان هزمت الفئة الصغرى وكان عليها أن تلين او تكسر وعجزت عن أن تبعد التنظيم الاقليمى عن نفوذ الدول الكبرى ان هو أراد تعاونا مع منظمة المستقبل •

ولعل الدول الكبرى أحست بارهاصات التمرد على سلطانهـا فسعت تؤكده بألاعيب الشيطان واغراءات الجمان • فانتهجت خارج المنظمة العالميـة سياسة تسعى الى تشكيل مجموعات اقليمية تعتمد عليها فى الدفاع عن نفسها ضد العدوان الخارجى ، وكان حلف بغداد ثمرة من ثمار تلك الســـياسة •

وراحت الولايات المتحدة تتخذ من معوناتها للدول النامية بركة تنزلهـا على الأصدقاء وتحرمها الأعداء ، وكان سحبها لوعدها بتقديم معونة لمصر تساعد على بناء السد العالى مثلا لتلك السياسة النفجة · ولعبت الدول الكبرى بقضية فلسطين عساها تتخذ منها سبيلا للسيطرة على مجريات الأمور فى العـالم العربى ·

وهكذا بدأت الجامعة العربية حياتها والدول الكبرى تجد فى ربطهـا بعجلتها فان جمحت عملت على تحطيمها ، فكان على الجامعة أن تحمل أمـانة الكفاح ضد تسلسل النفوذ الامبريالى الى المنطقة · وقد صـاحب هنا رصيد من رواسب خلافات حول صور جزئية من الوحدة : وحدة الهلال الخصيب ، ومشروعات سوريا الكبرى ، والصراع بين الأسر المالكة فى الأردن والعراق والسعودية ، والسيطرة على وادى النيل ، ودور شمال أفريقيا فى الحركـة القومية · وسار معه الاتجاه الثورى التحررى الذى هبت ريحه الطيبـة على المنطقة فانشغلت باقتلاع جذور الرجعية ونشب الجهاد بين القومية المندفعة الى الوحدة وبين الرجعية المتمسكة بالقسمة ·

ولا مرية فى أن هذه كلها ظروف ما كان أبعدها عن خاطر مدبجى ميثاق الجامعة ومحررى نصوصه · ولكن عناية السماء شاءت لهذه الجامعة أن تتخطى الصعاب وأن تعيش لتشهد بعد ربع قرن من حياتها أن عـدد أعضائها قد تضاعف وأن الدول التى دخلت دارها بعد لأى نالت على يديها استقلالها وأن الخلافات العربية مهما اشتد أوارها لابد لعبيق القومية أن يخمدها وأن الصراع مهما حمى وطيسه لا بد أن ينكسر على درع الوحدة العربية وأن الأمة العربية اذا يوما أرادت الحياة فلابد أن يستجيب القدر ·

مشاكل المستقبل فى حياة الجامعة :

« استحكمت الخلافات والمنازعات بين الدول العربية وظهرت أزمة الثقة فى علاقات الدول الأعضاء فيما بينهم وفى علاقاتهم بالجامعة · وانقسم الرأى فى مواجهة الجامعة العربية الى ثلاثة اتجاهات :

(أ) اتجاه يرمى الى القضاء على الجامعة العربية لأنها فشلت فى تحقيق

أهدافها ولان بقاءها فى وضعها الحالى يعتبر عقبة فى سبيل اقامة مشروعات أخرى للوحدة العربية تكون أكثر قـدرة على مواجهة احتياجات الشعوب العربية ٠

(ب) واتجاه يرمى الى الاحتفاظ بالجامعة العربية على ما هى عليه لأنها تكون صلة مفيدة تربط بين الدول العربية ، فوجودها يحقق بعض النفع وهو على أية حال لا يضر بمصالح الدول الأعضاء ٠

(ج) واتجاه أخير يرمى الى تدعيم الجامعة العربيةوتقوية أجهزتها وتعديل ميثاقها بطريقة تكفل لها القدرة على تحقيق أغراضها وتمنحهـا السلطات اللازمة فى هذا الشأن ٠

ومن الواضح أن ضعف الجامعة العربية وعجزها عن تحقيـق أهدافها لا يرجع فقط الى قصور فى نصوص ميثاقها ، ولا أدل على ذلك من أن منظمات أخرى لا تعتبر أقوى من الجامعة العربية من الناحية التنظيمية قد أظهرت نجاحا كبيرا فى تحقيق الأهداف التى أبرمت من أجلها »(١) ٠

وفى رأيى أن مستقبل الجامعة رهن بأمور أربعة هى - على هدى مما قدمته من تحليل ومناقشة - التى يتعلق بها مصير الجامعة وبها ترتبط حياتها فى المستقبل ٠ تلك هى :

١ - مسألة الوحدة العربية ٠

٢ - القدرة على ارساء علاقات وثيقة مع الأمم المتحدة ٠

٣ - الحاجة الى تطوير وسائل الأمن الجمـاعى والتسوية السلميـة للمنازعات ٠

٤ - معالجة واقعية لمشاكل التكامل الوظيفى الاقليمى ٠

تلك أمور أربعة جديرة بأن ألقى عليها مزيدا من الضوء والبيان ٠

---

(١) نقلا عن محمد حافظ غانم - الجامعة العربية ، المرجع السابق ، ص ٩٧ - ٩٨ ٠

١ ـ الوحدة العربية :

ان عيبا من عيوب الجامعة هو عزوفها عن أن تقبل دورها كمنظمة اقليمية • ان الاتجاه العام ينظر الى الجامعة على أنها خطوة فى طريق الوحدة العربية رغم أن القرار الذى اتخذ فى سنة ١٩٤٥ والذى أكد أكثر من مرة يبين أن الوحدة السياسية ليست هدفا من أهداف الجامعة وأن على الجامعة أن تؤدى دورها كمنظمة اقليمية • ومع ذلك فان الانجذاب تجاه نوع من الوحدة العربية ظل العامل الحيوى فى برامج الجامعة وسياساتها • وقوى من ذلك الانجذاب فشل الجامعة فى الوصول بحرب العرب مع اسرائيل سنة ١٩٤٨ الى نهايتها المرجوة ، وتدافعت بعض الدول الأعضاء نحو تقديم مشروعات لتقوية الجامعة وجعلها نوعا من الاتحاد أو البناء الذى يعلو الوحدات السياسية المكونة لها •

ومن تلك المشروعات مشروع تقدم به ناظم القدسى ، رئيس وزراء سوريا ، الى الجامعة العربية سنة ١٩٥١ يقترح قيام وحدة عربية فورية بعد أن شتت الجامعة آمال العرب وكثرت جعجعتها بلا طحن • ولكن المشروع وضع على الرف • مشروع آخر لاتحاد فدرالى قدمه رئيس وزراء العراق فاضل الجمالى فى يناير سنة ١٩٥٤ يستهدف توحيد وزارات الخارجية والمعارف والدفاع والمالية والاقتصاد العربية • وقد أصدرت اللجنة السياسية بيانا بعد يومين من تقديم هذا المشروع تشكر مقدمه وتقترح أن يدرس بمعرفة اللجنة ، الأمر الذى كان يعنى رفضا لبقا للمشروع •

ولم تقتصر حركة الوحدة على داخل الجامعة بل عمل لها أنصارها خارج الجامعة حتى وجدت الجامعة نفسها وليس أمامها ـ ارضاء لهذا الشعور العام المتدفق ـ الا أن تدلى بدلوها فى الأمر • وكان أن اقترح الأمين العام الحالى عام ١٩٥٨ ـ اجراء تعديلات على ميثاق الجامعة تسمح بأن تصدر القرارات الملزمة بأغلبية الأصوات ، وأن يجرى تمثيل شعبى فى لجنة استشارية تختارها برلمانات الدول الأعضاء وأن يوجد مجلس منظم لوزراء الخارجية •

« ان استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه ـ كما أثبتت

التجارب - فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية كي تطعنها من الخلف ٠

« ان تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية ٠ هذا الاختلاف الذى فرضته قوى العزلة الرجعية والاستعمارية »(١) ٠

طبيعى أن مستقبل الجامعة لابد أن يتقرر داخل العالم العربى ولكن يجب الا يغرب عن بالنا أن التحليل الذى قدمته يكشف عن أن الجامعة لا تعانى من ضعف بنيتها بقدر ما تعانى من عدم قدرة الدول الأعضاء على أن تعمل فى دأب لانفاذ برامج تستهدف صالحا مشتركا ٠ وقد دل نجاح بعض مؤتمرات القمة على أن رؤساء الدول العربية يمكنهم أن يتعاونوا على العمل البناء اذا شاءوا ٠

ان الجامعة العربية - من حيث هى اتحاد واهى العرى - تقدم لنا أملا محمودا لتعاون الحكومات ٠ أما التكامل الجبرى - كما أكد الميثاق - فيمكن أن يخلف فجوات تستغلها العناصر المعادية كى تطعنها من الخلف ٠

ان الجامعة العربية - بوصفها منظمة اقليمية - يمكن أن يقوى ساعدها بمزيد من التفويض فى السلطة تقوم به الدول الأعضاء الى المنظمة المركزية دون حاجة الى تعديل الميثاق لجعل أغلبية الأصوات كافية لكى تكون القرارات ملزمة ٠ ان اعطاء مزيد من الثقة للجامعة لكى تؤدى دورها كمنظمة اقليمية هو بالطبع تصور تفويضى ٠ ثم ان الجامعة أحوج ما تكون لتحسين الظروف التى تمارس فيها اختصاصاتها بتقوية الأمانة العامة اداريا وفنيا وانشاء الوكالات المتخصصة القادرة على أن تنتشر بجهودها فى الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية(٢) وانشاء مكاتب دائمة للجامعة فى العواصم العربية كادارات

---

(١) الميثاق الوطنى ، البا بالتاسع (الوحدة العربية) ٠

(٢) كان من الطبيعى أن تولى الجامعة والبلاد العربية اهتماما خاصا للارتقاء بالادارة العلمية بها والعمل على تحسين الأجهزة الادارية بها ٠

اتصال وتنسيق للعلاقات العامة ٠

٢ ـ العلاقات المستقبلة مع الأمم المتحدة :

تتمتع الجامعة العربية بميزة أصيلة للتكامل الاقليمى يمكن بها أن تؤثر على سياسة الأمم المتحدة لصالحها *بسبب تضامن أعضائها كجبهة موحدة داخل* الأمم المتحدة ولذا فان على الأمم المتحدة أن تقتنع بضرورة التقليل من اصرارها على الأمن الاقليمى وزيادة اهتمامها بالتنمية الاقليمية فى المجالات الوظيفية ٠ ولا شك أن وجود جو من الثقة المتبادلة والتعاون مع الغرب يسهل على الجامعة بلوغ هذه الغاية ٠ والذى يبدو لى أن الغرب قد رجع عن سياسته الماضية حيال الجامعة بعد أن تأكد له أنها قوة أساسية فى التكامل الاقليمى ٠

لقد اعترف الغرب بفشل سياسة الحرب الباردة التى أزكاها فى العالم العربى وفى هذا ارضاء للأهداف السياسية العربية ألا وهى الاستقلال والتحرر من سيطرة الغرب ٠

ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن موقف الخصومة الذى تقفه الجامعة العربية من الولايات المتحدة ـ ومن ينهج نهجها ـ فى التحيز لاسرائيل يقيم عقبات فى طريق الجهود العربية مع الأمم المتحدة بسبب أن الولايات المتحدة تعمل على اعاقة هذه الجهود وتلقى بثقلها فى سبيل كيد الجامعة العربية ٠ ولعل الغرب يثوب الى رشده ويعى صالحه فينفتح بذلك باب من التعاون يسهل على الجامعة أن توثق علاقاتها مع الأمم المتحدة على نحو أسرع وآكد ٠

« وأدى هذا الاهتمام الى توقيع الدول العربية لاتفاقية انشاء المنظمة العربية للعلوم الادارية ٠٠٠٠٠٠٠ وتستهدف المنظمة بوجه خاص :

دراسة الوسائل المؤدية الى تحسين الأداة الادارية ، توحيد أسماء الوحدات والنظم الادارية ومصطلحات العلوم الادارية ، التقريب بين الدراسات الادارية فى الجامعات العربية ، دراسة النظم العربية الادارية ٠

وقد بدأت المنظمة عملها فى أوائل هذا العام بعد تصديق اربعة دول على اتفاقية المنظمة وهى : الجمهورية العربية المتحدة ، العراق ، سوريا ، الكويت ٠٠ ثم انضم الى المنظمة أربع دول أخرى هذا العام هى : لبنان والأردن والسودان وجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية » ٠

(نقلا عن جريدة الأهرام ـ عدد الأربعاء ٣ ديسمبر ١٩٦٩) ٠

٣ - توقعات الأمن الجماعي :

كذلك فان مستقبل العلاقات مع الغرب - سواء في داخل أو خارج الأمم المتحدة - ستحدده قدرة الجامعة على تحقيق أمن اقليمي فعال وتسوية المنازعات بالطرق السلمية . وكي أبسط هذا الموضوع المعقد أقول ان توجيه الجامعة العربية كمنظمة اقليمية تجاه الأمن الاقليمي كان صحيحا من حيث المبدأ لأن أهمية الدفاع ضد التهديد الداخلي (أي الذي يحصل من داخل المنطقة) لا تقل بالنسبة للجامعة عن الدفاع ضد التهديد الخارجي (أي الذي يأتي من خارج المنطقة) . ومعلوم أن الدفاع ضد التهديد الخارجي هو أساسا من الأمور التي تعود الى الأمم المتحدة كما تدل على ذلك تصرفات الأمم المتحدة خلال أزمة السويس سنة ١٩٥٦ وحرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

لا شك أن العداوة بين الجامعة واسرائيل تمثل أهمية بالغة الأمر الذي يدعو بعض المراقبين الى الاعتقاد بأن أي عون خارجي لنظام الأمن الاقليمي العربي سوف يقحم المنطقة في حرب أخرى . ولكن الأحداث كذبت هذا الاعتقاد فبعض الدول العربية تتلقى معونات عسكرية كبيرة من الاتحاد السوفيتي . ولكن هذا لا يعني ان تسوية النزاع العربي الاسرائيلي تسوية عادلة هو مقدمة لازمة لاقامة أمن اقليمي فعال . فلو أن هذه العقبة أزيلت فانه قد يكون من المستطاع أن تتخذ الأمم المتحدة من الجامعة العربية معاونا لها في شئون الأمن الجماعي وأن يقدم الغرب - عن طريق الأمم المتحدة - مساعدات فنية ومعدات للجامعة العربية طواعية لنص المادة ٤٧/٤ من ميثاق الأمم المتحدة(١) تكون كمياتها كافية كقاعدة للدفاع عن النفس ضد العدوان الخارجي والداخلي معا .

وربما كانت مشكلة تحسين اجراءات التسوية السلمية للمنازعات ذات مغزى أكبر - في الوقت الراهن - من مشكلة الأمن الاقليمي بعد أن حيا ميثاق الجامعة مبالغة الدول الأعضاء في الاهتمام بصيانة استقلالهاوسيادتها

---

(١) تنص المادة ٤٧/٤ المذكورة على ما يلي : « للجنة أركان الحرب أن تنشيء لجانا فرعية اقليمية اذا خولها ذلك مجلس الأمن وبعد التشاور مع الوكالات الاقليمية صاحبة الشأن » .

وذلك بالبعـــد عن أن يضمن أحكامه النص على اجراءات فعـــالة للتسوية السلمية • وقد اقترحت عدة اقتراحات لمعالجة هذه الحالة منها التفكير فى جعل التحكيم الزاميا وانشاء محكمة العدل العربية ولكن مفتاح المشكلة - كمـــا بينت من قبل - يكمن فى مزيد من ثقة الأعضـــاء فى منظمتهم أكثر منه فى استحداث اجراءات •

وبدهى أن ضبط التســـوية السلمية للمنازعات يقتضى تعديل المـادة الخامسة من ميثاق الجامعة لأنها هى التى تحدد من اختصاص مجلس الجامعـة وتستبعد منه المنازعات التى لها شىء من الأهمية • كما أن انشاء محكمـــة العدل العربية سوف يسهم أيضا فى قدرة الجامعة على حفظ السلم بين الدول الأعضاء •

٤ - **مشروعات محسنة للتكامل الوظيفى الاقليمى :**

تحتاج الجامعة لأن تعيد التوجيه ناحية البرامج الواقعية والممكنة التحقيق فى حقل التـــكامل الوظيفى الاقليمى لا سيما فى النـــواحى الاقتصـــادية والاجتماعية • وذلك يقتضى وجود مؤسسات اقتصـــادية واجتماعية متطورة الأمر الذى يكاد يكون فاقدا فى العالم العربى • ان مشاكل الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى انما تبحث الآن فى اطار ســـياسى ، ولذا فان من أهم الانجازات التى حققتها الجامعة حتى الآن هو تشجيعها للجماعات الاقليمية غير الحكومية : الطبية والعلمية ، واتحادات العمال ، وغرف التجارة وغير ذلك من الجماعات المهنية التى تساعد على ملء تلك الفجوة •

ان برامج المستقبل فى النطاق الوظيفى وأوجـه النشاط التى تمارسها الجامعة يجب أن تقر بقيود أصيلة على الموارد المتوفرة ويلزم أن تتواءم مع كل من حاجات ورغبات الاقليم • ان الأمر لا يحتمل أن يترك مكانا للحلول البراقة أو لخديعة النفس التى تستهوى بعض المخططين • ان الموارد المادية والبشرية للمنطقة غير كافية وفى حاجة الى عون خارجى ، كما أن موارد الجامعة الكائنة حاليا ووكالاتها تحتاج الى مزيد من الاستخـــدام الكفء • ان نوعا من خطة تنمية جماعيـــة كمشروع مشترك بين الأمم المتحدة والأمانة العـــامة للجامعة

والوكالات المتخصصة يطبق على برامج البلاد العربية يمكن أن ينسق مع الادارة المختصة فى أمانة الجامعة (وكذا الوكالة العربية المتخصصة المعنية) لتجنب تكرار الجهد وضمان أحسن استخدام للموارد المادية والبشرية المتوفرة والتزويد بأساس لمعالجة منسقة لتنمية الاقليم ٠

ان الاتجاه نحو انشاء سوق عربية مشتركة تحيى الأمل فى أن تهدهد الدول الأعضاء من نزعاتها الفردية فى سبيل الأهداف الجماعية ٠ اننا يجب ألا نتخذ من هذه السوق حركة مقنعة لوحدة الزامية بل يجب أن نقيمها على شركة ارادية تعترف بأن التكامل الاقتصادى الاقليمى هو متطلب أولى لتنمية الاقتصاد القومى ٠ ان السوق العربية المشتركة لا تعدو أن تكون وسيلة لغاية وليس غاية فى ذاتها أو بديلا لنوع من الاتحاد ٠ كذلك يمكن لليونسكو العربى المقترح أن يؤدى دورا أصيلا فى تنفيذ برامج طويلة الأمد بقصد توحيد وتماثل وسائل التعليم وتدريب المدرسين والادارة المدرسية والتعليم العالى والمصطلحات العلمية وما الى ذلك ٠ انه يمكن أن يشجع البحث العلمى فى ذات الوقت الذى يمكن التعاون عن كثب مع المتخصصين فى الفنون والآداب ٠ وكل هذا يتطلب أولا أن تزود هذه الهيئة بما يجب من مركز وسلطة ٠

غنى عن البيان أن المجالات الأربعة السالفة الذكر انما تعتمد فى حل مشاكلها أولا وقبل كل شىء على مدى استعداد الدول العربية للتعاون مع بعضها البعض لتحقيق أهداف بعيدة المدى ذات نفع مشترك للدول أعضاء الجامعة ٠ انه لا يكفى أن تنفعل الدول العربية للتهديد الذى يرد اليها من الخارج فان مشاكل الداخل لا تقل أهمية وخطورة ٠

لقد وصف روستو - فى تحليله لمراحل النمو الاقتصادى - الوضع العام بعبارات يمكن أن تطبق على الجامعة العربية وعلى الدول الأعضاء فيها كذلك ٠ يقول روستو(١) ان القومية النشطة يمكن أن تكون عنصر توحيد أساسى يقوم بجهد يكمل المجتمع التقليدى بربط العناصر المتباينة فى تحالف

(١) Rostow, W.W.: The Stages of Economic Growth, Cambridge University Press, 1960, p. 113.

عرضى . فاذا ما وصل التحالف الجـديد الى مركز السلطة ضد الجمـاعات التقليدية القديمة أو السلطة الاستعمارية أو كليهمـا أو - بدقة أكثر - اذا حطم التوازن بينهما حقق هدفا . وقد واجه الزعماء الجدد هذا السؤال بالذات: هل يجب أن تتحول القومية لتأكيد الكرامة والسلطة على المسرح العالمى ، هل يجب بذل جهد لتوثيق سلطة الحكومة المركزية على القوى التقليدية المتبقيـة فى المناطق أم يجب أن يكون التطوير الاقتصادى والاجتماعى هو الهـدف الأول ؟

ان التوازن بين هذه الاختبارات الثلاثة لم يتحقق بعـد فى أى مفهوم جماعى لدول الجامعة ويرجع هذا من حيث المبدأ الى أن الدول العربية تهتم فرادى بتوثيق قوتها القومية . وهذه حاجة أشبعت الآن باستقلال معظم البلاد العربية . وكانت الجامعة - الى مدى بعيد - هى الأداة التى أكدت بها الحركة القومية بنجاح كرامتها وسلطاتها على المسرح العالمى . والحاجة العاجلة الآن هى أن يحقق العمل الاقليمى الطاقة الكاملة للسلطة على المصير الذى أصبح فى يد الدول العربية منذ سنة ١٩٤٥ . ان جهاز الجامعة القائم الآن قادر على أن يوجه هذه القوة القومية الجديدة الى المسيرة البناءة لتنمية العـالم العربى اقتصاديا واجتماعيا اذا ما استخدم الاسـتخدام الصحيح . ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

الباب الثالث

فى

علاقات العرب بغير العرب

« ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفســـدت الأرض » ٠

(البقرة ٢)



الفصل الأول

فى

قواعد رسم السياسة الخارجية(١)

تمهيـد :

من المناسب ـ ونحن بصدد الكلام عن علاقة العرب بغير العرب ، أى السياسة الخارجية للعرب ـ أن نقدم لكلامنا بعجالة عن القواعد العامة فى رسم السياسة الخارجية لأن الاحاطة بالأفكار العامة التى تشكل السياسة الخارجية مدخل مفيد لتفهم تفاصيل أية سياسة خارجية ٠

ان السؤال الذى يطرح نفسه على أية وحدة سياسية فى المجتمع الدولى هو ماذا يجب أن تكون أهدافها ٠ والجواب على هذا السؤال هو ما نسميه بالسياسة الخارجية ٠ وغنى عن البيان أن الوحدة السياسية أيا كانت لا تملك قدرة مطلقة على رسم سياستها الخارجية لأن القوة قيد جدى يرد على تلك القدرة ولذا نجد الدول الصغرى أكثر تواضعا فى ابعاد سياستها الخارجية من الدول الكبرى(٢) ٠

ومن ثم فان رسم سياسة خارجية واقعية يقتضى أن نبدأ أولا بتقويم احتياطى القوة التى يمكن للدولة أن تعتمد عليه لأن الدولة التى تستهلك رصيدها من القوة تعرض نفسها للكوارث ٠ ولكن هذا لا يعنى أن الدولة التى تعادل سياستها بعناية مع قوتها تغنى نفسها عن الصعاب ، فهى قمينة رغم ذلك بأن تلقى بعض الصعاب وان كانت صعابا أقل خطورة ٠

---

(١) هارتمان ـ المرجع السابق ، ص ٦٨ ـ ٨٢ ٠

(٢) جرت لغة السياسة أيام مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ على الاشارة الى الدول الصغرى بعبارة «الدول ذات المصالح المحدودة Powers with limited interests.»

صعاب رسم السياسة الخارجية :

ان أول ما تلقاه الدولة من صعاب فى رسم سياستها الخارجية يرجع الى أنه كثيرا ما تستعمل تعبيرات مجردة فى وصف أهداف السياسة الخارجية ٠

ان لفظة « سياسة » تشير الى التخطيط ، والتخطيط يفيد بدوره اتباع خطوات متدرجة للوصول الى هدف معروف ومحدد ٠ ولذا فان وصف أهداف السياسة الخارجية بتعبيرات مجردة ينفصل بهذه الأهداف خطوة عن الواقع الملموس لأن التجريد يضحى بجزء من الحقيقة من أجل الاحتفاظ بجوهر الفكرة ، والمثل يفصح ما أقول ٠ تستعمل كل من واشنجتن وموسكو تعبير « ديمقراطية » بذات الحماس ولكن لكل منهما مفهوم يختلف عن الآخر فى الديمقراطية ٠ فاذا استعملنا اللفظ بطريقة مجردة أمكن لهما الاتفاق على مزيد من الديمقراطية ولكننا اذا دخلنا فى التفاصيل وجدنا أن الاتفاق بينهما قد يتعذر ٠ وهذه الحقيقة هى التى تجعل التعبير المجرد فى حاجة مستمرة للتفسير فى ضوء الظروف العملية المباشرة وهى ظروف ليست هينة ٠ ولذا فان المسئول عن السياسة الخارجية يجب أن يبالغ فى الحرص حتى لا يتوه الهدف المجرد فى خليط من الأوضاع الواقعية التى تكتسب نوعا من الاستقرار بمرور الزمن فتفقد السياسة اتجاهها وتصبح كالفارس الخيالى تضرب فى كل اتجاه ٠

وتنجم عن هذه الصعوبة صعوبة ثانية مبعثها أن كل خطأ هو ثمرة خطأ سابق عليه وان كل خطأ يمكن ـ فى معنى ما ـ أن يحدد اطار أخطاء المستقبل٠ ونظرا لأن طريق السياسة كثيرا ما تكون غير واضحة العلامات فى البداية فان الخطأ الذى يرتكب فى أولها قد يؤدى فى النهاية الى التضحية بهدف جوهرى من أهداف السياسة الخارجية لأن القوة المتوفرة لدى الدولة تقصر ـ فى ضوء الظروف التى استجدت ـ عن تحقيقه ٠

كذلك من الصعاب التى يقابلها من يرسم السياسة الخارجية أن بعض الأهداف القومية قد تتعارض ،فالدولة ربما تسعى لتحقيق هدفين قد يتناقضان مع بعضهما البعض ٠ فليس من غير العادى مثلا أن تسعى الدولة الى السلم والأمن وهما هدفان قد يبدوان متوافقين لأن تحقيق السلام يحقق للدولة الأمن

كما أن تحقيق الأمن يحقق للدولة السلام ، ولكن هذا رهن بامكانية تحقيق الهدفين معا . ولكن قد تعرض للدولة ظروف يكون فيها تحقيق الأمن متعذرا اذا هى تمسكت بالسلم وهنا تبدو أهداف الدولة فى السياسة الخـــارجية وكأنها متعارضة(١) .

ان التحليل الدقيق لهذا الموقف يؤدى الى القول بأن الدولة عندما تبنت حفظ السلم والأمن فى سياستها قصدت أن يكون الأمن هو هدفها وأن يكون السلم وسيلتها الى تحقيق الأمن أو أن يكون السلم هدفا ثانويا يأتى بعـــد السلم . فاذا لم يكن ذلك واضحا لدى راسم السياسة الخارجية فانه قد يتخذ قرارا بقصد حفظ السلم يترتب عليه تهـــديد أمن دولته . والمثال التقليدى الذى يوضح ذلك هو اتفاق ميونيخ ١٩٣٨ بين هتلر وتشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا وقتئذ فقد عاد تشمبرلين من المؤتمر ليعلن أنه حفظ السلم ولكنه كان فى ذات الوقت قد هدد بقراره هذا من أجل حفظ السلم أمن بريطانيا اذ سمح لهتلر بأن يستولى على تشيكوسلوفاكيا فحرم الحلفاء الاستفادة من القوة العسكرية التى كانت تبلغ حوالى ثلاثين فرقة مدربة خير تدريب ويمكن لهـا أن تتحصن فى سلسلة من القلاع الجبلية المنيعة وكذا من صناعة سكودا التى كانت تعتبر ثانى ترسانة للصناعة فى وسط أوروبا عهدئذ(٢) . ومن العجب أن سلم تشمبرلين لم يدم الا ســـنة وبضع سنة ثم قامت الحرب العـــالمية الثانية .

صياغة السياسة الخارجية :

تهدف السياسة الخارجية لأية دولة الى تحقيق غرضين أساسيين هما :

١ ــ حماية أمن الدولة وبقائها .

٢ ــ تعزيز رفاهية الأمة والمواطنين(٣) .

---

(١) وهذا كثيرا ما يصرح به وزراء خارجية الدول من ذلك ما قاله وزير الخارجية الامريكية فى مارس ١٩٥٠ من أن أمريكا تسعى الى السلم ولكنها لا تريد سلما بأى ثمن . كذلك المبدأ الذى أعلنته الثورة المصرية من أنها تسعى الى السلام لا الى الاستسلام .

(٢) Churchill, Winston S. : The Second World war, The Gathering Storm, pp. 336-37.

(٣) Killough, Hugh B.: International Relations, New York. 1956, p. 121.

على أنه أيا كانت الصعاب التى تعترض رسم سياسة خارجية رشيدة فان الدولة يجب أن تتبنى مفهوما واضحا لأهـداف السياسة التى تنتهجها والا تهددت بأن تدور فى دوامة تضعها تحت رحمة الأعاصير الدولية العاصفة .

وأول خطوة فى رسم السياسة الخارجية هو تحديد الأهداف ، أى المصالح الحيوية التى تسعى اليها الدولة . ولما كانت المصالح متعددة ونطاقها متسع بقدر اتساع الخيال الانسانى فان قائمة تلك المصالح لابد أن تكون مطولة وتبدأ من أحد طرفيها بهدفى الأمن والسلام وتنتهى فى الطرف الآخر بأهداف تفصيلية مثل ضم جزيرة ما أو مد حدودها الى نقطة معينة ، وهكذا .

والخطوة الثانية هى المواءمة بين ما يترك على قائمة الأهداف وبين القوة المتوفرة لدى الدولة لانجاز تلك الأهداف . ويجب أن يكون واضحا فى الذهن أن عملية المواءمة هذه ليست عملية سهلة فهى ليست معادلة رياضية وانما تقتضى جهدا وعناية اذ ليس من وسيلة مادية لنستطيع أن نضبط بها على وجه الدقة تقويم القوة المتوفرة لدى الدولة وأهمية المصالح الوطنية . والقائمة مثل ميزانية الأسرة ، فهناك بنود لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تمثل التزامات ثابتة ولذا فان لها الأولوية بوصفها حيوية للأمن القومى . وتحتوى هذه المصالح الحيوية سلامة اقليم الدولة واستقلالها ، كما تتضمن مبادىء اكتسبت قدسية تاريخية مثل مبدأ مونرو بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . والعروبة بالنسبة للدول العربية . وهذه المصالح الحيوية هى التى تكون الدولة على استعداد ــ اذا ما استلزمت الضرورة ــ أن تدافع عنها بكل ما تملك ولو كان ذلك بالالتجاء الى الحرب .

وليس بعيدا ــ من وجهة النظر الموضوعية ــ أن تخطىء الدولة فى تحديد ما هو حيوى بالنسبة لها من مصالح . ان الدولة قد تختار الالتجاء الى الحرب دفاعا عن هدف قد يراه المراقب الموضوعى ثانويا أو ذا أهمية هامشية ولكن الأمر لا يقاس بقيمته الأصيلة أو ما يساويه موضوعيا وانما يقوم حسب أهميته فى سياسة خارجية بعينها .

والغالب أن تكون المصالح الحيوية ذات طبيعة محافظة اى أنها أمور

تملكها الدولة فعلا وتريد الابقاء عليها • ولكن الدول لا تقف عند هذا الحد فكل دولة هي قاضي نفسها في تحديد مصالحها الحيوية وهذا هو السبب وراء الكثير من الحروب لأن هذه المصالح كثيرا ما تتداخل مع مصالح حيوية لدولة أو دول أخرى • ولذا يمكن أن نعرف الدولة الامبريالية بأنها الدولة التي تعتبر أن مصالحها الحيوية لا يمكن أن تستكمل الا على حساب مصالح حيوية لدول أخرى •

وتأتي بعد المصالح الحيوية في ترتيب مصالح الدولة المصالح الثانوية وهي المصالح التي تمثل الحجم الأكبر في المفاوضات الدبلوماسية لأنها مصالح يمكن للدولة أن تضحي بها دون أن يتهدد أمنها الوطني شريطة أن تحصل على مقابل لذلك quid pro quo • ولكن هذا لا يعني أن الدولة على استعداد في كل وقت لأن تضحي بمصالحها الثانوية فقد تحس الدولة في وقت ما لأسباب معنوية أو اقتصادية أو تاريخية أنها ليست على استعداد لأن تتخذها أداة للمساومة الدبلوماسية • أمثل لذلك بسياسة الباب المفتوح التي سلكتها الولايات المتحدة في الصين خلال القرن التاسع عشر فهذه السياسة كانت تمثل مصلحة ثانوية بالنسبة للولايات المتحدة قبلت المساومة عليها أحيانا ولكنها لم تكن على استعداد للتضحية بها في مقابل كسب بعض امتيازات •

وقد تكتسب مصلحة ثانوية خصائص المصلحة الحيوية مؤقتا اذا ما تنازعت عليها دول كبرى أو اذا ما ارتبطت بمصلحة حيوية مثل الكرامة الوطنية لأن الكرامة الوطنية في ذاتها مصلحة حيوية وليست المصلحة الثانوية الا أداة تعبير عنها • فمصلحة الولايات المتحدة في كوريا كانت مصلحة ثانوية الى أن بلغ تحدى الأمم المتحدة حدا لا يمكن تجاهله وهدد توازن القوى في الشرق الأقصى ، ولذا فان كوريا لم تبلغ تلك الأهمية في سنة ١٩٥٠ لذاتها بل للمصالح الحيوية التي كانت تمسها •

وللتفرقة في مصالح الدولة بين الحيوى منها والثانوى صداه في الرأى العام ذلك أن المصالح الحيوية لا تكون عادة ـ من حيث هي ـ محل مناقشة

الرأى العام وانما تجرى مناقشة الرأى العام بشأنها حول وسائل تحقيقها -
أما المصالح الثانوية فان الرأى العام يناقشها من حيث هي ومن حيث أنجح
الوسائل لتحقيقها · ولكن مناقشة الرأى العام للأمور قد تؤدى أحيانا الى
الخلط لأن الرأى العام يميل عادة الى مناقشة أمور الأمس بمنطق اليوم غير
واضع فى اعتبـاره ظروف الحال وقت أن اتخذ القرار ومن غير أن يعطى
الوزن الكافى لحقيقة أن الطريق التى سلكت كانت معتمة عند بدء الرحلة ،
وكأن للسياسة الخارجية صياغات سحرية لا تخيب ولا تتردى أو أن لهـا
ضمانات يمكن أن تؤكد نجاحها فلا تذهب شتى · وقد لمسنا هذه الظاهرة
عند مناقشة الجمهور لأحداث حرب يونيو سنة ١٩٦٧(١) ·

ومن الأمثلة التى أسوقها لتوضيح تلك الظاهرة تصرف الولايات المتحدة
فى الصين وقت أن كان تشانج كاى تشيك رئيسا للصين اذ نظرت الولايات
المتحدة فوجدت أنه يتأمر على قوات عسكرية ضخمة ويتمتع بولاء الجزء الغالب
من الشعب ويكسب تأييدا شبه اجماعى من الخارج فحسبت بذلك أنه قادر
وحده على أن يحطم قوة الشيوعيين المتمركزة فى الجبال والتى لم تكن تملك
من الامكانيات ما لايقاس فى شىء مع امكانيات تشانج كاى تشيك · ولكن
ما ان انقضت أربع سنوات حتى كانت الصورة قد تبدلت واذا بالعمـلاق
الضخم لاجىء فى جزيرة صغيرة مع فلول من جيشه · ان الكثيرين يحكمون
على سياسة الولايات المتحدة فى هذه الجزئية بقصر النظر ولكن حكمهم جاء

---

(١) كتب المعلق البريطانى كوك يصف هذه الظاهرة بقوله :

"I have said is a natural thing to want to make the past consistent with the rationale of our present self-respect, or to want to confess an inconsistency when we have confidently outgrown it This impulse is very strong in America, where people want the best of everything, believe time is the Siamese twin of Progress, and refuse to let even experience shake them from their belief that happiness is manageable. If we are now baited in every direction by the Russians, it does not satisfy Americans to say that this is the turn of history. It must mean that somebody entrusted with our welfare betrayed us or blundered. A nation with a religious trust in Progress simply cannot admit that even when the best is done, hard times may follow".

Cooke, Alistair : **A Generation on Trial**, New York, 1950, p. 9.

بعد أن تكشفت حقائق لم تكن جلية فى البداية ودون أن يضعوا فى اعتبارهم أن الظروف التى دعت الولايات المتحدة الى عدم تقديم مساعدة فعالة للرئيس الصينى فى البداية كان لها ما يبررها على هدى من وقائع الحال ٠

ولكن مناقشة السياسة الخارجية لا تخلو من فائدة عندما تقيم حافزا يدفع الى اعادة تقدير أهداف السياسة الخارجية والقوة المتوفرة واللازمة لتحقيقها ٠

اختلال التوازن بين القوة والسياسة :

ماذا تفعل الدولة اذا اكتشفت فى وقت ما أن التوازن قد فقد بين أهداف سياستها الخارجية وبين القوة اللازمة لانجاز تلك الأهداف ؟ تختار الدولة فى مثل هذا الموقف بين ثلاثة فروض :

أ ـ أن تلجأ الى الخديعة محاولة أن توهم بأن السياسة والقوة متوازنتان والحقيقة أنهما ليستا كذلك ٠ وهذا هو ما فعلته ألمانيا سنة ١٩٣٦ عندما أمر هتلر قواته باحتلال منطقة الرنيلاند منزوعة السلاح مع تعليمات سرية للقواد بالانسحاب فورا اذا لقوا أية معارضة ، ولكن الحيلة جازت على الغرب ونجحت الحركة ٠ ولهذه الطريقة ميزتها اذ تحقق للدولة كسبا بلا ثمن وتزيد من قوتها الوطنية حتى ولو لم تصطحب بمكاسب مادية لأنها تعلى من قدر الدولة ، ولكن الخديعة الفاشلة يمكن أن تنقلب نكبة على الدولة فضلا عن أنها قد توحى للدول الأخرى بأن الخديعة هى أسلوب الدولة على الدوام فتكف عن اعتبار مصالحها مما قد يضطر الدولة الى المداومة على استعمال القوة لتحقيق أهداف سياستها ٠

ب ـ أو أن تغير من سياستها حتى تتواءم مع ما هو متوفر لديها من قوة كأن تقلل من التزاماتها مثلا ، كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا الآن اذ تسير على سياسة الحد من التزاماتها العسكرية شرقى قناة السويس ٠

جـ ـ أو أن تعدل من قوتها بأن تحول طاقتها القومية الى قوة عسكرية فعلية٠ أو أن تحيى أحلافا قديمة كما فعلت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية

اذ عادت الى معاهدة كانت قد أبرمت بين البرتغال وبريطانيا عام ١٦٣٧ وأشير اليها في العلاقات بين الدولتين عدة مرات منـــذ ذلك التاريخ • أو أن تدخل فى أحلاف جديدة سواء أكانت قصـيرة الأمد مثل ميثاق عدم الاعتداء الروسى الألمانى الذى أبرم بين البلدين ســنة ١٩٣٩ ، أم طويلة الأمد مثل حلف الأطلنطى •

وعلى كل فان المواءمة بين القوة والسياسة باستخدام أى من هذه الطرق هو اجراء لازم ومستمر الأمر الذى يجعل صناعة السياسة الخارجية صناعـة صعبة المراس •

مكان الدول الصغرى بين الأليجارشية الدولية(١) :

يقودنا الكلام عن قواعد رسم السياسة الخارجية الى التساؤل عن مكان الدول الصغرى (والدول العربية هى كذلك) بين الأوليجارشية(٢) الدولية • ذلك أنه اذا كانت القوة هى دعامة السياسة الخارجية فأنى للدول الصغرى ــ فى مجتمع العمالقة ــ بالقوة التى تسمح لها بأن تصوغ سياستها الخارجيـــة ، وتبعا كيف تعيش فى المجتمع الدولى ؟

اذا كانت ظروف الحياة قد سمحت للحيـــوان الأضعف ــ فى مجتمـع الغاب ــ أن يعايش الحيوانات الكاسرة فان ظروف المجتمع الدولى يمكن ــ من باب أولى ــ أن تسمح للدول الصغرى بالبقاء ومتابعة سياسة وطنية خاصــة بها •

وقد تتوفر هذه الظروف لأن مصالح نخبة مختـــــارة من الدول تقتضى حماية الدولة • فدولة الفاتيكان وهى رمز الكاثوليكية الرومانية تستند فى بقائها الى حماية الدول التى تدين بهذا المذهب وتعمل على حمايته •

---

(١) شوارزنبرجر ــ المرجع السابق ، ص ١٠٤ ــ ١١١ •

(٢) لفظة أوليجارشية هى اللفظة الأفرنجية Oligarchy وتعنى حكم الأقلية وقد استخدمتها هنا للاشارة الى الأقلية القليلة من الدول التى تسيطر فى وقتنا الحاضر على المجتمع الدولى •

وقد تتوفر هذه الظروف لأن صالح الدول الكبرى أو بعضها يستدعى ذلك ، والمثل على ذلك قيام سويسرا وبقاؤها دولة محايدة حيث رأت الدول الكبرى أن الصالح الذى تحققه من وراء الحفـــاظ على سويسرا دولة مستقلة محايدة يفوق بكثير ما يمكن أن تحققه من مصالح عارضـــة اذا هى احتلتها • كذلك احتفظت بولندا باستقلالها ـ بعد أن أعيـــد تكوينها ســـنة ١٩١٩ ـ بضمان الحلفاء الأمر الذى مكنها من أن تتبع سياسة معادية للدولتين الكبريين المجاورتين لها وهما روسيا وألمانيا(١) •

كذلك يعين الدولة الصغرى على البقاء حرة أن تكون لها قدرات قومية على مقاومة المعتدى تجعل احتلالها ارهاقا لا يحتمله ، وهذا هو السبب الذى من أجله أحجمت ألمانيا وايطاليا عن احتـــلال سويسرا أثناء الحرب العـــالمية الثانية فقد علمتا أنهما لن تقابلا الجيش السويسرى فحسب بل عليهمـــا أن تكافحا ضد الشعب الســـويسرى الذى عزم على الاعتصـــام بالجبـــال ومقاومة المعتدى فى كل مكان • وأقل ما كانت ستسفر عنه هذه المقاومة الشعبية هى قطع الطريق البرى بينهما فى حين أن سويسرا ـ كدولة محايدة ـ كان عليها أن تسمح لهما باستعماله •

ويعتبر الرأى العام العالمى وسيلة فعالة لحماية الدولة الصغرى • وقد فتحت عصبة الأمم من قبل ـ ثم الأمم المتحدة الآن ـ الباب واسعا لكى توصل الدول الصغرى رأيها الى الرأى العام العالمى عن طريق المناقشات التى تجرى فى اجتماعات المنظمة والتى تمكن الدولة الصغرى من أن تعرض وجهة نظرها بحرية وأن تكشف عن مكائد وألاعيب الدول الكبرى •

وقد توصلت الدول الصغرى فى عصرنا الراهن الى وسيلة ناجعة لحماية

---

(١) ليس هذا فحسب بل قد تعتمد الدولة الصغرى على كلمة شرف من الدولة الـــكبرى بحماية استقلالها وتحافظ الدولة الكبرى على وعدها ولو كان ضد مصالحها الخاصة • ومثل من الأمثلة النادرة على هذه المعجزة موقف بريطانيا والولايات المتحـــدة الامريكية من ايرلندا أثنـــاء الحرب العالمية الثانية اذ حافظتا على حيادها رغم أن ذلك كان على حساب مصالحهما التى اقتضتها ظروف الحرب •

استقلالها هى تكوين ما يسمى بالعالم الثالث الذى يقف موقف الحياد الايجابى من الكتل الكبرى المتصارعة وكأنه بنيان مرصوص فكان ذلك - من بين عديد النتائج - أمانا لاستقلالها وضمانا لحريتها فى الحركة .

أما وقد انتهيت من هذا العرض الموجز للمبادىء العامة لرسم السياسة الخارجية فاننى أرجو أن نستعيد ما قيل فنفهم على ضوئه تفاصيل العلاقات الدولية العربية فيما بين العرب وغير العرب . وهو ما سأتناوله فيما يلى .

وأحب هنا أن أعيد الى الذاكرة ما سبق أن قلته من أننى عندما أتكلم عن علاقات العرب بالغرب انما أقصد بالغرب من عدا العرب . وقد اخترت لفظة « الغرب » لتعنى هـــذا المعنى الواسع من باب التبسيط فى التعبير والايجاز فى المصطلح .

الفصل الثاني

فى

العرب والغرب

الفرع الأول

فى

الأهمية السياسية للوطن العربى

يقول سبيكمان — أستاذ الجيوبولتكس الامريكي — ان موقع الدولة الجغرافى يكتب سياستها الخارجية · والحق أن موقع الدولة الجغرافى يحدد الى مدى كبير تيارات السياسة العالمية التى تتأثر بها الدولة ، وتلك حقيقة ثابتة بالنسبة للوطن العربى · فموقع الوطن العربى هو الذى يضفى عليه أهمية كبرى فى المعترك الدولى لأنه يتملك ناصية ثلاث قارات كانت ولا زالت مهب التيارات العالمية المتضاربة ، وهو بذلك مركز الاتصال بين الجزيرة الكبرى « أفروبوراسيا » ، ولذلك ظل خلال العصور مركز الثقل الدولى .

وتتمثل أهمية الوطن العربى — من حيث موقعه — فى ناحيتين :

(أ) فهو من ناحية يعتبر معبرا يصل أوراسيا بأفريقيا · وهو لا يعتبر معبرا هاما بسبب موقعه فحسب ، بل هو كذلك لاحتوائه على وسائل تسهل الاستفادة به كمعبر · ففيه قناة السويس التى أضاف شقها وافتتاحها للملاحة سنة ١٨٦٩ الى الأهمية الخطيرة للشرق العربى اذ أصبحت طريق الاقتراب الرئيسى الى الهند ، كما صارت المعبر الأول لتجارة الشرق والغرب وهكذا يضم الوطن العربى أهم شريان مائى يصل بين الشرق والغرب - ليس هذا فحسب بل ان تقدم وسائل المواصلات البرية ومد الخطوط الحديدية بين البلاد المختلفة زاد من أهمية الوطن العربى ، كما أصبحت أجواء الوطن العربى أهم معبر هوائى تجتازه الطائرات بين الشرق والغرب · وكان لصلاحية جو

للطيران ما شجع على قيام الشركات التى تعمل به ، وأقيمت المحطات الجوية والمطارات فى مختلف بلاده تهبط فيها الطائرات للراحة والتزود بالوقود ونقل المسافرين وحمل البضائع والرسائل .

وتبدو الأهمية الاستراتيجية للوطن العربى فى حرص الدول الكبرى على أن تمد نفوذها الى مناطق الاقتراب المختلفـــة فيه والتى أمثل لها بقـــاعدة الحمامة الجوية فى طرابلس بليبيا التى تستطيع أن تطل منها الولايات المتحدة على البحر المتوسط وتسيطر على خط للعبـــور فى انقطاع بـين بحرى ايجه والأدرياتيك الى ساحل ليبيا . ولا ننسى أن ليبيا هى أحد مكانين رئيسيين يمكن أن تتسرب منهما روسيا للتوغل فى أفريقيا ، فاذا علمنا بجانب ذلك أن الامريكيين يرون أنه لن يكون فى استطاعة من يسيطر على أوراســـيا أن يسيطر على جزيرة العالم القديم ما لم يصل الى جنوبى أفريقيا ويسيطر عليها ، يمكن أن نقدر الأهمية الاستراتيجية البـــالغة التى يشغلها الوطن العربى . وهنا يجب أن نذكر أن الغرب العربى كان نقطة ارتكاز الحلفاء عند بدء غزوهم لأوروبا فى نهاية الحرب العالمية الثانية .

(ب) والوطن العربى يعتبر من ناحية أخرى منطقة فاصلة بين كتلتى الشرق والغرب ويحكى تاريخه فصلا هاما من فصول النزاع بين روســيا من ناحية وبين الدول الغربية من ناحية أخرى . وقد زادت أهمية الوطن العربى فى الوقت الحاضر بسبب الحرب الباردة التى يشنها معسكر الشرق والغرب ضد بعضهما البعض ، الأمر الذى يجعل من الوطن العربى ــ بوصفه حاجزا استراتيجيا هاما ــ ميدانا حساسا للنضال السياسى والحربى بين الكتلتين . ومن هنا كان اهتمـــــام كل من الكتلتين بادخال الوطن العربى ضمن نطاق نفوذها أو على الأقل استمالته الى جانبها ، ومن هنا تربط كل من الكتلتين الأمن فى الوطن العربى بمشكلة الأمن العالمية فكل منها يعتبر أن الدفاع عن الوطن العربى جزء لا يتجزأ من الدفاع عن عالمها وصيانة أمنه . وهذا يفسر لنا توقف الدول الغربية عن امداد الدول العربية بحاجتها من السلاح ما لم ترتبط بسياسة الغرب ، كما أن دول الكتلة الشرقية لم تقبل امداد الدول العربية بالسلاح الا بعد أن ضمنت حياد هذه الدول وعدم اشتراكها فى عمل

عدواني يهدد سلامة الاتحاد السوفيتي .

على أن أهمية الوطن العربي لا تنحصر في موقعه فحسب ، بل هناك عامل آخر يضطرد نموه وفيه من الامكانيات ما يبشر بازدياد هذه الأهمية ، ويتمثل هذا العامل في الموارد الاستراتيجية التي يحتويها الوطن العربي . وأقصد بالموارد الاستراتيجية كل ما تحتاجه الحرب من صناعات أو خامات أو قوى بشرية أو مواد غذائية .

وأهم الصناعات الاستراتيجية في الوطن العربي هي الصناعات الزراعية والحيوانية ، كما تتوفر الموارد الغذائية في هذه المنطقة لجودة أراضيها وصلاحية مناخها ووفرة مياه الري في بعض أجزائها . وقد استطاعت هذه المنطقة أن تمون جيوش الحلفاء بمعظم مطالبها الغذائية أثناء الحربين العالميتين الماضيتين رغم أنها لا زالت متخلفة في وسائل الزراعة التي تستخدمها . ولذلك تولى الدول الكبرى هذه المنطقة اهتمامها حتى تصبح أوفر انتاجا وأوفى غلة ، وبذلك تزداد قدرتها على تموين الجيوش بحاجتها الغذائية .

بيد أن هذه الناحية من موارد الوطن العربي لا تقاس من حيث الأهمية الاستراتيجية بذلك النبع الفياض من البترول الذي جادت به أرضه منذ زمن غير بعيد وتدفقت على اثره رؤوس الأموال والخبرات الأجنبية تتنافس على حق استثماره وتدعم نفوذها في منطقته . « ان منطقة الشرق العربي تشكل من الناحية الجغرافية مركزا متكاملا لانتاج البترول ونقله الى أسواقه الاستهلاكية ... ويكفينا نظرة خاطفة على خريطة العالم العربي كي نتبين أن أقصر وأفضل طريق لنقل البترول المنتج في شرق المنطقة وفي جنوبها الشرقي ... الى أسواق أوروبا هو المرور عبر البلدان التي تقع شرق المنطقة أي الأردن وسوريا ولبنان والجمهورية العربية المتحدة »(١) .

وهكذا لم يعد الوطن العربي - بعد أن تدفق بتروله - منطقة عبور أو حاجزا ضخما فحسب بل أصبح موردا رئيسيا لأهم مادة استراتيجية تتحكم

---

(١) نقلا عن سركيس - المرجع السابق ، ص ٦٤٤ .

فى آلة الحرب وعملياتها المختلفة وآثارها الأخيرة ، كما أصبح موطننا حافلا بالمغامرة وتنافس الاستثمارات المالية الأجنبية • وقد أوضحت فيما سلف اهمية البترول العربى من الناحيتين السياسية والاقتصادية •

الفرع الثانى
فى
موقف الغرب من العرب

كيف ظهرت دولتا الأوليجارشية العالمية على مسرح الأحداث العربية :

كانت منطقة الشرق الأوسط دائما مطمح آمال الدول الكبرى ومحك تنافسها بيد أن هذا التسابق كان – حتى غزو نابليون لمصر سنة ١٧٩٨ – ذا طبيعة تجارية غالبة ثم انقلب بعد ذلك الى صراع سياسى فى القرن التاسع عشر عندما أصابت حمى الاستعمار دول أوروبا وبدأت امارات الوهن والضعف تؤكد آثارها على وجه الامبراطورية العثمانية • فلما انهارت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ترك ذلك الانهيار فراغا فى المنطقة تقدمت بريطانيا وفرنسا الى ملئه بما فرضته من حمايات ونالته من انتدابات على الأقاليم العربية ، ولم تستطع روسيا أن تشترك فى اقتسام الأسلاب العربية لأن الثورة البلشفية التى قامت فيها قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى لم تترك لها فرصة مناسبة • ومنذ ذلك الوقت تصدت الدولتان الغربيتان – ولا سيما بريطانيا – لمسئولية الأمن والاستقرار فى المنطقة فكانت لها قواعد فى السويس وقبرص والعراق والأردن وعدن ، ويشرف ضباطها على الفرقة العربية فى الأردن المدربة تدريبا بريطانيا ، كما ربطت مشيخات الجزيرة العربية بها برابطة وثيقة • ولكن أعباء الحرب العالمية الثانية وعدم تحمس حكومة العمال للدور الامبريالى البريطانى واشتعال أوار القومية العربية كل ذلك انتهى ببريطانيا الى أن تقرر أنها لا تريد أن تستمر على الاحتفاظ بقوتها السابقة فى المنطقة • وقد أقنع الضغط الروسى على ايران واليونان وتركيا – أقنع الامريكيين بأن الروس يحاولون ملء أى فراغ يخلو بانسحاب البريطانيين • ولذا طلب ترومان فى رسالته التى وجهها الى الكونجرس فى

مارس سنة ١٩٤٧ ســـلطات وأموالا لتزويد تركيا واليونان بمســـاعدات عسكرية واقتصادية وبذا أصبحت الولايات المتحدة الامريكية مساهما فعالا فى الدفاع عن المنطقة • ولما قررت بريطانيا فى العام التالى أن تتخلى عن انتدابها على فلسطين وأن تعهد بالمشكلة الى الأمم المتحدة أخذت الولايات المتحدة عـلى عاتقها أن تلعب دورا ايجابيا فى المشاكل الداخلية للشرق الأوسط •

أما روسيا فان آمالها فى الوصول الى المنطقة فبعيدة الجذور تضرب فى التاريخ الى قرون مضت • وقد شهدت القرون الثلاثة الأخيرة محـــاولات متواصلة تسعى روسيا من ورائها الى كسب ركيزة لها فى المنطقة العربية • ولكن الفرصة لم تواتها الا فى سنة ١٩٥٥ عندما وقف الغرب موقفه المتعنت من مد مصر بالسلاح الذى يوازن قوتها بقوة العدوان الاسرائيلية ، فكان أن أبرمت مصر صفقة الأسلحة التشيكية محطمة بذلك احتكار السلاح الذى كان الغرب يفرضه علينا • وقد زادت مكانة روسيا فى المنطقة كنتيجة لحرب يونيو سنة ١٩٦٧ وتصاعد شعور البغضاء للغرب فى الوطن العربى •

نظرة عامة على سياسة الأوليجارشية الدولية فى الوطن العربى :

(أ) الولايات المتحدة الأمريكية :

تقوم سياسة أمريكا فى المنطقة على الأسس العامة التالية(١) :

١ ـ أن تمنع الاتحاد السوفيتى من أن يصل الى حد السيطرة على المنطقة

٢ ـ أن تحول دون أن ينقلب الصراع والتنافس فى المنطقة الى حرب قد تجر الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى كليهما •

٣ ـ أن تحقق قدرا كافيا من الاستقرار فى المنطقة يؤمن وصول زيت الخليج العربى بانتظام الى أوروبا •

وتستخدم الولايات المتحدة ـ فى سعيها لحمـــاية الشرق العربى ضد

---

(١) Heller, Deane Fons: American, Foreign Policy Today, New York, 1969, pp. 197-202.

الشيوعية ـ الوسائل التالية(١) :

١ ـ تقديم المعونات العسكرية المباشرة ، كما حصل سنة ١٩٥٨ فى الأزمة اللبنانية اذ انفجر عصيان مدنى طلب على اثره الرئيس اللبنانى شمعون معونة الولايات المتحدة فاستجاب الرئيس الامريكى أيزنهاور لهذا الطلب فى ١٥ يوليو سنة ١٩٥٨ بانزال قوات أمريكيـــة فى لبنان لحمــاية استقلاله ثم انسحبت تمــاما فى أكتوبر من ذات السنة بعـد أن عاد السلام الى ربوع لبنان ٠

٢ ـ الأحلاف العسكرية ، ونموذجها حلف بغداد الذى أبرم ســنة ١٩٥٥ يضم تركيا والعراق وايران وباكستان والمملكة المتحدة فى حلف دفاعى ولكن العراق انسحبت من هذا الحلف سنة ١٩٥٨ بعد قيـام ثورة ١٤ يوليو فأصبح هــذا الحلف يعرف بأســم الحلف المركزى ٠ ورغم أن الولايات المتحدة رأت أن من الحنكة ألا تصبح عضــوا كاملا فى الحلف فانها عضو فى لجان الحلف المركزى وترتبط بمواثيق أمن ثنائية مــع تركيا وايران وباكستان ٠

ويعتبر مبدأ أيزنهاور صورة من صور سياسة الأحلاف الامريكيــة فى المنطقة ٠ وهو المبدأ الذى أقره الكونجرس الامريكى فى ســنة ١٩٥٧ ويعلن استعداد الولايات المتحـــدة لأن تستخدم قواتها المسلحــة ـ لدى الطلب ـ لمساعدة أية دولة من دول الشرق الأوسط تتعرض للعدوان من قبل أية دولة تحكمها الشيوعية(٢) ٠ ولكن الدول العربية المتحررة وقفت موقف المعارضة القوية من هذا المبدأ وحطمته ٠

ولكن يعيب الولايات المتحدة ـ فى علاقتها بالدول العربية ـ عيبـــان كبيران هما صلتها الوثيقة بالاستعمار الغربى وموقفهـــا من النزاع العربى

---

(١) Issues : Department of State Publication 8409, Near and Middle Eastern Series 77, October 1968, pp. 12-18.

(٢) استند الرئيس شمعون الى مبدأ ايزنهاور فى طلب مساعدة القوات الامريكية ســنة ١٩٥٨ ٠

الاسرائيلي . فالولايات المتحدة الامريكية قد ارتبطت - عند العرب - بمولد اسرائيل وفى حرصها على بقاء اسرائيل تسير الولايات المتحدة الامريكية على السنن التالية :

١ - تعضيد جهود الأمم المتحدة للحيلولة دون أن تتطور حوادث الحدود الى صراع .

٢ - محاولة الوصول الى تعاون يضم اسرائيل وسوريا والأردن فى خطة للانتفاع بمياه نهر الأردن . ولكن العرب يفضلون التضحية الاقتصادية على الدخول مع اسرائيل فى مفاوضات بهذا الخصوص .

٣ - الاجتهاد فى الوصول الى تسوية للعرب اللاجئين الذين يتجاوزون المليون نفس ويعيش معظمهم فى الأردن وقطاع غزة(١) . ويعارض اللاجئون أى مشروع تسوية لأنهم يرون فيه قبولا نهائيا بالتخلى عن فلسطين كما أن الحكومات العربية تنظر الى المشروعات الامريكية على أنها اعتراف بدولة اسرائيل .

٤ - تزويد اسرائيل بالسلاح تحت دعوى حفظ توازن التسلح فى المنطقة .

لقد انتهت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٠ - فى محاولة لجعل اتفاقيات الهدنة التى أبرمت سنة ١٩٤٩ بين العرب واسرائيل اتفاقيات فعالة - انتهت الدول الثلاث سنة ١٩٥٠ الى اصدار ما عرف بالتصريح الثلاثى ويقضى بأنها لن تسمح بأى عدوان مسلح على خطوط الهدنة القائمة وأنها ستبذل جهدها لحفظ التوازن فى تزويد كل من اسرائيل والبلاد العربية بالسلاح حتى تمنع قيام حالة عدم توازن قد تهدد السلام . ولكن الولايات المتحدة أصبحت فى هذه الأيام الممون الرئيسى لاسرائيل بالسلاح بحجة أن مصر وسوريا تتلقى سلاحا من روسيا متغافلة عن حقيقة ان ماتحصل عليه الدولتان العربيتان هو لتعويض سلاح فقدته فى الحرب فى حين أن

---

(١) تسهر وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة على شئون هؤلاء اللاجئين .

ما تحصل عليه اسرائيل هو اضافة الى ما لديها ، وما صفقة طائرات الفانتوم عنا ببعيد ·

ويبدو لى أن الولايات المتحدة لم تفهم حقيقة العرب الا بعد فوات الأوان فقد تبين لها الآن أن مشاكل المنطقة لا يمكن أن تحل بين غمضة عين وانتباهتها وأن حلها فى يد أصحابها أنفسهم وهى لا تستطيع أن تجبر الدول العربية على قبول حل ما وكل ما تملكه هو عرض المساعدة ، صحيح أن الولايات المتحدة قد تكون قادرة على أن تمنع عدوانا خارجيا أو أن تنزل قوات ـ كما فعلت فى أزمة لبنان ـ ولكنها لا تملك القدرة على التصرف بفعالية فى الشئون العربية ·

(ب) الاتحاد السوفيتى :

لما كان الاتحاد السوفيتى دولة عقائدية فطبعى أن تنبعث سياسته حيال الوطن العربى عن سياسته العقائدية العامة ·

وقف تشرشل ذات مرة فوصف السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى بأنها لغز يلتف فى سر داخل أحجية · ولا نستطيع أن نجرد هذا الوصف من الحقيقة ولكنه فى ذات الوقت يتجاوز المنطق الى المبالغة فالسياسة الخارجية السوفيتية أوضح فى أهدافها البعيدة وأكثر انسجاما من السياسة الخارجية لأى بلد آخر ، ولكنها تبدو نقيض ذلك فى نواياها وبواعثها وتصرفاتها اليومية التى يغلب عليها التضارب والتقلب والغموض · وربما كان مرجع ذلك أن الاتحاد السوفيتى يسلك فى سياسته سبيلين يعرفان عن الماركسيين باسم مذهب الأداتين ، ويعنى هذا أن الروس يستخدمون ـ فى تحقيق مآربهم ـ أداتين : احداهما ظاهرة مشروعة وهى التى يعين بموجبها السفراء وترسل الوفود ، والثانية خفية غير مشروعة وتتمثل فى الحزب بأقسامه وخلاياه · فلا عجب اذن أن تتعارض أحيانا التعليمات التى يتلقاها الدبلوماسى مع التعليمات التى يتلقاها ممثل الحزب · والذى يهم هنا أن نتفهم ذلك القدر من السياسة السوفيتية الذى يتعلق بالدول الصغرى أو حديثة الاستقلال ·

ان زعماء السوفيت مقتنعون بأن شيوعيتهم ليست قاصرة على روسيا

والصين وأوروبا الشرقية ، بل ان القوانين العلمية الماركسية اللينينية يمكن أن تطبق على الجنس البشرى كافة ومن ثم فان واجب الشيوعى ألا يقف مكتوف الأيدى تاركا للتاريخ أن يقوم بمهمة عليه هو أن يؤديها بل عليه أن يبذل كل جهد مستطاع للاسراع بعجلة الشيوعية العالمية . وعلى هدى من هذه الفلسفة تميز روسيا - فى العلاقات الدولية - بين انتصار الاشتراكية بطريق الحرب وانتصارها بطريق السلم . ويمكن أن يتحقق النصر بالطرق السلمية اذا سلم الرأسماليون - أى الدول الخارجة عن الكتلة الشيوعية - بالتدريج لمطالب المعسكر الشيوعى دون مقاومة . وهذا هو ما يعنيه القواد السوفيت بالتعايش السلمى . ان فكرتهم هى تجنب الحروب الكبرى على أن تستخدم الوسائل الاقتصادية لتحطيم الامبريالية أى لتحقيق فرض حكم الحزب الشيوعى فى النهاية على كل الشعوب فى كافة البلاد المتخلف منها والمتقدم . ولا تقتصر الوسائل الاقتصادية - فى المفهوم الشيوعى - على المنافسة فى التجارة وتقديم المعونة بل تنصرف كذلك الى الدعاية والنشاط المدمر والنشاط الثورى . وهذه هى السياسة التى أمن عليها التصريح الذى وقعه فى موسكو فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ ممثلون عن واحد وثمانين حزبا شيوعيا . وليس بمستغرب أن ينكر الشيوعيون أن جهودهم لتعجل التطور الحتمى لشعوب المجتمعات النامية نحو الاشتراكية الماركسية لها وصف الامبريالية ، بل على العكس فانهم يفخرون بسجلهم الحافل بالكفاح ضد الامبريالية . وقد واجهت الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية مشكلة فى مقاومتها للرأسمالية الغربية عندما وافقت الحكومة البريطانية على استقلال الهند والباكستان وبورما وسيلان ونفذت أمريكا وعدها بمنح الفليبين استقلالها وأقرت هولندا باستقلال أندونيسيا فقد أنكرت هذا الاستقلال أولا ثم دخلت فى علاقات دبلوماسية مع تلك الدول الا أن السوفيت أوضحوا منذ البداية أنهم ينظرون الى هذا الاستقلال على أنه خدعة فنهرو وسوكارنو ليسا الا ألاعيب الاستعمار وأن الهند لا زالت تخضع للنفوذ البريطانى ولكن بوسائل أخرى وأن أندونيسيا خرجت من يد الهولنديين لتقع فى قبضة الامريكان . هذا فى ذات الوقت الذى وصفت فيه روسيا رومانيا بأنها دولة تامة الاستقلال الأمر الذى يعنى - حسب النظرية الستالينية - أن الاستقلال هو الاستقلال عن أى نفوذ

عدا النفوذ الروسى ، وهذا ما كان يعنيه ستالين فعلا بالاستقلال .

وقد وجهت روسيا جل اهتمامهـــا – تحت زعامة خروشتشوف – الى الدول النامية ولكن بفلسفة تخالف فلسفة ستالين ، وتقوم هذه الفلسفة على تقسيم الدول النامية الى ثلاثة أقسام :

أ – المجموعة المستقلة التى تسير على سياسة الحياد فى منهاجها الخـارجى ، وهذه فى مفهوم الاتحاد السوفيتى دول مستقلة سياسيا ولكنها غـــير مستقلة اقتصاديا .ولا تستقل هذه الدول اقتصاديا الا اذا حررت نفسها من كل روابط التبعية مع الغرب واستفادت فائدة كاملة بالعون غـــير الأنانى الذى يقدمه المعسكر الشيوعى ، ومثال تلك المجموعة الهنـــد وأندونيسيا ، كمـــا يبدو أن بعض الدول العربية تصنف فى هـــذه المجموعة .

ب – المجموعة المستقلة المرتبطة بالغرب ، وهذه فى نظر الاتحـاد السوفيتى لا تعتبر مستقلة سواء من الناحية السياسية أم من الناحية الاقتصادية لأن الامبريالية تسيطر عليها وتستغلها ولو بطرق غير مباشرة ، ومثال تلك المجموعة تركيا والفليبين والباكستان .

وواضح أن الفرق بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية يعتمد على السياسة الخارجية للدولة ولذا فان دول المجموعة «ب» يمكن أن يدخلوا فى المجموعة « أ » بمجرد أن يهجروا تحالفهم مع الغرب ، ولذا فان جهد روسيا يتجه أولا الى ادخال هذه المجموعة فى فلك مبدأ الحياد ضـــــد الغرب .

جـ – المجموعة الثالثة هى المستعمرات التى تحكمها الدول الامبريالية حكمـا مباشرا ، مثل المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا . وفى هذه المجموعة تحكم الأقلية الأوروبية الأغلبية الوطنية . وتسعى روسيا فى هـــذه البلاد الى اثارة الشعور القومى .

ويستخدم الاتحاد السوفيتى لتنفيذ سياسته وسائل أهمها زيادة حجم

التجارة والمعونة لكسب ما يسمى بالبرجوازية الوطنية طالما أنها فى موقع المعارضة للغرب ٠ فالعلاقات التجارية المربحة يمكن أن تكسب تعاون رجال الأعمال ، كما أن المعونة توجه لتقوية قطاع الاقتصاد وهـذا يستحوذ على تقدير البرقراطيين فى الادارات الحكومية والمخططين فى المؤسسات والطليعة الفكرية فى المهن الحرة ٠

وقد قدم الاتحاد السوفيتى ـ منذ سـنة ١٩٥٦ ـ حتى الآن معونات كبيرة للهند وأندونيسيا وأفغانستان والجمهـورية العربية المتحدة والعراق والحبشة وغينيا وكوبا ٠ ولا تنظر روسيا الى الدولة على أنها قد أصبحت دولة اشتراكية على النموذج المـاركسى الا اذا تولى الحزب الشـيوعى السلطة ٠ وتشترك الصين مع الاتحاد السوفيتى فى متابعة تلك الأهداف وان اختلفت الدولتان فى أنسب السياسات لتحقيقها ٠

ومن الجدير بالذكر أن مصر عندما قبلت العون السوفيتى قبلته عـلى أساس صداقة الند للند ولم تقبل معه أن تكبل بقيود الشيوعية أو أن تصبح آلة فى يد الاتحاد السوفيتى ٠ فقد قبلت مصر وحدتها مع سوريا سنة ١٩٥٨ كى تنقذ سوريا من سيطرة الشيوعيين وحلت الحزب الشيوعى فى ذات الوقت الذى قبلت فيه المساعدة الروسية لبناء السد العالى(١) ٠

فوق هذا وذاك فان العرب اتخذوا من سياسة الحياد الايجابى ـ كمـا سأوضح ـ نبراسا لهم فى علاقتهم بالغرب عموما شرقيه وغربيه ٠

دور البترول العربى فى موقف الدول الكبرى من العرب(٢) :

قلت ان البترول العربى يمثل مركز الدائرة فى سياسة الدول الكبرى حيال الوطن العربى ، ولذلك فان فهم الفلسفة العامة للسياسة الغربية حيال

---

(١) Lewis, Bernard : The Middle East and the West, London, 1963, pp. 115-140.

(٢) سركيس ـ المرجع السابق ، ص ٦٣١ ـ ٦٣٤ ٠

العرب لا يكتمل الا بفهم الدور الذى يؤديه البترول العربى فى موقف الدول الكبرى من العرب ٠

ولعل من مفارقات القدر أن الدول التى تحتاز نصيب الأسد من البترول العربى - وفى مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا - هى التى عرفت بسياستها المتحيزة لاسرائيل فى حين أن الدول الأقل استفادة من بترول العرب - مثل ايطاليا واليابان - تنتهج سياسة ودية حيال العرب أو هى أقل عداء للعرب ٠ وقد انعكست تلك الحقيقة على موقف الدول الكبرى من العرب ، فترى أن الدول الأنجلوسكسونية - التى تستغل الشطر الغالب من منابع البترول العربى - تسير على سياسة تفتيت العالم العربى واعاقة جهوده الوحدوية وعرقلة نموه الاقتصادى وذلك بقصد المحافظة على امتيازاتها البترولية وهى وسيلتها لاستنزاف الحق العربى ٠ وهذا هو ما اعترف به ليمان - أستاذ الاقتصاد الامريكى - اذ يقول « ان الغرب بل وانجلترا على وجه الخصوص يتبع سياسة تقترب كثيرا من شعار (فرق تسد) ويميل الى حماية الدول المصدرة للبترول عن طريق التدخل العسكرى ، أما حركة الوحدة العربية فيعتبرها تهديدا لتزويد الغرب بالبترول ٠ كما أن الكثيرين يرون أن الدول المنتجة للبترول يجب أن تبقى بعيدة عن الدولة العربية الموحدة حتى لو تطلب ذلك استعمال القوة »(١) ٠

ويفسر لنا هذا الواقع تحمس الدول الغربية التى تسيطر على مقدرات البترول العربى لقيام اسرائيل واصدار البيان الثلاثى سنة ١٩٥٠ الذى يحمى بقاء اسرائيل ٠

وقد قدرت كل من بريطانيا والولايات المتحدة أن صناعة البترول فى الشرق الأوسط (وتبعا فى الشرق العربى) تتطلب تفاهما على الصعيد الحكومى عن طريق اتفاق بينهما ، ذلك أن الولايات المتحدة تريد أن تضمن

---

(١) Leeman, Wyne : The Price of Middle East Oil, An Essay in Political Economy, New York, p 235.

للمصالح الامريكية حصة عادلة في استغلال بترول المنطقة ويهمها أن تحصل من بريطانيا - التي كان ينظر اليها كقوة رئيسية في المنطقة - على اقرار بشرعية الامتياز الامريكي من ناحيتيه السياسية والاقتصادية . يقابل هذا أن بريطانيا كانت تعلم أن عليها أن تواجه أرباب الأعمال الامريكيين بامكانياتهم المتفوقة ، ومن ثم فان الحكمة تقضي عليها بأن تتفاهم معهم حتى لا يتأثر نفوذها الاستعماري في المنطقة . وبهذه الروح وقعت اتفاقية بين الدولتين سنة ١٩٤٤ ولكنها لقيت معارضة شديدة في مجلس الشيوخ الامريكي فاضطرت الحكومة الى سحبها وتوقيع اتفاقية أخرى مع بريطانيا سنة ١٩٤٥ فشلت هي الأخرى في أن تحوز موافقة مجلس الشيوخ . وترجع تلك الهزيمة المتكررة الى محاربة صناعة البترول الامريكية لهاتين الاتفاقيتين . ويسجل هذا الفشل نهاية مرحلة من المساعي المبذولة لتحقيق نوع من الاشراف الدولي على صناعة البترول العربي .

ثم جاءت محاولة ثانية على يد الهيئة التعاونية الدولية التي نادت بأن بترول الشرق الأوسط لا يهم الحكومات والصناعة فحسب بل يتعلق بالمستهلك العالمي الذي يجب أن ترعى مصالحه . ولذا أصدرت الهيئة المذكورة قرارا في مؤتمر عقدته بزيوريخ سنة ١٩٤٦ يدعو الى تدخل الأمم المتحدة لتنظيم الموارد البترولية العالمية والاشراف عليها وأن يبدأ - كخطوة أولى - ببترول الشرق الأوسط .

وقد ناقش المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة هذه القرارات أكثر من مرة ولكنه لم يصل الى اتخاذ قرار في شأنها . ويبدو أن فشل الهيئة التعاونية آنفة الذكر لم يقعدها عن الاستمرار في نشاطها . ولذلك أنشأت سنة ١٩٤٧ رابطة تعاونية دولية للبترول خصصت لها رأس مال قدره خمسة عشر مليون دولار واتخذت مركزها الرئيسي في نيويورك وجعلت من أهدافها الحصول على وسائل الانتاج والمصافي وناقلات البترول والتغلغل الى احتياطي البترول في الخليج العربي . ومن عجب أن سكرتير تلك الهيئة قدم الى الرئيس ترومان سنة ١٩٥١ اقتراحا - عندما بلغت أزمة البترول الايراني أوجها - بأن يدير ممتلكات البترول الايراني

مجلس مؤلف من تسعة أعضـاء يرشح البريطـانيون ثلاثة منهم ويرشح الايرانيون ثلاثة وترشح مصـانع المستهلك العالمي - أي الهيئة التعـاونية الدولية - الثلاثة الباقين ·

ومن ثم فطبيعي - بعد كل هذا - أن نقول ان الغرب يواجه في الوطن العربي ما يمكن أن نسميه « المسألة البترولية» وقلبها هو صناعة البترول · وأن تلك المسألة تشغل مكان العمود الفقرى من سياسته حيال الوطن العربى· وهي تبعا لهذه الأهميـة تعتبر من مجالات الحرب الباردة بين المعسـكرين الشرقي والغربي ، ولا يخطىء من يستقرىء أحداث الوطن العربي في الوصول الى هذه الحقيقة · وقد عرضت أمثلة لذلك - فيما سبق - وسـأعرض أمثلة أخرى فيما يلي ·

الفرع الثالث

في

موقف العرب من الغرب

« الحياد الايجابي وعدم الانحياز »

تحديد وتعريف(١) :

الحياد الايجابي هو موقف سياسي تتخذه الدولة بقصد أن تنأى بنفسها عن الاشتراك فى حرب باردة بين دولتين أو بين كتلتين متصارعتين ، أو هـو بتعبير آخر عـدم انحياز الدولة لأى من الجانبين اللذين يتصارعان فى حرب باردة · ولذلك يندرج تعبيرا « عدم الانحياز » و « الحيـاد الايجابي » تحت مدلول بعضهما البعض لأن الحياد الايجابي يقتضى عدم الانحياز وعدم الانحياز يقتضى الحياد الايجابي ·

والحياد الايجابي - على عكس الحياد القانوني - لا يعتبر موقفا سلبيا من الأحداث الدولية لأنه لا يعنى عدم الاهتمام بمجريات السياسة الدولية بل

---

(١) Wynn, Wilton : Nasser of Egypt, The Search for Dignity, p. 59.

على العكس هو تصوير خاص للاهتمام بتلك الأحداث دون التقيد فى الحكم عليها بوجهة نظر أى من الدول أطراف الحرب الباردة ٠

ولعمر الحق فان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز تعتبر السياسة المثلى للوطن العربى ، فالدول ليس أمامها - فى مجتمع تسيطر عليه أوليجارشية ثنائية - الا أن تختار بين سبيلين : فهى اما أن ترتبط بعجلة احدى الكتلتين واما أن تتحرر من هذه الربقة ٠ فان هى ارتبطت بعجلة أى من الكتلتين دخلت فى نطاق نفوذها أما ان ظلت بمنأى عن هذا الصراع فهى دولة من دول الحياد الايجابى ٠ وبين هذين الفرضين لا جدل أن سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز تعتبر السياسة القويمة للوطن العربى :

أ - ذلك أن ارتباط الوطن العربى باحدى الكتلتين يعنى - كما قلنا - دخولها فى منطقة سيطرتها وهذا مؤداه وضع الوطن العربى تحت رحمة النزعة التسلطية الاستعمارية للدولة التى تتزعم الكتلة ٠ ولنا مع الاستعمار الغربى تجارب مريرة تؤكد أن هذا الاستعمار ليس الا استغلالا ونهبا لخيراتنا ، فليس منطقيا - بعد أن تحررنا من قبضته - أن نعود لنلقى بأنفسنا مرة أخرى فى حظيرته ٠ أما الاستعمار الشرقى فيعنى فتح الباب على مصراعيه لبلشفة الوطن العربى وهو أمر لا يقبله تراثنا العربى ولو كانت دونه الرقاب ٠ ومن ثم فلا خلاص من هذه النكبات الا بالحياد الايجابى وعدم الانحياز ٠ ويجب أن يكون مفهوما أن النصر لا يمكن أن يتأتى للقومية العربية فى معركتها الراهنة مع الاستعمار وأعوانه طالما قامت فوق الأرض العربية سياسة منحازة الى معسكر من المعسكرات لأن صالح الاستعمار يقضى عليه بكبت القوميات القوية الشابة ٠

ب - سياسة الانحياز تربط مصيرنا بمصير الدولة الكبرى التى ننحاز اليها وهذا معناه اقحامنا فى كافة المنازعات الدولية وتحمل آثارها ولو لم تكن لنا بها علاقة ٠ ثم ان مؤداه أن نخسر كل ما حققناه من مكاسب فى الاستقلال والحرية غداة ثورة هدفت الى رفع عبء ثقيل لسنوات طوال عجاف من الفساد والتخلف عن كاهل الوطن ٠

ولا يجب أن ننسى أن الصراع بين الشرق والغرب صراع له زاوية مذهبية ، ولما كانت مذاهبنا انما تنبثق من واقعنا ومن حقيقة مجتمعنا فان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز هى السياسة التى تتفق مع نهجنا المذهبى المستقل ٠

جـ - هذا فضلا عن أن سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز - كما سيتأكد لنا فيما يلى - أصبحت اليوم احدى الدعامات الهامة لحفظ السلم العالمى الذى هو أمل الانسانية طرا ٠ والحق أن الأحداث تؤكد ما أفادته البشرية من وراء قيام جبهة الدول غير المنحازة خلال حقبة قصيرة من الزمن لا سيما داخل منظمة « الأمم المتحدة » ٠

ولم يكن طريق الحياد الايجابى - بوصفه مظهرا من مظاهر التحرر والاستقلال فى المجال الدولى - لم يكن سهلا اذ كان علينا أن نحارب النزعة الاستعمارية للدولتين الكبيرتين وكان علينا أن نصمد بقوة وصلابة وايمان حتى تفقد كل منهما أملها فى أن نرضخ لها كى تدخلنا فى فلكها ٠ وقد خرجنا من المعركة منتصرين بفضل القيادة الرشيدة والقلوب المؤمنة والنفوس الأبية المتحررة ٠

بدايات سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز :

كان طبيعيا أن تبدأ سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز فى قارة آسيا ، لأن آسيا سبقت أفريقيا فى التحرر من نير الاستعمار ٠ وكان طبيعيا كذلك أن تختار تلك السياسة لنفسها من الهند منطلقا ، فالهند كانت ركيزة الاستعمار البريطانى ودرته التى تضىء الجبين وانتزاعها من قلب الامبراطورية يظلم الطريق أمام الاستعمار فى المنطقة(١) ٠

حقا لقد رفعت اليابان قبل الحرب العالمية الأخيرة شعار «آسيا للآسيويين» فاستطاعت بذلك أن تكسب عطف بعض شعوب آسيا فى بورما والهند

(١) Scalpine, R.A.: **Neutralism in Asia,** American Political Science Review, March, 1964.

وأندونيسيا وأماكن أخرى ، ولكنها طوعت الشعار لخدمة أغراض امبرياليـــة يعدت به عن الشعبية المرجوة ·

وتاهت صيحات الهنـــد - التى تساءلت عن مصير الشعوب المطـالبة بحريتها واستقلالها بعد نهاية الحرب العـــالمية الثانية - وسط أهازيج الفوز وأنخاب النصر · وأثملت فرحة الكسب دول الغرب عن أن تلقى بالا الى صحوة المارد الأفروآسيوى · ولذا لم تجد بريطانيا حرجا من أن تنزل قواتهـــا فى أندونيسيا بعد ستة أســـابيع من انهيار قوى المحـــور كى تشن أول حرب استعمارية فى حقبة ما بعد الحرب الأخيرة ضد أحرار أندونيسيا ·

وكان بدهيا - وتلك نظرة الغرب للآمال القومية وهو الذى ينوء بتاريخ أسود من الصلف والاستعباد - كان بدهيا أن يفقد ثقة الوطنيين وأن يشيح الأحرار عنه · وقد صدق رابندرانات طاغور اذ قال « لأننا آســـيويون فان بغض أوروبا يجرى فى دمائنا » ·

والتفت الأحرار الى المعسكر الآخر فهالم منه مذهبية ملحدة - وهم سدنة الديانات والرسالات - ودكتاتورية متحكمة - وهم طلاب حرية وسلام - فكان منطقيا أن يسقط الشرق كذلك من حساب زعماء آســـيا المتطلعين الى تحطيم أغلال الاستعمار وكشح غماره عن وجه أوطانهم · ومن هنا أحست آسيا بأن عليها أن تعتمد على نفسها لتحقيق آمالها · وطاف بذاكرتهـــا تاريخ عريق ومجد تليد وحضارة مزدهرة يدعوها لأن تتخذ مكانها تحت الشمس ويهيب بها أن لديها ما تستطيع أن تقدمه للانسانية التى عرفت لها من قبل ما لا تستطيع أن تجحده · وهكذا استقرت فكرة اظهار الكيان الآسيوى فى شخصية مستقلة متحررة لا شرقية ولا غربية · وصحت أفريقيـــا على ذات الفلسفة وانتهجت نفس المسلك · وكان اللقاء الكبير بين القارتين فى باندونج(١) ، فكان منطلقا

---

(١) فكر بعض رؤساء الدول الآسيوية فى عقد مؤتمر يضم رؤساء الدول الآسيوية والافريقية الحديثة لتأكيد وحماية استقلالها · وفى ١٩٥٤/٤/٥ كان رؤساء حكومات بورما وسيلان والهند وأندونيسيا وباكســـتان مجتمعين فى كولومبو لبحث وسائل الاسراع بتحقيق سلم فى الهنـــد الصينيةومسائل‌أخرى فدعوا رئيس‌وزراء أندونيسيا السيد ساسترو اميدجوجو Sastroamidjojo

اندفعت منه سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز لتستقر فى المجتمع الدولى حقيقة لا مراء فيها وقوة من أجل السلام لا جدل فيها وساعد تلك السياسة على الازدهار ما طرأ على المعسكرين الغربى والشرقى من تفكك بل ان دولتى الأوليجارشية قد فشلتا فى الابقاء على بعض الأحلاف العسكرية التى كانت قد عقدت فى السابق(١) ، فان هذا التفكك مع توافر الأمم المتحدة كمنبر للرأى جعل الظروف أكثر ملاءمة للدول الصغرى كى تسن لنفسها سياسة مستقلة أو بالأحرى سمحت لسياسة عدم الانحياز أن تتقدم بخطوات مارد بعد أن كانت تسير على استحياء(٢) •

ولما كانت الريح الطيبة لابد على مدى الأيام أن يعبق شذاها والفكرة الخيرة ان ثابر الايمان بها تقطع ألسنة المتخصصين فذلك كان حال سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز • لقد بدأ تجمع دول عدم الانحياز على نحو

الى بحث فكرة عقد ذلك المؤتمر • وفى صباح ١٩٥٥/٤/١٨ حبس العالم أنفاسه ليستمع من باندونج بأندونيسيا الى خطاب افتتاح المؤتمر الذى ألقاه رئيس الجمهورية مثبتا أن هذه الدول يمكنها بالاتحاد أن تحول مجرى التاريخ الى حد جعل البعض يطلق على جبهة هذا المؤتمر اسم « الستار الملون » • وظل المؤتمر منعقدا حتى ٢٤ ابريل ١٩٥٥ وحضره من الدول العربية مصر والسودان والمملكة العربية السعودية وسوريا والعراق والأردن ولبنان واليمن • وحدد مهمته فى مسائل التعاون الاقتصادى والثقافى والشعوب التابعة وحقوق الانسان وحق تقرير المصير والسلام والتعاون الدوليين وأقيمت لجان لدراسة هذه الموضوعات • وكان مؤتمر باندونج أول مؤتمر بعد الحرب العالمية الثانية يضم هذه المجموعة الكبيرة من الدول الأفروآسيوية لتناقش السياسة العالمية وتخط لنفسها سياسة محددة فى المجال الدولى •

(١) دليل هذا التفكك فى الكتلة الشيوعية أن التعبير الذى أصبح شائعا الآن بالنسبة للتطوير الشيوعى هو المركزية متعددة الأقطاب polycentrism بدلا من الشيوعية التى تتطور بتوجيهات من مركز واحد • وذلك بعد أن انفصلت دول عن القيادة الروسية مثل يوغوسلافيا وقام الصراع المذهبى بين الصين وأتباعها من ناحية وروسيا من ناحية أخرى •

(٢) تقدر جبهة عدم الانحياز فى الأمم المتحدة الآن بخمس وخمسين دولة مقابل واحد وخمسين دولة ذات ميول غربية وثلاث عشرة دولة ذات ميول شرقية • وتزيد مساحة وعدد سكان دول عدم الانحياز على مساحة وسكان أى من الكتلتين الشرقية أو الغربية « ان الذين يحاولون اليوم استغلال شعار عدم الانحياز والحياد الايجابى ليستروا به أمام شعوبهم انحيازهم الى معسكرات الحرب والاستعمار انما يقدمون اطراء غير مباشر لشعبنا الذى كان رائدا فى رفع هذا الشعار عن ايمان وفى النضال من أجله عن حاجة حقيقية اليه نابعة من صميم كفاحه لاحراز التقدم » •

(الميثاق الوطنى ـ الباب العاشر « السياسة الخارجية ») •

جدى فى مؤتمر باندونج وفيه ركزت هذه الدول جهودها على تأكيد استقلالها والسعى لكى تحصل الأقاليم التى لا زالت تحت قبضة الاستعمار على استقلالها ولذا دعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى الاعلان الذى أصدرته فى ٢٤/١٢/١٩٦٠ الى « ضرورة وضع نهاية سريعة وغير مشروطة للاستعمار فى جميع صوره وأشكاله » ٠ واقترنت تلك الجهود بفكرة الحياد الايجابى التى تبلورت وتركزت فى مؤتمر بلجراد سنة ١٩٦١ واتخذت به نطاقا عالميا خرج من دائرة آسيا وأفريقيا ليغزو أوروبا وأمريكا الجنوبية ٠ ورغم عدم توافر القوة الكافية لدى الدول فانها استطاعت أن تفرض نفسها على الأوليجارشية الدولية وأن تجعلها تحس بثقل وزنها فى المحيط الدولى ٠ وكانت أول فرصة أتاحت العمل الايجابى لسياسة الحياد الايجابى هى الحرب الكورية فلما نجحت جهودها لانهاء تلك الحرب مكنها ذلك من أن تلعب دورا أكبر فى أزمة الهند الصينية كما حاربت بشجاعة أثناء العدوان الثلاثى على مصر وحرب يونيو سنة ١٩٦٧ لايقاف أعمال العدوان وسحب قوات الغدر ٠ فلا عجب أن تضم لجنة نزع السلاح ـ وهى اللجنة التى تناقش مسألة من أخطر مسائل السلم العالمى والتى تستجيب الى شعارات بلجراد ـ لا عجب أن تضم تلك اللجنة ثمانى دول محايدة من بين ثمان عشرة دولة تكونها ، ولا يجب أن نتجاهل دور الحياد الايجابى فى الأحداث العالمية مثل أزمة لاوس والكونجو وكوبا وفيتنام ٠ على أننا يجب ألا نحمل دول عدم الانحياز أكثر من طاقتها ونبالغ فى الدور الذى يمكن أن تؤديه على المسرح العالمى اذ لا زالت كوامن الشر قوية تمرح فى الضمير العالمى ٠

العوامل التى وحدت بين دول عدم الانحياز :

جمع مؤتمر باندونج عالمى الاشتراكية والرأسمالية فقد ضم دولا شرقية وأخرى تسير فى فلك الكتلة الغربية فى جو ودى من التفاهم واستطاع أن يصل الى قرارات ٠ فما هو العامل المشترك الذى وحد بين هذه الأفكار المتباينة وتلك الأجناس المتعددة ؟

الواقع أنه لا يوجد عامل أو عوامل حاسمة يمكن أن نجزم بأنها هى

التى خلقت سياسة عـــدم الانحياز ، ولكن هنـــاك عوامل وضعت وظواهر تعاصرت فى تشكيل هذه السياسة ٠

ويمكن أن نجمـــع العوامل المشتركة هذه فى ثلاثة : قومية ما بعـــد الحرب ، ومحاربة الاستعمار ، والتخلف الاقتصادى ٠ وأحب هنا أن أنبه الى أن هذه العوامل ليست قاصرة على الدول غير المنحازة وحدها فقد تقابلها فى دول منحازة كذلك ٠

أ - **القومية** التى أعنيها هنا قومية أفروآسيوية تختلف عن القومية الأوروبية التقليدية لأنها لا ترتبط بثقافة أو لغة ٠ لقد عرفت القـــارتان حركات قومية فياضة تخلف فيها عنصرا اللغة والثقـــافة مثل الحركة القـــومية الأندونيسية اذ تضم أندونيسيا عددا من الأجناس وكثيرا من اللغات ٠ انها قومية الاستقلال الذى كسبه الناس بعد كفاح طويل مرير فأنستهم فرحة الفوز به ونشوة الحرية ولاءهم القبلى أو القومى ٠ انها قومية ذات مفاهيم طقوسية كرد فعل للمـــاضى انعكس من الوضـــع المتدنى الذى خلفه التجبر العنصرى والاستقلال وانبعث من شعور تجاوز نطاق اللغة والثقافة وتخطى حدود الأصل والجنس(١) ٠ ولذا ارتبطت هذه المفاهيم الاستقلالية بسياسة عدم الانحياز من حيث أن مؤدى هذه المفاهيم هى الحفاظ على الاستقلال القشيب وتأكيد ذلك بالتحرر فى رسم السياسة الخارجية وما الى ذلك من الأمور التى تلائم مزاج هذا النوع من القومية والذى يمكن أن يتحقق عن طريق اتباع سياسة عدم الانحياز ٠ وليس هذا الاتجاه بغريب على المواقف الدولية فقد نشأ اتجاه بين مثقفى فرنسا فى الخمسينيات نحو تحبيذ سياسة الحياد كرد فعل للسياسة الامريكية فى الشرق الأقصى التى لم تبد اعتبارا للمصالح الفرنسية كما كان هناك خوف من أن تسير أمريكا على ذات السياسة فى أوروبا أيضا(٢) ٠

---

(١) يعبر عن ذلك - كمثال - شعار حزب الشعب فى غانا الذى كان :

We prefer self-government with danger to servitude in tranquility

(٢) اقتطف من كتاب ماركوس ملاحظاته فى هـــذا الخصوص التى تزكى ما قلت ٠ يقول ماركوس :

=

ب ـ **محاربة الاستعمار** : كذلك يجمع الدول غير المنحازة الكفاح المشترك ضد الاستعمار لأن الغـــالبية العظمى من الدول التى اشتركت فى المؤتمر تحمل ذكريات مريرة عن الاستعمار ولها فى صراعه صفحات دامية وهو الذى قادها للاشتراك فى حربين عالميتين لا شأن لها بها وجعل من بعض أقاليمها أرضـــا للمعركة ولذا فانها ليست على اســـتعداد لأن تجلب لنفسها هذه المصائب مرة أخرى • ثم ان اعجابها بالدول القـوية التى تحدت الغرب وزعامته لم يصل الى حد أن ترتبط بهذه الدول ارتبـاطا مصيريا • على أن الكفاح ضد الاستعمار قد فقد الآن الكثير من بريقـه كعامل مشترك بعد أن صفى الاستعمار فى صورته التقليدية أو كاد فى أرجاء المعمورة ، ولذا كانت مقاومة الاستعمار هى الرمز الذى اجتمعت عليه هذه الدول فنسيت فى سبيله ما يفرق بينها من عوامل وأفكار • ولعل العامل الجديد الذى حله محله هو ما يسمى بالاستعمار الجـديد Neo-Colonialism وهو الموقف الذى تتخذه الدول الكبرى من الدول حديثة الاستقلال والذى يضع الأخيرة أمام الأمر الواقع بحيث لا يكون أمامها الخيـــار فى قبول وضع يجعلها وكأنهـــا مستعمرة تســـتغل وتنهب(١) • فمثلا الاتجاه فى التجارة الدولية لصالح المنتجات الصناعية

"whether the particular" combination of ideological leftism with a sense of national pride and with an underlying fear of provocation of war are not also the essential ingrediends in the neutralist attitude of, for example, Prime Minister Nehru or President Nasser...... That nationalism and social reform, or revolution, should again be joined as twin forces resolving themselves in a neutralist attitude in some of the old countries but new nations of the 'Asia-African' bloc does not appear surprising."

Marcus, John T. : **Neutralism and Nationalism in France**, New York, 1958, p. 166.

(١) شرح الأستاذ فولسون B.G.D. Folson من جامعة غانا هذه الظاهرة فى المؤتمر الدولى للسياسة العالمية الذى عقد فى أثينا فى سبتمبر ١٩٦٢ بقوله :

"As more and more African territories become independent, the struggle will sheft to those subtle and clandestine forms of dominati n which are grouped under the rubric of neo-colonialism, or, as some, especially in East Africa, prefer to call it, neo-imperialism... Scarcely an African speaks or writes nowadays on imperialism and colonialism without dwelling on neo-colonialism. At African conferences especially neo-colonialism goes

ضد أنواع المنتجات التى تعتمد عليها الدول النــامية هو أمر لا تملك الدول النــامية حياله حولا ولا طولا وهو فى ذات الوقت يضــعها فى موقف مماثل لشعوب المستعمرات حيث كان عليهم أن يقبلوا أن تعـود اليهم صادراتهم بفوائد مخفضة • لهـذا رأت الدول النامية ألا تقتصر فيما تطلبه من معونة على معسكر دون معسكر بل تلجأ الى الاثنين فى سياسة غير منحازة •

جـ - **التخلف الاقتصادى** : ويعتبر التخلف الاقتصــادى من العوامل التى جمعت الدول غير المنحازة ، لأنها تهدف من ذلك الى الحصول على حقها من الدول الكبرى وقد أغضبها الفارق الكبير فى مستوى المعيشة بين سكانها وسكان الدول الكبرى • وليس صحيحا ما يقال من أن الدول غير المنحازة تلجأ الى سياسة عدم الانحياز بقصد أن تلعب عـلى الدول الكبرى فتحصــل على معونات أكبر[١] • فالحقائق تكذب هـذا الزعم والدليل قاطع أن المعونات التى تعطى لدول عــدم الانحياز تقل بكثير عما يقدم للدول المنحازة ثم ان تقـــديم المعونات للدول غير المنحازة لا يرجع الى تصرفات الدول غير المنحازة بقدر ما يرجع الى التنافس بين الدول الكبرى نفسها •

---

in for a lot of flogging. This should not be interpreted as evidence of communist infiltration into African nationalism. The theory of neo-colonialism seems to have been worked out indepently, although almost at the same time, by both communist and African nationalists. What is more, in working out the details of the theory too there is a lot that is common between the African approach and the communist. We recognize as true the weapons of neo-colonialism which the communists have enumerated."

(١) وصف الميثاق الوطنى هذه الظاهرة وصفا طيبا فى الباب العاشر (السياسة الخارجية) فقال : « ان السلام لا يمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا ، ان السلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التى فرض عليها التخلف ••• ان التعاون الدولى من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التكفير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الاستعمارى » •

الظواهر المشتركة بين دول عدم الانحياز :

تميل الدول غير المنحازة غالبا لأن تكون من ذلك النوع من الدول الذى تابع معركته من أجل الاستقلال باصلاحات داخلية لم يكن الاستعمار على استعداد لاجرائها والذى هو أكثر استعدادا للدفاع عن الحركات الثورية فى العالم منه للمحافظة على الوضع الراهن . وتلك مواقف تفسر الظواهر المشتركة لدول عدم الانحياز ولا تتعارض مع عدم الانحياز ولا تدل على الاتجاه الى الكتلة الشرقية أكثر من الاتجاه الى الكتلة الغربية فهى لا صلة لها بالمظاهر العقائدية للحرب الباردة . انها مواقف تتفق مع الأفكار الغربية الخاصة بالصفقة الجديدة أو الفابية أو الديمقراطية الاشتراكية بقدر ما تتفق مع الأفكار الشرقية .

أ - الاشتراكية :

أول هذه الظواهر هى الاشتراكية . قد يدعو هذا الى أن نقع فى الخطأ الذى يثيره التعبير ونتساءل كيف يمكن أن تكون الدول الاشتراكية دولا غير منحازة . أليست هذه الدول - بحكم اشتراكيتها - منحازة الى المعسكر الشرقى . وهذا خطأ مرجعه عدم فهم حقيقة الاشتراكية المقصودة هنا .

يوجد فى الدول الأفروآسيوية النامية ، كما يوجد فى الدول الأوروبية المتقدمة ، تحالف بين الحياد الايجابى والاشتراكية ، ذلك أن الوسائل الأكثر جدوى لحل مشاكل التخلف هى بلا شك تحقيق درجة عالية من التخطيط والتأميم والتدخل الحكومى حيث يجب أن تأخذ الحكومة زمام المبادرة بالنسبة لمشروعات التنمية والاستفادة بالمعونات الأجنبية . ان السلطة المركزية والتوجيه المركزى للتخطيط هو خصيصة كل دولة حديثة نالت استقلالها بثورة منظمة(١) . وهذا هو المقصود بالاشتراكية فى الدول غير المنحازة وهى اشتراكية تأثرت بفلسفة الفكر الأوروبى السابق أكثر من تأثرها بما أسفرت عنه التجربة فجاءت اشتراكية انسانية تحاول أن تقرن القيادة المركزية بالجهد

---

(١) من الأدلة العملية على أهمية التوجيه المركزى فى نجاح مخططات الدول النامية ان البناء اللاحزبى المركز فى اندونيسيا هو الذى كان سببا فى نجاحها فى التخلص من الاستعمار .

الفردى ولذا فان لها نظرتها العقائدية المستقلة وهى نظرة متفتحة مرنة قابلة للتأقلم غير ملتزمة بعقيدة بذاتها وان كانت تجند التخطيط كوسيلة لتوسعة رقعة اقتصاد يحقق المساواة . وهذا هو الذى يجعلنا نضع هذه الاشتراكية فى مكان خاص لا هو بالامريكى ولا هو بالسوفيتي . فلا عجب ان ينظر كل من الغرب والشرق الى دول عدم الانحياز على أنها دول لا يمكن الاعتمـــــاد عليها فى الصراع المذهبى الدائر بين المعسكرين .

وأغلب الظن أن الاشتراكية الأفروآسيوية لم تكن مفهومة للامريكيين فى البداية لأنهم كانوا فى الخمسينيات ينظرون الى كل دولة اشتراكية عـلى أنها أبقت عن الخط الغربى معتبرين أن الاشتراكية الأفروآسيوية والشيوعية شيء واحد(١) . وقد نظرت روســـــيا والصين فى ذات الوقت الى هـــــذه الاشتراكية على أنهـــــا مظهر مختلف لنظام المشروع الفردى ولا زال يرتبط بالمسيرة الامبريالية الغربية . ان تجنب معايب النظامين غير المقبولة هى التى أدت ببعض الدول الى تبنى سياسة خارجيــــــة تعطيها الحرية فى تطوير نظم اقتصادية وسياسية جديدة وكانت تلك السياسة هى عدم الانحياز . ولذا فان الاشتراكية وان لم تكن شرطا شكليا لعدم الانحياز الا أنهـــــا استجابة طبيعية من الدولة الجـديدة لمشاكل التخلف وهذا يفسر لمـاذا كثيرا ما نقابل الاشتراكية والتخلف وعدم الانحياز كلها معا فى بيئة واحدة .

---

(١) وفى هذا يقول الأستاذ فلمنج :

"Throughout the post-war period we gave the breaks to the capitalists and turned thumbs down on the socialists of Europe and Japan. This was done under the slogan "Socialism is just as bad as communism and it leads to communism." This idea was propagated in the United States until it became a hotly he'd article of faith, and it was asked on abroad until most of the socialist parties were in a state of frustration.

"This was probably the most shortsighted campaign that any group of ruling conservatives ever waged. It was so because the slogan was false. Dem:cratic socialism is the real antithesis of totalitarian communism, and has never in a surgle case led to it".

Fleming, D.F. : The Cold War and Its Origins, 1917-1960, Allen and Union, 1961, p. 1090.

ب ـ الثورية :

كذلك يميل عدم الانحياز والنزعة الثورية الى الظهور معا فمعظم دول عدم الانحياز لم تصل الى استقلالها الا عن طريق الصراع مع حكم الاستعمار . ولكن الاستقلال وحده لا يكفى لاشباع رغبات الشعب . ان الاستقلال قد يغذى آمال الحرية ولكن لابد من ثورة ثانية لاشباع الآمال المادية . ففى مصر مثلا كان سوء توزيع الثروة الزراعية مبعث الشكوى وتركز أمل شعبى حول اعادة توزيعها . لهذا كان لابد أن يتبع الاستقلال ثورة تعمل على تحطيم النظام الزراعى القديم وترضى آمال الشعب بتوزيع جديد للأراضى الزراعية .

ان الدول التى مرت بثورتها الثانية الداخلية قامت بذلك رغم الضغط الغربى الذى كان ينظر وقتئذ الى تحطيم الاقطاع واستبعاد الملكيات الكبيرة على أنه منهج صينى . وحيث كان الضغط الغربى شديدا فان الدولة سعت الى معونة الدول الشيوعية ، كما هو حال كوبا . أما حيث كانت المعارضة الغربية أقل فقد اتجهت الدول الى عدم الانحياز كما هو حال مصر (الجمهورية العربية المتحدة) .

ان هذا القول لا يعنى أن الدول الاقطاعية لا يمكن أن تتبع سياسة عدم الانحياز وهذا هو ما اعترف به مؤتمر بلغراد الذى ضم بلادا ذات اقطاع اقتصادى كالعراق فى ذلك الوقت .

جـ ـ النظرة السياسية :

لا يعطف قادة الدول غير المنحازة على الأساليب الغربية التقليدية لحفظ توازن القوى عن طريق الأحلاف وما يماثلها . كما أنهم لا يظهرون الكثير من الاحترام للارهاب الذرى الذى يحاول أن يحل محل نظام توازن القوى التقليدى ، ويرون أن السلم لا يمكن حفظه الا بوسائل سلمية . أما معالجة السلام بعقلية حربية فهو تناقض فى التعبير . ان شعور الدول غير المنحازة هذا يقوى سياستهم غير المنحازة . ولذا تنظر دول عدم الانحياز الى سياسة دول المعسكرين على أنها تهديد للسلام العالمى . واذ أن دول عدم الانحياز تنظر الى الحرب الباردة كمراقبين وليس كمشتركين فيما يجرونه من تقديرات

فقد بدأوا يطورون مفاهيمهم الخاصة عن العلاقات السلمية . ويمكن أن أقول ان هذه المفاهيم تبنى على مبادىء خمسة هي : الاحترام المتبادل لسلامة الأراضي والسيادة ، عدم الاعتداء ، عدم التدخل في الشئون الداخلية ، المساواة ، المصالح المتبادلة والتعايش السلمي . هذه المبادىء - كما قال نهرو سنة ١٩٥٥ أثناء زيارة بولجانين وخروشتشوف - تكون الأساس لعلاقة الدول غير المنحازة مع باقي الدول . فلو أن باقي الدول قبلتها لتأكد السلم وتحقق التعاون العالمي . ولكن هذه المبادىء العامة لم تمنع في بعض الأحوال من أن تلجأ دول عدم الانحياز الى استخدام القوة في علاقاتها الدولية كما فعلت الهند لاسترداد جوا من البرتغال . وقد يبرر هذا التصرف أنه اتخذ لتصفية بقايا الاستعمار الأجنبي في الهند . ولكن هذه الحجة لا تكفي وحدها لتبرير انتهاج سياسة القوة على خلاف ما تؤمن به دول عدم الانحياز لأن متابعة منطق هذه الذريعة يمكن أن يبرر حالات أخرى من استخدام القوة . ولذا فان دول عدم الانحياز يجب أن تعمل على توضيح موقفها وبيان المواقف التي ترى - في تقديرها - أنها تبرر استخدام القوة لأن نظرتها في هذا المجال لا زالت في حاجة الى تحديد حتى لا تختلط بمفهوم مدلول الامبريالية فيما يتعلق بالالتجاء الى القوة .

د - النظرة الى العدوان المتوقع :

تنفق كثير من دول عدم الانحياز - مثل الجمهورية العربية المتحدة والهند - مبالغ كبيرة على دفاعها الوطني ولكنها تنفق هذه المبالغ لأغراض دفاعية حتى يمكنها - بوسائلها الوطنية الخالصة - أن تصد أي عدوان يقع عليها . وهي بذلك لا تشاطر دول الانحياز التي تتوقع أنواعا من العدوان لا يكفي لردها ما لديها من دفاع وطني ولذلك تلجأ - في استكمال دفاعها - الى سياسة الانحياز الى قوة كبرى تقف في صفها اذا ما حزب الأمر . ويرجع هذا الخلاف في التوقع الى خلاف الطرفين حول طبيعة الصراع الدولي . ان دول عدم الانحياز تؤمن بأن استبعاد الخوف سوف ينهي سياسات العدوان لأن الخوف هو المسئول عن أعمال العدوان في حين أن دول الانحياز ترى أن العدوان متوقع ما لم يمنعه الخوف من الانتقام الذي يرهبه المعتدي .

فالقلق النسبى الذى تعيش فيه تايلاند وجنوب فيتنام يرجع لوجود قواعد وقوات أجنبية على اقليمها وشك الصين فى أن يكون ذلك مظهرا لسياسة عدوانية فى حين أن الاستقرار النسبى الذى تعيش فيه بورما وكمبوديا مرده الى حياد هذين البلدين وتبعا عدم توقع تهديد صينى لهما • ان نظرة دول عدم الانحياز تتلخص فى أن توقع العدوان وابرام المواثيق العدوانية هو المسئول فى النهاية عن خلق مراكز الصراع • ويؤيد كثير من العلمـــاء الذين اهتموا بظاهرة الخوف فى العلاقات الدولية مفهوم دول عدم الانحياز(١) •

هـ ـ الزعامة :

تميزت جبهة عدم الانحياز منذ البداية بظهور زعامات مبرزة فيهـا ومن الأسماء التى تذكر فى هذا المقام الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس سوكارنو ونهرو ونكروما • ويعتقد بعض المراقبين أن هذه الظاهرة تستحق الدراسـة لمعرفة ما اذا كانت قوة شخصية هؤلاء الزعماء هى التى أثرت على فكرة عـــدم الانحياز أو أن تميز هذه الزعامات كان أثرا من الكفاح من أجل الاستقـــلال وما صاحبه من سياسة ارتبط بها هؤلاء الزعماء •

قد نجد زعامات فى البلاد المنحازة ولكنها زعامة من نوع آخر لأنها زعامة لم تجهد نفسها فى كسب استقلال بلادها بل وجدت نفسها على رأس حكومة

---

(١) يقول فى ذلك الأستاذ ستيفنسون :

"We live in a fear-ridden world. The self-preservative and nation-presentative tendencies are usually associated with fear-fear of our own destruction or fear of losing our wealth or freedom. Fear, however it is stimulated, leads us to view with suspicion the nation that appears to threaten our security. Fear does more than that — it may make us believe that the threatening nation is more evil than it actually may be...... It is natural to build up defences against possible attack by non-aggression pacts, by mutual defence pacts and by the accumulation of armements. The nation or group of nations which has threatening attitudes observes the defensive actions being taken by other groups of nations and it in turn becomes fearful; it makes similar pacts and builds up similar armements."

نقلا عن : Stevenson, G.H. بحث تقدم به فى دراسات عنوانها Canada

فى World Tension الذى طبعه G.W. Kisker سنة ١٩٥١ •

من تنظيم الدولة المستعمرة الذاهبة أما زعامة البلاد غير المنحازة فزعامة تجر وراءها سنوات من الكفاح والعرق فى سبيل تحقيق الاستقلال وبناء الدولة والنهوض بها الى المستوى اللائق · ولذا فان تميز جبهة عدم الانحياز بزعامات قائدة قوية ليس أمرا عفويا لأنها قامت فى البلاد أحلت هذه الزعامات محل الحكم الغربى الاستعمارى الزائل ·

تعليـــق :

واذن فالحياد الايجابى وعدم الانحياز هو وضع يتحقق عندما يكون ضغط الظروف غير كاف لتقرير الانحياز · ولكننا لا نستطيع أن نفسر عدم الانحياز على أنه مبدأ يتخذ سبيله الى الوجود بطريقة طبيعية · فهناك مؤثرات عديدة ومتباينة تجذب الدول اليه · وبعض هذه المؤثرات لها مفعـــولها على الدول المنحازة وغير المنحازة على حد سواء فى حين تتفرد دول عدم الانحياز بالبعض الآخر · ورغم أن عدم الانحياز يقترن بالقومية ومكافحة الاستعمار الا أن هذه المفاهيم ليست هى وحدها المؤثرات المميزة التى تحدد فى النهاية السياســـة الخارجية للدولة فقد سبق أن أوضحت أن عقائد الـــدولة ليست هى العامل الذى يحتكر توجيه السياسة الخارجية للدولة ·

حقوق وواجبات دول الحياد الايجابى وعدم الانحياز :

كانت سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز محل ريبة المعسكرين لأنها لم تذهب بعيدا الى الحد الذى يكفى لارضائهما · ذلك أن الغرب يتمثل الصراع بينه وبين الشرق على أنه صراع بين العالم الحر وبين العالم الشيوعى ، بين قيم مشتركة من الحرية وعقيدة ملحدة ، ولذا لم يدرك كيف يمكن لدولة حرة أن تقف موقف الحياد من صراع هذه طبيعته · وقد تصادف فى بعض المناسبات أن اتفق موقف دول عدم الانحياز مع موقف روسيا حيال بعض المشـــــاكل الدولية ـ مثل محاربة الاستعمار ونزع السلاح ـ فكان أن حكم الغرب على دول عدم الانحياز بأنها تزحف نحو الشيوعية لتحمى نشاطها · أما الشرق فينظر الى الصراع مع الغرب على أنه محاولة رأسمالية للاحاطة بالدول الاشتراكيـــة واعاقة المد الشيوعى ، أى أنه صراع ضد نوع جديد من التدخل ، ولذا لم ينظر بعين الارتياح الى الموقف الذى وقفته دول عدم الانحياز من بعض التطـــورات

الدولية ـ مثل الحرب الأهلية فى المـــلايو ـ اذ كان يأمل أن تتخـــذ موقفا أقوى .

ولكن الفكر الأفرآسيوى لا ينظر للأحداث بمنظار أمريكى أو روسى فهو يرى فى الصراع بين الشرق والغرب صراعا على القوة من أجل السيطرة العالمية ولا يؤمن بما تدعيه أمريكا من أن صراعها هو صراع من أجل الحرية فالدول الغربية لم توحدها كتلة شاملة من أجل تحقيق برنامج ايجابى يستهدف خير البشرية وانما جمعها الخوف من التهديد الشيوعى . والمعسكر الغربى الذى زعم لنفسه أنه يحارب قوى الشيوعية السوداء ليس الا مزيجا من دول متباينة المزاج كثير منها طريد الحرية ، ففيــه قوى الاستعمار البريطانية والفرنسية والبلجيكية والهولاندية ، وهو كذلك يضم الفاشية البرتغالية والاسبانية بل انه ينطوى على الاشتراكية الاسكندينافية أيضا . خليط عجيب يعطى للفظة الحرية معنى أعجب .

لذلك فقد انتهجت دول عدم الانحياز سياسة الباب المفتوح التى تعتبر بحق ثورة فى العلاقات الدولية قامت بها دول رفضت أن تكون كتلة أو تشكل نفسها فى تنظيم جامد لأنها ترى فى التكتل تشجيعا على انتهاك الســـــلام وليس حماية للسلام كما أن انخراطها فى تنظيم شكلى قد يعـوق حريتها فى العمل .

ان دول عدم الانحياز لا تريد أن تقيم فيما بينها حلفا يجعل منها معسكرا ثالثا فهى تكتفى بتوحيد جهودها عن طريق التفاهم المتبادل والمواقف الموحدة والمؤتمرات المشتركة[1] .

---

(١) من الأمثلة العملية لمحاربة دول عدم الانحياز للأحلاف محاربة الدول الآسيوية لحلف جنوب شرق آسيا (السياتو SEATO) والذى كان يمكن ان يثير حفيظة الصين لو ان دول آسيا دعمته بقوة . وقد ترتب على مقاومة دول عدم الانحياز الآسيوية لهذا الحلف ان أصبح حلفا غير فعال . كذلك قاومت دول عدم الانحياز محاولات خلق منظمات اقتصادية وسياسية بقصد اعاقة الشيوعية وتزعمت حركة المقاومة هذه فى آسيا كل من الهنـــد واندونيسيا . ولذا يجب الا نتوقع قيام مثل هذه التنظيمات بين دول جبهة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وحرى بنا أن نفهم ـ ونحن ننظر الى سياسة الحياد الايجابى وعــدم الانحياز نظرة جامعة ـ أن سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز هى سياسة قاصرة على وقت السلم أو فترات الحرب القصيرة الأمد . أما فى حالة الحروب الشاملة فانه سيكون على دول الحياد ـ مثلها فى ذلك مثل أى دولة أخرى ـ أن تتخذ لنفسها موقفا من هذه الحرب بالحياد القانونى أو الاشتراك وعلى أســاس هذا الموقف تتحدد حقوقها وواجباتها طبقا لمبادىء القانون الدولى العام .

كذلك فان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحيــاز هى سياسة خاصة بالعلاقات الدولية ولا شأن لها بالأمور الداخلية ومن ثم فانه ليس من مانع أن تسلك دولة ما سياسة عدم الانحياز فى علاقاتها الدولية ولكنهــا ترعى فى داخلها عقيدة معينة كالشيوعية مثلا تعمل على بثها ونشرها بين مواطنيها ولو أن هذا الوضع قد يثير مشاكل دولية . ذلك أن دولة الحياد الايجابى وعــدم الانحياز ليست دولة منعزلة عن مجريات الأحداث الدولية بل هى على العكس ذات اسهام ايجابى فى هذه الأحداث . ومن هنا فان ما يجرى داخل هــذه الدول هو من الأمور التى تراقبها الدول بكثير من الاهتمام والتتبع . ان الفصل بين السياسة الداخلية للدولة التى قد تتضمن تحيزا لمذهب ما وبين سياستها الخارجية التى تمس المنافسة العالمية هو من الأمور الدقيقة التى تتطلب حذرا وتمشيا بموجب قواعد معينة .

ان المحلل للوضع الراهن لا يجد صعوبة فى أن يتحقــق من أن صراع الحرب الباردة ان هو انزلق بالعالم الى حرب ساخنة فسوف تعــانى الدول الأفروآسيوية منه الكثير ، فليس منطقا أن نظن أن الدول الكبرى اذا اشتبكت فى حرب شاملة سوف تترك المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية فى أى من القارتين وشأنها . وحتى لو افترضنا جدلا أن هذا المستحيل سيتحق فان دول القارة الساعية الى النمو والازدهار ـ سوف تجد صعوبة ـ فى عالم منهار فقد كفاءاته وخبراته فى حرب ذرية ـ فى الاستفادة من امكانيات العلم والحضارة لتحقيق آمالها . ومن ثم كان لابد من وجــود عامل يهدهد من ضراوة الحرب الباردة ويقف حائلا ـ ان حزب الأمر ـ دون انفجار برميل البارود ويستطيع

فى الوقت نفسه أن يفيد من هذه المهلة لكى يرسى عمده ويثبت أقدامه ويؤكد مكاسبه ويحوز أهدافه · ومن ثم فان سياسة عدم الانحياز تجعل من الدول الأفروآسيوية عاملا ملطفا لحدة الحرب الباردة وقوة فعـــالة تستطيع أن تقدم خدماتها فى الوقت المناسب للتوفيق بين وجهات النظر المتعارضـــة التى قد تؤدى بمعسكرى الصراع الى حرب الدمار · ولذا أصبحت اليوم سياســـة الحياد الايجابى وعدم الانحياز احدى الدعامات الهامة لحفظ السلم العالمى التى هو أمل الانسانية جمعاء ·

صحيح أن دول عدم الانحياز لا تملك من القوة العســـكرية ما يجعل دورها ذا اعتبار فى حالة قيام حرب فعلية ولكنها تستطيع ـ بما تملكه من قوى بشرية وموارد طبيعية ـ أن تؤدى دورا هاما فى حفظ العالم من الانسياق الى معركة الخراب ، وهى ـ طالما أن الحرب لم تقع ـ تعتبر عنصرا له تقديره فى حفظ ميزان القوى ولذا فان دور دول الحياد الايجابى وعدم الانحيـــاز ـ فى سياسة توازن القوى هو دور وساطى · وذلك لا يقلل من أهمية تلك الدول فى المحيط الدولى ، والتاريخ القريب شاهد بذلك · وهذا هو السبب الذى يلقى على دول عدم الانحياز واجب البعد عن أن تدخل فى المخطط الاستراتيجى للدول الكبرى أو أن تسمح لدولة كبرى بأن تستخدم اقليمها · ان الدولة التى تدعو قوات دول كبرى الى اقليمها أو تدخل فى اتفاق تقبل بمقتضـــاه حماية دولة كبرى لا تعتبر فى حالة حياد ايجابى · كما أن واجبات عـــدم الانحياز تقضى بألا تؤيد دول عدم الانحياز التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ·

وحتى تتمكن دول عدم الانحياز من أداء دورها الوساطى على نحو سليم فان عليها أن تتخذ موقف عدم الانحياز من المعسكرين وان كان ذلك أمرا يثير الكثير من الاشكالات بالنسبة لقبول المساعدات العسكرية والاقتصادية · فقد يجب أن تكون دول عدم الانحياز على استعداد لقبول ما يقدم لها من معونة من أى من المعسكرين · ولكن هذا الواجب لا يعنى حرمان دول عدم الانحياز من حقها فى أن ترفض العون الذى تعتبره ماسا بموقفها غير المنحاز · كذلك فان على دول عدم الانحياز التزاما بعدم قبول مساعدة اقتصـــادية أو فنية من أى

مصدر كان اذا كانت الظروف بحيث تمس استقلالها فى سياستها . ان وضع أية دولة غير منحازة ، بل وضع عدم الانحياز ذاته يعتمد على قيام الـــدول غير المنحازة بالاجراءات الداخلية اللازمة لمنع أية حكومة أجنبية من التدخل فى أمور تعتبر من صميم الاختصاص الداخلى للدولة أى أن هناك التزاما على دول عدم الانحياز بالحرص على ألا تمارس الدول الكبرى حقوقها التقليدية شريطة أن تتزود لذلك بوسائل غير متحيزة فتنتهج نفس القواعد وذات الاجراءات والضغوط فى الحالات المتشابهة .

كذلك تقتضى سياسة عدم الانحياز من الـــدول التى تتبعها أن تتحرى الحيدة التامة فى نظرتها للمشاكل الدولية وما تتخذه بشأنها من مواقف فلا تميل فى ذلك الى محاباة معسكر على حساب الآخر بل تأخذ كل قضية بظروفها الموضوعية دون تأثر بعواطف شخصية . ودول الحياد الايجابى وعدم الانحياز لا تسعى بذلك الى تخفيف حـدة الحرب الباردة فحسب بل لو استطاعت انهاء هذه الحرب واجتثاث جذورها من العلاقات الدولية .

ويدل استقراء الأحداث على أن الدول غير المنحازة تضع واجبها هـــذا قبل التزاماتها حيال الأمم المتحدة . صحيح أن توقع التناقض بين موقف الأمم المتحدة وواجبات الحياد الايجابى وعدم الانحياز محدود جدا ذلك أن قرارات مجلس الأمن لا تصدر الا بموافقة الدول الكبرى وتبعا فان أى اقرار يصـــدر يعنى أن هنـــاك اتفاقا بين معسكرى الشرق والغرب على صدوره واذا فحق الاعتراض التوقيفى (الفيتو) يغنى الدول غير المنحازة عن أن تتخذ موقفا من قرارات الأمم المتحدة قد لا يتفق وما صدرت به تلك القرارات . كما أن ازدياد عدد دول عدم الانحياز فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة أصبح يحول الآن بين الجمعية وبين اصدار قرار أو توصية لا تتفق وسياسة هذه الدول .

بيد أن الوقائع القليلة التى تحقق فيها التناقض غير المتـــوقع ــ وهى كوريا ، والى حد ما الكونغو ــ دعت دول عدم الانحياز الى اتخاذ موقف مستقل من قرارات الأمم المتحدة . لقد أصدر مجلس الأمن قراره فى مسألة كوريا أثناء غياب المندوب الروسى وكان واضحا أن هـــذا القرار يتحيز الى وجهة النظر

الامريكية ولذا نجد دول عدم الانحياز تعزف عن الاشتراك فى تنفيـــذ هـــذا القرار الذى قضى بارسال قوات عسكرية الى هناك كانت فى واقعهـــا قوات أمريكية تحت علم الأمم المتحدة وتعمل جاهدة على انهاء المشكله واحـــــلال السلام . كذلك كان موقف الأمم المتحدة فى الكونغو غير منسجم مع اتجاه دول عدم الانحياز وذلك بالنسبة لسياسة الأمم المتحدة حيـــــال لومومبا واقليم كاتانجا ولذا ألحت دول عدم الانحياز على أن تدخل قوات الأمم المتحدة كاتانجا لانهاء انفصال هذا الاقليم عن الدولة الأم وأن تمد الأمم المتحدة لومومبا بمزيد من التأييد ضد الانفصالى تشومبى .

هذا ويمكن أن نتصور ــ من الناحية النظرية ــ مكنة قيام حالات تتعارض فيها واجبات العضوية فى الأمم المتحدة مع واجبات الحياد الايجابى . مثلا لو أن الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة ــ بتأييد من الدول الكبرى التى لا تريد أن تعلن سياستها فى منازعة بعينها ــ قام بدور الوسيط فى المنازعة فان هـــذه الوضع لا يغلق الباب أمام الدول غير المنحازة لكى تعترض على سياسة الأمين العام مستندة الى أنه تجاوز سلطاته فاذا فشلت فى هذا الدفع فانها لا شك ستتخذ خطوة أخرى اذا استدعت ذلك حقوق والتزامات عدم الانحياز(١) .

الفرع الرابع
فى
العرب والأمم المتحدة

تمهيـــــد :

ليس القصد من استعراض علاقة العرب بالأمم المتحدة أو بتعبير آخر علاقة الأمم المتحدة بالعرب أن أتتبع تلك العلاقة يوما بيوم وحدثا بعد آخر أو أن أعالجها من مختلف النواحى والموضوعات فذلك أمر يطول ويضيق عنه هذه

---

(١) « ان الذين يحاولون اليوم استغلال شعار عدم الانحياز والحياد الايجابى ليستروا به أمام شعوبهم انحيازهم الى معسكرات الحرب والاستعمار انما يقدمون اطراء غير مباشر لشعبنا الذى كان رائدا فى رفع هذا الشعار عن ايمان وفى النضال من أجله عن حاجة حقيقية اليه نابعة من صميم كفاحه لاحراز التقدم » .

(الميثاق الوطنى ــ الباب العاشر « السياسة الخارجية ») .

الرقابة • ثم انه يعضا من تفاصيل تلك العلاقة ضحل الصـــله بصلب هذه الدراسة - لذلك سأقتصر على دراسة المواقف الرئيسية للأمم المتحدة بالنسبة المشاكل العربية ذات الطابع الدولى فأتناول هيئة الأمم المتحدة للرقابة على اتفاقيات الهدنة بين العرب واسرائيل ، وجماعة الأمم المتحـــدة للرقابة فى لبنان ، ولجنة الأمم المتحدة للرقابة فى اليمن ، وقوات الطوارىء الدولية •

وسأرجىء الكلام عن موقف الأمم المتحـدة من النزاع العربى الاسرائيلى الذى نشب بسبب عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ الى الفرع التالى عندما أتكلم عن العرب واسرائيل ، حيث أننى سأتناول الموقف الراهن بين العرب واسرائيل الأمر الذى يجعل الكلام عن موقف الأمم المتحدة بشأنه أكثر صلـــة بالفرع الخامس منه بهذا الفرع الرابع •

هيئة مراقبة الهدنة UNTSO (١) ولجان الهدنة المشتركة (١٩٤٩) :

نبذة تاريخية (قضية فلسطين) :

قامت الحرب العالمية الأولى وتطلعت بريطانيا الى الشرق الأوسط وكانت فلسطين بالذات من مناطق الشرق الأوسط التى اعتزمت بريطانيا أن تدخلها فى منطقة نفوذها • ويرجع ذلك الى الأهمية الاستراتيجية التى كانت تمثلها فلسطين بالنسبة للمصالح البريطانية • فهى مركز التقاء قارات الدنيا القديمة اذ تشرف من ناحية على مدخل قناة السويس كما أنها على رأس الطريق البرى الى الخليج العربى والهند وهى مركز اتصال هام للمواصلات الجوية •

وقد ذهبت السياسة البريطانية ـ فى سبيل تحقيق غايتها تلك ـ الى مصادقة الخصمين ومداهنة العدوين : العرب والصهاينة • فكـــان أن ربطت نفسها بعهود مع العرب وكذا بوعود متناقضة للصهاينة وكانت تلك السياسة

---

(١) اللفظة الأفرنجية هى اختصار للاسم الكامل للجنة وهو
The United Nations Truce Supervision Organization.

وقد قامت هذه اللجنة قبل اتفاقيات الهدنة وأثناء فترات الهدنة التى تخللت الحرب سنة ١٩٤٩/١٩٤٨ ولكننى أهتم هنا بعمل هذه اللجنة بعد اتفاقيات الهدنة سنة ١٩٤٩ •

وراجع فى هذا العرض التاريخى :

Kirk, Georg: The Middle East, 1945-1950, 1958; RIIA, Survey of International Affairs, 1939, 1946, pp. 187-96.

هى البداية الحقة لمأساة فلسطين ٠ وانتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء ، وفى ٢٥/٣/١٩٢٠ انعقد مجلسهم الأعلى فى سان ريمو وقرر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى على أن تلتزم بتنفيذ وعد بلفور ٠ واستنادا الى هذا أعلنت بريطانيا فى يوليو سنة ١٩٢٠ انهاء الادارة العسكرية فى فلسطين وقيام ادارة مدنية وعينت أول مندوب سام لها هنـاك وهو السير « هربرت صمويل » ٠

وفى ٢٤/٧/١٩٢٢ أقر مجلس عصبة الأمم صك الانتداب البريطانى على فلسطين الذى وضع فلسطين تحت ما يسمى بالانتداب(١) ٠

ورغم أن سكان فلسطين ـ وقت أن صدر صك الانتداب ـ كانوا أغلبية عربية ساحقة فان الصك تضمن نصوصا تتعرض لمركز اليهـود فى فلسطين اذ جاء فى ديباجته « وحيث أن دول الحلفاء الكبرى وافقت أيضا على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ للبشعب اليهودى مع البيان الجلى بأن لا يفعل شىء يضر بالحقوق الدينية والمدنية التى تتمتع بهـا الطوائف غـير اليهودية المقيمة فى فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى

---

(١) « لم تحدد المادة ٢٢ من العهد صراحة الأقاليم التى أخضعت لنظام الانتداب وانمـا اكتفت بالاشارة اليها بعبارة (المستعمرات والأقاليم التى خرجت بمناسبة انتهـاء الحرب من سيادة الدول التى كانت تحكمها قبلا والمسكونة بشعوب لا تزال غير قادرة على أن تدير شـئون نفسها بنفسها) ٠

« وقد أتت المادة بعد ذلك بشىء من التفصيل ، فقسمت هذه الأقاليم الى ثلاثة أنواع وأعطت لكل نوع منها حكما خاصا ، فتكلمت أولا عن الجماعات التى كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية والتى وصلت الى حالة من الرقى تسـمح بالاعتراف مؤقتا بوجـودها كامم مستقلة بشرط أن تسترشد فى ادارة شئونها بنصائح ومساعدة الدولة المنتدبة الى أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه قادرة على ادارة شئون نفسها بنفسها ، وأخضعتها للانتداب المعروف بانتاب أ ٠

« وتكلمت ثانيا عن الشعوب ، وعلى الخصوص الموجودة منها فى أواسط أفريقيا ، التى تستلزم الدرجة التى وصلت اليها قيام الدولة المنتدبة بادارة الاقليم بشروط خاصة أتت على ذكرها ، وأخضعتها لنظام الانتداب المعروف بانتداب ب ٠

« وتكلمت أخيرا عن الأقاليم ، كالواقعة جنوب غربى أفريقيا وغيرها ، التى ستدار بمعرفة الدولة المنتدبة كأنها جزء لا يتجزأ من اقليمها ، وأخضعتها للانتداب المعروف بانتداب جـ » ٠

(نقلا عن الدكتور محمود سامى جنينه ـ القانون الدولى العام ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٥٢٦)

البلدان الأخرى[١] .

« وحيث أن ذلك اعترافا بالصلة التاريخية التى تصل الشعب اليهودى بفلسطين والبواعث التى تبعث على اعادة انشـــاء وطنهم القـــومى فى تلك البلاد » .

كذلك نصت المادة الرابعة من ســـند الانتداب على أن « يعترف بهيئة يهودية صالحة (لائقة) كهيئة عمومية لتشير وتعاون فى ادارة فلسطين فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر فى انشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين وتساعد وتشترك فى ترقيـــة البلاد تحت سيطرة حكومتها دائما .

« ويعترف بأن الوكالة الصهيونية هى تلك الهيئة المنصوص عليهـــا فيما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها لائقة لهذا الغرض وعلى الوكالة الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشــارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى انشاء الوطن القومى اليهودى » .

وهكذا نص سند الانتداب على أن تقوم دولة الانتداب بتوفير وطن قومى لليهود فى فلسطين وأن تستعين على تحقيق ذلك بالوكالة الصهيونية .

وقد فسرت دولة الانتداب ذلك بالسماح بسياسة لهجرة اليهود وتملكهم الأراضى الزراعية فى فلسطين ترتب عليها أن الذين دخلوا فلسطين بطريق علنى خلال فترة الانتداب بلغ عددهم ما يقرب ٣٧٠٠٠٠ نفس ـ أى تسعة أمثال ما كان عليه عددهم عند بدء الانتداب ـ وارتفعت نسبتهم من ٥٪ أو ما دون ذلك الى ٣٥٪ من مجموع سكان فلسطين ، وذلك عدا المتسللين الذين تمكنوا من دخول البلاد فى أعداد وفيرة بطريق غير مشروعة[٢] .

---

(١) يشير الصك هنا الى تصريح بلفور .

(٢) قامت الهاجاناه ـ وهى منظمة عسكرية صهيونية سرية ـ بتهريب عدد كبير من اليهود فى هذه الأثناء وعملت على الافراج بالقوة عمن قبضت عليه السلطات منهم .

أما الأراضى الزراعية فوقفت منها الحكومة البريطانية موقفا سلبيا حتى ١٩٤٠ - أى بعد أن كانت الحرب الثانية قد قامت وضعف تيــار الهجرة الى حد كبير بسبب ظروف الحرب وصعوبة المواصلات الأمر الذى قلل كثيرا من الفائدة العملية لأية قيود تفرض . ويكفى أن أقول ان اليهود قد تمكنوا من تملك ما يزيد على ٣٠٪ من مجموع الأراضى الزراعية خلال فترة الانتداب . كل ذلك رغم ما أكده خبراء الهجرة والأراضى البريطانيون من أن فلسطين لا يوجد فيها مجال لأى مهاجر وأن أراضيها الزراعية تضيق عن حاجة سكانها العرب الأصليين .

وقد قابل ذلك تهاون بريطانيا فى تهيئة الأسباب لقيام ادارة عربيـــة وطنية يمكنها أن تقوم على شئون فلسطين عند انتهاء الانتداب .

وكان طبيعيا أن تؤدى تلك السياسة المتحيزة الى نفور العرب وقيــامهم بالثورة تلو الثورة حتى عام ١٩٣٦ اذ قام عرب فلسطين بثورتهم الكبرى الأمر الذى دعى بريطانيا لأن ترسل لجنة ملكية تحقق فى الأمر وتقترح الحلول وهى اللجنة المعروفة باسم لجنة بيل . وقد اقترحت لجنة بيل - فى تقريرها المؤرخ ١٩٣٧/٧/٧ - تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب . وكان تبريرها لفـكرة التقسيم أن العرب يعتبرون اليهود غزاة دخلاء واليهود يرمون الى التوسع على حساب العرب ومن ثم فان الحل الوحيد هو الفصل بين الشعبين فتؤلف دولة يهودية فى الأراضى التى يكون اليهود فيها أكثرية السكان ودولة عربية فى المناطق الأخرى .

وليس غريبا أن يهتز الضـــمير العربى لفكرة التقسيم وأن يثور عرب فلسطين عليها مما دفع بريطانيا لأن تعلن فى ١٩٣٨/١١/٩ أنها ستواصــل مسئولياتها فى حكم فلسطين جميعها بسبب ما ينطوى عليه اقتراح التقسيم من صعاب .

وقد كررت بريطانيـــا عرض فكرة التقسيم ســـنة ١٩٤٦/١٩٤٧ فى المشروع الذى أسمته مشروع النظام الاتحادى أو مشروع موريســون ، وكرر العرب رفض الفكرة .

ثم اتخذت فكرة التقسيم صيغة أخرى عندما قررت بريطانيا رفع القضية الفلسطينية الى الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذى تراه وذلك فى مذكرة وجهتها الى الأمين العام للمنظمة العالمية بتاريخ ١٩٤٧/٤/١ تطلب عقد دورة خاصة لانتخاب لجنة تحقيق شكلت من ممثلين من أستراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وجواتيمالا والهند وهولندا وايران وبيرو والسويد وأرجواى ٠

وقدمت اللجنة تقريرا يحتوى على :

أ — توصيات وافق عليها الأعضاء بالاجماع تقضى بضرورة انهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال على أن تسبق ذلك مرحلة قصيرة تكون السلطة أثناءها مسئولة أمام الأمم المتحدة مع بقاء الصبغة الدينية للأماكن المقدسة ٠

ب — مشروعين قدمت الأكثرية أحدهما وقدمت الأقلية الآخر ٠

ويقضى مشروع الأكثرية بأن تقسم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية ٠

أما الأقلية — وتشمل الهند وايران ويوغوسلافيا — فقد اقترحت أن تقوم فى فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالا داخليا وتتألف منهما دولة اتحادية عاصمتها القدس ٠

وقد وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على مشروع الأغلبية — أى التقسيم — فى ١٩٤٧/١١/٢٩ ٠

والعجيب أن هذه الموافقة — التى تخرج عن اختصاص الأمم المتحدة وتخالف مبادئها — جاءت متناقضة المنطق بشكل فاضح ٠ ذلك أن المشروع الذى أقرته الجمعية العمومية للأمم المتحدة يمنح العرب مساحة قدرها ١٢ر٢٠٠ كيلو متر مربع أى بنقص قدره ٢ر٢٠٠ كيلو متر مربع عما اختص به اليهود ٠ وفى ذات الوقت يقيم الدولة اليهودية فى منطقة يسكنها ٤٦٠ر٠٠٠ عربى يملكون ثلثى الأراضى والعقارات مقابل ٥٣٠ر٠٠٠ يهودى يملكون ثلث الأراضى والعقارات فحسب ٠ وفى قول آخر فان المشروع يقيم الدولة اليهودية

فى منطقة نصف سكانها تقريبا من العرب وجل امكانياتها فى يدهم ٠ وتوزيع كهذا فيه من التعسف ما يغنى عن البيان ٠

وكان قد سبق أن أعلنت بريطانيـــا فى ١٩٤٧/٩/٢٦ ــ اثر التقرير الذى قدمته اللجنة الآنفة ــ أنها توافق بلا تحفظ على انهاء الانتداب وأنها آخذة بتهيئة أسباب خروجها من فلسطين بأسرع ما يمكن ٠

وفى ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ غادر المندوب الســامى البريطانى ميناء حيفا معلنا نهاية الانتداب البريطانى بعد أن كانت بريطانيا قد أجلت جيوشها عن فلسطين على خطة تحابى اليهود اذ كانت المنطقة التى خصصها التقسيم لليهود ومعها قسم كبير مما جعل فى حصة العرب ــ مثل يافا ــ قد ترك تحت سيطرة اليهـــود ٠ وكانت الصهيونية تتجهز لتلك اللحظـــــة ، ولذا وقف بن جوريون فى تل أبيب أمام أعضاء المجلس الوطنى اليهودى ليعلن قبل الموعد المحدد لاتمام الجـــلاء بثمان ساعات قيام دولة يهـــودية فى فلسطين باســم « اسرائيل » وأهاب بيهود العالم قاطبة أن يتلاقوا فى اسرائيل لمساعدتها على تحقيق حلمها الكبير ٠

وهكذا تخلت بريطانيا عن مسئولية الانتداب دون أن تقيم حكومة وطنية تتسلم مقاليد الأمور ودون أن تحصل على موافقة بذلك من الأمم المتحـــدة ، وكأن فلسطين كلأ مباح ودم شعبها العربى مهدور لا قيمة له أو اعتبار ٠ ولم يعرف الانتداب حالة أخرى ــ عدا فلسطين ــ تنكرت فيهـــا دولة الانتداب للواجب المقدس الملقى على عاتقها كما فعلت بريطانيا فى فلسطين ٠

وقد أدت الفظائع التى ارتكبهـــا اليهود فى الفترة السابقة على انهـاء الانتداب والأسلوب الذى انتهجته بريطانيا فى التخلى عن فلســطين دون أن تمكن للعرب من حمايتها الى عدة اجتماعات عقدتها اللجنة السياسية للجامعة العربية وقررت فى احداها ــ وهو الاجتمـــاع الذى تم بدمشق فى ٤/١٢/ ١٩٤٨ ــ تلبية نداء الرأى العام العربى بالزحف على فلسطين ودخولها فى ١٥ مايو بعد اتمام الجلاء البريطانى عنها ٠ وبناء على هــذا أخذت كتائب العراق ومصر وسوريا ولبنان تتحرك نحو حدود فلسطين ٠

ولم يمض أسبوع على الزحف العربى حتى كانت جيوش العرب تسيطر على المناطق التى خصصها مشروع التقسيم للعرب باستثناء يافا وقسم من الجليل الغربى ، وتوشك أن تحدق بتل أبيب • وأصبح متوقعا أن تنهى القوات العربية العمليات الحربية فى زمن وجيز ، وبات النصر قريبا •

ازاء هذا الوضع تقدمت الولايات المتحدة الامريكية الى مجلس الأمن تقترح أن يقرر بأن الحالة فى فلسطين تهدد السلم وذلك كمقدمة تمهد لتدخل المجلس فى النزاع ومنع القتال بالقوة وتطبيق العقوبات التى ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة اذا لم يرضخ العرب لقراراته • وفعلا قرر مجلس الأمن توجيه نداء للطرفين بوقف القتال خلال ست وثلاثين ساعة ولكن الحكومات العربية رفضت الاستجابة لهذا النداء « لأنه ليس فى فلسطين حرب رسمية بين دولتين ولأن العرب انما يقاتلون عصابات باغية فتكت بالآمنين وشردتهم ولأن وقف قتالها خطر على سلامة الجيوش وفسح للغدر اليهودى واضرار بمركز فلسطين كوحدة سياسية وبمركز العرب الذين صرحوا مرارا بأنهم لا يرون حلا عادلا لقضية فلسطين الا بقيام دولة فلسطينية موحدة » •

وقرر مجلس الأمن نداءه طالبا اقرار الهدنة وصاحب النداء فى هذه المرة الضغط على العرب لقبول الهدنة اذ أعلن المندوب البريطانى فى مجلس الأمن أن حكومة بلاده مستعدة لأن تعيد النظر فى الاعانة التى تقدمها الى حكومة شرق الأردن فى ضوء القرارات التى تتخذها الأمم المتحدة وأنه اذا قرر مجلس الأمن فرض حظر عام على ارسال الأسلحة الى العرب واليهود فان بريطانيا ستوقف ارسال الأسلحة الى مصر والعراق والأردن رغم ما يربطها بهذه البلاد من معاهدات فى هذا الخصوص • وانتهى مجلس الأمن باقرار مشروع قدمته بريطانيا يدعو الطرفين الى وقف القتال أربعة أسابيع مع التعهد بعدم ارسال محاربين ومواد حربية الى فلسطين فى أثناء هذه المدة وتطبيق العقوبات المدنية والعسكرية على من يخالف الأمر ، وقبلت اللجنة السياسية تنفيذ قرار مجلس الأمن •

وفى تلك الأثناء كانت الأمم المتحدة قد وصلت الى الاتفاق على شخص الوسيط ـ وهو الكونت فولك برنادوت ـ وفوضته فى أن يتصل بالأطراف

- بمجرد وقف القتال - للوصول الى حل سلمى عادل لقضية فلسطين وخول حق تحديد وقف النار • وقد وجه برنادوت مذكرة الى الحكومات العربية والى اليهود ضمنها المقترحات التى رأى أنها تصلح أساسا لتسوية سلمية • وقد رفض العرب تلك المقترحات لأنها تماثل ما سبق أن أوصت به لجنة بيل سنة ١٩٣٧ بل زادت عليها أنها اعتبرت شرق الأردن جزءا من فلسطين ، واقترحت أن يفسح مجال للهجرة اليهودية فى شرق الأردن • أما اليهود فقد رفضوا مقترحات برنادوت لأنها تعطى النقب والقدس للعرب •

وأمام رفض الطرفين طلب برنادوت مد أجل الهدنة ولكن اللجنة السياسية للجامعة العربية لم تقبل ذلك واستأنف العرب القتال بحماسة بالغة فى ١٩٤٨/٧/٩ الا أن القوات الأردنية لم تلبث أن انسحبت من منطقة اللد والرملة فاحتلهما اليهود الأمر الذى سهل لهم الاستيلاء على مناطق أخرى وسمح لهم بأن يركزوا حملتهم على القوات المصرية بقصد اجلائها عن النقب • وقد رأى برنادوت أن يلجأ الى مجلس الأمن ليأمر بوقف القتال ولو بالقوة اذا رفض الفريقان ذلك • وفعلا أصدر المجلس قرارا فى ١٩٤٨/٧/١٥ يقضى باعتبار الحالة فى فلسطين تهديدا للسلم ولذلك أمر الفريقين بالامتناع عن أى عمل عسكرى فيها وبوقف اطلاق النار فى الميعاد الذى يحدده الوسيط • ولم يكن أمام اللجنة السياسية الا أن ترضخ لهذا القرار مسجلة رأيها فى ذلك بمذكرة وجهتها الى مجلس الأمن فى ١٩٤٧/٧/١٨ جاء فيها أن الحكومات العربية « لا ترى تعليلا لموقف مجلس الأمن الا رغبة بعض الدول الكبرى فى تمكين اليهود من فلسطين على حساب العرب والانسانية تحقيقا لمآربها الخاصة » •

واستنادا الى قرار مجلس الأمن ، حدد برنادوت يوم السبت ١٧/٧/١٩٤٨ موعدا لوقف اطلاق النار فى القدس ويوم الاثنين ١٩٤٨/٧/١٩ لوقف اطلاق النار فى باقى أنحاء فلسطين • وعاد برنادوت الى منطقة النزاع ليضع مقترحات جديدة ضمنها تقريرا نشر فى ١٩٤٨/٩/٥ ذهب فيه الى « أن على العالم العربى أن يعترف أنه قد أصبحت فى فلسطين دولة يهودية ذات سيادة

تدعي اسرائيل ولا مجال للزعم بأنها لن تعمر طويلا ويجب أن تحدد هـــذه الدولة بما نص عليه مشروع التقسيم فى ١٩٤٧/١١/٢٩ على أن يضم النقب الى الأراضى العربيـــة وتخرج اللد والرملة من الدولة اليهودية وتضم الجليـــل برمتها الى الدولة اليهودية ٠ وبالنظر الى ما بين المنطقة العربية فى فلســطين وشرقى الأردن من علاقات اقتصادية وتاريخية وجغرافية وسياسية فهنالك من الأسباب القوية ما يحمل على ضمها الى شرق الأردن وتعلن حيفا مرفأ حرا على أن يعطى للدول العربية ذات الشأن منفذ الى البحر بشرط أن تتعهد بضمان تدفق البترول العربى فيه ويعطى لها منفذ الى مطار اللد مع اعلان هذا المطار مطارا حرا وتوضع القدس تحت اشراف الأمم المتحدة ٠ كمـــا يجب أن تؤكد الأمم المتحدة حق الذين شردوا من بيوتهم بسبب الارهاب الحالى فى العودة الى ديارهم وتدفع تعويضـــــات عن الممتلكات الى من لا يرغب فى العـــودة الى دياره »(١) ٠ ورغم أن هذه المقترحات تمعن فى انتهاك حقوق العرب فقـــد كافأ اليهود برنادوت عليها باغتياله فى ١٩٤٨/١٠/٧ لمجرد أنه أوصى باعادة اللاجئين الى ديارهم وجعل ميناء حيفا ومطار اللد حرين وأعطى للعرب منفذا الى البحر وآخر الى اللد وأنه اقترح اخراج النقب والقدس من أيدى اليهود ٠ وجاء المستر بانش خلفا لبرنادوت ، وبانش هو الذى اقترح على مجلس الأمن أن يدعو العرب واليهود الى عقد اتفاقية هدنة وانشاء منطقة واسعة عزلاء من السلاح وتخفيض القوات المسلحة ٠ وقد تبنى المجلس هذه المقترحات بقرار مجدد فى ١٩٤٨/١١/١٦ ٠

وفى ١٩٤٨/١٢/١١ وافقت الجمعية العمومية على المشروع الذى وضعته لجنتها السياسية والذى يقترح تأليف لجنة توفيق من ثلاثة أعضاء يختـارهم

---

(١) أصدرت اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة قرارا فى ١٩٦٩/١٢/٦ ينص على أن حقوق شعب فلسطين غير قابلة للمناقشة ويدعو مجلس الأمن الى اتخاذ اجراءات فعـــالة لتنفيذ القرارات التى أصدرتها الجمعية العامة بشأن اللاجئين العرب - جريدة الأهرام ، عـدد الأحد ١٩٦٩/١٢/٧ ٠

الأعضاء الخمس الدائمون(١) تقوم بالأعمال التى كانت قد نيطت بالوسيط أو بأى أعمال أخرى قد يطلب مجلس الأمن أو الأمم المتحدة القيام بهـا وتنمى الصلات الحسنة بين اسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية وعليها أن تتخذ التدابير اللازمة لوضع الأماكن المقدسة تحت حماية الأمم المتحدة واشرافها على أن تخضع منطقة القدس لنظام دولى دائم ، وأن يسمح لمن يرغب من اللاجئين بالعودة الى دياره والعيش بسلام مع جيرانهم أما الذين لا يرغبون فى العودة اليها فتدفع اليهم تعويضات بمقتضى القوانين الدولية ويدفع كذلك تعويض لمن أصابهم الضرر فى ممتلكاتهم • وعلى لجنة التوفيق تسهيل أمر اعادة السكان واستقرار اللاجئين • ورغم هذه القرارات المليئة بالمحاباة لليهود فان اليهود لم يقنعوا بها ودأبوا على خرق الهدنة واستمرت حركاتهم لا سيما حيال القوات المصرية ، ولم يقف القتال بين الطرفين الا فى ١٩٤٩/١/٨ •

---

(١) دعت لجنة التوفيق هــذه — التى شكلت من مندوبين عن تركيا والولايات المتحدة وفرنسا — الحكومات العربية — بعد توقيع الهدنة — الى مؤتمر عقد فى بيروت فى ١٩٤٩/٣/٢١ حيث أجمعت تلك الحكومات على وجوب التمسك بتنفيذ قرار الأمم المتحدة الخاص بحق اللاجئين فى العودة الى وطنهم والمحافظة على حقوقهم وأموالهم ، وهكذا جعــل العرب من قضية اللاجئين قطب الرحى للقضية الفلسطينية •

وزارت اللجنة تل أبيب فكان رأى اليهود هو تعليق حــل مسألة اللاجئين على التسوية النهائية لقضية فلسطين ورفضوا تنفيذ قرار الأمم المتحدة الا بعد ابرام صلح نهائى مع العرب•

وازاء اختلاف وجهتى النظر العربية والاسرائيلية دعت لجنة التوفيق الطرفين الى مؤتمر عقد بلوزان فى ١٩٤٩/٤/٢٦ حيث وقع كل من العرب واليهود على حدة ميثاقا مع اللجنة يفيد قبولهم أن تكون المبادىء التالية أساس المحادثات :

١ — التقسيم مع بعض تعديلات لاعتبارات فنية ، ٢ — تدويل القدس ، ٣ — عودة اللاجئين وحقوقهم فى التصرف فى أملاكهم وتعويض الذين لا يرغبون منهم فى العودة •

ويبدو أن اليهود قبلوا الأسس السالفة بقصد تسهيل قبولهم فى عضوية الأمم المتحدة لأن الدعوة الى مؤتمر لوزان صادفت ترشيح اسرائيل لعضوية الأمم المتحــدة ، ولما تم قبول اسرائيل عضوا فى المنظمة العالمية حتى بدأت تتنكر للميثاق فتعثر مؤتمر لوزان واستحال التوفيق بين مزاعم اليهود وحقوق العرب •

وقد انتهت اللجنة الى تأليف لجنة فرعية لوضع برنامج كامل بشأن مســاعدة الحكومات المعنية بقضية فلسطين فيما يتعلق باللاجئين ، وعرفت تلك اللجنة الفرعية بلجنة كلاب ، وكان رأيها أن حل مشكلة اللاجئين مرتبط بالحل السياسى لمشكلة فلسطين وكل ما يمكن عمله هو الاستمرار على اغاثتهم وتشغيل القادرين منهم • وبناء على هذا التقرير قررت الجمعية العمومية فى ١٩٥٩/١٢/٨ انشاء وكالة لغوث اللاجئين • وقد قررت اللجنة الســياسية للجامعة العربية التعاون مع هذه الوكالة على ألا يكون لذلك تأثير على مصير اللاجئين وحقهم فى العودة •

وأعقب ذلك عقد معاهدات هدنة فى تواريخ مختلفة من عام ١٩٤٩ بين كل من مصر وسوريا ولبنان من جهة واسرائيل من جهة أخرى . أما العراق والمملكة العربية السعودية فلم يشتركا فى هذه المعاهدات وصرحا بأنهما يقبلان القرارات التى تصدرها جامعة الدول العربية فى هذا الشأن .

وهكذا شرد ما يربو على مليون عربى يكابدون منذ أكثر من عشرين عاما أقسى أنواع الحياة وتنقصهم أدنى مراتب المعيشة للانسان وتشير قضيتهم الى جرح عميق فى ضمير الانسانية لا يمكن أن يندمل الا بازالة أسبابه واعادة الحق الى نصابه . ويكفى أن أقول ان النفقات السنوية لاغاثة اللاجىء الواحد - بما فى ذلك شئون التعليم والاغاثة والرعاية الصحية ونفقات اعداد المخيمات - لا تصل الى ثلاثين دولارا فى السنة . ويشمل هذا المبلغ الضئيل النفقات الادارية والسفر والنقل ومرتبات الموظفين ، وهذه وحدها تستهلك ربع الميزانية العامة .

أما قضية العرب مع اسرائيل بعد ذلك فتحكى سلسلة من المحاولات الاسرائيلية لخرق الهدنة ، لعل أظهرها هو العدوان الثلاثى الغاشم على مصر سنة ١٩٥٦ الذى اشتركت فيه اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا وحرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

كيف قامت الهيئة واختصاصاتها(١) :

أصدر مجلس الأمن قرارا فى ١٩٤٨/٥/٢٢ بوقف اطلاق النار ، وفى ١٩٤٨/٥/٢٩ وجه الوسيط الدولى بأن يقوم - مع لجنة للهدنة - بالاشراف على وقف اطلاق النار وقرر المجلس أن يزود الوسيط ولجنة الهدنة - لهذا الغرض - بعدد كاف من المراقبين الدوليين . وقد قام الوسيط بانشاء لجنة الهدنة لتكون مع المراقبين الدوليين معاونا له فى مراقبة وقف اطلاق النار

---

(١) Higgins, Rosalyn: The United Nations Peacemaking, 1946-1967, Vol. I, The Middle East, London, 1969, pp. 16-216.

ويجرى الاسم المتداول لهذه المنظمة على أنها هيئة الرقابة .

انفاذا لقرارات مجلس الأمن . فلما أبرمت اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ كان منطقية أن ينتهى عمل هيئة الهدنة المذكورة مع مراقبيها لا سيما وأن اتفاقيات الهدنة نصت على تشكيل لجان مشتركة للهدنة(١) . ولكن الظاهر أن هيئة الهدنة ومعها المراقبون الدوليون استمروا تحت اسم جديد أعطى لهم فى اتفاقيات الهدنة اذا أشير الى هذه المجموعة باسم (هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة » . بل ونصت اتفاقيات الهدنة على أن يكون رئيس لجنة الهدنة المشتركة هو رئيس الهيئة المذكورة أو أحد كبار موظفيها الذى يعينه رئيس الهيئة آنفة الذكر بعد التفاهم مع الدولة المعنية .

وهكذا بقيت هيئة الرقابة تلك فى صورة مختصرة قاصرة على رئيسها وبعض الموظفين والمراقبين الدوليين لتمارس اختصاصين :

أ - مراقبة وقف اطلاق النار طبقا لقرارات مجلس الأمن التى صدرت سنة ١٩٤٨ ، وهى بهذا تمارس اختصاصا يستند الى المادة ٤٠ من ميثاق الأمم المتحدة(٢) وتخضع فى ممارسته لاشراف الأمين العام للأمم المتحدة الذى يسأل بدوره عن ذلك أمام مجلس الأمن . ولذا فان الأمين العام يقوم برسم الخطوط العريضة للسياسة التى تسير عليها الهيئة ويترك لرئيسها حرية واسعة فى تصريف شئونها اليومية .

ب - الاشراف على تنفيذ اتفاقيات الهدنة . وهنا يجب أن نفرق بين رئيس

---

(١) تنص اتفاقيات الهدنة على تشكيل لجان مشتركة للهدنة تتكون من خمسة أعضاء (عدا الاتفاقية مع مصر فتجعل أعضاء لجنة الهدنة المشتركة سبعة) يقوم كل من الطرفين بتعيين اثنين منهم (ثلاثة فى الاتفاقية مع مصر) . ويكون رئيس لجنة الهدنة المشتركة هو رئيس هيئة الرقابة أو من يعينه على نحو ما أوضحت فى المتن . وكثيرا ما تستعين لجان الهدنة المشتركة بمراقبى هيئة الرقابة ويتم ذلك بناء على اتفاق بين رئيس الهيئة ورئيس لجنة الهدنة المشتركة .

(٢) تنص المادة ٤٠ من الميثاق على ما يلى « منعا لتفاقم الموقف ، لمجلس الأمن ، قبل أن يقدم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها فى المادة ٣٩ ، أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضروريا أو مستحسنا من تدابير مؤقتة ، ولا تخل هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم ، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه » .

الهيئة وبين باقى موظفيها لأن هذا الاختصاص قد منح لرئيس الهيئة ذاته أو لمن يعينه هو - بعد التفاهم مع الدولة المعنية - كرئيس لأى من لجان الهدنة المشتركة ، وواضح أن الاختصاص هنا يستند مباشرة الى اتفاقيات الهدنة وليس مستمدا من قرارات مجلس الأمن[1] .

وتضع هذه الهيئة حاليا - وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ - مراقبيها على ضفتى القنال للاشراف على وقف اطلاق النار بعد أن وافقت على ذلك كل من الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل .

ويجرى تعيين موظفى هيئة الرقابة عن طريق اعارتهم من قبل دولهم للأمم المتحدة ولذا فان من حق الأمم المتحدة - طبقا لفتوى محكمة العدل الدولية التى أصبحت عرفا جاريا الآن - أن تطالب بتعويض عما ينال هؤلاء الموظفين من ضرر[2] . وتدفع نفقات هذه الهيئة من ميزانية الأمم المتحدة .

---

(١) وقد شرح مستر بانش هذا الوضع لمجلس الأمن فى تقرير قدمه يقول فيه :

"United Nations assistance which the parties themselves request in the Armistice Agreements, and which the United Nations should of course grant. It must, however, be emphasized that the parties themselves have devised their own agreements for joint supervision of the terms of the voluntary agreements and the United Nations therefore, has no general responsibility for the supervision of the Armistice Agreements".

وقد انتقد الاتحاد السوفيتى تقارير هذه الهيئة لاسيما وأن رئيسها كان امريكيا على أساس أن مهمة مجلس الأمن قد انتهت واذن فمعنى بقائها أن الولايات المتحدة الامريكية تركز الاشراف فى يدها هى . ورئيس هذه الهيئة الآن هو الجنرال أودبول .

(٢) من الطريف أن لجان الهدنة المشتركة مارست فى بعض الظروف نوعا من الاختصاص شبه القضائى . أذكر من ذلك النزاع الذى ثار بين سوريا واسرائيل حول ما اتخذته اسرائيل من اجراءات لتجفيف بحيرة الحولة فى المنطقة المنزوعة السلاح اذ قرر ماجور جنرال رايلى رئيس لجنة الهدنة المشتركة اختصاصه بنظر هذا النزاع . وقد جاء فى قراره ما نصه :

"The principle that no military or political advantage should be gained under the truce ordered by the Security Council is recognized...

"It is concluded that :...

"The demilitarized zone created by the Armistice Agreement was defined with a view toward separating the armed forces of both parties while providing for the gradual restoration of normal civilian life in the area of the demilitarized zone. The Chairman of the Mixed Armistice Commission was charged with the responsibility of ensuring that the provisions of the Armistice Agreement with respect to the demilitariz-

جماعة المراقبين فى لبنان
The United Nations Observer Group in Lebanon (UNOGIL)
: ١٩٥٨

حدثت أزمة لبنان فى صيف عام ١٩٥٨ فى وقت كانت أمريكا لا زالت مقتنعة بضرورة ملء الفراغ فى الشرق الأوسط ومنع أية استجابة عسكرية لذلك فى المنطقة . وقد خطت جماعة الأمم المتحدة للرقابة فى لبنان مرحلتين : فهى قد أقيمت أساسا فى أوائل يونيو سنة ١٩٥٨ عندما نظر مجلس الأمن فى ١٩٥٨/٦/٨ شكوى من حكومة شمعون فى لبنان تزعم فيها أن الجمهورية العربية المتحدة تعمل على تسلل عصابات مسلحة من سوريا لتحطيم الأرواح والأموال فى لبنان(١) . وقد أقر مجلس الأمن فى ١٩٥٨/٦/١١ اقتراحا من

ed zone were implemented. It follows that neither party to the Armistice Agreement therefore enjoys rights of sovereignty within the demilitarized zone......

An occupancy of lands either temporary or permanent, without the full consent of the landowners, is a hindrance to the restoration of normal civilian life in the demilitarized zone, and a violation of article V, paragraph 2, of the Armistice Agreement.

"B. Until such time as a mutual agreement is reached between the Governments of Syria and Israel, with respect to the work now being conducted in the demilitarized zone in connection with the drainage of the Lake Hulah marshes, the Palestine Land Development Company or any successors are, in the opinion of the Chief Staff, not justified in continuing such work.

"C. In the opinion of the Chief Staff, the Palestine Land Development Company, Limited, should be instructed forthwith to cease all operations within the demilitarized zone, until such time as a mutual agreement is arranged through the Chairman between Syria and Israel".

ومما هو جدير بالذكر أن اسرائيل ادعت بعد عدوان ١٩٥٦ أن اتفاقيات الهدنة لم تعد تلزمها الأمر الذى اضطر الأمم المتحدة - مع عدم تسليمها بوجهة النظر الاسرائيلية - أن تتعامل مع اسرائيل عن طريق قوات الطوارىء الدولية .

(١) قامت الاضطرابات فى لبنان عندما أعلن شمعون عزمه على تغيير الدستور اللبنانى ليسمح لنفسه بأن يرشح مرة أخرى للرئاسة . ولم تكن حكومة شمعون ذات شعبية فى لبنان وقتئذ بسبب ميولها الغربية الواضحة فقد رفض شمعون قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا رغم عدوانهما على مصر سنة ١٩٥٦ كما قبل مبدأ أيزنهاور الخاص بالشرق الأوسط والذى يقضى باستعداد أمريكا لأن تقدم مساعدات عسكرية اذا طلبت ضد أى عدوان ينجم من دولة تخضع للسيطرة الشيوعية ، وهو المبدأ المعروف بنظرية الفراغ . وقد طلب شمعون مساعدة الولايات المتحدة استنادا الى هذا المبدأ بعد أن رفض قائد الجيش اللبنانى أن يستخدم قواته ضد ارادة الشعب اللبنانى . ولم تهدأ الأحوال فى لبنان الا بعد أن أعلن كميل شمعون رجوعه عن محاولته تعديل الدستور وأكد انه لن يرشح نفسه للرئاسة .

السويد بتكوين جماعة مراقبة للتوجه الى لبنان والتأكد ممـــا اذا كان هناك تسلل غير مشروع لأشـــخاص أو أسلحة أو أي مواد أخرى عبر الحـــدود اللبنانية . وقد خول الأمين العام سلطة اتخاذ الخطوات اللازمة لهذا الغرض . وتمكن الأمين العام من تشكيل هذه الجماعة بسرعة فائقة مستعينا بموظفين من هيئة رقابة الهدنة - التي تكلمت عنها قبل الآن - وفي خــلال ثلاثة أيام من صدور القرار كانت هذه الجماعة تحت رئاسة جالو بلازا Galo Plaza - الرئيس السابق لاكوادور - تقـــوم بمهمتها في بيروت وهي - كمـا قال رئيسها - وقف التسلل بكشفه وفضحه للرأى العام العالمى أي وقف التسلل عن طريق الضغط الأدبي . وتعتبر هـــذه الجماعة - بحكم تشكيلها - فرعا لمجلس الأمن شكل طبقا للمادة ٢٩ من ميثاق الأمم المتحدة(١) . وقد قدمت الجماعة تقريرا في يوليو سنة ١٩٥٨ أكدت فيه أنها لم تلمس تسللا تؤيده الجمهورية العربية المتحدة كما ادعت حكومة شمعون(٢) . ورغم وجود هـــذه الجماعة - التي خيبت رجاء الحكومة القائمة في لبنان وقتئذ - فقد نزلت قوات الولايات المتحدة في لبنان في ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ . ولذلك أصبحت مهمة جماعة المراقبين بعد ذلك التاريخ غير قاصرة على التأكد من التسلل بل امتدت

---

(١) تنص المادة ٢٩ من ميثاق الأمم المتحدة على ما يلي « لمجلس الأمن أن ينشيء من الفروع الثانوية ما يرى له ضرورة لأداء وظائفه » .

(٢) جاء في هذا التقرير ما نصه :

"62. The extent of the infiltiration of arms which may be taking place has been indicated in the report. It is clear that it cannot be on anything more than a limited scale, and is largely confined to small arms and amuniti n. In condition of civil conflict, when the frontier is open and unguarded particularly throughout its length, some movement of this kind may well be expected.

"63. As regards the question of the illegal infiltration of personnel, the nature of the frontier, the existence of traditional, tribal and other bonds on both sides of it, the free movement of produce in both directions, are among the factors which must be taken into account in making an evaluation. It must, however, be said that in no case have United Nations observers, who have been vigilantly patrolling the oppositi n held areas and have frequently observed the armed bands there, been able to detect the presence of persons who have indubiatably entered from across border for the purpose of fighting".

أيضا الى المساهمة ـ بوجودها ـ فى العمل على استقرار الأوضاع الى حد يدعو القوات الامريكية الى الانسحاب •

وفى ١٧ يوليو سنة ١٩٥٨ أدرجت فى جدول أعمـــال مجلس الأمن شكوى من الأردن تتهم فيها هى الأخرى الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل فى شئونها الداخلية ، وصاحب هذه الشكوى أنباء بأن بريطانيا أرسلت قوات الى الأردن بناء على طلب الملك حسين لاحبـــاط انقلاب • ولــكن المجلس لم يستطع أن ينتهى الى قرار بشأن الشكوى فاتفق جميع الأطراف ـ بجلسة ٧ أغسطس ـ على احالة الموضوع الى الجمعيـــة العمومية للأمم المتحـدة • وقد صادف ذلك أمران مهمان أولهما أن الجنرال شهاب كان قد انتخب رئيســـا لجمهورية لبنان وأن ثورة العراق كانت قد قامت وكانت كل من بريطانيـــا والولايات المتحدة قد اعترفت بها ولذا فقد رغبت كل من الدولتين المذكورتين فى سحب قواتها ولكنها أرادت أن تفعل ذلك على نحو لا يخدش كرامتها • وبدا أن أحسن حل هو الحــــل الذى يأتى من العرب أنفسهم • ومن ثم اتجه التفكير الى كيفية رسم الدور الذى تقوم به الأمم المتحدة لتسهيل انســحاب القوات البريطانية من الأردن والامريكية من لبنان وطالبت بعض الوفود لدى الأمم المتحدة بضرورة أن يكون هناك وجود للأمم المتحدة فى الأردن واقترحت أن يتحقق ذلك بواسطة هيئة رقابة الهدنة ولكن الأردن أوضحت بجلاء أنهـا لا ترحب بأى وجود للأمم المتحدة على اقليمها فى صـــورة قوات طوارىء أو جماعات مراقبة • ومن ثم فكان لابد من البحث عن صـــورة أخرى للوجود الدولى فى الأردن ، وهذا ما فعله الأمين العام بعد أن خولته الجمعية العــامة سلطة اتخاذ الاجراءات اللازمة •

وكانت المشكلة بالنسبة للبنـــان تدور حول ما اذا كان الأفضــل هو مجرد زيادة حجم جماعة المراقبين لتسهيل انسحاب القوات الامريكية أم أن اختصاصاتها يجب أن يتغير • وقد أخذ الأمين العام بفكرة زيادة قوة جماعة المراقبين مع حصر اختصاصها فى مجرد الرقابة • وقد نجح الأمين العام فى الحصول على موافقة الأردن على قبول ممثل للأمم المتحدة مع عدد من الموظفين ليكون ممثلا خاصا للأمين العام للمعاونة على تنفيذ قرار الجمعية العمومية •

وانسحبت القوات الامريكية من لبنان فى ٢٥ أكتوبر ، كما انسحبت القوات البريطانية من الأردن فى ٢ نوفمبر ٠ وفى منتصف نوفمبر طلبت لبنان سحب شكواها ضد الجمهورية العربية المتحدة من جدول أعمال مجلس الأمن وقد استند الأمين العام الى ذلك لانهاء مهمة جماعة المراقبين ٠ وفعلا غادرت هذه الجماعة لبنان فى ٩ ديسمبر وعادت العلاقات بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة الى مجراها الطبيعى ٠

لجنة الرقابة فى اليمن The United Nations Yemen Observation Mission (UNYOM) **١٩٦٣/١٩٦٤ :**

ذكرت من قبل طرفا من النزاع الذى ثار بمناسبة قيام الثورة اليمنية والذى ترتب عليه توتر العلاقات فترة ما بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ٠ وقد اتصل الوضع فى اليمن بعلم الأمم المتحدة عندما طلب الوفد الممثل لليمن فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٦٢ – وكان ذلك الوفد لا زال ملكيا – من الأمم المتحدة أن تتحقق مما اذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تمد يد المساعدة للثوار من عدمه وقد اقتصر الأمر فى أوله على كتاب وزع على أعضاء الأمم المتحدة ٠ وقد ذكر الجمهوريون – الذين كانوا قد أرسلوا بدورهم وفدا الى الأمم المتحدة – أنهم لا يمانعون فى قيام الأمم المتحدة بمثل هذا التحقيق ٠ واقترح الملك حسين فى ١١ ديسمبر ارسال وفد مراقبين من الأمم المتحدة للعمل على ايجاد حل ٠ ورأى الأمين العام – فى ضوء هذه التطورات – أن يتناقش مع الأطراف المعنية وأجرى ذلك الاتصال عن طريق ارسال ماجور جنرال فون هورن – رئيس هيئة رقابة الهدنة فى القدس – الى الحكومات الثلاث المعنية لاستطلاع رأيها(١) ٠ وأعلن الأمين العام فى ٧ يونيو سنة ١٩٦٣ أنه قد تم اتفاق على الأسس المالية للجنة بمقتضاه

---

(١) قام الأمين العام بمهمته الاستطلاعية قبل عرض الأمر على مجلس الأمن استنادا الى المادة ٩٩ من ميثاق الأمم المتحدة التى تقرر أن « للأمين العام أن ينبه مجلس الأمن الى أية مسألة يرى أنها قد تهدد حفظ السلم والأمن الدولى » ٠ ومنطقى أن الأمين العام يحتاج ، قبل أن يكون رأيه ، الى جمع معلومات والتحرى بل وحتى المفاوضة ، وتلك حقوق ضمنية تمنحها المادة للأمين العام ٠

تتحمل كل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية نفقـــات اللجنة لمدة شهرين(١) • ولمـا وصلت الأمور الى هذه المرحلة طلب الاتحـاد السوفيتى بحق عقد اجتماع لمجلس الأمن لأن القرارات المتعلقة بالسلم والأمن الدولى يجب أن تتخذ بمعرفة مجلس الأمن • واجتمع المجلس فى ١١ يونيو وأقر التصرف الذى اتخذه الأمين العام وطلب اليه أن يوافيه بتقرير عن تنفيذ هذا القرار • وتكونت اللجنة من مائتى شخص بقصد المراقبـــة والتحقيق والتقرير ولكنها لم تخول أية سلطة لاقرار السلام • وباشرت عملهـــا فى ٤ يوليو وقد تكررت الشكاوى للأمين العـــام من الأطراف المتنازعة وبريطانيـا بشأن اعتداءات متبادلة • وفى سبتمبر أخطر رئيس اللجنة الأمين العام أن الطرفين لم ينفذا تعدهما بسحب قواتهما وأن القتال المتقطع مستمر • ورغم الأحداث التى مرت فقد ظلت لجنة الرقابة اليمنية الى سبتمبر سنة ١٩٦٤ •

وقد سبق أن ألمحت الى الأحداث التى جرت بعد ذلك الى أن تم الاتفاق فى أغسطس سنة ١٩٦٧ بين الجمهورية العربية المتحـــدة والمملكة العربيـــة السعودية أثناء مؤتمر الخرطوم على انهاء الحرب وأن تسحب الجمهورية العربية المتحدة المتبقى من قواتها فى اليمن وأن تعين حكومة مؤقتة فى صنعاء تحت رئاسة السلال ـ الذى كان يشغل منصب رئيس الجمهورية وقتئذ ـ بسلطات تنفيذية محدودة وأن تشكل لجنة ثلاثية ـ من العراق والمغرب والســودان ـ للاشراف على تنفيذ الاتفاق •

وقد أعلن السلال عدم التزامه بهذا الاتفاق واصفا اياه بأنه تدخل فى شئون اليمن ولكن حـــــدث فى ٦ نوفمبر ـ أثناء وجوده بالعراق ـ أن قام

---

(١) لم تتضمن تقارير الأمين العام شيئا عن تمويل اللجنة ولـــكن المفهوم ان الطرفين : الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية قد تحملا نفقات اللجنة أثناء بقائها وهذا المفهوم مستنبط من ان مد أجل اللجنة كان يتم بناء على موافقة منهما •

ومما يذكر أن الأمين العام أفاد أن الأمم المتحـــدة يمكن أن تتحمل تمويل هذه اللجنـة استنادا الى قرار الجمعية العمومية الصادر سنة ١٩٦٢ والذى يخوله حق الالتزام لمواجهة نفقات غير متوقعة وغير عادية فى حدود مليونى دولار دون حاجة للحصول على موافقة اللجنة الاستشارية للشئون الادارية والميزانية •

انقلاب ضده فى اليمن وتولى الأمر جمهوريون أكثر اعتدالا وتفهما للأوضاع ٠ وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار فى ١٣ نوفمبر ٠ ومع بدايات شهر ديسمبر كانت القوات المصرية قد باشرت الانسحاب من اليمن ٠ وقد عقد مؤتمر أخير - فى ١٢ يناير سنة ١٩٦٨ - بين الجمهوريين والملكيين ولكنه أخفق رغم الجهود التى بذلتها اللجنة الثلاثية للوصول الى تسوية محلية ٠

قوات الطوارىء الدولية The United Nations Emergency Force (UNEF) ١٩٥٦/١٩٦٧[1] :

نبذة تاريخية (أزمة قناة السويس) :

دعت أحداث سنة ١٩٥٦ فى الشرق الأوسط أن يرتبط النزاع العربى الاسرائيلى بأزمة قناة السويس مما دعى الأمم المتحدة الى اتخاذ خطوات غير مسبوقة لتحقيق الاستقرار فى المنطقة ٠

أبرمت فرنسا - وهى أحد الثلاثة الذين أصدروا تصريح سنة ١٩٥٠ - اتفاقا سريا مع اسرائيل فى ١٩٥٤ لتزويدها بالطائرات ٠ وأرادت مصر أن تحصل من الغرب على سلاح مماثل ولكن جهودها ذهبت أدراج الرياح فكان أن ولت وجهها شطر الشرق واستطاعت أن تحصل سنة ١٩٥٥ على صفقة الأسلحة التشيكية فراحت اسرائيل تسعى للحصول على مزيد من السلاح الفرنسى ٠ وهكذا بدأ سباق للتسلح فى المنطقة صاحبه عمليات فدائية واسعة النطاق - كان مركزها منطقة العوجة - أرهقت اسرائيل أيما ارهاق ، وتبرم اسرائيل من اصرار مصر على غلق قناة السويس وخليج العقبة فى وجهها ٠ وكان منطقيا أن يؤدى موقف فرنسا هذا الى تدهور العلاقات بينها وبين مصر الأمر الذى زاد سوءا لاعتقاد فرنسا أن مصر تساعد الثوار الجزائريين وأن التخلص من الحكم المصرى هو الوسيلة المثالية لاحباط حركة التحرير الجزائرية ٠

وقد حصل أيضا أن أعلنت الولايات المتحدة الامريكية فى ١٣ يوليو من

---

(١) Goodspeed, Stephen S: The Nature and Function of International Organization, 2nd ed., London, 1967, pp. 238-250.

ذات العام - أى سنة ١٩٥٥ - سحبها للعرض الذى سبق أن أبدته بتمويل مشروع السد العالى وهذا ما قابلته مصر بتأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو لكى تحصل من دخل القناة على ما تبنى به السد العـــالى • ورغم أن مصر أعلنت استعدادها لتعويض حملة الأسهم على أساس القيمة السوقية لليـــوم السابق - أى ٢٥ يوليو - والتزامها باتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة فى القنال وأن السلطات المصرية قد قامت - حتى بعد سحب الموظفين الأجانب من القناة فى ١٥ سبتمبر - بادارة القناة بكفاءة وقدرة فان هذا الوضع أزعج العالم الغربى الى حد كبير اذ أضاف الى آلام فرنسا وجمعها مع بريطانيا - التى كانت هى الأخرى على ود مفقود مع مصر بسبب موقف مصر من حلف بغداد - جمعهما على حب الانتقام من مصر • وهكذا تعاصرت الرغبة فى الكيد لمصر لدى كل من اسرائيل وفرنسا وبريطانيا فى وقت واحد وان اختلفت حوافز كل منها • واتجهت نية الثلاثة منذ البداية الى استعمال القوة لفرض وجهة نظرها على مصر • اذ تؤكد القرائن بأن فرنسا واسرائيل كانتا - منذ أغسطس سنة ١٩٥٥ - على اتصال وثيق لدراسة امكانية اتخاذ اجراء عسكرى وأن هذه المفاوضات نقلت الى ايدن شخصيا الذى لم يفصح عنها لمجلس الوزراء البريطانى الا فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٥ كما أن ايدن كان قد أعرب للأمريكان - منذ يوليو - عن احتمال اتخاذ اجراء من اجراءات القوة لفرض حل للمشكلة ولكن ايزنهاور ودالاس أوضـــحا له أن أمريكا ترى أن استخدام القوة ليس حلا مناسبا للمشكلة ولما كرر الامريكيون ذلك نحى ايدن منحى عدم اعلام الولايات المتحدة بتفاصيل خططه بعقيدة أن الولايات المتحدة لن تجد محيصا - اذا ما أقدمت بريطانيا على استخدام القوة - من تأييد هذا الموقف • واذن فالثابت أن الأطراف الثلاثة قد صمموا على استخدام القـــوة لأشهر سابقة على العدوان وأن الاتفاق تم بينهم على ذلك • وما اتخذوه من اجراءات سبقت الالتجاء الى القوة كانت بمثابة ذر للرماد فى العيون •

دعت بريطانيا الى عقد مؤتمر فى لندن يضم كـــل الدول الأطراف فى اتفاقية القسطنطينية والدول المعنية باستخدام قناة السويس • وقد دعيت مصر الى هذا المؤتمر ولم تدع اسرائيل ولا الدول الشيوعية • وقابل هـــذه

الدعوة اقتراح من مصر بعقد مؤتمر يضم خمسا وأربعين دولة - من بينها الدول الشيوعية - لاعادة النظر فى اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ وتأكيد حرية الملاحة · ولكن الغرب غض النظر عن الاقتراح المصرى وعقد مؤتمر لندن وانتهى الى قرارات كلف لجنـــة خماسية برئاســة منزيس - رئيس وزراء أستراليا - بتقديمها الى مصر · وفعلا حضرت اللجنة بمقترحاتها الى القاهرة فى ٣ سبتمبر ولكن مصر رفضت الاقتراحات مؤكدة أن ادارة قناة السويس والاشراف عليهـــا يجب أن يبقى فى أيد مصرية · واستأنف مؤتمر لنــــدن اجتماعاته خـــلال الفترة من ١٩ - ٢١ سبتمبر للنظر فى مقترحات مصرية مضادة ولكنه ذهب الى أنها من الغموض بحيث لا تصلح أساسا للتفـــاهم · وكان الأمر وقت ذاك معروضا على مجلس الأمن(١) فاقترحت الولايات المتحدة تكوين جماعة للمنتفعين بالقناة فى شكل منظمة دولية واعترضت روسيا على ذلك الاقتراح لمساسه بالسيادة المصرية ·

وقد قدم الأمين العام للأمم المتحدة خدماته الحميدة لدخول مصر وفرنسا وبريطانيا فى مفاوضات خاصة · وقد تقدمت هـذه المفاوضات الى حـد مكن الأمين العام فى ١٢ أكتوبر من أن يعد ست نقاط بدت أنها محل اتفاق بين الأطراف وهى :

١ - المرور الحر المفتوح فى القناة دون تمييز علنى أو مقنع ·

٢ - احترام السيادة المصرية ·

٣ - عزل القناة عن سياسات الدول ·

٤ - تسوية مسألة فرض الرسوم والعوائد بين مصر والمنتفعين ·

٥ - تخصيص حصة عادلة من الدخل لتطوير القناة ·

٦ - يحل الخلاف والأمور المعلقة بين مصر وشركة قناة السويس عن طريق التحكيم ·

---

(١) عرض الموضوع على مجلس الأمن لأول مرة فى ١٢ سبتمبر ·

وقد أقر مجلس الأمن هذه النقاط بالاجماع في قرار له بتـــاريخ ١٣ أكتوبر وبدا لأول مرة وكأن احتمالات النجاح متوفرة · ولكن الثلاثة كانوا بمعزل عن نية الخير فهم قد بيتوا أمرا هم عليه مجمعون · وعقــدوا اجتماعا سريا في سيفر في ٢٣ أكتوبر لمراجعة مخططهم العدواني النهائي · وفي ٢٩ أكتوبر هاجمت اسرائيل مصر فأسرعت الولايات المتحدة بطلب عقد مجلس الأمن · وأكد رئيس هيئة المراقبـــة أن اسرائيل انتهكت اتفاقيات الهـــدنة وتخطت الحدود الدولية وزعمت اسرائيل أنها اتخـــذت تلك الخطوة من قبيل الدفاع عن النفس ضد أعمال الفدائيين · وبدأت فصول المهزلة تمثل فصلا بعد فصل اذ أعقب هذا الهجوم انذار من بريطانيا وفرنســـا الى كل من مصر واسرائيل بسحب قواتها الى مسافة عشرة أميال من قناة السويس · وطبيعي أن ترفض مصر هذا الانذار اذ ليس مقبولا أن تتلقى مصر أوامر من بريطانيا وفرنسا بالكف عن الدفاع عن اقليمها · وتعرضت مصر في ١٠/٣١ لهجوم جوي فرنسي بريطاني ثم تتابعت عمليات العدوان الثلاثي ·

واستعملت بريطانيا وفرنسا حقهما في الاعتراض التوقيفي (الفيتو) فحالتا بذلك بين مجلس الأمن وبين اتخاذ قرار في الموضـــوع · واقترحت يوغوسلافيا احالة الأمر الى الجمعية العمومية · ورغم أن بريطانيا وفرنســـا صوتتا ضد هذا الاقتراح أيضا الا أنه يستند الى قرار الوحدة من أجل السلام ولذا تكفي فيه الأغلبية دون حاجة الى اجماع الدول ذات المقاعد الدائمة · وقد تقرر احالة الموضوع الى الجمعية العامة بقرار صـــــدر من مجلس الأمن في ١٠/٣١ · وازاء الضغط الذي واجهته الدولتان(١) وثورة الرأي العام العالمي اضطرتا الى الاستجابة الى نداء الأمم المتحدة بوقف اطلاق النار ، وأعلن ايدن استعداد القوات البريطانية للانسحاب بمجرد أن تحقق الأمم المتحدة وجودا يفصل بين مصر واسرائيل ·

في هذه الظروف نبتت فكرة قوات الطوارىء الدولية اقترحها لستر

---

(١) أصبح مركز الاسترليني مهددا ولم تسمح أمريكا لبريطانيا بسحب أرصدة من صندوق النقد الدولي لمقابلة المسحوبات على الاسترليني ·

بيرسون Lester Pearson من كندا وصاغها ونفذها داج همرشلد الأمين العام للأمم المتحدة ووافقت عليها الجمعية العمومية للأمم المتحدة(١) . وفى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ صدر قرار من الجمعية العمومية بانشـــاء قوة الطوارىء الدولية(٢) .

قوات الطوارىء الدولية واختصاصاتها(٣) :

صدر قرار الجمعية العمومية بانشاء قوة الطوارىء الدوليـــة فى دورة

---

(١) أصدرت الجمعية العمومية قرارها رقم ٩٩٨ فى ٤ نوفمبر ١٩٥٦ الذى ينص على أن الجمعية العمومية :

"Requests, as a matter of priority, the Secretary-General to submit to it within forty-eight hours a plan for the setting up, with the consent of the nations concerned, of an emergency international United Nations Force to secure and supervise the cessation of hostilities in accordance with all the terms of the aforementioned solution".

(٢) وهو القرار رقم ١٠٠٠ وقد جاء فيه « أن الجمعية العمومية :

"1. Establishing a United Nations Command for an emergency international force to secure and supervise the cessation of hostilities in accordance with all the terms of General Assembly resolution 997 (ES-I) of 2 November 1956 ;

"2. Appoints, on an emergency basis, the Chief of Staff of the United Nations Truce Supervision Organization, Major-General E.L.M. Burns, as Chief of the Command ;

"3. Authorizes the Chief of the Command immediately to recruit from the observer corps of the United Nations Truce Supervision Organization, a limited number of officers who shall be nationals of countries other than those having permanent membership in the Security Council, and further authorizes him, in consultation with the Secretary-General, to undertake the recruitement directly, from various Member States other than the permanent members of the Security Council, of the additional number of officers needed ;

"4. Invites the Secretary-General to take such administrative measures as may be necessary for the prompt execution of the actions envisaged in the present resolution."

(٣) راجع :

Bowett, D. : **United Nations Forces**, London, 1964.
Poirier, Pierre : **La Force Internationale d'Urgence**, Paris, 1962.
Goodrich, L. and Rosner, G. : **The United Nations Emergency Force**, II. Inst. Org., 1957.

عقدت استنادا الى قرار الوحدة من أجل السلام(١) . وقد قاد هذا البعض الى تصور أن اختصاصات قوات الطوارىء الدولية تستند الى قرار الوحـــدة من أجل السلام . ولكن آخرين ذهبوا الى أن أســـاس قوة الطوارىء يكمن فى قاعدة أن كل ما ليس ممنوعا فهو مباح ، ومن ثم فان قوات الطوارىء يجب أن تعتبر مشروعة طالما أنه لا يوجد ما يحرم الجمعية العمومية من اقامة قوة لاقرار السلام تعمل بموافقة الدولة المضيفة(٢) . وقال فريق ثالث بأن المواد ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ٢٢ من الميثاق تؤيد اقامة قوة كقوة الطوارىء الدولية التى

---

(١) « فى ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٥٠ طلبت الولايات المتحدة الى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ادراج مسألة « العمل المشترك فى سبيل السلم والأمن الدولى » بجدول أعمال الدورة الخامسة للجمعية العامة . وقد وافقت الجمعية العامة على طلب الولايات المتحـــدة فى ٢٦ من سبتمبر ١٩٥٠ وأحالت المسألة على اللجنة الســـياسية الأولى للبحث والدرس والتقرير . وقد بدأ النقاش فى اللجنة على أساس عـــدة مشروعات قامت بتقديمها عدة دول . ولعل أهم هـــذه المشروعات ذلك الذى تقدمت به كندا والولايات المتحدة وفرنسا والفلبين والمملكة المتحدة وتركيا وأورجواى ، والذى اصطلح على تسميته باسم العمل المشترك فى سبيل صيانة الســـلام . وقد وافقت عليه اللجنة السياسية ... ولقد سبق تقديم هذا المشروع وقوع عدة حوادث كان لهـــا أكبر الشأن فى تقديمه وفى قبوله ، ولعل أهم هذه الحوادث ما يلى :

« ١ - امتناع مندوب الاتحاد السوفيتى عن حضور جلسات مجلس الأمن منذ يناير ١٩٥٠

« ٢ - الاعتداء المسلح الذى وقع من جانب كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية فى ٢٤ من يونية ١٩٥٠

« ٣ - التجاء الأمم المتحدة لأول مرة الى تطبيق التدابير العسكرية لاعادة الأمن الى نصابه فى كوريا

« ٤ - تفاقم الموقف الدولى واتساع هوة الخلاف بين الكتلتين الشرقية والغربية

« وقد قصد بالمشروع .... تدارك النقص الملحوظ فى نظام هيئة الأمم المتحدة ، وتمكين الجمعية العامة من أداء وظيفة مجلس الأمن فى المحافظة على السلم والأمن الدولى فى الحالة التى يثبت فيها عجز المجلس المذكور عن أداء وظيفته الرئيسية بسبب تفرق الرأى بين الدول العظمى ذوات المراكز الدائمة فيه ، والعمل على ايجاد القوات الحربية اللازمة تحت تصرف هيئة الأمم المتحدة كى تستعملها عند الاقتضاء لدفع الاعتداء أينما وقع ، واقامة اللجـــان اللازمة لمراقبة الحالة الدولية ولتنسيق جهود الدول الأعضاء فى ميدان الاستعداد الحربى للدفاع عن الســـلم والأمن الدولى .. » .

(نقلا عن الدكتور حامد سلطان - القانون الدولى العام فى وقت السلم ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٩١٦ - ٩١٧) .

(٢) يرى الاتحاد السوفيتى ومعه بعض الدول الشيوعية عكس هذا وأن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة - الخاص بما يتخذ من الأعمال فى حالات تهديد السلم والاخلال به ووقوع العدوان - يمنع على الجمعية العمومية اتخاذ اجراء فيما يتعلق بانشاء قوات الطوارىء الدولية -

أنشأتها الجمعية العمومية(١) . ولكن هذا كله جدل نظرى يفقد الكثير من قيمته العلمية ازاء مسألة تعليق ارسال القوات على قبول الدولة المضيفة للقوات لأن الغالبية ارتأت ان فرض هذه القوات على الدولة يقتضى قرارا من مجلس الأمن(٢) . وعلى هذا الأساس اتصل الأمين العام بالحكومة المصرية ورتب لقيام الجنرال بيرنز بمحادثات فى القاهرة . وتم الاتفاق بين السلطات المصرية والأمين العام للأمم المتحدة على وضع تلك القوات(٣) . وكان واضحا

(١) يعترض أيضا الاتحاد السوفيتى على ذلك الرأى ويرى أن فهم هذه المواد فى سياق الباب السابع من الميثاق يؤكد أن اتخاذ اجراء عسكرى هو ميزة انفرادية لمجلس الأمن .

(٢) جاء فى التقرير الثانى والأخير الذى قدمه الأمين العام فى ٦ نوفمبر ١٩٥٦ بشأن مشروع قوة الطوارىء ما نصه :

"9. Functioning, as it would, on the basis of a decision reached under the terms of the resolution 337 (V) 'Uniting for Peace', the Force, if established, would be limited in its operations to the extent that consent of the parties concerned is required under generally recognized international law. White the General Assembly is enabled to establish the Force with the consent of those parties which contribute units to the Force, it could not request the force to be stationed or operate on the territory of a given country without the consent of the Government of that country. This does not exclude the possibility that the Security Council could use such a Force within the wider margins provided under Chapter VII of the United Nations Charter..."

(٣) أخطرت مصر الأمين العام بقبولها قرار الجمعية العمومية الصادر بتاريخ ٥ نوفمبر . وقد اعتبر الأمين العام أن هذا القبول يمكن أن يعتبر قبولا بانشاء القوة الدولية طبقا للشروط التى تضعها الأمم المتحدة . وقد استفسرت مصر من الأمين العام عن بعض نقاط تتعلق بالقرار وأجابها الأمين العام على استفسارها . واستنادا الى القرار والتفسير الذى قدمه الأمين العام قبلت مصر وصول القوات الدولية وقد اتخذت أول دفعة من هذه القوات أماكنها فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ . ولكن الأمين العام أحس بضرورة ارساء أساس أقوى لوجود القوات الدولية وقيامها بوظائفها فى مصر واستمرار تعاون السلطات المصرية معها . ولذا سافر الى مصر للتباحث مع المسئولين المصريين ثم قدم مذكرة بمباحثاته ذكر أن قبولها من الجمعية العمومية ومصر يكون تفاهما بين الجهتين يمكن على أساسه تدعيم التعاون وابرام الاتفاقات التفصيلية . وفى هذا التفاهم وافقت مصر على أن تمارس حقوقها السيادية على ضوء حسن النية وقبولها لقرار الجمعية العمومية رقم ١٠٠٠ كما قبلت الأمم المتحدة أن تحتفظ بالقوات الى أن تتم مهمتها . وقد أوضح مندوب مصر أمام الجمعية العمومية بجلسة ٢٦ نوفمبر أن حسن النية لا يضع أى قيد على حق مصر فى أن تسحب موافقتها لاستمرار بقاء وعمل قوات الطوارىء الدولية على اقليمها ومما قاله فى هذا الصدد :

"As must be abundantly clear, this Force has gone to Egypt to help Egypt, with Egypt's consent; and no one here can reasonably or

منذ البداية ان مبدأ الموافقة ليس قاصرا على الدولة المضيفة بل انه ينصرف أيضا الى الدول المساهمة • ولذا بين الأمين العام ان قوات الطوارىء ستقوم فقط بالعمليات التي يوافق عليها الأطراف المعنيون طبقا لقواعد القانون الدولى •

وقد واجهت الجمعية العمومية - في ديسمبر سنة ١٩٦١ - أزمة مالية وسياسية متزايدة قررت معها أن تستفتى محكمة العدل الدولية فيما اذا كانت النفقات التى تقرها الجمعية العمومية بالنسبة لقوات الطوارىء هى نفقات للمنظمة في معنى المادة ٢/١٧ من ميثاق الأمم المتحدة • وقد أكدت المحكمة في فتواها أن الاجراء الذى يتخذ فى داخل نطاق الأمم المتحدة يمكن أن يثير « نفقات المنظمة » حتى ولو كان قد اتخذ أو نفذ بطريقة لا تتفق مع توزيع الاختصاصات بين الجمعية العمومية ومجلس الأمن(١) • ومع ذلك فقد ناقشت المحكمة الاختصاص القانونى لقوات الطوارىء الدولية فى اقرار

---

fairly say that a fire brigade after putting out a fire, would be entitled or expected to claim the right of deciding not to leave the house".

ورغم أن الأمين العام لم يتعرض لتفسير المقصود بحسن النية ولم يثبت تحديدا واضحا لذلك فقد جاء في مذكرة له بتاريخ ٥ أغسطس فقرة لها صلة بهذا الموضوع أرى مناسبة ذكرها هنا هى :

"The question arose in relation to Egypt first in a cable received 9 November from Burns, covering an interview the same day with Fawzi. In that interview Egypt had requested clarification of the question how long it was contemplated that the Force would stay in the Demarcation Line area. To this I replied the same day. A definite reply is at present impossible, but the emergency character of the Force links it to the immediate crisis envisaged in the resolution of 2 November and its liquidation. In case of different views as to when the crisis does not any longer warrant the presence of the troops, the matter will have to be negotiated with the parties". In a further cable to Burns the same day I said, however, also that "as the United Nations Force would come with Egypt's consent, they cannot stay nor operate unless Egypt continues to consent."

وقد ذهب البعض الى أن مصر قبلت ألا تسحب القوات الا بعد أن تتم مهمتها استنادا الى مذكرة شخصية لداج همرشلد ولكن الأمين العام الحالى انكر اية قيمة لهذه المذكرة أو أنها تلزم مصر •

(١) صدرت هذه الفتوى في ٢٠ يوليو ١٩٦٢ بعنوان « نفقات معينة للأمم المتحدة » • راجع ICS Rep. 1962, p. 168.

السلام ، وهذه مناقشة ذات صلة بالأساس القانونى لقوات الطوارىء الدولية وانتهت من هذه المناقشة الى أن الجدل الذى يستند الى المادة ٢/١١ من الميثاق للحد من اختصاص الجمعية العمومية بشأن الميزانية فيما يتعلق بأمور السلام هو جدل يفتقر الى ساق يقف عليها(١) • وقد وصفت الفتوى قوات الطوارىء الدولية بأنها فرع ثانوى للجمعية العمومية أنشىء بطريقة قانونية طبقا للمادة ٢٢ من ميثاق الأمم المتحدة(٢) على أن الوحدات الوطنية بقيت جزء من قواتها الوطنية رغم قسمها يمين الولاء الدولية • ونص فى الاتفاق الذى أبرم مع مصر بشأن المركز القانونى للقوات على أن تقوم الدول بتوقيع الجزاء اذا لزم على قواتها الوطنية على أنها بجانب ذلك تخضع للسلطات التأديبية لقياداتها وأعطى للبوليس الحربى حق القبض بالنسبة لكل كتيبة كما خول القائد سلطة انشاء بوليس حربى يساهم فى سلطة الجزاء •

وقد فوضت الجمعية العمومية للأمم المتحدة الأمين العام بسلطات واسعة فيما يتعلق بقوات الطوارىء الدولية بادئة بذلك فترة امتدت لأربع سنوات تميزت بسياسة « اتركها لداج leave it to-day » الذى استعان فى الشئون الاستراتيجية باللجنة العسكرية المكونة من ممثلى الدول المساهمة ، وفى الشئون السياسية باللجنة الاستشارية التى أقامها قرار الجمعية العمومية رقم ١٠٠١(٣) لكى تساعد الأمين العام فى خطط وعمليات القوة الدولية •

---

(١) تنص المادة ٢/١١ من ميثاق الأمم المتحدة على ما يلى : « للجمعية العامة أن تناقش أية مسألة تكون لها صلة بحفظ السلم والأمن الدولى يرفعها اليها أى عضو من أعضاء « الأمم المتحدة » ومجلس الأمن أو دولة ليست من أعضائها وفقا لأحكام الفقرة الثانية من المادة ٣٥ ، ولها — فيما عدا ما تنص عليه المادة الثانية عشرة — أن تقدم توجيهاتها بصدد هذه المسائل للدولة أو الدول صاحبة الشأن أو لمجلس الأمن أو لكليهما معا • وكل مسألة مما تقدم ذكره يكون من الضرورى فيها القيام بعمل ما ، ينبغى أن تحيلها الجمعية العامة على مجلس الأمن قبل بحثها أو بعده » •

(٢) تنص المادة ٢٢ من ميثاق الأمم المتحدة على أنه « للجمعية العامة أن تنشىء من الفروع الثانوية ما تراه ضروريا للقيام بوظائفها » •

(٣) طلب الأمين العام من الجمعية العمومية أن تنشىء هذه اللجنة الاستشارية التى ظلت قائمة الى أن سحبت قوات الطوارىء من الجمهورية العربية المتحدة ولو ان دورها قلت أهميته بعد بضعة أشهر عندما كانت معظم المشاكل الهامة قد حلت • ومن الأمور التى استنصحت فيها اللجنة الاستشارية اصدار اللوائح الخاصة بقوات الطوارىء كما قامت بدور هام فى قطاع غزة

وقد أصر الأمين العام على أن تشكيل القوات واختيار الجنسيات التى تساهم فيها هى حقه الخالص وليست حقا للدولة المضيفة ، وان كان الاختيار يتم بعد التفاهم مع الحكومة المضيفة وكان يستجيب للاعتراضات الجدية التى تقدم له(١) .

ولما كانت قوات الطوارىء قوات دولية تتكون من كتائب وطنية(٢) فان هذه الحقيقة اقتضت ترتيبات تواجه مشاكل تتعلق بالمبدأ والعمل . وتتعلق مسألة المبدأ بأن الكتائب الوطنية انما تخدم الأمم المتحدة وليست مصالح دولة بعينها ، أما المسائل العملية فتتضمن حاجة الأمم المتحدة لأن تزود كتائبها بالحماية اللازمة وأن تقيم قيادة واتصالا وترتيبات مالية تناسب

عندما كانت الأمم المتحدة تعين اداريين مدنيين للقطاع .

وقد نص القرار ١٠٠١ بشان اللجنة على ما يلى : «

"6. Establishes an Advisory Committee composed of one representative from each of the following countries: Brazil, Canada, Ceylon, Colombia, India, Norway and Pakistan, and requests this Committee, whose Chairman shall be the Secretary-General, to undertake the development of those aspects of the planning for the Force and its operation not already dealt with by the General Assembly and which do not fall within the area of the direct responsibility of the Chief of the Command."

وقد جاء فى دراسة موجزة أجراها الأمين العام عن اللجنة بتاريخ ١٩٥٨/١٠/٩ ما نصه :

"In its advisory capacity, this Committee was to assist the Secretary-General in the planning and operation of the Force. It was empowered to request, through the usual procedures, the convening of the General Assembly and to report to the Assembly, if matters should arise which, in its opinion, were of such urgency and importance as to require consideration by the Assembly itself...".

(١) اعترضت مصر مثلا على ثلاث من دول الكومنولث التى أبدت استعدادا لارسال وحدات ضمن قوات الطوارىء الدولية هى نيوزيلاندا وباكستان وكندا ، وان كانت قد توصلت الى تسوية بالنسبة للقوات الكندية .

(٢) تنص الفقرة السادسة من التنظيم الذى قبلته الدول المساهمة على أن « أفراد القوات الدولية يعتبرون أثناء فترة خدمتهم فى القوات موظفين دوليين خاضعين لسلطة الأمم المتحدة رغم بقائهم فى خدمتهم الوطنية » .

"Members of the Force although remaining to the Force, international personnel under the authority of the United Nations."

الجنسيات المختلفة التى تتشكل منها القوات وتتفق مع صفتها الدولية(١) ٠

وقد نظمت العلاقة بين الأمم المتحدة وبين الـــدول المساهمة باتفاقات أبرمت فى ٢١ يونيو سنة ١٩٥٧ اذ وجه الأمين العام لكل دولة مساهمة كتابا فكان هذا الكتاب وجواب الدولة المعنية عليه هو الاتفاق الذى نظم العلاقة بين الأمم المتحدة والدول المساهمة ٠ ويشير كتاب الأمين العام الى المبادىء العامة والسياسة التى تتبعها الجمعية العامة وكذا نصوص الاتفاق الذى تم مع مصر فى ٨ فبراير سنة ١٩٥٧ بالنسبة للوضع القانونى للقوات(٢) ٠ وتجيز هذه الاتفاقات للدولة المعنية أن تسحب قواتها بعد أن تخطر بمهلة مسبقة ٠

وتنص الفقرة ١٢ من الاتفاقية الخاصة بالوضع القانونى للقوات على أن تسوى المنازعات بين الأطراف عن طريق التحكيم ٠ وبجانب هذه القواعد العامة تضمنت الاتفاقات ترتيبات مالية تتعلق بالتعويض عن الوفاة أو الاصـــابة وتوزيع النفقات بين الأمم المتحدة والدول المساهمة ٠

وقد وقـــع وزير الخارجيـــــة المصرية والأمين العـــــام - فى فبراير ١٩٥٧ - على خطابات متبادلة اعتبرت هى اتفاق الطرفين بشأن المركز القانونى لقوات الطوارىء ٠ ويعتبر هـــــذا الاتفاق هو والاتفاق العام على حصـــانات وامتيازات الأمم المتحدة سنة ١٩٤٦ (الذى انضمت اليـــه مصر فى سبتمبر سنة ١٩٤٨) واللوائح التى صدرت لقوات الطوارىء الدوليـــة بمثابة الاطار القانونى الذى يحكم نشاط تلك القوات فى الاقليم المصرى ٠

ويمثل اتفاق ٨ فبراير توازنا بين السيادة المصرية - وهى ليست محل جدل - وبين الصفة الدولية لقوات الطوارىء ٠ وقد منحت القـــوات مركزا وظيفيا أى أن الترتيبات التى تم الاتفاق عليها لم تكن بقصـــــد منح ميزات شخصية لأفراد وانما استهدفت تيســـــير قيـــام قوات الطوارىء الدوليـــة

---

(١) وضعت بعض الدول تحفظات كشرط لتقديم قواتها ، من ذلك مثلا الســـويد التى أوضحت ان مهمة القوات لا تعنى أن القوة ستبقى لمدة غير محددة أو حتى تتم تسوية المشـــاكل السياسية التى تمس المنطقة ٠ ولكن هذه التحفظات ومثيلاتها لم تثر عقبة كبيرة بالنسبة للأمين العام ٠

(٢) لم تجب أندونيسيا وكولومبيا على كتاب الأمين العام ثم سحبت كتائبها بعد ذلك ٠

بالوظائف المتفق عليها •ولا أقصد هنا الى تفصيل المبادىء التى تضمنها الاتفاق ولكنى أقتصر فقط على ايراد بعض المبادىء الهامة التى تضمنها •

منح قائد القوات وعائلته الحصانات والامتيازات التى يمنحها الاتفـــاق العام بشأن الحصانات والامتيازات لكل من الأمين العـــام والأمناء المساعدين وتبعا فانه يتمتع بحصانة بالنسبة لأعماله الوظيفية كما يتمتع بحصـــانة بالنسبة لحياته الخاصة وشخصه وأمتعته ولا يجوز انتهـــاك حرمة أوراقه • ويعفى من الضريبة على راتبه وتقدم له ـ أثناء انتقالاته الرسمية ـ التسهيلات التى تقـــدم للممثلين الدبلوماسيين • أما باقى موظفى القيـــادة فيتمتعون بالحصانات والامتيازات التى تمنح لخبراء الأمم المتحدة الذين يكلفون بمهمـة فلا يجوز القبض عليهم ولا يخضعون فى أعمالهم الرسمية للقضـــاء المحلى وأوراقهم ذات حصانة • ونظرا لأن هذه حصانات وظيفية فان من حق الأمين العام أن يتنازل عنها • أما الموظفون المحليون فانهم لا يخضعون للاختصاص المحلى فى أعمالهم الرسمية ولكنهم لا يتمتعون بالحصانات المالية ••

ويعفى أفراد القوات من الضرائب المصرية ووضعت لهم ترتيبات خاصة بالنسبة للجمارك وقيود النقد الأجنبى • ولا يخضعون للقضاء المدنى بالنسبة لأعمالهم الرسمية فحسب • وقائد القوات هو المرجع فيما يعتبر أو لا يعتبر من قبيل الأعمـــال الرسمية • وقد سبق أن قلت ان هذه القوات تخضـع لاختصاصها الجنائى الوطنى • وهنا يجب أن نلاحظ أن الأمين العام لا يملك التنازل عن الحصانة الجنائية المقررة لأفراد قوات الطوارىء الدولية ، وهـذا يعنى أن حصانتهم ذات طبيعة أكثر اطلاقا من تلك التى لموظفى مقر القيـــادة والأمانة •

ورغم أن مصر هى التى تقدم مبانى قوات الطوارىء الدولية الا أنهـــا ذات حصانة وتخضع للاشراف الخالص لقائد القوات • كذلك يضمن الاتفاق للقوات حرية المواصلات والحركة •

وقد أثبت الواقع ـ خلال فترة اقامة القوات ـ أن الاتفاق الخاص بالمركز

القانونى لقوات الطوارىء كان اتفاقا مرضيا ولم يثر مشاكل جدية فى التطبيق .

أما موقف اسرائيل من هذه القوات فقد بنى على ادعائها بأن اتفاقيات الهدنة قد انتهت . ولكن الأمين العام للأمم المتحدة لم يقبل هذا الزعم وأضاف أن قوات الطوارىء الدولية ستمارس الكثير من وظائف الاشراف التى تمارسها هيئة رقابة الهدنة فيما يتعلق بالهدنة وراحت تختلق الأسباب للتلكؤ فى الانسحاب من ذلك مثلا زعمها بأن قرارات الأمم المتحدة نصت على انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المصرية ومن ثم فان القرار لا ينصرف الى قطاع غزة لأن غزة ليست اقليما مصريا . وهذا زعم أنكره الأمين العام للأمم المتحدة بشدة . وقد أصدرت الجمعية العمومية قرارها رقم ١١٢٤ فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٧ تنعى فيه على اسرائيل تخلفها فى الانسحاب الى خلف خطوط الهدنة وتأمرها بالانصياع الى ذلك فورا الأمر الذى حد من عنجهية اسرائيل . وقد أفاد الأمين العام الجمعية العمومية بعد شهر من صدور قرارها السالف بأن اسرائيل قد تمشت بموجبه ولكنها رفضت أن تتمركز قوات الطوارىء الدولية على جانبها من خط الهدنة .

أما بالنسبة لانجلترا وفرنسا فقد سبق أن قلت انهما حفظا لماء الوجه اعتبرا أن قوات الطوارىء الدولية هى القوة المطلوبة للفصل بين اسرائيل ومصر وأن وجودها يجعل بقاء قواتهما فى مصر غير لازم . وانتهى بهما الأمر — بعد محاولات للماطلة — الى سحب قواتهما من مصر(١) . وقد بدأ انسحاب هذه القوات فى ١٢ ديسمبر وتم جلاؤها فى ٢٢ ديسمبر .

وقد تقاسمت الأمم المتحدة نفقات قوات الطوارىء بينها وبين الدول المساهمة فحملت الدول المساهمة رواتب أفراد القوات وما يحتاجونه من سلاح وتموين وخدمات وتحملت هى ما عدا ذلك من نفقات(٢) . واقتضى هذا من

---

(١) أكدت مصر أنها لن تسمح بتطهير قناة السويس الا بعد أن يتم جلاء قوات العدوان ، وهذا هو ما حدث فعلا .

(٢) هذا هو ما نص عليه قرار الجمعية العمومية رقم ١٠٨٩ فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٦ اذ قررت

الأمم المتحدة أن تزيد من ميزانية النفقات السنـــوية وفضلت أن تجرى تلك الزيادة بصفة عرضية منفصلة فقررت الجمعية العمومية فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ أن تخصص مبلغ عشرة ملايين دولار(١) — فى حساب خاص خارج الميزانيـة العادية — لذلك الغرض . وقد مون هـــذا الحساب الخـــاص من مصـــدرين رئيسيين هما توزيع مبلغ منه على الدول الأعضـــاء بنسبـــة مساهمتهم فى الميزانية العادية والمساهمات الاختيارية لتغطية الفرق بين النفقات الفعليـــة وبين ما خصص لها فى ميزانية الأمم المتحدة . وقد ذهبت روسيا وحلفاؤها الى أن الذى يجب أن يتحمل نفقات قوات الطوارىء هم الـــدول المعتدية التى كان عدوانها سببا فى انشاء هذه القوات ، وليست الدول أعضاء الأمم المتحدة كافة . وقد أيدت دول أمريكا اللاتينية هذه النظرة فيما يتعلق بنفقات تطهير قناة السويس . ولكن الجمعية العمومية اتخذت قرارا فى دورتها الثانية عشرة (القرار رقم ١١٥١) بتوزيع النفقات على الأعضـــاء بنســـبة حصصهم فى الميزانية العامة . وفى قرارها رقم ١٤٤١ (٥ ديسمبر ١٩٥٩) خففت أعباء المساهمة على الدول النامية وفى ســـنة ١٩٦٠ أقرت مسموحات للدول الأقل قدرة على الدفع .

وقد لاقت الأمم المتحدة فى سبيل الانفاق على القوات بعض الصعـــاب المالية ولا أرى أن الخوض فيها ذا أهمية تستدعى مزيدا من الاسهاب(٢) .

"That the expenses of the United Nations Emergency Force, other than for such pay, equipment, supplies and services as may be furnished without charge by Governments of Member States, shall be borne by the United Nations and shall be apportioned among the Member States, to the extend of $ 10 million, in accordance with the scale of assessments adopted by the General Assembly for contributions to the annual budget of the Organization for the financial year 1857..."

(١) زيد هذا المبلغ بعد ذلك عدة مرات بقرارات لاحقة .

(٢) تأخرت بعض الدول فى دفع ما عليها من حصة ومن بينها فرنســـا وروسيا التى بلغ ما تأخر عليها سنة ١٩٦٢ حدا يسمح بتطبيق حكم المادة ١٩ من الميثاق عليها (وهو الحرمان من حق التصويت) . وقد أثار ذلك أزمة حادة فى الأمم المتحدة لا سيما وأن روسيا أعربت عن استعدادها للانسحاب من الأمم المتحدة اذا طبق عليها هذا الجزاء . ولكن الأمم المتحدة تمكنت لحسن الحظ من تخطى هذه الأزمة بسلام .

كان على قوات الطوارىء أن تبدأ أولا بمراقبة انسحاب قوات العدوان من منطقة القنال ثم تنتقل بعد ذلك لاتخاذ مواقعها على خط الهدنة المصرية الاسرائيلية لسنة ١٩٤٩ .

وهكذا كانت مهمة قوات الطوارىء الدولية مهمة متعددة الوجوه : أن تؤمن توقف أعمال العدوان وتشرف على وقف اطلاق النار وأن تتـأكد من الانسحاب المنظم للقوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية وأن تخفر مناطق الحدود وأن تراقب احترام شروط الهدنة المصرية الاسرائيلية . ولكى نقـدر مدى نجاح القوات فى مهمتها سأتناول كلا من هذه الموضوعات واحدا بعـد الآخر .

لقد حققت قوات الطوارىء الدولية توقف أعمال العدوان ووقف اطلاق النار فى فترة ليست بطويلة باستثناء بعض حوادث فردية .

أما مهمتها بشأن التأكد من انسحاب قوات العدوان فقد طال أمدهـا بعض الوقت اذ زعم البريطانيون والفرنسيون أن انسحابهم قبل الأوان - أى قبل أن تصبح قوات الطوارىء قادرة على القيام بأعبائها بصورة فعالة - يمكن أن يكون ضارا . كما أن اسرائيل ماطلت فى الانسحاب من قطاع غزة وبعض نقاط أخرى . ولكن قوات الغدر اضطرت أخيرا الى الانسحاب .

وفيما يتعلق بخفر مناطق الحدود فقد سبق أن قلت أن اسرائيل تنكرت لاتفاقات الهدنة وأنهت استنادا الى ذلك سحبت تمثيلها فى لجان الهدنة المشتركة . ورغم أن بقية من هيئة رقابة الهدنة استمرت تعمل على خط الهدنة المصرية الاسرائيلية فان الجزء الغالب من مهمة جوب هذه المناطق أسـند الى قوات الطوارىء الدولية التى قامت بمهمتها بنجاح ملحوظ فى ظروف قلقة(١) .

---

(١) لا اقصد بهذا أن القوات نجحت فى وقف كل انتهـاك لخط الهدنة - فكم من مرة اجتمعت الأمم المتحدة لنظر انتهاكات متكررة من الجانب الاسرائيلى لاتفاقات الهدنة - وانما اعنى أنها وفقت فى التقليل من هذه الانتهاكات الأمر الذى عبر عنه الأمين العام فى تقرير له بتاريخ ٢٧ اغسطس سنة ١٩٥٨ بقوله :

"The operation of UNEF throughout this year, in all aspects of its

بقيت مهمة الاشراف على اتفـــاقيات الهدنة . وهنـــــا نلاحظ تناقض اسرائيل مع نفسها اذ رغم ادعائها بأن اتفاقيات الهدنة لم تعد لها قوة ملزمة ـ فانها كانت تبدى اهتماما كبيرا بالابقاء على خط الهدنة المتفق عليه . وقد أدى وجود قوات الطوارىء الدولية الى هدوء نسبى فى المنطقة . ولكن يؤخذ عليها أنها تساهلت فى السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور من خليج العقبة الذى أغلقته مصر بحق فى وجه الملاحة الاسرائيلية . والواقع أن وجودها فى هذه المنطقة لم يكن يبرر هذا التصرف لأن مهمتها أساسا هى الوقوف بين القوات المصرية والاسرائيلية وليس هناك خط هدنة عند شرم الشيخ(١) . وتلك فى أغلب الظن كانت خدعة أمريكية حيث كانت تأمل أن تتخذ من الظروف مناسبة للوصول الى تسوية على هواها للنزاع العربى الاسرائيلى . وهو ما سجلت مصر حقها القانونى حياله باثبات اعتراضها واحتجاجها . وقد سحبت قوات الطوارىء الدولية من اقليم الجمهورية العربية المتحدة بناء على طلبها على نحو ما سأوضح فى الفصل التالى .

وأيا كان الحكم على الدور الذى قامت به قوات الطـــوارىء الدولية فى المنطقة العربية فان فكرة قوات الطوارىء الدولية من حيث هى نموذج طيب

---

task, has continued to produce the same favourable results as those described in the previous report. During the period covered in this report, virtually unbroken quiet has prevailed along the entire line between Egypt and Israel".

وقد استمر هذا الجهد المحمود للسنوات التالية كذلك .

(١) وقد أبدى مستر كوتزنستوف ـ المندوب الروسى لدى الأمم المتحدة ـ ملاحظة جديرة بالذكر فى هذا الخصوص أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة يوم ١٢ فبراير ١٩٥٧ .

قال المندوب الروسى :

"7. We cannot help asking what is meant here by the separation of Egyptian and Israel forces, for after the Israel forces have been withdrawn from this area where, incidentally, there is no demarcation line — there will be no one at all to separate. Consequently, the United States proposal for the placing of United Nations forces in the Sharm el Sheikh area must be seen as an attempt to bring about the illegal occupation of a part of Egyptian territory for its own far-reaching purposes. The additional explanations of the United States representative have shed no new light on the matter".

لعملية عازلة بين دول متنازعة ويا حبذا لو أن الأمم المتحدة استطاعت أن تنشىء قوة ثابتة للسلام على أساس دائم فتستغنى بذلك عن انشاء تلك القوة كلما طرأت حاجة عاجلة لها • وقد أصبح لدى المنظمة العالمية الآن من الخبرة ما يسمح لها بأن تمارس هذه المهمة بنجاح وعندها لذلك نواة صالحة فى هيئة رقابة الهدنة • ولعل ميزة هذا الاقتراح أنه يتجنب مضار البدء فى التفكير فى انشاء القوة بعد أن يكون النزاع قد نشب والخطر قد تحقق والحاجة الى تهدئة الخواطر لا تتحمل الانتظار(١) •

---

(١) يرى الأمين العام للأمم المتحدة فى حديث ألقاه يوم ١٣ يونيو ١٩٦٣ أمام جماعة خريجى هارفارد ان عقبات كأداء تحول دون الأخذ بهذا الرأى ، اذ فى تقديره أن اقتراح انشاء قوة دائمة للأمم المتحدة ليس اقتراحا عمليا فى هذه الآونة ويضيف قوله :

"I doubt whether many Governments in the World would yet be prepared to accept the political implications of such an institution and, in the light of our current experience with financial problems, I am sure that they would have very serious difficulties in accepting the financial implications.

"I believe that we need a number of parallel developments before we can evolve such an institution. We have to go further along the road of codification and acceptance of a workable body of international law. We have to develop a more sophisticated public opinion in the world, which can accept the transition from predominantly national thinking to international thinking.

"We shall have to develop a deeper faith in international institutions as such, and a greater confidence in the possibility of a United Nations civil service whose international loyalty and objectivity are generally accepted and above suspicion".

نقلا عن :

Bloomfield, L.P. : **International Military Forces, The Question of Peacemaking in a Disarming and Disarmed World**, Boston, 1964, pp. 260-267.

الفصل الثالث

فى

العرب واسرائيل

الفرع الأول

فى

الفكر الاسرائيلى السياسى

القومية الروحية والصهيونية فى الفكر الاسرائيلى :

لم يأل اليهود المتعصبون جهدا فى خلــق المبررات وابتداع النظريات لاضفاء منطق زائف على دعوتهم للعودة الى فلسطين · ولعل أبرز ما ظهروا به فى هذا الميدان كان نظرية القوميــة الروحية اليهــودية أولا ثم تلتها فكرة الصهيونية ·

والقومية الروحية اليهودية رأى ينادى بأن اليهود عاشــوا فى الماضى كأمة وأن هذه الأمة وان كانت قد فقدت الاقليم الذى تستقر عليه الا أنهــا بقيت وستظل أمة تجمعها فلسفة روحية · وتبنى فلسفة القومية الروحيــة اليهودية نظريتها على أن القومية انما تضم فى مجموعها جماعة صنعتها ظروف تاريخية ثقافية كان يوحدها فى البداية الأصل المشترك واللغــة والاقليم والدولة ، ولكنها حققت ـ بعد فترة من الزمن ـ وحدة روحية قائمة على تراث ثقافى مشترك وتقاليد تاريخية ومثل اجتماعية وروحية وغير ذلك من الخصائص النموذجية التى تربط بين أفراد هذه القومية وان تشتتوا فى الأرض وتباعدوا فى الاقليم · ان أصحاب هذه النظرية يدعون أن القومية التى مرت بمراحل

التطور حتى أصبحت تملك رصيدا من الأفكار والمشاعر والحاجات المشتركة تعبر عن أمل فى تطور مستقبل يجب أن تتمتع بذاتية خاصة لكى تحافظ على كيانها داخل الأسرة الدولية ·

والمعيار الجوهرى – عند دعاة هذه الفكرة – لوجود مثل تلك القومية هو الاحساس بها أى شعور أصحابها بها وكأنهم يسيرون على منطق الفيلسوف الفرنسى – ديكارت – أنا أحس بأننى عضو فى قومية روحية اذن فهناك قومية روحية ·

ان أصحاب النظرية أحسوا بأن قوميتهم تفتقر الى حماية دولة كما أنها مجردة من اقليم تنتسب اليه بوجودها المادى فزعموا أن هذا النقص يمكن أنه يعوض ببديل يغنى عنه – ذلك البديل هو تنمية قوى من الدفاع الداخلى تستخدم طاقتها الوطنية لتدعيم العوامل الوجدوية الاجتماعية والروحية ، تلك العوامل التى تكون بمثابة السلاح الذى تحارب به القومية من أجل بقائها · وذلك عند أصحاب هذه النظرية هو حال القومية اليهودية التى وصلت الى هذه المرحلة فتاريخها الطويل الفريد قد قوى من عزيمة الأمة وحرك قواها الحيوية رغم أنه لم تكن هناك دولة لتحميها أو اقليم لتعيش عليه· وأن هذه القومية ستظل باقية وستقوى ارادتها القومية – كما فعلت فى الماضى – رغم أن الأشكال قد تختلف · وتؤكد هذه النظرية أن الشعب اليهودى يعيش كقومية ثقافية فى ضمير غالبية أفراده الذين لا زالوا يتصورون أنفسهم على أنهم أمة دينية من حيث أن الثقافة القومية والدين أصبحا أمرا واحدا ومن حيث أن الدين سيطر على حياة الشعب لعدة أجيال ، وأن القومية اليهودية يجب أن تفهم – من الناحية الأخلاقية – على أنها افصاح عن القومية الفاردة ·

ان هذا المذهب الذى يبتدع ما أسماه بالقومية الروحية يريد أن يتخذ من فلسفته مبررا يؤيد المطالبة بوطن قومى لليهود · والواقع أن فكرة القومية الروحية فكرة مضللة لأن اليهود انتشروا فى مختلف أنحاء المعمورة منذ ثلاثة عشر قرنا وتبعا فلم تعد هناك ذكريات حاضرة تجمع بين اليهودى المقيم فى

روسيا مثلا وبين اليهودى المقيم فى فرنسا بعد أن طالت فرقتهما(١) • ومن ثم فليس لليهود تاريخ مشترك بالمعنى الذى يوفر لهم العنصر الاجتمـــاعى لقيام أمة(٢) •

ثم ان اليهود لا تجمعهم لغة واحدة تربطهم وتصل بين ماضيهم وحاضرهم فقدنسيت الغالبية الساحقةمنهم اللغة العبرية وغدتتتكلم لغةالجماعة التى تعيش بين ظهرانيها • ولعل العامل المشترك الوحيدالذى يجمع بين اليهود هو الدين، ولكن الدين ليس عنصرا من العناصر الأساسية فى تكوين الأمة فقد خرج عن نطاق السياسة وفصل عن الدولة • ثم اننـــــا اذا فهمنا الدين على أنه دين منزل من السماء ، وهذا هو حال الدين اليهودى ، نجد أن دعوة الدين تتنافى مع القومية اللهم اذا قصدنا بالقومية رابطة تمتد الى كافـــة شعوب العالم لأن الأديان السماوية تقوم على دعوة عالمية النطاق وتسعى الى جمع كافة الشعوب ويذكر بعض الـكتاب أن هذا الخليط من الناس كان يتكلم عشرين لغة(٣) • الطريق أناسا يتكلمون لغات مختلفة يصعب عليهم التفاهم مع بعضهم البعض، عاشت بينها • وقد وضح ذلك عند أول قيـــام اسرائيل اذ كنت تقابل فى تحت لوائها •

وهكذا نخلص الى أن جماعة اليهود لم يتوفر لها أى من مقومات تكوين الأمة ولم تقم بها عناصر القومية • واذن فنظرية القومية اليهودية الروحية

---

(١) فقد اليهود استقلالهم للمرة الأخيرة اثر ثورة كان زعيمها العســـكرى اسمه بركوشبا Bar-Cocbe ـ أى ابن الكوكب ـ ضد الرومان ولكن الامبراطور الرومانى هادريان سحق الحركة ودمر القدس وحرث مكان الهيكل ومنع أن يسكنها يهودى (١٣٢ ـ ١٣٥ م) ، ومحى اسم اليهود والقدس من القاموس الرومانى وسميت البـــلاد مرة أخرى فلسطين وقامت مدينـة ايليا كابتولينا Aelia Capitolina محل القدس • وهرب اليهود وتشتتوا فى أماكن متفرقة •

(٢) يقول بتيارد فى هذا « يلوح لى أننا اذا نظرنا فقط الى مملكتى يهودا واسرائيل وهما نواة تاريخ هذا الشعب فاننا نرى دورهما ضئيلا فى هذا الميدان التاريخى ، ولا يمكن القول فى هذه الحالة بأن أهمية اليهود فى بعض الظروف نجمت عن بعثرتهم فى العالم وكانت من العوامل الهامة الى حد ما فى التاريخ العام ، ولكن أشخاصهم أو جماعتهم وليس شعبهم هم الذين لهم بعض الأعمال السياسية البارزة التى كثيرا ما كانت حاسمة » •

Littard Eugène: **Les Races et l'Histoire,** Vol. I, 1924, p. 413.

(٣) Chouraqui, André: **L'Etat d'Israël,** Paris, 1956, p. 69.

Redslob, R.: **Le Principe de Nationalité,** Recueil des Cours de La Haye, 1931, Vol. III, No. 37, p. 22.

نظرية تضرب في الخيال وتنسج من الوهم ، ولا يمكن بعد الذى أوضحته أن نفهم هذه النظرية الا على أنها فكرة تعصبية تزكى العداوة وتبعث الأنانيـــة والبغضاء · ولذا يمكن أن نقول بحق ان نظرية القومية الروحية تهـدف الى أنانية قومية

والحق أن النقد الذى وجهته الى نظرية القومية الروحية اليهودية هـو نقد مستمد من الكتاب اليهود أنفسهم فقد انبرى الكثيرون منهم الى تفنيد هذه النظرية وتسفيه أساسها ، ومن هؤلاء الكاتب اليهودى بنسكر(١) · كمـا يذهب كثيرون أيضا الى أن اليهود ليسوا الا جماعات دينية متفرقة أو وحدة من الكنس (المعابد الدينية اليهودية Synagogues) ويرون أن اليهود عليهم أن يخرجوا من عزلتهم العدائية وأن يمتزجوا بالشعوب التى يعيشون بـين ظهرانيها وينصهروا فيها كمواطنين صالحين ، وتسمى الجماعة اليهودية التى تنادى بهذا الرأى بأصحاب نظرية الاندماج أو الانصهار assimilationists انهم يرون أن اليهود كانوا أمة فى الماضى وأن هذه الأمة قد انتهى أمرها بتحطيم مملكة يهودا(٢) اذ انقلبت الأمة بعد ذلك الى مجموعـــات متناثرة فى أنحـاء العالم ·

ومع ذلك ــ وحتى لا يقال اننا ننكر صفة القومية على جماعات اليهـود

---

(١) يقول بنسكر ما نصه : "The Jewish people lacks most of the attributes by which a nation is recognizable as such. It lacks a life of its own, which is unimmanigable without common language, common customs and without living together on a common territory. The nations of the world have never had dealings with the Jewish nationality, but only with Jews."

راجع : Pinsker, Leo-Auto-Emancipation, 1882.

وبنسكر ــ الذى كان طبيبا فى أوديسا ــ أصبح من كبار رواد الصهيونية وكتابه السالف هو من وثائقها الأساسية ·

(٢) لم تمكث مملكة داود طويلا فقد انقسمت بعد وفاته قسمين : مملكة يهودا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم « القدس » ، ومملكة اسرائيل فى الشمال وعاصمتها سامراء « نابلس » · وسيطرت العداوة على علاقات المملكتين الى أن زالتا من الوجـــود · فقد حطمت آشور مملكة اسرائيل فى ٧٢١ ق·م ثم تولت بابل تحطيم مملكة يهودا فيما بين عامى ٥٩٧ ، ٥٨٧ ق·م ·

من قبيل المداورة _ فانني سأفترض جدلا أن اليهود يكونون جماعة قومية ثم أسأل هل يصلح ذلك الزعم ليبرر مطالبة الصهيونية بانشـــاء وطن قومى لليهود • ان تحديد مدى أهمية هذه الدعوى يقتضى أن نضع فى اعتبارنا أمرا هاما هو علاقة الوطن والقومية بمفهوم الدولة • فالوطن هو قطعة من الأرض، والأمة هى جماعة من البشر ، والدولة جماعة من البشر يعيشون على أرض مشتركة ويخضعون لهيئة سياسية ذات سيادة • ومن هذا التعريف المجمل نجد أن مفهوم الدولة مرتبط بمفهوم الوطن من ناحية وبمفهوم الأمة من ناحية أخرى • ولذلك فان الأمة لا تصلح أن تكون أساسا لقيام دولة الا اذا توافرت لتلك الأمة العناصر المادية اللازمة للدولة وهى الشـــعب والاقليم ، وعندئذ نضيف التشكيل السياسى والسيادة فتصبح الأمة دولة • والذى أقصده هنا أن يكون شعب الأمة أو الجزء الغالب منه مستقرا على الاقليم الذى سيصبح اقليم الدولة الجديدة فاذا لم يتوافر هذا الشرط لا تكون الجماعة « أمة » بالمعنى المتعارف عليه وانما تكون « أقلية » لأن هذا هو الذى يفرق بين مفهوم الأمة والأقلية(١) • وثابت أن اليهود لم يكن لهم اقليم يجمعهم أو يجمع غالبيتهم حتى يطالبوا بأن تصبح جماعتهم دولة على زعم أنها أمة • ولا يمكن أن يزعم اليهود أن هذا الشرط كان متوافرا لهم على اقليم فلسطين وأن تعدادهم حتى الحرب العالمية الأولى لم يكن يتجاوز أربعين ألفا(٢) •

يرد أنصار النظرية اليهودية على هذا النقـــد بالتفرقة بين الوطنيـــة والقومية ويقولون ان الوطنية علاقة سياسية اقليمية أما القومية فعـــلاقة

---

(١) وهذا هو ما يعترف به بنسكر بقوله : "Yet to be recognized as a nation, the Jews lack the spirit of national individuality, which is found among all other nations and which is created by dwelling together on a common territory.

بنسكر _ المرجع السابق •

(٢) يعترف دابناو بأنه رغم الجهـــود الجبارة التى بذلها اليهود والنفقات البـاهظة التى أنفقت فان متوسط ما كانوا يستطيعون تهجيره الى فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى كان حوالى ٢١٢ شخصا فى السنة •

Dubnow, Simon : Nationalism and History, New York, 1958, p. 163.

ودابناو هو أحد فلاسفة اليهود وهو من أصل روسى ومات أثناء الحرب العالمية الثانية •

روحية ، وهم بهذه التفرقة يحاولون تعمية مفهوم مستقر فى القواعد الدولية وهو مفهوم « الأمة » منفصلا عن مفهوم « الأقلية » ذلك أن الجماعة المتجانسة التى لا يتوفر لها عنصر الاقليم تعتبر أقلية وليست أمة ، وهذا هو الذى يفرق بين مفهومى الأمة والأقلية فى القانون الدولى ٠ فاذا أصرت النظرية على دعواها وقالت ان هذه الأقلية يمكن أن تعتبر أمة فمعنى ذلك أنها تنادى بخلق أمة داخل الأمة الأصلية ـ وهى شعب الدولة ـ أو فى قول آخر فانها تنادى بأن يكون لليهودى ولاءان : ولاء للأمة اليهودية وآخر للدولة التى يعيش بين ظهرانيها فاذا تعارض الولاءان كان على اليهودى أن ينصر ولاءه لليهودية على ولائه لدولته(١) ، وتلك وايم الحق دعوة الى الخيانة تغنى بوضوحها عن البيان ٠

أما الصهيونية ـ فعلى خلاف نظرية القومية الروحية ـ تعترف بأن اليهود لا يكونون ـ وذلك عند بدء ظهور الدعوة الصهيونية ـ قومية عادية أو هم يكون قومية غير طبيعية abnormal تقوم على قاعدة واهية ولذا يجب أن يعمل اليهود على أن تصبح هذه القومية غير الطبيعية قومية طبيعية ، ولا يتأتى ذلك الا اذا تملك اليهود اقليما يمارسون عليه سيادة مستقلة ٠٠ واذن فالقومية اليهودية انما تتحقق ـ فى رأى الصهيونية ـ بانشاء دولة يهودية وقداختارت الصهيونية هذه الدولة فى فلسطين ٠ ومن ثم فان الصهيونية هى مذهب سياسى يدعو الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين(٢) ٠

---

(١) وقد عبر كليرمونت تونير Chermcnt Tonnerre عن رأى كهذا عندما دار نقاش بخصوص الموضوع فى الجمعية الوطنية بباريس سنة ١٧٨٩ فقال « انما يجب أن نأخذ من اليهود كامة كل شىء وان نعطى لليهود كافراد كل شىء ، اذ لا يمكن أن تكون هنك أمة داخل الأمة » ٠

(٢) تعبير « الصهيونية » تعبير مشتق من لفظة « صهيون » أى الأرض الموعودة أو أرض المعاد ، وقد أطلق أصلا على قلعة القدس ثم استعمل للدلالة على القدس والمعبد وجبل صهيون وانتهى بأن سميت الأرض المقدسة جميعها « ابنة صهيون » ٠ ولذلك أصبحت صهيون عند اليهود رمزا لماضيهم ومستقبلهم المرتبط بذكريات قضت منذ آلاف السنين ، فهو نداء الماضى لهم بالعودة الى الأراضى المقدسة (البنديت جواهر لال نهرو ـ لمحات من تاريخ العالم ، الطبعة الثانية ، الترجمة العربية من منشورات المكتب التجارى ، بيروت ، ص ٣١٦) ٠

وقد نسجت أصول الصهيونية ـ فى صورة أو أخرى ـ تطورات العصر لأن راعيها الأول

بهذا المنطق ـ انما تتناقض مع نفسها • ذلك أن الصهيونية ـ بوصفها حركة قومية ـ يجب أن تحارب فكرة الاندماج والانصهار وتظهر أن يهـــود المنفى لم يصبحوا مجرد نحل دينية • فى حين أن جوهر الصهيونية هو أن اعادة البناء السياسى أو الاقليمى هو وحده الذى يمكن أن يصون اليهودية من أن تحطم وهذا يقتضى من دعاة الصهيونية انكار الصفة القومية على المهجر

كان الألماني اليهودى موسى هيس Moses Hess (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) وهـو اشتراكى متحمس وسياسى فيلسوف حكم عليه بالاعدام فى عام الثورة (١٨٤٨) فأنفق باقى حياته فى المنفى وعلى الأخص فى باريس • وتحول من الفلســـفة والاشتراكية الى الدراســات العلمية واستهوته دراسة الوراثة ، ومن هذا المزيج من الدراسات طور نظريته التى تقول بان لليهـود واليهودية فى تطور التاريخ العالمى دورا حيويا عليهم أن يؤدوه • فاليهودية عنده تعبر عن فلسفة اجتماعية هدفها كمال المجتمع البشرى • ولكن اليهود لا يستطيعون انماء هـذه الفلسفة لتحقق غايتها الا اذا كن مصيرهم بيدهم وهذا لا يكون الا اذا تحرروا • وبدى لهيس ان هذه الحرية لا يمكن ان تتوفر الا فى أرض الآباء القديمة • وقد عبر هيس عن آرائه هذه فى كتابه Rome and Jerusalem الذى نشر سنة ١٨٦٢ •

وبينما كان هيس يبث آراءه هذه فى غرب أوروبا كانت شرق أوروبا تتعرض للتبشير بهذه الفكرة ـ ولكن على أسس دينية خالصة ـ على يد اثنين من الربيين همـــا : زفى هرش كاليشر Zvi Hirsch Kalischer (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) ويهودا ألكالى Judah Alkaly (١٧٩٨ ـ ١٨٧٢) • وكان الأول قد اقترح سنة ١٨٣٧ أنه ولو أن الاحتلال الكامل للأرض الموعودة يجب أن ينتظر قدوم المسيح الا أنه يمكن شرعا لوكالة بشرية أن تبدأ هـــذه المهمة • وكاليشر هذا هو الذى أسس جماعة (محبى صهيون Hovere Zion Hibbat Tsiyon — وهى جماعة كانت تنتقـــل لجمع تبرعات لانشاء مستعمرات يهـــودية فى فلسطين وقد لقيت عونا كبيرا فى روتشيلد • وقد ناصر بعض المسيحيين الأوربيين هــذه الافكار لا سيما عندما أصبح جنوب سوريا ـ وهو اقليم فلسطين القديمة ـ فى يد محمد على • ذلك أن محمد على فتح أبواب هذه البلاد للأوروبيين وأذن للقنصل البريطانى فى القدس أن يشرف على مصالح اليهود وذلك كان الخلفية التى دفعت أناسا مثل تشرشل ولورانس أوليفانت الى تأييد اعطاء حمـــاية بريطانية لمستعمرة يهودية فى البلاد بقصد الوصول فى النهاية الى نوع من الدولة اليهودية •

وقد ترعرعت الفكرة ـ فى ذات الوقت ـ فى روسيا اذ نجد أن روادا من اليهود كانوا فعلا فى فلسطين عندما صدر كتاب ليو بنسكر • ولذا فان مناقشة المشكلة اتخذت الخطين العملى والنظرى معا • وفى مركز هذا الحوار وجد فيلسوف متقاعد هو آشر جنزبرج Asher Ginzberg (١٨٥٦ـ١٩٢٧) الذى عاش فى أوديسا وكتب تحت اسم مستعار هو أحد حاآم Ahad Ha-Am (أى أحد أفراد الشعب) • وكان ينتقد بشدة ما قام به اليهود من الناحية العملية ورأى أن الفكرة لم يوضع لها أساس كاف بعد • لقد شاطر بنسكر رايه فى أن تكون اصلاحا عن نهضة قومية حقيقية وانتهى الى أن مصدر البقاء اليهودى يجب أن يستند الى ارادة قومية للحياة وليس الى وحى سماوى الأمر الذى يحتاج الى تفان كبير • والى أحد حاآمام هذا تنسب فكرة تسمى بالصهيونية الروحية لأنه دعى الى أن تكون فلسطين موئل اليهودية أولا لا اليهود كأفراد — تلك هى المقدمات التى مهدت الطريق أمام هرتزل فيما بعد •

ولذا فان دعاة الصهيونية ــ فى تحمسهم لتأكيد مخاوف ومساوىء المهجر ــ يشيرون الى التشتت اليهودى على أنه جماعة من الناس تنتظمها رابطةمشتركة أو جزازات يائسة من أمة هى مجرد المادة الخام التى يمكن أن تصنع منها أمة المستقبل • والصهيونية فى انكارها الصفة القومية على المهجر تكاد تصل الى أقصى ما يضاد نظرية الاندماج والانصهار • وهكــــذا وقعت الصهيونية فى ازدواج واضح الخطل •

ان الصهيونية كما قلت ليست الا صورة من صـــــور مذهب المخلص المنتظر Messianism (١) ، انتقلت منعقول الصوفييناليهود الى عقول القادة السياسيين(٢) •

ويمكن أن أخلص مما سلف الى أن مفكرى اليهود انما يحاولون اليوم اضفاء مبررات علمية على أمل طالما داعب خيالهم ومطمع كثيرا ما لعب برؤوسهم

---

(١) مذهب المخلص المنتظر هو المذهب الذى يؤمن بالمسيح messiah ويتوقع ظهورهليضفى السلام على اليهود ويصلح بينهم وبين الاله (يهوذا) ويحقق لهم النصر على أعدائهم ويوحد العالم تحت امرة اسرائيل • واذا أردنا الدقة فان رسالة المسيح فى نظر اليهود ليست تخليص العالم وانما هى فىالحقيقة قيادة الشعب اليهودى الى أرضاسرائيل ولعل تخليصالعالم فى الفكراليهودىلم تكن مهمة مسيح بذاته وانما مهمة الرسالة المسيحية فى عمومها • وقد عرف تاريخ اليهودية الكثير ممن ادعوا لأنفسهم هذه الرسالة • ومن الطريف أن أخطر هــؤلاء كان شخصا يدعى شابتاى زفى Shabbetai Zvi الذى ولد فى سميرنا سنة ١٦٢٦ وأعلن عن نفسه مسيحـــا فى سنة ١٦٤٨ وذهب الى القسطنطينية سنة ١٦٦٦ ليطالب بتحرير شعبه اليهودى حيث خيرته السلطات العثمانية بين الاسلام أو الاعدام فكان أن اعتنق الاسلام ومات سنة ١٦٧٦ كأحد أرباب المعاشات التركية • وقد ظلت طائفة كبيرة من اليهود تؤمن به بعد اسلامه هى الطائفة المعروفة باسم دونمه Donmeh ولا زالت باقية الى الآن وتزعم أن ظهوره كمسلم كان استجابة لأمر الهى • وكان أعضاء هذه الطائفة من الأشخاص البارزين فى حركة تركيا الفتاة الذين قادوا ثورةسنة ١٩٠٨ •
Parkes, James: **A History of the Jewish People**, Penguin Book, 1964, p. 102.

(١) الصوفيون المقصودون هنا هم تلك الفرقة الصوفية التى ظهرت فى أسبانيا سنة ١٢٠٠م وعرفت باسم كابالا Cabbala (وتكتب أحيانا Kabbala) وتقول بمذهب اشتهر بنفس الاسم وهو مذهب باطنى غريب فى فهم الله والكون • وتستمد تعاليمها من كتابات يهودية سبقت ميلاد المسيح بقرنين وتوجد أساسا فى سفر التكوين المنسوب الى أكيبا Akiba وسفر النور (زهار) المنسوب الى سيمون بن يحيى •

وقد روجت تلك الفرقة شائعة بين الجماعات اليهودية بأن المسيح المنتظر قد ظهر ساعية بذلك الى تزكية آمال اليهود فى العودة الى الأراضى المقدسة •

وهو العودة الى فلسطين ـ حيث لا أساس ولا منطق ـ وتمثلت تلك المحاولة فى عديد النظريات والمذاهب التى ينادون بها والتى تتناقض مع بعضهاالبعض ويعارض الواحد منها الآخر وان اجتمعت كلها حول العودة الى أرض المعـــاد كما يدعون • ولذا نجد أن هذه الدعوة كانت تلبس لكل حالة لبوسها ، بدأت فى خفر تمشى على استحياء ثم كشفت النقاب عن نواجذها وجهرت عقيرتهـا بالصوت عندما واتتها الظروف • والمتتبع لتطور هذه الدعوة يمكن أن يلحظ بسهولة كيف غيرت الدعوة من طريقتها ووسائلها كلما سنحت لها الفرصة • وهذا هو الذى يجعلنى أقول ان الصهيونية لم تأت بجديد من حيث الفكـرة والجديد فقط هو وسائل تحقيق الفكرة •

ذلك أن الدعوة بدأت سرية(١) تدور بين اليهـــود فى الخفاء وتصـطبغ بصبغة دينية خالصة تترقب ظهور المسيح المنتظر لتحقيقها(٢) •

ويحدد التلمود(٣) موعد ظهور النبى المخلص عند ما تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف وقمحا كبيرا حجم الحبة منه فى مثل حجم كلاوى الثيران الكبيرة • وعندئذ تعود السلطة الى بنى اسرائيل ، ويكون لكل اسرائيلى ٢٨٠٠

---

(١) قامت دولة المكابيين ـ التى أسستها أسرة حشمون ـ حوالى سنة ١٦٧ ق• م • وقد انقسم مفكرو اليهود فى ذلك العصر الى قسمين : الصدوقيين الذين يدعون الى بناء القوة السياسية والعسكرية اليهودية ، والفريسيين الذين يؤكدون أولوية الثقافة الروحية والحكم الذاتى الداخلى للجماعة اليهودية • وقد أدت سيطرة الرومان على مصير اليهود والقبضة الحديدية التى امسكت بها زمام الأمور الى انتصار مبدأ الفريسيين وكانت تلك هى بداية الدعوة السرية اليهودية التى أتكلم عنها فى المتن •

(٢) الدكتور محمد عبد المعز نصر ـ الصهيونية فى المجال الدولى ، ص ١٢ •

(٣) هاجر كثير من اليهود الى بابل ـ بعد أن شتتهم الرومان من فلسطين • وقد استطاع يهود بابل أن يوطدوا مركزهم ويدعموا قوتهم • وفى هذا العصر انشغل الربيون اليهود بتوسعة والتعليق على المشناه (التعليمات التى أرسلت ـ كما يدعى حاخامات اليهود ـ الى موسى شفويا لكى تكون دستورا لاسرائيل فى علاقاتها بغيرها من الأمم) • وقد انشغل اليهود بذلك العمل فى كل من بابل وفلسطين فأنتجوا تلمودين • والتلمود فى اللغة العبرية تعنى « تعليم » ، والتلمود ليس كتابا مقدسا حتى عند اليهود أنفسهم ولكنه يحوى سنن اليهود وشرائعهم • وقد بقيت النسخة الفلسطين ـ الأورشليمى Jerushalmi ـ غير كاملة ، بينما أصبحت نسخـــة بابل ـ البابلى Babli ـ هى التعليق المعتمد الذى أخذ به فى القرون التالية •

عبد يخدمونه(١) · ومن ثم فقد اتخذ اليهود من التـــوراة العبرانية وتعاليم التلمود بديلا عن الوطن(٢) · وهذا هو السبب الذى دعى اليهود المتعصبين لدينهم الى معارضة الدعوة الصهيونية لأنها اتخذت شكلا سياسيأ فى حين أن انقاذ اسرائيل انما يأتى عن طريق الأنبياء لا عن طريق الساسة(٣) ·

ولعل أول دعوة علنية لانشاء وطن لليهود يمهد لارساء امبراطورية عالمية واسعة الأرجاء كانت تلك التى أفصح عنها هنرى فنش فى كتابه الذى نشر بانجلترا سنة ١٦١٦ تحت عنوان « نداء لليهود » · ولكنها كانت صرخة فى واد وكان لابد من أن يمر قرنان من الزمان حتى تتردد أصداؤها عندما أطـل القرن التاسع عشر على العالم بمبادىء الحرية التى نادت بها الثورة الأمريكية وأكدتها الثورة الفرنسية · انتهز كتاب اليهود ومفكروهم تلك الدعوة الى الحرية فراحوا — باسم حرية الرأى — يكشفون بالتدريج عن دعوتهم ويزكونها بالمبررات · وقد تلقفـــوا تلك المبررات من الاضطهاد الذى نال اليهود فى أوروبا زاعمين أن مشكلة اليهود انما ترجع الى انعدام الوطن الجغرافى لهم وأن حل تلك المشكلة لا يتأتى الا بخلق وطن لهم يلجأون اليـــه وينعمون فيــه بالطمأنينة(٤) ·

وقد اقترنت هذه الحركة الفكرية بجهود عملية بعضها فردى وبعضهـا جماعى(٥) · بيد أن هـــذه الحركات كانت تعمل متفرقة عن بعضها البعض

---

(١) عبد المنعم شميس — اسرار الصهيونية ، سلسلة « كتب سياسية » ، ص ١٨ ·

(٢) شوراكى — المرجع السابق ، ص ١٢ ·

(٣) Dunner : The Republic of Israel, Vol. I, 1952, p. [illegible]

(٤) من الكتاب الأوائل فى هذا المضمار الكاتب اليهودى موسى هيس الذى كتب سنة ١٨٤٠ يقول « سنظل دائما أجانب بين مختلف الشعوب التى نأوى اليها ، حقيقة سيمنحونا حقوقا وفق مبادىء حقوق الانسان مع شعورهم بوجوب تطبيق قواعد العدل والحق ، ولكنهم لن يحترموا البتة وضعنا طالما نجعل ذكرياتنا فى المرتبة الثانية بينما يجب أن تصبح مبادؤنا الأولى » ·

الدكتور أحمد سويلم العمرى — الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين ، القـــاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٩٠ — ١٩١ ·

(٥) من الجهود الفردية الملموسة فى هذا المجال ما قام به موسى حاييم مونتفيور الذى سافر الى فلسطين سنة ١٨٣٧ وعاين أراضيها ودرس طرق استغلالها وسعى لدى والى مصر كى يمنحه أرضا لمدة قرن أو نصف قرن مقابل جعل يتراوح بين ١٠٪ ، ٢٠٪ · ولكنه خاب فى مسعاه ·

وتعتمد على ما يمولها به أغنياء اليهود فى أوروبا وأمريكا لا سيما عن طريق الاعانات التى كانت تجمعهـــا جماعات « محبى صـــهيون »[١] • الى أن جاء الصحفى النمسوى هرتسل[٢] الذى كان على شاكلة الكثيرين من كتاب عصره اليهود — متحمسا لانشاء وطن قومى لليهود • وقد واتته فرصة عارضة عمل على استغلالها فى تزكية دعوته ، تلك كانت قضية دريفوس وما أحاط بهـــا من ظروف واعتبارات[٣] • ووسط هذه الأحداث قام هرتسل بالدعوة الى عقد

ودأب مونتفيورى على مسعاه الى أن تمكن من شراء أول ضيعة يهوديه فى فلسطين ســنة ١٨٥٥ خصصها لاقامة فقراء اليهود والمتحمسين منهم للعودة الى الأراضى المقدسة •

أما الجهود الجماعية فقد تمثلت فى عدة جمعيات نذكر منها جماعة بيلو Bilu — أى بيت يعقوب — وهم جماعة غالبيتها من الطلبة اليهود الروس يدعون للهجرة الى فلسطين لأن الساعة قد حانت فى نظرهم للعودة الى أرض الأجداد مؤكدين أن الهجرة لغير فلسطين لا تحل مشكلـــة اليهود الذين سيظلون هائمين على وجوههم بلا وطن • ورغم أن هذه الجماعة لم يكن من بـــين أعضائها مزارعون فقد كانوا أول من كون المزارع التعاونية فى فلسطين وكانت قرية ديجانيا هى أول قرية تعاونية تكاملت فكانت الأصل للنظام التعاونى الذى سمى Kibbutz

Picot : Problèmes d'Actualités du Moyen-Orient, t. 2, p. 286.

(١) أشرت الى هذه الجماعة من قبل • وقد ظلت دعوة محبى صهيون هزيلة حتى كان سنة ١٨٨٤ اذ عقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة Kotorice وأسفر المؤتمر عن توحيـــــد جهود الجمعيات المحبة لصهيون واختيرت أوديسا مركزا رئيسيا لذلك الاتحـــاد وانتخب ليوبنســـكر رئيسا • ورغم أن هذا المؤتمر كان يفتقر الى التنظيم والشجاعة الا أنه كان خطوة مهدت — بعـد ثلاث سنوات — لعقد أول مؤتمر صهيونى عالمى •

شوراكى — المرجع السابق ، ص ١٥

(٢) ولد تيودور هرتزل بمدينة بودابست فى ١٨٦٠/٥/٢ ودرس القانون والأدب فى جامعة فينا ثم امتهن الصحافة والأدب •

(٣) دريفوس هو ضابط يهودى فرنسى اتهم بالخيانة لنقله أسرارا عسكرية الى الألمان وهم الأعداء الذين ترتبط ذكراهم عند الفرنسيين بمرارة الهزيمة التى لقوها على أيديهم سنة ١٨٧٠ ، تلك الذكرى التى كانت سببا فيما اتسمت به محاكمة الضابط المذكور من قسوة • وشـــاءت الظروف أن يتابع هرتزل تلك المحاكمة بوصفه مراسلا صحفيا وأن يشاهد فى ديسمبر سنة١٨٩٤ الحفل الذى جرد فيه دريفوس من رتبته العسكرية وما قارن ذلك من مظاهر الازدراء والاحتقار • وشاءت الظروف كذلك أن يهب بعض الأحرار مثل اميل زولا وجورج كليمنصو للدفاع عـــن دريفوس بعقيدة انه برىء ، وأن ينجح المدافعون فى اثبات براءة دريفوس بعد ادانته • فتمثـــل هرتزل — وهو الصحافى والكاتب — فى تلك المأساة الخاصة المأساة العامة التى يكابدها اليهود ولابد أنه رسم مشكلة اليهود على أنها صورة مكبرة لمشكلة دريفوس أى مشكلة المتهم البرىء الذى يلقى العنت والاهانة دون ذنب ولا جريرة • وكتب الحل الذى يراه فى كتاب وجيز اسمه « الدولة اليهودية Judenstaat » الذى نشر سنة ١٨٩٦ • والغريب أن هرتزل لم يكن يعرف شيئا عمن سبقه من الكتاب اليهود مثل هيس وأحد حاآم وكانت معلوماته ضئيلة عن اليهـودية كما أنه لم يكن يتكلم العبرية •

اجتماع يهودى لوضع سياسة صهيونية منظمة • وترجع عبقرية هرتسل الى الطريقة التى لجأ اليها لتحقيق دعوته ، فقد رأى ألا يترك للأفراد مهمة قيادة المصالح اليهودية بل ان ذلك يجب أن يتم عن طريق انشاء حلقة يهودية تجمع اليهود فى صعيد واحد للمناقشة والتداول • أى أن هرتزل اتجه بالحركة الصهيونية اتجاها عالميا يجمع يهود المعمورة على خطة موحدة لانشاء وطن قومى لليهود ويجعل من كل يهودى عضوا عاملا فى الحركة •

وكانت دعوة هرتزل ترمى الى عقد أول مؤتمر صهيونى عالمى فى ميونيخ بألمانيا ولكن اليهود الألمان ـ بزعامة البارون هرش Hirsh ـ حاربوا فكرة المؤتمر على أساس أن أهداف الصهيونية تتعارض مع الرسالة الاسرائيلية المقدسة ومع واجب كل يهودى فى أن ينتسب الى الوطن الذى يعيش فيه دون تحفظ(١) • ولكن روح التعصب هى التى انتصرت بفضل استغلال أنصارها لحجة اضطهاد اليهود ووجوب انتشالهم من المظالم التى يقاسونها ، وكل ماكان من أثر لاعتراض اليهود الألما نهو أن المؤتمر عقد فى بال بسويسرا بدلا من أن يعقد فى ميونيخ بألمانيا ، وكان ذلك فى ١٨٩٧/٨/٢٩ • وانتهى المؤتمر الى أن أمانى الصهيونية هى انشاء وطن للشعب اليهودى يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ويصبح فيه الشعب بأسره فى مأمن من الاضطهاد على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين •

وقرر المؤتمر تحقيقا لهذا الغرض ما يلى :

١ ـ اتباع الوسائل العملية الفعالة لانشاء مستعمرات زراعية وعمرانية فى فلسطين تأوى عمال الزراعة والصناعة اليهود •

٢ ـ تنظيم جماعات اليهود بواسطة المنشآت المحلية والدولية الملائمة لهذا الغرض والتى تتمشى مع قوانين البلاد التى يعيش اليهود فى كنفها •

---

(١) انتقد بعض الكتاب اليهود الفكرة الصهيونية ، وهناك جماعات يهودية تحاربها منها جماعة Neturei Kartah التى ترى أن قيام دولة اسرائيل سبة وأن الأيدى العلمانية التى أقامتها قد اغتصبت عمل المسيح المنتظر وأن القوانين الوضعية التى أصدرتها تنتهك حرمة التوراة ولذلك فان يوم قيام اسرائيل يعتبر عندها يوم حزن وحداد •

٣ ـ تقوية الروح القومية اليهودية وشعور اليهود بذاتيتهم واشعال الحماس في صدورهم ·

٤ ـ الاقدام على خطوات جدية للاستفادة من تنافس الدول في تحقيق هدف الصهيونية ·

كما أقر المؤتمر العلم الصهيوني والنشيد القومي ، وقال هرتزل بعد أن فرغ المؤتمر من أعماله « اليوم أنشأنا الدولة اليهودية »(١) ·

وضمانا لانجاح المساعي في تحقيق الأهداف التي تبناها المؤتمر تم انشاء مؤسستين الأولى هي لجنة العمل(٢) ـ وقد أوجدها المؤتمر الأول ، والثانية هي البنك الاستعماري اليهودي · وقد أسسه المؤتمر الثاني برأسمال قدره مليونا جنيه استرليني(٣) ·

---

(١) كان لابد ـ بعد المؤتمرات ـ من وضع قرارات تلك المؤتمرات موضع التنفيذ وهو الأمر الذي كرس له هرتزل نشاطه وماله الى أن مات · ونظرا لأن المؤتمر الأول قرر انشاء وطن يهودي يعترف به سياسيا وقانونيا فقد سعى هرتزل الى الحصول على قبول الحكومة العثمانية للهجرة اليهودية الى فلسطين وأخذ الضمانات منها بمنح اليهود استقلالا ذاتيا في فلسطين بوصف تلك الحكومة هي صاحبة السلطة الشرعية على الاقليم · وأراد هرتزل أن يستميل السلطان عبد الحميد عن طريق وساطة صديقه قيصر ألمانيا أو عن طريق الاغراء بالمال ولكن محاولاته باءت بالفشل · لذلك ارتاحت نفسه لاقتراح أحد أعوانه المدعو جزنبرج بالسعي للحصول على امتياز في العريش · وسافرت لجنة الى المنطقة لدراسة حالتها وقدمت تقريرا في مارس ١٩٠٢ تحبذ فيه فكرة الاستيطان في العريش ولكن الحكومة المصرية خيبت آمال هرتزل ورفضت عروضه (راجع Bernfeld : (Le Sionisme, 1920, p. 11.

(٢) لجنة العمل هي التي اشتقت منها الوكالة الصهيونية فيما بعد · ويحق لكل فرد صهيوني ـ ذكرا كان أو أنثى ـ أن ينضم اليها اذا بلغ الثامنة عشرة من العمر نظير اشتراك رمزي قدره شيكل ـ والشيكل عملة اسرائيلية قديمة ورد ذكرها في التوراة وتعادل نصف دولار أمريكي تقريبا ـ وقد قسم اليهود في العالم لذلك الغرض الى مناطق اقليمية وصار لهم مندوب يمثل كل ١٥٠٠ شيكل فيما عدا فلسطين فتختار مندوبا عن كل ٧٥٠ شيكل · وتتكون اللجنة من مجلس عام ومجالس تنفيذية فرعية ترأسها سلطة تنفيذية · ووظيفة اللجنة هي التمهيد للمفاوضات وانجازها واجراء المحادثات مع ممثلي الدول لتحقيق أهداف الصهيونية ، وتوقيع الاتفاقات والالتزامات المتعلقة باسكان اليهود في فلسطين وتسهيل انتقال اليهود الى الأرض المقدسة وتوطينهم فيها ·

(٣) أنشئ هذا البنك بناء على اقتراح الصهيوني هرمان شابيرا Herman Shapira في المجلة الصهيونية « العالم Die Welt » ومهمته جمع التبرعات والاعانات والأموال اللازمة للمشروع وحفظها في صندوق قومي وصرفها على الاحتياجات الخاصة بانشاء الدولة الجديدة ·

وقد وضع هذا البنك في أول الأمر تحت تصرف المؤتمر ثم نقل الاشراف عليه الى لجنة العمل ·

واستطاعت الصهيونية بتنظيماتها وجهودها أن تجذب أنظار السياسة الأوروبية اليها ، وكانت بريطانيا أسبق الدول الى منح الصهيونية اهتمامها والسعي الى كسب ودها الأمر الذى دعى بريطانيا لأن تعرض على هرتسل منطقة من المستعمرات البريطانية فى شرق افريقيا • مع امتياز باستعمارها • وكان العرض مغريا لأن المنطقة خصبة التربة وفيرة الانتاج وظروف الحياة فيها تماثل الحياة الغربية من حيث الارتفاع واعتدال المناخ وقبل هرتزل العرض ووقف يدافع عنه أمام المؤتمر الصهيونى السادس غير أن تعصب الصهيونيين للعودة الى فلسين انتهى بهم الى رفض هذا العرض أمام المؤتمر السابع الذى عقد سنة ١٩٠٥ - أى بعد وفاة هرتسل(١) - فسحبته بريطانيا نهائيا •

وقد دعى هذا التعصب الى انشقاق جماعة من الصهيونيين سموا بالاقليميين territorialist ، وهم قلة كانت ترى - وقد تعذر تحقيق هدف الصهيونية فى الهجرة الى فلسطين والاستقرار بها - قبول العرض البريطانى أو أى اقليم آخر يصلح للهجرة • وتزعم هذه الحركة ازرائيل زنجويل Israel Zangwill الذى أسس المنظمة اليهودية الاقليمية للهجرة الى بلاد أخرى غير فلسطين ولكنها لم تلق تعضيدا جديا الأمر الذى يدعونى الى القول بأن الحركة الصهيونية ظلت متشبثة بفكرتها الأولى وهى انشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ورفض أى مشروع آخر مهما كان اغراؤه وأيا كانت الامتيازات التى يقدمها •

وانقسم دعاة الصهيونية بعد وفاة هرتزل فريقين : فريق يرى المحافظة على الصفة السياسية للحركة ومواصلة السعى بالطرق الدبلوماسية لاقامة الوطن الصهيونى ، وفريق يرى - أمام عناد السلطان العثمانى - عدم التقيد بتلك الوسائل وينادى بدخول فلسطين واستعمارها بشتى الوسائل العملية الفعلية • وواضح أن الفريقين - وان اختلفا فى الوسيلة - الا أنهما يهدفان الى ذات الغاية • ولم يستطع أى من الفريقين تحقيق نتائج ذات بال الى أن قامت

---

(١) توفى هرتزل فى مدينة اولاخ بالنمسا يوم ١٩٠٤/٧/٣

الحرب العالمية الأولى ورأت الصهيونية ألا تضيع تلك الفرصة دون أن تستفيد منها فنقلت مكاتبها الى عواصم البلاد التى لم تشترك فى الحرب كسويسرا والدانمرك ونيويورك • وبذلك كان تحت يد الصهيونية جهاز للدعاية مستعد لخدمة الفريق من المقاتلين الذى يبدى عطفا على الدعوة الصهيونية لا سيما فى أمريكا التى كان انحيازها لأحد الفريقين المتحاربين حاسما فى انهاء الحرب لصالح ذلك الفريق • لذلك نجد أن بلفور وزير خارجية بريطانيا يسافر الى الولايات المتحدة فى أوائل سنة ١٩١٧ لمفاوضة زعماء الصهيونية هناك • وكانت الصهيونية تدرك خبيئة بريطانيا فى سياستها تجاه الشرق العربى(١) فعملت على مجاراتها فى تلك السياسة بعقيدة أن تلك المسايرة هى السبيل الى تحقيق الأمل ، لذلك حرصت على أن تؤكد للساسة البريطانيين أنها لا تعترض على اقامة ادارة دولية فى فلسطين اذا كانت من فرنسا وبريطانيا وحدهما وأنها ستبذل جهدها لوضع فلسطين تحت الحماية البريطانية اذا أيدتها فى تحقيق أمانيها فى انشاء الوطن القومى • وساعد الصهيونية على رفع صوتها أن بعض المتكلمين باسمها كانت لهم حيثيتهم فى المجتمع البريطانى أمثال الثرى الكبير روتشيلد والعالم الخطير ويزمان • وفى ١٩١٧/٤/٢ دخلت الولايات المتحدة الحرب الى جانب الحلفاء وبدت أمارات النصر وكان الجيش العربى قد بدأ يستنفد أغراضه فى نظر الحلفاء فوجدت بريطانيا أن الظروف أصبحت مواتية لتجاهر بعطفها على الصهيونية فسعت لدى فرنسا حتى قبلت أن تصدر تصريحات فى صالح الصهيونية ووافق الرئيس الأمريكى ولسن على فكرة الوطن القومى اليهودى • وفى اليوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر التصريح المعروف باسم تصريح بلفور ، والذى أشرت اليه فيما سلف • ثم توالت الأحداث على نحو ما ذكرت آنفا الى أن قامت دولة اسرائيل فى فلسطين عقب مغادرة المندوب السامى البريطانى - سير آلان كنجهام Sir Alan Cunningham - فلسطين فى ١٩٤٨/٥/١٤ •

---

(١) أشير هنا الى اتفاق سيكس بيكو - الذى كان لا زال سرا - والذى اتفقت فيه بريطانيا وفرنسا على اقامة ادارة دولية فى فلسطين ، وهو الأمر الذى أرادت بريطانيا أن تتحلل منه سعيا منها لاستخلاص فلسطين لنفسها ، تلك الرغبة التى استغلتها الصهيونية كما ذكرت فى المتن •

الفلسفة اليهودية الدولية :

تستمد الفلسفة اليهودية فى تحديد العلاقات الدولية اليهـــودية من التلمود ـ وهو قاعدة البناء للصهيونية والدولة العالمية التى يتحـــدث عنها الحاخامات دائما ٠ وتقوم تلك الفلسفة على أفكار أساسية ثلاثة هى :

١ ـ أن اليهود شعب الله المختار ، فأرواح بنى اسرائيل تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ٠ والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات ، والاسرائيلى عنـــد الله أعلى مرتبـة من الملائكة(١) ٠

وقد خلقت هذه الفكرة لدى اليهود تعصبا عنصريا عرفوا به منذ أن نزلوا بأرض كنعان(٢) ٠ ولا أدل على ذلك من نزعتهم الانعزالة عندما دخلوا مصر مهاجرين سنة ١٦٥٦ ق٠ م بسبب المجاعة الساحقة التى نزلت بهم اذ نجد يوسف عليه السلام يهيىء لأهله اقامة بعيدة عن الاختـــلاط بالمصريين ويحتفظ لهم باستقلالهم فى العيش رغم ما بدا لهم من ترحيب فرعون وكرمه معهم(٣) ٠

واذا تركنا هذا المثل الى الدولة الاسلامية التى أبدت من التسامح معهم ما شهد به التاريخ(٤) ، نجدهم يعيشون مع ذلك فى عزلة ٠٠ وكلنا يعرف أن اليهود كانت لهم حارة فى مصر وأخرى فى الاسكندرية عرفت باسمهم ٠

وهذه الأمثلة ـ وغيرها كثير ـ تؤكد أن ظاهرة الانعزالية عند اليهود

---

(١) شميس ـ المرجع السابق ، ص ١٩

(٢) يقصد بأرض كنعان لغة الأرض الواطئة ، والكنعانيون قبائل من أصل عربى نزحت من جزيرة العرب حوالى سنة ٢٥٠٠ ق٠ م ، واستوطنت فلسطين ٠

(٣) « وبارك يعقوب فرعون وخرج من لدن فرعون فأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر فى أفضل الأرض أرض رعمسيس » ٠

التوراه ـ الاصحاح السابع والاربعون ٠

(٤) كذلك شهد بهذه الحقيقة كثير من المستشرقين أذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ جوستاف جرونباوم ـ راجع كتابه « حضارة الاسلام » ، الترجمة العربية ضمن مجموعة الألف كتاب ، ص١٨ وما بعدها ٠

انما ترجع الى طبيعة عندهء وعقيدة فى نفوسهم ٠

٢ ـ أن الدنيا كلها ملك للاسرائيلى ومن حقه أن يتسلط عليها بوصف أنه مساو للعزة الالهية ٠

وأسوق لذلك مثلا توضيحيا(١) من بين عـــديد الأمثلـة المشابهة ٠ والواقعة ترجع الى القرن الخامس العشر ٠ ففى يناير سنة ١٨٤٠ كتب شامور ـ ربانى يهود مدينة آرل من أعمال مقاطعة البروفنس ـ الى المجتمع اليهودى العالمى القائم فى الآستانة(٢) يستشيره بشأن تهديد فرنسيى اكس وآرل ومرسيليا لمعابد اليهود ٠ فتلقى الجواب التالى : (أيها الاخوة الأعزاء بموسى ٠٠٠ تلقينا كتابكم وفيه تطلعونا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا فكـــان وقع هـــذا الخبر شديد الوطأة علينــــا ٠ واليكم رأى المرازبة (الحـــكام) والربانيين ٠ بمقتضى قولكم ان ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى فاعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم ٠ بمقتضى قولكم انهم يأمرونكم بالتجرد عن أملاكم فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيـــين من أملاكهم ٠ بمقتضى قولكم انهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة والكيريكيين ليهدموا كنائسهم ٠ بمقتضى قولكم انهم يسومونكم اعتداءات أخرى كثيرة فاجعلـــوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل ليتدخلوا فى مسائل الحكومة لتخضعـــوا المسيحيين لنيركم فتستولوا على زمام السلطة العليا ٠ وبذلك يتسنى لكم الانتقام ٠ سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم فى ذلكم وضعفكم تتوصلون الى ذروة القوة والعظمة ٠٠٠ التوقيع أمير اليهود » ٠

ومما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون بشأن ســـيطرة اليهود على العالم ما ترجمته : « اعتدنا نحن حكماء صهيون أن نجتمع مرة كل عام بهيئة

---

(١) هذا المثل مأخوذ عن السيد أحمد حامد الفقى ـ الصهيونية سافرة ، ١٩٥١ ، ص ١٣٤ـ ١٣٦ ٠

(٢) بعد أن شتت اليهود من فلسطين عملوا على اقامة مراكز دينية لهم ازدهرت بعضهـــا وظلت الأخرى هزيلة وقد جرت عادة المراكز الضعيفة على أن تلجأ للمراكز الأقوى للفتـــوى والهداية والارشاد ٠

مجمع دينى لنبحث ما وصلنا اليه من تقدم نحو السيطرة التى وعدنا بهـا يهوا (اله اسرائيل فى اللغة العبرية) ٠٠٠ كان الذهب وسيظل دائما القوة التى لا تقاوم فبالذهب نشترى الضمائر الصلبة ونحدد الأسعار والأوراق المالية وأسعار المنتجات ونعقد القروض للدول فنسيطر عليها ٠٠ فلنحاول استبدال العملة الورقية بالذهب لنملأ صناديقنا بالذهب فندفع قيمة الورق ونصبح أسياد الجميع ٠٠٠ »(١) ٠

٣ ـ أن نقطة الارتكاز التى يتخذ منها اليهود تكأة نفرض سيطرتهم على العالم هى فلسطين ٠ ففيها يجب أن تقوم دولتهم لأنها أرض الميعاد ، ولذا يدعى اليهود أن فلسطين أرض مقدسة لا يحق لأى فرد احتلالها بل هى حق لليهود وحدهم(٢) ٠

وقد ورد فى بروتوكولات حكماء صهيون عن فلسطين أيضا أنها ليست الا حقل تجارب لاسرائيل فى الزراعة تمهيدا للثورة العمالية القادمة ٠

وقد ظل اليهود البعيدون عن فلسطين يصلون من أجل استعادة الأرض المقدسة واعادة بناء أورشليم ، كمـا تغنوا فى مزاميرهم بالأرض المقدسـة وقدسوا ذكراها وعكفوا يترقبون العودة اليها(٣) ٠

---

(١) شميس ـ المرجع السابق ، ص ٢٩ ـ ٣٠

(٢) جاك مارولى ـ عودة اسرائيل ، الترجمة العربية الملخصة ضمن كتاب « اسرائيل والفكرة الصهيونية » ص ٤٧ ٠

(٣) أسوق أبياتا مشهورة من أحد هذه المزامير تقول :

هناك على أنهار بابل جلسنا وبكينا عنـدما تذكرناك يا صهيـون
وعلى أشـجار الصفصاف علقنا أعوادنا بعـد أن طلب منا الذين
سبـونا أن نغنى لهم أغنيـة من أغـانى صهيون
كيف نغنى أغنيـة الـرب فى أرض غريبـة
شلت يمينى ان نسيتك يا أورشليم وان لم أفضلك على أعظم أفراحى
يا بنت بـابل طـوبى لمن يجـازيك جزاءك الذى جزيتنـا

والغالب أن هذه الأبيات وضعت بعد الفتح البابلى لأنها تذكر أن مغنيها فى أرض غريبـة وتتمنى لبابل أن يقع بها ما أوقعته بابل باليهود ٠ ومعروف أن نبوخذ نصر ملك بابل فتح القدس عام ٥٨٦ ق ٠م وأحرق الهيكل وأسر سكانها جميعا وحول مملكة اليهود الى مقاطعة بابلية ٠

وهذا هو الذى يفسر ما جاء فى الأغنية عن السبى وعدم الاستعداد لغناء أغنية الرب فى أرض غريبة ، كما أن الأغنية انتهت بدعوة الغير الى تحطيم بابل كما حطمت مملكة يهودا ٠

واذا تأملنا الأسس الثلاثة السالفة نجد أن العودة الى فلسطين هى حجر الزاوية فيها لأنها هى الركيزة التى توفر لليهود مكانا يعتزلون فيه غيرهم من الشعوب التى تهبط فى نظرهم الى الدرك الأسفل ، ثم انها الاقليم الذى يقيمون فيه دولتهم بقصد تحقيق السيطرة العالمية . فلا عجب والحالة هذه أن ينصرف اهتمامهم الأكبر الى العمل على العودة الى فلسطين فيسهل عليهم بذلك أن يوفروا الأسباب لتحقيق أهداف مستقبلهم . ولا عجب أيضا أن أقول ان العودة الى جبل صهيون لا تعنى قيام وطن سياسى لليهود فحسب بل تهدف كذلك الى البعث الروحى للطائفة بأسرها واحياء ثقافتها القديمة فى اطار دولة راسخة الأقدام تستطيع أن تبسط سيطرتها على العالم(١) .

ويدعونى الاستطراد أن أناقش هذا الشطر من الادعاء الصهيونى أى التمسك بفلسطين كوطن قومى لليهود .

ويبدو أن الصهيونية - بل وغيرها من النظريات الاسرائيلية - تبرر ذلك على أساسين : دينى ودنيوى ، أما الدينى فهو أن فلسطين هى أرض المعاد ، وأما الدنيوى فهو الحق التاريخى الذى يدعيه اليهود حيال فلسطين .

فاذا نظرنا الى الزعم الدينى نجد أنه لا يستند الا الى كتب اليهود وحدهم . وهم اذا كانوا يعتمدون فى ذلك على كلمة السماء فان كلمة الله التى نزلت أخيرا على محمد صلى الله عليه وسلم أكدت أن هذا الزعم لم يعد قائما بل ان اليهود غدوا محل غضب الله ولعنته . فقد وصفهم القرآن الكريم فى فاتحة الكتاب بأنهم « المغضوب عليهم » . وقال تعالى عنهم فى سورة المائدة « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » .

لقد وعد الله بنى اسرائيل بالتحرر فى أرض كنعان على يد موسى عليه السلام ، فلما عبر بهم موسى صحراء سينا أرسلوا رسلا الى أرض كنعان لاستطلاع أحوالها فعادت الرسل تخبر بأن الأرض يسكنها قوم أشداء فروع

---

(١) محمد خليفة التونسى - الترجمة العربية لكتاب « الخطر اليهودى ، بروتوكولات حكماء صهيون » ، ص ٢٦ .

بنو اسرائيل وخشوا دخول فلسطين وخذلوا موسى وجبنوا فحكم الله عليهم بالتيه أربعين عاما(١) • فأين ذهب وقتئذ حماس اليهود للأرض المقدسة وهذا نبى الله يقود بنى اسرائيل بوعد من ربهم • ومع ذلك فان هذا الادعاء ذو صبغة دينية ، والدين ليس مصدرا من مصادر الحق فى العلاقات الدولية المعاصرة •

أما الحق التاريخى ـ وهو المبرر الزمنى ـ فتعبير يعادل فى القانون الدولى تعبير « التقادم المكسب » ، أى أن الحق التاريخى يعنى الحق الذى اكتسب نتيجة تقادم العهد على ممارسته واستعماله • فهل لليهود ـ بعد أن هجروا فلسطين قرابة ألفى عام ـ حق تاريخى بهذا المفهوم ، أو بتعبير آخر هل مارس اليهود السيادة على فلسطين وظلوا دائبين على ذلك الى أن قامت الدعوة الصهيونية ؟ ان الجواب القاطع على ذلك هو بالنفى • فالثابت من التاريخ أن دولة اليهود ـ على عدم اتساع رقعتها فى فلسطين ـ فقدت كيانها السياسى نهائيا منذ القرن الاول الميلادى عندما احتل الرومان سورية وفلسطين وشردوهم منها فى أوائل القرن الثانى الميلادى فتفرقوا فى كل مكان لا ينشدون الا مواطن الربح ومنازل الثراء • أى انهم تخلوا عن اقليم دولتهم ـ وكان يشغل كما قلت جزءا من فلسطين فحسب ـ ونسوه فى غمرة البحث عن المال(٢) • واذا كان اليهود قد دأبوا على الصلاة لاستعادة فلسطين

---

(١) يقص القرآن الكريم تلك القصة فى سورة المائدة بقوله عز وجل «ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين • قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون • قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين • قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون • قال ربى انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين • قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » •

(٢) يقول المؤرخ ريناش فى ذلك : « لقد اجتمعت كلمة كثير من المؤرخين ـ وتؤيدهم فى ذلك الحفريات والآثار ـ على أن اليهود كانوا منتشرين منذ القرن الأول للميلاد فى جميع جهات حوض البحر المتوسط ومنذ ذلك الزمن البعيد لم يبق لهم صلة بفلسطين ولم يفكروا فى العودة اليها ، بل انهم على العكس من ذلك قد تفرقوا فى كل مكان لا ينشدون شيئا غير استيطان المدن التجارية الزاهرة طلبا للربح الوفير مثل الاسكندرية والقاهرة وطرابلس وايطاليا واليونان وآسيا الصغرى وقبرص وصقلية وأسبانيا وغيرها » •
Reinach : Histoire des Israélites, 1910, p. 1B.

واعادة بناء أورشليم فان هذا كان أملا دينيا يرجون تحقيقه عن طريق نبى يبعث ولم تنصرف نيتهم الى أمل سياسى . ونظرا لأن السيادة نظرية سياسية فان صلاة اليهود هذه لا تعتبر تمسكا منهم بالسيادة . وقد صاحب ترك اليهود لفلسطين ان دولا أخرى وضعت يدها على الاقليم ومارست مظاهر السيادة عليه . وحرى بالذكر أن نقول ان العرب لم يتسلموا فلسطين من اليهود وانما تسلموها من المسيحيين الذين كانوا غالبية السكان وأصحاب السيادة .

قد يعترض على هذا القول بأن الصهيونية لم تقصد بالحق التاريخى معناه القانونى السالف وانما قصدت به معنى خاصا بها هو أن فلسطين هى أرض آباء اليهود وأجدادهم وبها أماكنهم المقدسة . ولكن هذا الاعتراض لا يغنى الصهيونية من الحق شيئا .

فهو أولا يجافى الحقيقة لأن أجداد اليهود لم يكونوا من أصل فلسطينى بل هم كلدانيون هاجروا مع ابراهيم عليه السلام الى النقب فى جنوب فلسطين ، ولم يكونوا أول من سكن فلسطين بل وفدوا على البلاد وفيها أهلها الأصليون الكنعانيون (وهم من أصل عربى) ، وظلوا قلة بالنسبة الى سكان فلسطين . ولم يقص التاريخ أن اليهود سيطروا على فلسطين جميعها ولا حتى على الجزء الغالب منها فى أية حقبة من الزمن حتى فى فترة قيام مملكتى يهودا وأسرائيل ، وهو العهد الذى امتدت فيه مملكة اليهود الى أوسع مدى بلغته(١) .

---

(١) قلت فيما سبق ان مملكتى يهودا واسرائيل تكونتا من انقسام ملك سليمان بعد وفاته . ذلك أن سليمان — كما تقول المصادر الاسرائيلية — سام الناس سوء العذاب وأرهقهم بالضرائب فلما توفى طالب اليهود ابنه برفع الظلم عنهم فتوعدهم بمزيد من القسوة ولذا انفصل عنه عشرة من أسباط اسرائيل ولم يبق على الولاء له الا سبطان فقط — هما يهودا وبنيامين — ومن هذين السبطين تكونت مملكة يهودا . أما مملكة الأسباط العشرة فكانت اسرائيل . والمؤرخون غير متفقين على تاريخ نشوء هاتين المملكتين فالبعض يرجع ذلك الى ٩٧٦ ق. م والبعض الآخر يرجعه الى ٩٣٠ ق. م . ولكنهم اتفقوا على أن العلاقات بين المملكتين قامت على العداء المستمر والاحن المتواصلة .

وكانت مملكة يهودا تمتد فى شريط غير متسع حول القدس من البحر الميت الى البحر

ويبدو المنطق الاسرائيلى أكثر عجبا عندما يتخذ من الأماكن التى يقدسها اليهود حجة لتدعيم مطالبته بفلسطين لأن هـــذا يكون بمثابة من يقول ان للباكستان مثلا حق امتلاك اقليم الحجاز لأن به الأماكن التى يقدسها الشعب الباكستانى ٠ كما أعود هنـــا فأذكر بأن المزاعم الدينية لا ترتب حقوقا فى العلاقات الدولية لأن ذريعة كهذه تنقض القانون الدولى من أساسه وتعارض هدفه الحقيقى وهو توطيد السلم الدولى واستتباب الأمن فى الجماعة الدولية ٠

الفرع الثانى

فى

خطورة وجود اسرائيل فى العالم العربى

تمهيـــــد :

عرفنا أن اسرائيل — وهى أداة الصهيونية لتحقيق أهدافها — انما تدين بما تنادى به الصهيونية وتسعى جادة لتحقيق أهدافها ٠ وعرفنا كذلك أن البرنامج الصهيونى الذى قامت اسرائيـــل على أساسه — وهو دســـتورها الجوهرى الذى لا تستطيع أن تحيد عن مبادئه — يقضى باقامة دولة يهـــودية تتسع لجميع يهود العالم وتعيد بناء مجد بنى اسرائيل(١) ٠ فما قيام اسرائيل الا خطوة أولى نحو تحقيق الهدف الأكبر لليهودية الصهيونية ، وذلك بضم جميع الأراضى التى تنقلت فيها قبائل اليهود فى العصور القديمة ٠

المتوسط ٠ وقد أبادها البابليون ما بين عامى ٥٩٧ ، ٥٨٧ ق٠ م ٠ وشردوا أهلها ٠

أما مملكة اسرائيل فكانت تقع شمال مملكة يهودا — وكانت تسمى كذلك مملكة السامريين نسبة الى سامراء آخر عاصمة اتخذتها — وقد استولى عليها الأشوريون عام ٧٢٢ ق٠ م فكان ان اندمج سكانها فى الشعوب المجاورة وانصهروا فيهم ٠ وعلى كل فان السامريين كانوا قد انفصلوا بواقعهم عن اليهودية لأنهم أصبحوا — كما تجمع المراجع التاريخية — قوما وثنيين او لا دين لهم ٠

ومن ثم فان البقية من اليهود التى بقيت هم طريدو مملكة يهودا ، ولا يمكن أن تكـــون الأرض المقدسة التى يعنيها هؤلاء سوى الرقعة المحدودة التى كانت تشغلها تلك المملكة فحسب والتى ارتبطت بها مشاعرهم لمصادفة وجود مدينة أورشليم (القدس) بها ٠

(١) عميد الامام — الصلح مع اسرائيل ، سنة ١٩٥٤ — ص ٢١ ٠

ومن ثم فان اسرائيل انما تمثل خطراً جديا يحيق بحياة الدول العربية ما بقيت اسرائيل وذلك بغض النظر عن طبيعة العلاقات التى تربط بينها وبين الدول العربية سلمية كانت تلك العلاقات أم عدائية ٠

ذلك أن الصلح مع اسرائيل لن يدعو اسرائيل الى التخلى عن حلمهـــا الكبير لأن استدبار ذلك الحلم يعنى ـ فى نظر اسرائيل ـ تخليها عن نفسها ٠ وحلم اسرائيل الكبير هو أن تصبح حدودها من الفرات الى النيل ، فذلك هو شعارها المكتوب على برلمانها « الكنيست »(١) ، وذلك هو ما يؤكده المسئولون فيها(٢) ، وذلك هو ما يبشر به كتابها المقدس(٣) ٠

---

(١) يسمى اليهود ـ فى الخرائط التى يدرسونها لطلبتهم فى المدارس ـ الاقسام التى فى يد العرب من فلسطين ـ وكذا شرق الأردن ـ باسرائيل التى يحتلها العرب ٠ كما جعل الكنيست شعاره « حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » ٠

(٢) أورد أكرم زعيتر ـ المرجع السابق ـ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ فقرات من تصريحات وخطب جاءت على لسان قادة اسرائيل نذكر منها : ما قاله بن جوريون ـ وهو رئيس ســابق لوزارة اسرائيل ـ أثناء اجتماع الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ من أن « الانتصارات العسكرية الأخيرة هى احدى المقدمات لأهداف اسرائيل البعيدة فعلى الشعب أن يكتل قواه للوصول الى تلك الأهداف ٠ استعدوا للوصول الى الهدف النهائى فى بناء الدولة اليهودية وجلب يهود العالم جميعا وتحقيق البنود الواردة فى التوراة » ٠ وما صرح به النائب آريه التمان فى البرلمان اليهودى فى مارس سنة ١٩٥٢ بأن واجبهم هو « افهام العالم بصراحة أن غاية اسرائيل فى حشدها اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة وكثافة أن تخلق حدودا لها بين العراق والسويس » ٠ وما جاء على لسان مناحيم بيغن ـ زعيم أرغون زفان ليومى ـ وهو يخطب فى تل أبيب بأن اسرائيل بوضعها الحالى لا تمثل الا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء وأنه يجب العمل على تحرير الأربعـــة الأخماس الباقية » ٠

وقد خطب دافيد بن جوريون رئيس أول حكومة اسرائيلية فى المنظمة الصهيونية العالمية عند انعقاد أول مؤتمر لها بعد اعلان اسرائيل فقا ل« ان هذه الدولة الوحيدة التى ليست غاية فى ذاتها ، وانما هى أداة لتحقيق الصهيونية ٠٠ » وفى ١٩٤٩/٨/٣١ صرح بأن اقامة دولة يهودية فى اسرائيل ليس الا بداية الطريق ٠

عميد الامام ـ المرجع السابق ـ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ٠

(٣) جاء فى التوراة الاسرائيلية « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات ٠ فالآن قم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها لكم (أى لبنى اسرائيل) ٠ كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى ٠ من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميـــع أرض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم » ٠

يشوع ـ الاصحاح الأول ٠

واذن فاسرائيل تضمر سياسة استعمارية عدوانية تهدف الى التهـــام الشرق العربى ، وهى سياسة تتشبث بها اسرائيل لأنها تحل منهـــا محل العقيدة • وتبعا فان مهادنة اسرائيل لن تحقق الا الوبال على الدول العربيـة لأن كل ما ستأتى به لهذه الدول هو سلم مؤقت يمكن اسرائيل من أن تتجهز على نحو أكمل وأسرع لبلوغ غايتها •

كما أن بقاء اسرائيل ــ مع قيام حالة الحرب بينها وبين الدول العربية ــ يجعل من اسرائيل نقطة ارتكاز قوية للاستعمار الغربى يستطيع عن طريقها أن يدبر المؤامرات ضد الدول العربية وأن يحاول تنفيذ سياسته الامبريالية حيال هذه الدول • ذلك أن اسرائيل بوضعها الحـــالى لا تتوفر لها امكانيات البقاء فالأراضى التى تحت يد العرب من فلســـطين هى الأراضى التى درجت فلسطين فى الماضى على الاعتماد عليها فى تموينها ، كمـــا أنها اذا أرادت أن تكون دولة صناعية فهى فى حاجة الى أسواق خارجية لتصريف منتجاتها(١) والأسواق الطبيعية لما تصنعه اسرائيل هى البلاد العربية • ولذلك فان النقص فى الطعام ، وما يصاحبه نزاما من غلاء فاحش وقيود على الاستهلاك بالاضافة الى تأثر الصناعة اليهودية من جراء اغلاق الأسواق العربية فى وجه المنتجات الاسرائيلية وما يصاحب الركود الصناعى عادة من أزمات مضافا الى هـــذا ما تتكبده اسرائيل من نفقـــات لاستعدادها الحربى يبلغ حـــوالى ٥١٪ من ميزانيتها السنوية(٢) • كل ذلك يدفـــع اسرائيل الى أن تعتمد على معونات وقروض الدول الاستعمارية وتبعا يجعل من اسرائيل تابعة ويؤدى بها الى أن ترتمى فى أحضان الدول الاستعمارية وأن تصبح أداة لها تحركها كما تشاء لتحقيق أطماعها الاستعمارية حيال الدول العربية الأمر الذى يزكيه أن الدول العربية تعتبر خصما مشتركا بالنسبة لكل من اسرائيل والدول الاستعمارية•

وما كان لاسرائيل أن تتقـــدم خطوة الى الأمام أو أن تعيش فترة من

---

(١) عميد الامام ــ المرجع السابق ــ ص ١٢ ــ ١٤ •

(٢) أكرم زعيتر ــ المرجع السابق ــ ص ٢٩١ •

الزمان بدون تلك المعونات والقروض(١) .

وهكذا نجد أن اسرائيل - فى حالتى السلم والحرب - ليست الا نكبة على البلاد العربيـــة ، وتبعا فليس أمام الدول العربيـــة الا أن تتخلص من إسرائيل كلية ان هى أرادت الدفاع عن حقها فى البقاء ، تلك حقيقة تفرضها الظروف وليس للدول الا أن تختار بينها وبين أن تسلم مصيرها للفناء .

الخطر الاسرائيلى على العرب :

أوضحت فى التمهيد كيف أن حل قضية فلسطين حـــلا عربيا أصيلا لا يحقق صالحا عاما للعرب فحسب بل هو كذلك تأمين للصالح الخاص لكل دولة من الدول العربية على حدة . وليس من جدل أن الخطر الاسرائيلى خطر شامل يتناول النواحى العسكرية والاقتصادية والاجتمـــاعية ، وتلك نواح أزيدها ايضاحا لبيان ما يتهدد البلاد العربية من خطر بسبب قيام اسرائيـــل وتعاونها مع الاستعمار .

---

(١) يؤكد استعراض الوضع المالى لاسرائيل أنها تعتمد اعتمادا بينا على الأموال التى ترد لها من الخارج بمعونة الاستعمار . ونستشهد على ذلك بما يقوله كاتب صهيونى النزعة هو أندريه شوراكى .

يقول الكاتب المذكور ان اسرائيل كانت فى حاجة الى ١٧١٠ مليون دولار خلال الفترة من ١٩٥٤ الى ١٩٦٠ ويعترف بأن اسرائيل تعتمد فى تحقيق هذا المبلغ على ما يرد لها من مساعدات من الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ومن استغلال رؤوس الأموال الخاصة ومن حصتها فى التعويضات الألمانية ومن القروض الخارجية (أو بتعبير آخر على ما تقدمه لها دول الاستعمار بطريق مباشر أو غير مباشر) .

راجع أندريه شواركى - المرجع السابق - ص ١١٦ - ١١٩ . راجع أيضا حسين فوزى النجار - مع الأحداث فى الشرق الأوسط ١٩٥٧ .

ويقول هدلى كوك Hedley Cooke الأمريكى عن هذه المساعدات فى كتابه « اسرائيل : نعمة ونقمة Israel : a blessing and a curse " تحت عنوان «الأموال المتدفقة على اسرائيل » ان مجموع المساعدات - بما فيها الرسمية والشخصية - تصل الى ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (ثلثمائة مليون) دولار سنويا . وهذا الرقم يكون ٥٠٪ من مجموع الميزانية لحكومة اسرائيل ، ولكى تتضح الصورة يجب المقارنة بين المساعدات التى تحصل عليها اسرائيل والدول الأخرى .. »

ومن ثم فان قيام اسرائيل يرمز دواما الى استمرار تلك السياسة ويعنى أن الاستعمـــار لا زالت له اصبع تلعب فى منطقة الشرق الأوسط وتهدد مصالح دوله العربية .

١ ـ الخطر العسكرى :

لست بحاجة لأن أتناول هذا الخطر بمزيد من التفصيل فواقعه أظهر من أن يحتاج الى تفصيل • فعدوان اسرائيل سنة ١٩٥٦ تم باتفاق بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا ، وعدوان سنة ١٩٦٧ جاء غدرا بعـــد أن باركته أمريكا وشدت أزره بريطانيا • ويضيق المجال عن تعداد الحوادث التى ارتكبتهـــا اسرائيل ضد سوريا والأردن ومصر •

ان اسرائيل تمثل برميل بارود فى المنطقة يهدد بالانفجار فى أى وقت ، وترسانة عسكرية للغرب(١) تتخذ من العدوان والتهـديد به وسيلة للضغط والارهاب ، وتتجهز لذلك بامكانيات وطاقات أقل ما توصف به أنها تضـــع المنطقة فى حالة حرب دائمة •

تنفق اسرائيل على تسلحها(٢) ما يناهز نصف بليون دولار ســـنويا وتخصص ما لا يقل عن ١٠٪ من انتاجهـــا القومى للحاجات العســـكرية المباشرة(٣) •

واذا كان الجيش العامل فى اسرائيل يبلغ حوالى ٧٠٫٠٠٠ مقـاتل فان هذا الجيش يصل ـ عند التعبئة العامة ـ الى قرابة ٣٥٠٫٠٠٠ مقـــاتل فاذا قسمنا هذا العدد بمجموع سكان اسرائيل ـ لا سيما القادرين منهم على الخدمة العسكرية ـ نجد أن النسبة ـ التى لا مثيل لها فى أية دولة أخرى أيا كانت المخاطر التى تتعرض لها ـ تشير الى أن شعب اسرائيل يكاد يكون كله جنودا أو فى عبارة أخرى أن كيان اسرائيل لم يرسم على النمط الطبيعى للدول التى

---

(١) أذكر هنا بما قلته آنفا من أن الموقف الراهن لأمريكا يسمح للأمريكيين بالخدمة فى الجيش الاسرائيلى والمحاربة فى صفوف الصهيونية دون أن يفقدوا جنسيتهم أو ينالهم عقاب • ولا يغرب عن البال أن الجيش اليهودى يغنى الغرب عن ارسال قوات الى المنطقة اذا هى أرادت قمع حركة تحررية أو فرض سياسة معينة •

(٢) المعلومات التى أذكرها فى المتن نقلتها عن كاتب يهودى لتكون بمثابة اقرار • راجع فى ذلك Fein, Leonard V. : **Politics in Israel**, Boston, 1967, pp. 202-206.

(٣) هذه التقديرات لا تشمل المعونات الأجنبية كما لا تتضمن النفقات المصنفة والمساهمات الضخمة التى تقوم بها قطاعات الاقتصاد الأخرى فى مد المجهود العسكرى بحاجاته •

تريد أن تعيش فى سلام بل رسم بعقلية عسكرية ليجعل من اسرائيل رقعة يدرب فيها جيش الصهيونية الذى يعد للفتح والغزو وان كان هذا الجيش قد البس ثوب الدولة حتى يعمى الحقيقة ويخفى النوايا الشريرة ، ولذ فان كل يهودى يأتى الى اسرائيل لايعدو أن يكون جنديا يضاف الى جيش العدوان(١) ، ويبدو هذا أكثر وضوحا اذا تصورنا المساحة الضيقة التى يوجد عليها هذا العدد العرمرم • فلا عجب اذن — وهذه هى حقيقة السكيان الاسرائيلى — أن تمتد مسئوليات الجيش الى كافة شئون الدولة حتى التعليم وأن يعتبر هو رمز الدولة اليهودية(٢) •

هذا ويمكن أن نذكر الجاسوسية من بين الأخطار العسكرية التى يتعرض لها الوطن العربى حيث تعتبر اسرائيل ركيزة لنشاط الجاسوسية الاستعمارية ومغامراتها •

٢ — الخطر الاقتصادى(١) :

تمثل اسرائيل خطرا اقتصاديا على الوطن العربى من عدة نواح — فاليهود — وهم أصحاب شهرة واسعة كوسطاء فى العلاقات التجارية — يأملون القيام بهذا الدور فى علاقة الدول العربية بالغرب ، ويساعدهم كبار رجال الأعمال طمعا فى أن يتحقق هذا الحلم يوما ما فيحتكرون بيع المواد الخام التى تصدرها البلاد العربية للغرب ويسيطرون على واردات الغرب الى الوطن العربى • والى أن يتحقق لهم هذا الخيال يبذلون جهود الجبابرة فى محاربة

---

(١) تفرض الخدمة العسكرية فى اسرائيل على الرجال والنساء ويبقى الرجال فى الاحتياط تحت الطلب حتى سن ٤٩ سنة ، أما النساء فيبقين حتى سن ٣٤ سنة •

(٢) وأترك الوصف هنا للكاتب اليهودى الذى يقول :

" The army is not only taken for granted, it is honored. However much earlier tradition of the Jew eschewed the military, Israelis have come to know the armed forces as their lifelive......... There is no question that the army is seen as the most 'pure' of Israel's institutions".

فين — المرجع السابق ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ •

(١) راجع الدكتور جلال يحيى — مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، الاسكندرية ١٩٦٥ ، ص ٢٥٥ — ٢٥٩ •

الصناعة العربية ووضع العراقيل أمامها بالضغط على الغرب حتى يمتنع عن تقديم القروض أو المصانع اللازمة لتحقيق النهضة الاقتصادية العربية • كما تسعى اسرائيل جاهدة لتثبيت نفوذها الاقتصـــادى فى أفريقيا اســـتكمالا لدورها فى خنق الاقتصاد العربى بسد المنافذ أمامه من الجنوب[1] •

ولا تترك اسرائيل فرصة الا انتهزتها لتحطيم الاقتصاد العربى • فقـد شاركت فى الحملة المسعورة التى قامت بها الدول الاســـتعمارية لمنع مرور البترول من قناة السويس اثر تأميم القناة ، وقامت ببناء خط آنابيب يصل بين ميناء ايلات على خليج العقبة وبين أسدود مارا ببير سبع ــ وهو الخط الذى أسهمت أسرة روتشيلد فى تمويله ــ كما تباشر بنـــاء خط للأنابيب سعته خمسون مليون طن فى السنة لنقل البترول من ميناء ايلات الى ميناء عسقلان على البحر المتوسط ومن المقدر أن تنتهى أعماله قريبا ان لم تكن قد تمت • وعندما أسهمت فى العـــدوان الثلاثى تركت وراءهــا آبار الزيت المصرية فى سيناء خربة •

كما يعتبر مشروع تحويل مجرى نهر الأردن مثلا للخطر الاقتصـــادى الذى يحيق بالوطن العربى • ويرمى هذا المشروع الى تحويل مجرى النهر الى مجرى جديد يشق الأرض المغتصبة من فلسطين ليروى صحراء النقب ــ وتقدر مساحتها بثلثى مساحة فلسطين ــ ويشيع الحياة فى الأرض البور لتستوعب

---

(١) قدمت فرنسا وبريطانيا مساعدات لاسرائيل تشجعها على تنفيذ مخططها الاقتصادى فى افريقيا • فقد سمحت فرنسا لاسرائيل ــ بعد العدوان الثلاثى ــ باستخدام ميناء جيبوتى (على ساحل الصومال) الأمر الذى ييسر لاسرائيل التوغل فى الحبشة والسيطرة على اقتصادياتها • وهنا لا ننسى أن امبراطور الحبشة ينتسب الى منليك الأول ابن سليمان من زوجته ملكة سبأ وأن جماعة الأجاو Agao فى الحبشة يمارسون ديانة هى خليط من اليهودية والوثنية ويسميهم الأحباش بالاسرائيليين كذلك تعاونت بريطانيا مع اسرائيل فاذنت لها بممارسة نشاط اقتصادى على ساحل افريقية الغربية • ومعنى هذا ــ أى الامتيازات التى حصلت عليها اسرائيل فى جيبوتى وافريقية الغربية ــ أن النشاط اليهودى الاقتصادى يمتد على حزام يربط شرق أفريقيا بغربها • يضاف الى هذا أن جنوب افريقيا به حوالى مائتى ألف يهودى من المهاجرين الأوروبيين والامريكيين لهم مائتا كنس Synagogues

Parrinder, Geoffrey : Religion in Africa, Penguin African Liberary, 1969, pp. 223-226.

ملايين جددا من الصهيونيين(١) • والذى قام بدراسة هذا المشروع وتحويل مجرى النهر يعنى القضاء على حياة الأردن الاقتصادية •

كذلك تمثل اسرائيل خطرا مباشرا على البترول العربى(٢) يتكشف فى تغلغل رأس المال الصهيونى فى الشركات الغربية التى تعمل فى الوطن العربى وفى امتداد يد اسرائيل الى منشآت البترول العربى • واذا كان من المتعذر علينا أن نتعرف على الصورة الدقيقة لتلاعب الصهيونية بمقدرات البترول العربى فلا أقل من أن نتبين بعض ملامحها •

فهناك مثلا عائلة كعائلة روتشيلد ـ ودورها فى تدعيم الصهيونية غنى عن التوضيح ـ تملك أسهما فى بعض الشركات البترولية العاملة فى الوطن العربى(٣) • ومن المؤسف أ نالدول العربيـــة لا تتحرى بدقة ـ عنــد منح الامتيازات البترولية ـ عن طريقة تكوين رأس مال الشركة طالبة الامتياز • وحتى اذا هى تحرت فان الأخطبوط الصهيونى قادر على أن يخفى مصـــالحه بطرق مستترة • وكان متوقعا ـ نظرا لأهمية البترول فى اقتصاد اسرائيل ـ أن يستغل سلاح المقاطعة لهدمه وذلك بمقاطعـة الشركات والدول التى تمون اسرائيل بالبترول(٤) ، وهذه مهمة مكتب مقاطعة اسرائيل ومن بعده الدول

---

(١) قام بدراسة هذا المشروع لصالح اليهود بعثة أمريكية من الخبراء والمهندسين برئاسة مهندس أمريكى يدعى هيز • وقد حاول الأمريكيون التوفيق بين رغبات اسرائيل وحقوق العرب بمشروعات تعمل على توزيع المياه بين الأردن واسرائيل ولكنها كانت جميعا مشروعـــات متحيزة لاسرائيل ، وهذا يوضح مدى تعاون الاستعمار مع اسرائيل على حساب الاقتصاد العربى •

راجع فى هذا الموضوع ـ الدكتور حامد سلطان ـ المشكلات القانونية المتفرعة على قضـــية فلسطين ، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٦/ ١٩٦ •

(٢) راجع سركيس ـ المقال السابق ، ص ٦٣٨ ـ ٦٤٢

(٣) من تلك الشركات شركات شل وجولف أويل كوربوريشن والبترول الفرنسية • والأمر ليس قاصرا على أسرة روتشلد فهناك مؤسسات مالية يهودية معروفة تملك قسما من رأسمـــال الشركات البترولية الغربية التى تعمل فى البلاد العربية ، ومن هذه المؤسسات مؤسسة صويل ومؤسسة لازار اخوان •

(٤) من الشركات التى تمون اسرائيل بالبترول شركتا سوكونى فاكوم وشل • وتتحايل هذه الشركات أحيانا على الحقيقة بتأسيس شركات تابعة أو منتسبة حتى تزعم أنها غير مسئولة عن العمليات التى تؤديها الشركات المتفرعة بوصف الأخيرة ذات شخصية قانونية مستقلة • ومن الدول التى تمد اسرائيل بالبترول ايران وفنزويلا واندونيسيا •

العربية التى لم تؤد بعد ٠

أكثر من هذا ، فان يد اسرائيل تمتد اليوم مباشرة الى البترول العربى اذ تضع يدها – بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ – على آبار البترول فى شبه جزيرة سيناء كما تسيطر فى الأراضى السورية المحتلة على جزء من خط أنابيب شركة التابلاين الذى ينقل البترول السعودى الى ميناء صيدا فى لبنان(١) ٠

ولا مرية فى أن تسرب النفوذ الصهيونى الى البترول العربى – من أى زاوية كان – يمكن أن يشكل خطرا جديا على الاقتصاد العربى الذى يعتبر البترول بمثابة عصب من أعصاب الحياة بالنسبة له ٠

٣ – الخطر الاجتماعى :

قامت اسرائيل على أشلاء الشعب العربى الفلسطينى الذى شرد من بلاده هائما لا يعرف له مأوى وأصبحت اسرائيل تمثل خطرا اجتماعيا على حياة ذلك الشعب الشريد ٠

ان فلسطين فى نظر الصهيونية وطن بلا شعب – أو يجب أن يكون بلا شعب(٢) – حتى يصبح المأوى لليهود وهم شعب بلا وطن ٠ وقد وضحت تلك النية فى دعوة الكثيرين من رواد الصهيونية ٠ فهذا ابن آفى انكاتب اليهودى ينادى – فى مقالات نشرتها صحيفة « دوارها يوم » العبرية سنة ١٩٢١ – بأن « على اليهود أن يطهر وطنهم فلسطين من المغتصبين ، وأن على سكان

---

(١) تطالب اسرائيل بقسم من عائدات النقل فى هذا الخط ، وهو شطر من العائدات التى تدفعها شركة التابلاين الى الحكومات العربية التى يمر الخط باقليمها ٠ ومن المخاطر التى لم تتأيد بعد احتمال قيام اسرائيل بضخ كميات من البترول الذى ينقل عبر هذه الأنابيب ٠

(٢) تقدر الأمم المتحدة الذين شردتهم حرب سنة ١٩٤٨ بحوالى ١٫٣ مليون نسمة تقوم على رعايتهم هيئة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ٠ وقدمت الجمعية العامة مهمة هذه الهيئة مؤخرا الى يونيو ١٩٧٢ ٠

وقد أدى عجز ميزانية هيئة الغوث سنة ١٩٦٩ بحوالى خمسة ملايين دولار الى أن يقتصر الغذاء اليومى الذى يقدم للاجئين على الدقيق والزيت فى حدود عشرة سنتيمات فقط ٠

وهؤلاء اللاجئون لا يشملون من أخرجوا من ديارهم اثر عدوان سنة ١٩٦٧ ٠ ومن الجدير بالتذكر أن هؤلاء الأخيرين لا يدخلون ضمن مسئولية الأمم المتحدة وانما تتكفل بشئونهم أساسا الأردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة ٠

فلسطين المسلمين أن يرحلوا الى الحجاز والصحراء وأن على سكانها المسيحيين أن يجلوا عنها الى لبنان »(١) ٠ وهـذا ويزمن يعترف فى مذكراته(٢) بأنه « اتفق مع الحكومة البريطانية التى تبنت الحركة الصهيونية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب ٠ وكنا نقدر لذلك الاتفاق أن يتحقق فى عام ١٩٣٤ لولا أن الثـورات التى قام بها عرب فلسـطين عاقت ذلك » ٠ واستطاع الصهيونيون أن يتجهزوا لتحقيق تلك الخطة بفضل سياسة التغافل التى انتهجتها دولة الانتداب حيال التدابير التى اتخـذها المذكورون للتزود بالسلاح والعتاد فى حين شددت النكير على كل محاولة عربية للتسلح ٠ ولذلك خلفت بريطانيا فى فلسطين ـ عندما أنهت انتدابها ـ عصابة من اليهـود المسلحين وشعبا عربيا أعزلا ٠ ومع ذلك صمد العرب لفظائع اليهود واحتملوا المذابح التى اقترفوها حتى جاوزت كل احتمـال فاضطروا الى الفرار وقد تقطعت بهم كل أسباب المقاومة ٠ ولم تكن تلك الهجرة بيعا من عرب فلسطين لبلادهم أو تهاونا منهم فى التمسك بوطنهم بل ضرورة لا مناص منهـا(٣) ٠ هذا عن من ترك فلسطين من العرب ٠ ولا ننسى ـ ونحن بصدد الكلام عن اللاجئين العرب ـ أن نضيف الى من شردتهم حرب ١٩٤٨ أولئك الذين شردهم عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ والذين أجبرتهم السلطات الاسرائيلية على مغـادرة بلادهم سواء أكانوا من الضفة الغربية أم من قطاع غزة ٠

أما من بقى فى اسرائيـل فكانوا يقدرون فى سنة ١٩٤٨ بحـوالى

---

(١) اللاجئون الفلسطينيون ـ تقرير عن الأمانة العامة للجامعة العربية ، ادارة فلسطين ، شعبة اللاجئين ، ص ٩ ٠

(٢) اللاجئون الفلسطينيون ـ المرجع السابق ، ص ٣ ٠

(٣) تؤيد الاحصائيات تلك الحقيقة ، فقد دلت البيانات على أن الذين خرجوا من اللاجئين خلال فترة الهدنة الأولى لم يتجاوزوا ١٠٪ من مجموع اللاجئين العام أى أن الفلسطينيين ظلوا متمسكين بالبقاء فى وطنهم رغم قيام النزاع المسلح بين العرب واليهود ٠ كما ثبت أن ٨٥٪ من اللاجئين هم من الأشخاص العاجزين عن حماية أنفسهم ، وهذا يؤكد أن الذين هاجروا لم يكن أمامهم الا الاختيار بين الهجرة أو الموت المحقق دون مقابل ٠

اللاجئون الفلسطينيون ـ المرجع السابق ، ص ١١ ـ ١٣ ٠

٠٠٠ر١٦٠ عربي(١) تركزوا في ثلاث مقاطعات تحت رقابة وزارة الدفاع هي :

أ ـ المنطقة الشمالية أو الجليل ، وتشترك في الحدود مع سورية ولبنان وتشمل حوالى ٦٠٪ من مجموع العرب فى اسرائيل ٠

ب ـ صحراء النقب ، وتشترك حدودها مع الأردن ومصر ويسكنها قرابة ٧٪ ٠

ج ـ المنطقة الوسطى التى تسمى « المثلث الصغير » بين الهيزة والطيبة، ولها حدود مع الأردن ويقطنها ما يناهز ٢٠٪ ٠

وينقسم العرب داخل اسرائيل الى ثلاث جماعات دينية هم : المسلمون السنيون (٧٠٪ من المجموع الكلى) ، والدروز(٢) ٢٠٪ ، والمسيحيون ١٠٪ ٠

ويعيش العرب داخل اسرائيل تحت ارهاب عسكرى لا يسمح لهم بحرية الكلمة أو الانتقال اذ تخضع الأقاليم التى يسكنونها للحكم العسكرى(٣) ٠ وهم فى وضع اجتماعى متدن يسكن ثلاثة أرباعهم القرى ولا تعدو منازلهم الكبرى ـ الناصرة وشفا عمرو ـ أن تكون قرى ٠ ويعانون ـ فى الدولة العنصرية بطبيعتها ـ من تمييز عنصرى مرهق الأمر الذى دعى لجنة الطلبة

---

(١) أصبح عدد العرب فى اسرائيل ٠٠٠ر٣٠٠ فى نهاية عام ١٩٦٥ أى بزيادة قدرها ٤٪ على المتوسط سنويا ويتكاثر العرب بنسبة أكبر من نسبة تكاثر اليهود الأمر الذى يقلق بال السلطات الاسرائيلية فنجد أن نسبة العرب الى مجموع السكان كانت ٨ر١٠٪ سنة ١٩٥٧ ، فاصبحت ١٢٪ فى أواخر عام ١٩٦٦ ٠

راجع فى أحوال العرب عموما فى اسرائيل تقارير الجامعة العربية وكذا :

أ ـ على محمد على ـ فى داخل اسرائيل ، كتب قومية ، ص ١٥٢ ـ ١٩٣ ٠

ب ـ Landau, Jacob M.: The Arabs in Israel, London, 1969.

(٢) الدروز طائفة خرجت عن الاسلام السنى منذ قرابة ألف عام ٠ ولكن بعض أمرائها يؤكد أن « الدروز فرقة من الفرق الاسلامية أصلهم من الشيعة الاسماعيلية الفاطمية » ٠ راجع الدكتور محمد كامل حسين ـ طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها ٠ القاهرة ١٩٦٠ ٠ ومن المؤسف أن الموجودين من هذه الطائفة اظهروا تعاونا مع اسرائيل حتى انهم كانوا من بين الذين عرضوا التطوع فى الجيش الاسرائيلى قبل عدوان ١٩٦٧ ٠

(٣) تقول المصادر الاسرائيلية ان الحكم العسكرى ألغى فى هذه المناطق اعتبارا من ديسمبر سنة ١٩٦٦ ٠

العرب فى اسرائيل(١) الى أن تشكوا الحال للأمين العام للأمم المتحدة(٢) . ولا يكتفى الاسرائيليون بذلك بل يعملون جاهدين على تذويب العنصر العربى فى داخل اسرائيل عن طريق تهويد المناطق التى يتركز فيها العرب فنجد اسرائيل تقيم ناصرة يهودية بجانب بلدة الناصرة العربية وتنشىء مدينة يهودية جديدة باسم كارميل Carmiel فى قلب الجليل الأعلى ، وعلى هذا النحو(٣) وهكذا فان اسرائيل نقمة على العرب ، من شرد منهم ومن بقى فى الوطن السليب(٤)

ويمتد الخطر الاجتماعى الى الدول العربية كذلك عن طريق الدعاية الاجتماعية المسممة التى تنفثها وسائل الاعلام الاسرائيلى . والعمل على تهريب وترويج المخدرات بقصد ابتزاز الأموال وتحطيم الشخصية العربية .

ولا ننسى فى كل ما نقول ما يتهدد المقدسات الاسلامية ـ لا سيما المسجد الأقصى ـ من وراء أطماع الصهيونية فهى تأمل أن تهدم ذلك الحرم لتعيد بناء هيكل سليمان مكانه ، بل ان ذلك هو ما حصل فعلا فلما قامت الدنيا فى وجه اسرائيل ألصقت التهمة بشاب أسترالى زعمت أنه فاعلها . وليس بكثير على اسرائيل التى تجرأت على تحريف آيات القرآن الكريم أن تقدم على مثل هذه الفعلة النكراء .

---

(١) هى لجنة شكلها الطلبة العرب الذين يدرسون فى الجامعة العبرية عام ١٩٥٨/١٩٥٩ ثم شملت الطلبة العرب جميعهم فى اسرائيل ولم تعترف بها الجامعة أو السلطات الاسرائيلية .

(٢) يمكن أن نحس هذا التمييز كذلك فى المجموعة الأدبية التى انتقاها الصحفى اللبنانى غسان كنفانى ونشرها فى بيروت سنة ١٩٦٦ تحت عنوان أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة .

(٣) لانداو ـ المرجع السابق ، ص ٦ .

(٤) نشرت الأهرام بعددها الصادر يوم ١٩٦٩/١١/٢٥ صورة رهيبة للحياة التى يعيشها العرب فى ظل الاحتلال الاسرائيلى نقلا عن تحقيق قامت به جريدة « صنداى تايمز » البريطانية .

الفرع الثالث
في
الوضع الراهن بين العرب واسرائيل

مقدمات عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ :

ليس من السهل أن أحدد على وجه الدقة أمورا أعينهـا بذاتها على أنها مقدمات عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، اذ الواقع أن مقدمات هذا العدوان بدأت مع بدايات الصهيونية ذاتها وتجمعت حول نوايا الغدر والمكيدة الاسرائيلية طوال هذه السنوات • أما وقد عرضت فيما مضى لبعض هـذه النقاط فانني سأختار تاريخا تحكميا يرجع الى الأحـداث التي سبقت العدوان بزمن غير بعيد •

يحكي تاريخ السنوات التي انقضت بين اتفاقيات الهـدنة التي أبرمت سنة ١٩٤٩ وبين عدوان يونيو ١٩٦٧ سلسلة متواصلة من الغـدر الاسرائيلي فكم من مرة تجاهلت اسرائيل اتفاقيات الهدنة وكم من مرة انتهكت قواتهـا حدود الهدنة • ولكن واحدة من هذه المخالفات تبرز في الأشهر السابقة على عدوان يونيو ١٩٦٧ كمقدمة مباشرة لذلك العـدوان تلك هي الحملة الخاسئة التي شنتها اسرائيل على قرية السموع الأردنية في ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ بدعوى أن الفدائيين العرب يتخذون من هذه القرية قاعدة لهم(١) ، وقد أسفرت تلك الحملة عن خسائر فادحة في الأرواح والأموال لقيهـا العرب العزل في تلك

---

(١) أنشأ ياسر عرفات منظمـة فتح — اى حركة التحرير الفلسطينية — عام ١٩٥٥ من الشباب الفلسطينيين العرب الذين يدرسون في الجامعات الألمانية والنمساوية لاستعادة الوطن السليب وبدأت الجماعة صغيرة ثم استطاعت منذ أوائل عام ١٩٦٥ أن تبدأ نشـاطا عسكريا — بفضل المساعدات التي قدمت لها من سوريا — وذلك عن طريق جناحها العسكري «العاصفة» • كذلك كان هناك جيش التحرير الفلسطيني الذي وجد في غزة منذ سنة ١٩٦٤ والذي قصد به أن يكون طليعة لتحرير الأرض المغتصبة فلسطين ، والذي كان تابعا لجبهة تحرير فلسطين وهذه هي القوات التي قامت بأعمال فدائية أقلقت اسرائيل وافقدتها الرشد فيما سلكته من تصرفات وقتئذ •

القرية ٠ اذ كان واضحا بعد تلك الحملة الغادرة أن اسرائيل قد عادت تكشف عن أنياب الخسة التى أرجعت الى الأذهان ذكريات مذبحـــة دير ياســين وما شاكلها ، وقد أصدر مجلس الأمن قرارا فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٦ يشجب هذا العدوان بشدة ٠ ثم جاء الحدث الثانى ـ ضغثا على ابالة ـ عندما هاجمت القوات الجوية الاسرائيلية سوريا فى ١٩٦٧/٤/٧ بعنف وضراوة وصـــاحب ذلك الهجوم تشـــدق رئيس وزراء اسرائيل وقتئذ ـ ليفى أشـكول ـ بأن اسرائيل تتجهز لكى تشن حملة تأديبية على سوريا ، وسوريا فى ذلك الوقت ترتبط بالجمهـــورية العربية المتحدة بميثـاق دفاع مشترك(١) ٠ ناهيك عن المسئوليات الجسام التى تقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة ـ بوصفهـا الشقيقة الكبرى والدولة الرائدة ـ حيال المصير العربى عامة وقضية فلسطين خاصة ٠ فلم تترك هذه الظروف خيارا أمام الجمهورية العربية المتحدة الا أن تتجهز لرد أى عدوان قد تفكر فيه اسرائيل فى المستقبل على ســـوريا التى تهددها زعماء اسرائيل بالعقاب ٠

وثار التفكير حول دور قوات الطوارىء الدولية ومناســـبة وجودها فى مثل تلك الظروف لا سيما وأن قوات الدفاع العربيـــة لابد أن تتخذ لنفسها مواقع الحيطة على طول خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية ، واستقر الرأى على طلب سحب تلك القوات ٠ وفعلا طلبت الجمهورية العربية المتحـــدة من قائد قوات الطوارىء الدولية كتابة(٢) ـ فى ١٦ مايو سنة ١٩٦٧ ـ سحب القوات

---

(١) أبرمت الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ميثاق دفاع مشترك فى نوفمبر سنة ١٩٦٦ مدته خمس سنوات ٠

(٢) فيما يلى نص الرسالة التى سلمتها القيادة العربية الى الماجور جنرال ريخى Rikye ـ وهو هندى الجنسية ـ بشأن سحب قوات الطوارىء الدولية ٠

"To your information, I gave my instructions to all UAR Armed Forces to be ready for action against any Arab country. Due to these instructions our troops are already concentrated in Sinai on our eastern borders. For the sake of complete security of all UN troops which install OPs along our borders, I request that you issue your orders to withdraw all these troops immediately. I have given my instructions to our Commander of the eastern zone concerning this subject. Inform back the fulfilment of this request. Yours, Farik Awal: (M. Fawzy) COS of UAR Armed Forces".

المتمركزة فى نقاط مراقبة على طول الحدود المصرية • وأضافت شفويا أن هذه القوات يجب أن تنسحب فى ذات الليلة من السبحه وشرم الشيخ حتى يمكن للقوات المصرية أن تحتل هاتين النقطتين • ونقل قائد قوات الطوارىء الدولية هذا الاخطار فى حينه الى الأمين العام للأمم المتحدة بوصف أن الأمين العام هو المصدر الذى يتلقى منه قائد قوات الطوارىء أوامره ، لذلك أتبعت الجمهورية العربية المتحدة اخطارها هذا بكتاب تسلمه الأمين العام يوم ١٨ مايو(١) الذى أجاب على التو بأنه سيتمشى بموجب طلب الجمهـــورية العربية المتحدة(٢) • وفعلا أرسل الأمين العام تعليماته مساء ١٨/٥/١٩٦٧ الى القوات بالانسحاب• ومما هو جدير بالذكر ان الجمهورية العربية المتحدة أوضحت للأمين العـــــام

---

(١) هذا هو نص الكتاب الذى أرسل الى الأمين العام •• بعد الديباجة :

"The Government of the United Arab Republic has the honour to inform Your Excellency that it has decided to terminate the presence of the United Nations Emergency Force from the territory of the United Arab Republic and Gaza Strip.

"Therefore, I request the necessary steps be taken for the withdrawal of the Force as soon as possible.

"I avail myself of this opportunity to express to Your Excellency my gratitude and warm regards".

(٢) جاء فى رد الأمين العام على الجمهورية العربية المتحدة ما نصه :

"In view of the message now received from you, therefore, your Government's request will be complied with and I am proceeding to issue instructions for the necessary arrangements to be put in train without delay for the orderly withdrawal of the Force, its vehicles and equipment and for the disposal of all properties pertaining to it I am, of course, also bringing this development and my actions and intentions to the attentions of the UNEF Advisory Committee and to all Goverments providing contingents for the Force. A full report covering this development will be submitted promptly by me to the Gneral Assembly, and I consider it necessary to report also to the Security Council about some aspects of the current situation in the area".

وقد أرسل الأمين العام هذا الرد بعد أن عرض الأمر على اللجنة الاستشارية •

وقد ادعت اسرائيل ـ على لسان مندوبها الدائم فى الأمم المتحدة ـ أنه لا يجوز سحب قوات الطوارىء الدولية بناء على طلب من الجمهورية العربية المتحدة وأن اسرائيل يجب أن يكون لهـــا صوت فى الموضوع ، ولكن الأمين العام رفض هذا الادعاء •

وقد اتخذت كندا موقفا متحيزا لاسرائيل فى سحب كتيبتهـــا المشتركة فى قوة الطوارىء الدولية مما دعى الى تبادل الرسائل فى هذا الخصوص بين الجمهورية العربية المتحـــدة والأمين العام للأمم المتحدة •

للأمم المتحدة أن أى طلب باعادة النظر فى قرار سحب قوات الطوارىء الدولية سوف يقابل برفض قاطـــع ويعتبر محاولة لفرض قوات الطوارىء الدوليـة كجيش احتلال(١) • وقامت القوات العربية باحتــــلال مواقعها حسب الخطة الموضوعة لذلك •

وأعلن رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٢ مايو ســنة ١٩٦٧ غلق مضيق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية فراحت اسرائيل تؤلب دول الغرب ضد هذا القرار وتناولت الأخبار كثيرا من المقترحات التى عرضت فى أذهان الغرب بهذا الشأن ومنها اقتراح أمريكى بتمرير سفينة من شرم الشيخ تحمل بضائع لاسرائيل وتحمل علم ليبيريا تحميهـــا قوة بحرية دولية مشتركة • وكان لهذا الموقف العربى أثر السحر فى نفوس العرب فانضموا جميعا تحت اللواء حتى ان الرئيس بورقيبة حياه • وفى ٣٠ مايو ١٩٦٧ وصــــل الملك حسين ملك الأردن وبرفقته رئيس وزرائه وبعض كبار قواد جيشه الى القاهرة وبعد بضع ساعات من وصوله أعلن ابرام ميثاق دفاع مشترك بـين البلدين وعاد القادمون الى عمان مساء نفس اليوم وبصحبتهم أحمد الشـــقيرى رئيس منظمة تحرير فلسطين • وبينما العالم فى ترقب ومصر وتتأهب لارسال وفد - بناء على طلب الولايات المتحدة - الى الولايات المتحدة لمناقشة الأزمة نقلت الأنباء عدوان الطيران الاسرائيلى على الجمهورية العربية المتحدة فى الصـــباح الباكر من اليوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وتوالت أحداث ذلك العدوان على الجمهورية العربية المتحدة والأردن وسوريا على نحو ما يعرف الجميع • وانتهى العدوان باحتلال جزء جديد من الأراضى العربية اذ احتلت اسرائيل الضـفة الغربية من الأردن ومرتفعات الجولان السورية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء الى الضفة الشرقية من قناة السويس •

وقد عجزت الأمم المتحدة - بأجهزتها المختلفـــة - عن أن تحول دون حصول هذا العدوان اذ فشل الجنرال أودبل Odd Bull - رئيس هيئـــة

---

(١) جاء فى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة ان هـــذه القوات تم انسحابها نهـائيا فى ١٩٦٧/٥/١٧ •

المراقبة الدولية - عن أن يوفق بين وجهات النظر السورية الاسرائيلية بعد أن عقد ثلاث اجتماعات - منذ نهاية يناير ١٩٦٧ - للجنة الهدنة المشتركة انفضت جميعها دون النظر في جدول الأعمال الأمر الذي دعاه لأن يقوم بمفاوضة كل فريق على حدة ولكن دون جدوى ٠

وعقد مجلس الأمن - بناء على طلب كندا والدانمارك - خمسة اجتماعات في الفترة ما بين ٢٤ ، ٣٠ مايو ١٩٦٧ وعرضت عليه ثلاثة مشروعات بقرارات أثناء هذه الاجتماعات(١) ٠ وقد لاحظت الهند أن اجتماع مجلس الأمن سابق لأوانه وأنه من الأوفق أن يتوقف المجلس عن اتخاذ أي قرار يمكن أن يعرقل مهمة الأمين العام ٠ وهذه ملاحظة أرى أنها غير مبررة لأن الأمين العام أخطر مجلس الأمن في يومي ١٩ ، ٢٦ مايو بخطورة الوضع في المنطقة كما أعلن مندوب اسرائيل أن حكومته تعتبر اغلاق مضيق تيران بمثابة عمل عدواني وتشكلت حكومة ائتلافية في اسرائيل تضم العناصر المسئولة في اسرائيل مما كان له مغزاه في التدليل على نوايا اسرائيل ، ومن ثم كان يجب على مجلس الأمن أن يتابع مسئولياته ٠ ولكن الأمم المتحدة - بمختلف أجهزتها - عجزت عن أن تحول دون تدهور الموقف الى حد العدوان المسلح الذي حصل في ٥ يونيو ٠

موقف الأمم المتحدة من عدوان يونيو ١٩٦٧(٢) :

وقف اطلاق النار : اذا نظرنا الى موقف الأمم المتحدة من عدوان يونيو ١٩٦٧ نظرة شاملة نجد أنه يتميز بخطين واضحين :

الخط الأول : هو الحرص على عدم تحديد على من تقع مسئولية العدوان

---

(١) قدمت الدانمارك وكندا أحد هذه المشروعات وقدمت الولايات المتحدة المشروع الثاني وقدمت الجمهورية العربية المتحدة المشروع الثالث ٠ ويلاحظ على هذه المشروعات جميعها أنها لم تعرض للمشاكل التي ترتبت على سحب قوات الطوارىء الدولية ٠

(٢) تعددت المسميات التي أعطيت لهذا العدوان ويحلو لبعض كتاب الغرب أن يطلق عليه اسم « حرب الأيام الستة » ٠

راجع في الموضوع بحث

Dehaussy, Jacques : La Crise du Moyen Orient et l'O.N.U.

ولعل ذلك مرجعه الرغبة فى الحصول على قرارات اجماعية(١) . فنجد أن القرارين رقم ٢٣٣ ، ٢٣٤ الصادرين فى ٦ ، ٧ يونيو على التوالى يتوجهان الى « الحكومات المعنية » . ويلزم قرار ٩ يونيو (رقم ٢٣٥) « بوقف النشاط العسكرى » ويطلب الى الأمين العام الاتصال بالحكومتين السورية والاسرائيلية دون أن يميز أيتهما هى الأكثر مسئولية عن أعمال العدوان . ثم يأتى قرار ١٢ يونيه (رقم ٢٣٦) ليدفع كل انتهاك لوقف اطلاق النار دون تمييز .

وهكذا فان قرارات مجلس الأمن لا تشير الى أية مسئولية على البلاد العربية فى تصعيد الموقف الذى أدى الى العدوان . فهى لم تذكر على وجه الخصوص غلق مضيق تيران كعمل عدوانى أو كبداية لأعمال العدوان كما زعمت اسرائيل ، الأمر الذى يسقط دعوى اسرائيل فى تبرير عدوانها استنادا الى أى تصرف عربى سابق على هذا العدوان . وان كان مما يدعو الى الأسف أن يجد مجلس الأمن نفسه فى موقف كهذا فلا يستطيع أن يقول قولة الحق أو على الأقل أن العدوان الاسرائيلى لم يكن يتناسب البتة مع المخاطر التى ادعت اسرائيل أنها كانت تتعرض لها .

الخط الثانى : هو نجاح مجلس الأمن فى وقف اطلاق النار(٢) ، الأمر الذى يحمد للمجلس ، وان كان يحد من تقدير هذا الاجراء فشل المجلس فى شجب العدوان الاسرائيلى . وهذا ما عبر عنه رئيس وزراء روسيا أمام الجمعية العمومية فى دورتها غير العادية بقوله « ان وقف اطلاق النار فى الشرق الأوسط يعتبر نجاحا محدودا لصالح قوى السلام . ويرجع هذا النجاح الى حد كبير لمجلس الأمن ولو أن المجلس لم ينجح فى القيام كاملا بالالتزامات التى يفرضها الميثاق عليه » . وقد تطلب وقف اطلاق النار على

---

(١) وهذا هو السبب فى أن الجمعية العمومية لم تصل الى قرار بشأن الأزمة اذ اتخذ أعضاؤها موقفا واضحا من حيث تحديد المسئولية فكان المشروع الروسى الألبانى ينص صراحة على دمغ اسرائيل بالعدوان وكان مشروع الدول السبعة العشرة غير المنحازة ودول أمريكا اللاتينية العشرين يشجب بطريق ضمنى غزو الأقاليم العربية بقوات الجيش الاسرائيلى .

(٢) نفذ وقف اطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل اعتبارا من ٨ يونيو ١٩٦٧ ولكن الجبهة لم تهدأ الا فى ١٥ يونيو ١٩٦٧ .

كافة الجبهات صدور أربع قرارات من مجلس الأمن خلال أسبوع واحد • وقد دعى الى تعدد القرارات مراوغة اسرائيل فى الانصياع الى قرار وقف اطلاق النـار سعيا منها وراء كسب مواقع استراتيجية جـديدة تستطيع أن تساوم عليها فى مفاوضات تالية • وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن وقف اطلاق النار هذا كان هشا وأن الابقاء عليه يحتاج الى تدخل حاسم من جانب الأمم المتحدة لا ذلك التدخل الذى تكرر الى حد دل على عدم فعاليته •

خرق وقف اطلاق النار : ليس فى نيتى أن أتتبع هنـا حوادث خرق وقف اطلاق النار منذ ١٥ يونيو ١٩٦٧ الى اليوم ، ولكننى سأتعرض لتلك الحوادث ـ التى كانت قائمة قبل العدوان واستمرت بعـده ـ التى استدعت تدخلا جديا من الأمم المتحدة لا سيما من هيئـة المراقبين تحت اشراف الأمين العام •

فى الثامن من يوليو ١٩٦٧ قامت القـوات الجـوية الاسرائيليـة بقذف مركز على بورسـعيد وبور فؤاد فرفعت الجمهـورية العربيـة المتحدة الأمر الى مجلس الأمن الذى عقـد اجتماعات فى يومى ٨ ، ٩ يوليو وانتهى الى أن دعى الجنرال أودبل ـ رئيس هيئة مراقبى الأمم المتحدة ـ الى الاسراع قدر الامكان بالاتصال بحكومتى الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل بقصد الاتفاق على الشروط اللازمة لوضع مراقبين عسـكريين من قبل الأمم المتحدة فى قطاع قناة السويس تحت أوامر رئيس هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة(١) •

---

(١) نلاحظ أن هيئة المراقبين ليست هيئة عقابية ولا هى قوة ردع ولذا فان قيامها لايستند فى الحقيقة الى قرار مجلس الأمن وانما يستند الى موافقة الدول المعنية التى تستضيف هـذه الهيئة • ان الطبيعة القانونية لهذه الهيئة طبيعة مركبة فموافقة الدول المضيفة خلقتهـا وقرار مجلس الأمن جعلها فرعا ثانويا من الأجهزة التابعة لمجلس الأمن ولذا فان هذا اقتضى أن يتم الاتفاق عليها بين ممثل مجلس الأمن وبين الدول المعنية • ولو أن هذا التكييف قد يقبل الجدل بعد أن قرر مجلس الأمن منح الأمين العام حق تقدير العدد اللازم من المراقبين • وقد تحـدد نشاطها ـ كما ذكرت فى المتن ـ بقطاع قناة السويس • وقد قدر الأمين العام للأمم المتحـدة ـ فى فبراير ١٩٦٨ ـ اثر الحوادث الدامية على حدود الأردن ، أن يضع فى ذلك القطاع مراقبين دوليين ولكن اسرائيل رفضت • وقد اقترحت الولايات المتحدة الامريكية وكندا ـ فى ٢١ مارس ١٩٦٨ ـ بسبب حوداث الكرامة بأن يقوم مجلس الأمن باتخاذ اجراءات تحفظية بوضع مراقبين دوليين ولكن روسيا اعترضت على الاقتراح • وكررت الولايات المتحدة اقتراحهـا فى ٢٩ مارس

والواقع ان اقامة هيئة المراقبين هذه يمثل مظهرين مرتبطين بعضهما بالبعض :

أ - تستطيع الهيئة - بما تقدمه من مساع حميدة - أن تجرى مفاوضات غير مباشرة بين الطرفين المتنازعين بقصد تسوية الصعاب التى تعترض وقف اطلاق النار • هذا فضلا عن التصرف السريع الذى تقوم به هذه الهيئة عند حصول مواجهة بين قوات الطرفين يمكن أن يخفف من حدة الاشتباك •

ان هذه الهيئة قد نجحت - كما قلت من قبل - الى حد لا بأس به فى ايجاد نوع من التعايش المؤقت بين البلاد العربية واسرائيل على خطوط الهدنة • ومما يذكر لها أنها تمكنت - بعد عدة حوادث - من أن تحصل من الطرفين على موافقة بالامتناع عن الملاحة فى القناة لمدة شهر اعتبارا من ٢٧ يوليو سنة ١٩٦٧ ، وتجدد هذا القبول فى أغسطس ١٩٦٧ لأجل غير مسمى• وكان القصد من وراء هذا محاولة اخراج السفن الأربعة العشرة التى تحمل أعلام عدة دول والتى حصرت فى البحيرات المرة منذ عدوان يونيو • ولكن هذا القصد لم يتحقق حتى اليوم(١) •

وقد اقترح الجنرال أودبل - بعد خرق وقف اطلاق النار فى ٤ سبتمبر ١٩٦٧ - زيادة عدد المراقبين حتى يتمكنوا من أداء مهمتهم • فلما حصلت الأحداث الخطيرة التى جرت فى ٢١ ، ٢٤ أكتوبر(٢) قدم الأمين العام تقريرا

ولكنه لقى نفس المعارضة من روسيا • وقد رفض ممثل الأردن - فى ٧ أغسطس ١٩٦٨ - أثناء انعقاد مجلس الأمن اقتراحا أمريكيا بشأن وضع مراقبين على خط وقف اطلاق النار وقال ان مكان هؤلاء يجب أن يكون على خطوط هدنة سنة ١٩٤٩ •

(١) ادعت اسرائيل أنها أعطت موافقتها على أساس أن تخرج السفن من الجنوب • وقد فتحت القوات الاسرائيلية النيران فى ٣٠ يناير سنة ١٩٦٨ عندما بدأت بعض القطع التابعة لادارة القنال عملها بقصد التعرف على امكانيات اخراج هذه السفن من شمال القناة • وهكذا حال تعسف الاسرائيليين دون تحقيق أهداف الاتفاق •

(٢) فى ٢١ أكتوبر تمكنت القوات العربية من اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات التى كانت تنتهك حرمة المياه الاقليمية العربية • وكانت هذه طعنة للعنجهية الاسرائيلية أرادت اسرائيل أن تنتقم لها فقامت فى ٢٤ أكتوبر بقذف السويس بالمدافع مما سبب خسائر فى المنشآت الصناعية

يقرر فيه ضرورة زيادة عدد المراقبين وقد أصدر مجلس الأمن قرارا يقر فيه بضرورة زيادة عدد المراقبين ويترك تقدير ذلك للأمين العام ٠

ب - يقوم المراقبون أساسا بمهمة الملاحظة والاعلام كلما حصل خرق لوقف اطلاق النار ٠ ويقوم رئيس المراقبين بعمل تقرير عن كل حادثة ويقدمه الى الأمين العام الذى يرفعه بدوره - اذا كانت الواقعة خطيرة - الى مجلس الأمن ٠ وهذا الوجه من مهمة المراقبين له أهميته لأنه يعين مجلس الأمن على اتخاذ القرارات المناسبة ٠

على أنه اذا كان مجلس الأمن قد تحرج أثناء العدوان عن أن يتخذ موقفا صريحا من حيث تحديد المسئول عن العدوان فانه تخلى عن ذلك الحرج بالنسبة لأعمال خرق وقف اطلاق النار ٠ وأذكر هنا موقفين للمجلس أخصهما بالذكر لأنهما يمثلان جرأة اسرائيلية قاسية فى انتهاك قرار وقف اطلاق النار ٠ وفى المرتين كانت اسرائيل هى المعتدية وهى المخطئة ٠

الحادثة الأولى هى العملية التى قامت بها اسرائيل فى ٢١ مارس ١٩٦٨ ضد الأردن على جبهة طولها مائة كيلو متر وركزت فيها على بلدة الكرامة بقوات من المظليين والطائرات العمودية والمشاة ٠ وقد أصدر مجلس الأمن فى ٢٤ مارس قرارا بالاجماع يشجب هذا العدوان(١) وحذر القرار من أن تكرار هذه الفعال سيدعو المجلس الى اتخاذ الاجراءات الوقائية أو الجزائية تطبيقا للفصل السابع من الميثاق ، وهو الفصل الخاص بما يتخذ من الأعمال فى حالات تهديد السلم والاخلال به ووقوع العدوان ٠ ورغم هذا التحذير فقد تكرر الاخلال بقرار وقف اطلاق النار ولا زال مجلس الأمن قانعا بالكلام دون العمل ، ولذا فان قرارات المجلس التى من هذا القبيل محدودة الأثر ٠

---

(١) يجرى النص الفرنسى للقرار - بعد الديباجة - هكذا :

"Condamne l'action militaire lancée par Israél en violation flagrante de la Charte des Nations Unies et des résolutions relatives au cessez-le-feu...

"...Déclare que de telles actions de représailles militaires et autres graves violations du cessez-le-feu ne peuvent pas être tolérées et que le Conseil de Sécurité aurait à étudier des dispositions nouvelles et plus efficaces telles qu'envisagées dans la Charte pour éviter la répétition de pareils actes".

الحادثة الثانية هي قذف اسرائيل المركز لبلدة اربد والقرى المجـــاورة بالقنابل فى ٤ أغسطس ١٩٦٨ بهدف تحطيم معسكر الفدائيين فى الصلت ، ومرة أخــــرى قرر مجلس الأمن فى ١٦ أغسطس ١٩٦٨ ادانة اسرائيــــــل بالاجماع ، وأحال هذا القرار الى القرار الســــالف (الصادر فى ٢٤ مارس) وصيغ فى عبارات تكاد تكون مماثلة ٠ وهذا الموقف السلبى المتكرر من مجلس الأمن هو الذى حفز البلاد العربية ـ لا سيما الجمهورية العربية المتحدة ـ الى أن تعتمد على نفسها فى فرض احترام قرار وقف اطلاق النار والقصـــــاص من عمليات العدوان الاسرائيلية التى تنتهكه ٠ ومن ثم فان فشل الأمم المتحـدة عامة ومجلس الأمن خاصة فى التصدى للمسئوليات التى نص عليهـا ميثاق المنظمة العالمية صراحة هو المســـئول عن تصعيد الوضع فى المنطقـــة وتأزم الأحوال على مختلف الجبهات(١) ٠

معقبات العدوان : تتجه جهود الأمم المتحدة نحو ثلاثة أمور : مســاعدة ضحايا العمليات العسكرية والاحتلال ، البعد عن أن توصف بالتحيز فيمـا يتعلق بمصير الأقاليم التى احتلت بعد العدوان ، ومحاولة الوصول الى تسوية ولو مؤقتة للنزاع العربى الاسرائيلى ٠

أضاف العدوان الأخــــير ـ الى اللاجئين الفلسطينيين ـ عـددا آخر من العرب الذين نزحوا الى الأراضى العربية المجاورة لا سيما الأردن(٢) ٠ وكان

---

(١) نجم عن الاشتباكات المتكررة على ضفتى القناة أن أصبح أمن المراقبين الدوليين مهـــددا بالخطر حتى أن واحدا منهم ـ من جنسية سويدية ـ قتـــل بقنابل الاسرائيليين (راجع تقرير الأمين العام المؤرخ ٣٠ يوليو ١٩٦٩ Doc. 5/9368) ٠

لذلك اقترح أودبل فى ٣ مايو ١٩٦٩ اقامة مناطق محايدة للحماية حول نقـــاط المراقبة ، وقد اضطرت هيئة المراقبين الى سحب مركزها الى داخل سيناء ٠

ونظرا لخطورة الوضع واستمرار الطرفين على تبادل اطلاق النار ، هدد الأمين العام للأمم المتحدة ـ فى ٥ يوليو ١٩٦٩ ـ بسحب المراقبين ٠

وقد وصف الأمين العـــام الحالة فى المنطقة فى تقرير قدمه بتـــاريخ ٢١ ابريل ١٩٦٩ (Doc. 5/9171) بقوله : "Cease fire became almost totally ineffective in the Suez Canal sector and that a virtual state of active war now exists".

(٢) قدر هذا العدد كالآتى : ٢٠٠٫٠٠٠ من الأردن ، ١١٠٫٠٠٠ من سوريا ، ٣٥٫٠٠٠ من قطاع غزة وسيناء ٠

على الأمم المتحدة أن تتخذ موقفا حيال هذه المأساة . لذلك توجه الأمم المتحدة نداءها الى اسرائيل بأن تسمح بعودة هؤلاء اللاجئين الى أرضهم وتعويض من يفضل منهم عدم العودة. وأهم قرار اتخذته الأمم المتحدة فى هذا الشأن ـ بعد القرار رقم ١٩٤/٣ الذى صدر عن الجمعية العمومية فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ـ هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٧ الصـــادر فى ١٤ يونيو ١٩٦٧ الذى يدعو اسرائيل الى تسهيل عودة السكان الذين فروا بسبب العمليات العســكرية التى جرت منذ العدوان(١) . ويبدو أن المجلس أصدر هذا القرار لأن الجمعية العمومية لم تكن منعقـــدة فى ذلك الوقت ، وهى الجهاز المعنى بالقضـــية الفلسطينية وباعتبار أن مشكلة هؤلاء اللاجئين تتعلق بالدرجـة الأولى بحفظ السلم والأمن الدولى التى هى المسئولية الأولى على مجلس الأمن . فمشكلة اللاجئين كانت من الأسباب الجوهرية لتجدد النزاع المسلح .

وقد ناقشت الجمعية العمومية مشكلة اللاجئين وأصـــدرت قرارها رقم ٢٢٥٢ فى ٤ يوليو ١٩٦٧ التى رحبت فيه بقرار مجلس الأمن السالف وتبنت نصوصه . بيد أن قرارات مجلس الأمن والجمعيـــة العمومية كانت ذات أثر محدود بسبب موقف اسرائيل التى حددت خمسة أســابيع لعودة اللاجئين (أى ٣١ أغسطس) بمعدل ألف لاجىء كحد أقصى يوميا . ثم مدت هـــذه المهلة الى ٤ سبتمبر بناء على اتفاق مع هيئة الصليب الأحمر فى ٦ أغسطس ١٩٦٧ بقصد استيعاب ٦٥٠٠ لاجىء اضافى ولكن العقبات التى وضعت فى طريقهم لم تسمح لهم بالعـــودة(٢) . وقد ذكـــر نيلس جوران جسنج

---

(١) وصلب القرار باللغة الفرنسية فى هذا الخصوص يقول :

"Considérant l'urgente nécessité d'épargner aux populations civiles et aux prisonniers de guerre dans la zone du conflit du Moyen-Orient des souffrances supplémentaires, considérant que les droits de l'homme essentiels et inaliénables doivent être respectés même dans les vicissitudes de la guerre...

"...Prie le gouvernement israélien... de faciliter le retour des habitants qui sont enfuis des zones (où des opérations militaires, ont eu lieu) depuis le déclenchement des hostilités".

(٢) تذكر الاحصاءات أن حوالى ١٤٠٫٠٠٠ طلب قدم من الذين فروا الى الضفة الشرقيـــة بالعودة الى ديارهم فى الضفة الغربية وان الذين قبلت طلباتهم وعادوا حوالى ١٦٫٠٠٠ فقط .

Nils Goran Gussing — الممثل الشخصى للأمين العام للأمم المتحدة لبحث وضع اللاجئين وضحايا العدوان — فى تقريره الذى قدمه فى سبتمبر ١٩٦٧ أن أربعة عشر ألف لاجىء عادوا الى الضفة الغربية من الأردن ولــكن ٣٥٠٫٠٠٠ لاجىء آخرين لا زالوا بلا مأوى ٠ ولم تملك الجمعية العمومية ازاء هذا التحدى الاسرائيلى الا أن تثبت فى قرارهـا رقم ٢٣٤١ فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٧ أنها لاحظت بأسف عميق عدم تطبيق قرار ١٩٤٨ وأملهـا أن يحظى بالتطبيق الفعلى فى السنوات القادمة ٠

ويبدو أن موجة الهجرة استمرت سنة ١٩٦٨ لا سيما من قطاع غزة الى الأردن ٠ وازاء هذه الحقيقة المخزية اضطرت الأمم المتحدة أن تناشد أعضــاءها تقديم عون استثنائى لهيئة غوث اللاجئين لمواجهة النفقـــات المتزايدة بسبب الأعداد الجديدة من اللاجئين ٠ وكان هذا هو أحـــد بنود قرارها رقم ٢٢٥٢ الصادر فى ٤ يوليو سنة ١٩٦٧ ثم قرارها رقم ٢٣٤١ الصـــــادر فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٧ ٠

وقد انشغلت الأمم المتحدة كذلك بمصير أسرى الحرب والمدنيين المقيمين فى الأراضى التى احتلتها اسرائيل ٠ وقد ضمن مجلس الأمن قراره رقم ٢٣٧ — آنف الذكر — فقرات بهذا الخصوص(١) يطلب فيها الى اسرائيل أن تضمن سلامة ورفاهية وأمن سكان هذه المناطق ، كما يوصى الحكومات المعنية باحترام المبادىء الانسانية التى تنظم معـــاملة أسرى الحرب(٢) ٠ وقد صيغت ذات التوصيات فى قرار الجمعية العمـــومية رقم ٢٢٥٢ وتاريخ ٤ يوليو ١٩٦٧ ٠ ولكن جهود الأمم المتحدة فى هذا السبيل تصطدم بعناد اسرائيل فقـد أصرت على عدم استقبال الممثل الشخصى للأمين العام للأمم المتحدة الذى أراد الأمين العام أن يرسله — طواعية لقرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية — للتحقيق

---

(١) والنص الفرنسى للجزء من القرار المتعلق بهذا الموضوع يقول ان مجلس الأمن :

"Prie le gouvernement israélien d'assurer la sûreté, le bien-être et la sécurité des habitants des zones où des opérations militaires ont eu lieu...

"Recommande aux gouvernements intéressés de respecter scrupuleusement les principes humanitaires des civils en temps de guerre, tels qu'ils sont énoncés dans les Conventions de Genève du 12 août 1942".

فى وضع العرب فى الأراضى المحتلة وأسرى الحرب بدعوى أن هـــذا التحقيق يجب أن يتسع ليشمل بحث أحوال اليهود فى البلاد العربية رغم أن قرارات الأمم المتحدة نصت فقط على بحث أحوال المدنيين فى الأراضى المحتلة(١) .

ويدل التاريخ الذى مرت به مشكلة اللاجئين العرب ـ ومن على شاكلتهم ـ أن مصير هـــؤلاء معلق بمصير الأقاليم المحتلة والوصـــول الى حل جـــذرى للمشكلة .

أما بالنسبة للأراضى المحتلة فقد سارت قرارات الأمم المتحدة على مبدأ أن الاحتلال لا يغنى مطلقا ـ طبقا لأحكام القانون الدولى ـ امتداد سيادة الدولة المحتلة الى الاقليم المحتل . ويستفاد هذا من :

أ ـ قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٣ وتاريخ ١٤ يونيو ١٩٦٧ والذى تبنته الجمعية العمومية بقرارها رقم ٢٢٥٢ فى ١٤ يوليو ١٩٦٧ الذى أكد أن سكان الأراضى المحتلة يخضعون لاتفاقات جنيف ، فهذا موقف لا غموض فيه لأن حكم تلك الاتفاقيات هو كذلك .

ب ـ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ الذى قرر أن يقوم السلام فى المنطقة طبقا لميثاق الأمم المتحدة وأكد عدم مشروعية الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب وانسحاب القـــوات الاسرائيلية من الأقاليم التى احتلتها فى النزاع الأخير(٢) .

ولم تجرؤ اسرائيل ـ ازاء استقرار المبدأ فى القانون الدولى وصراحـة قرارات الأمم المتحدة ـ أن تجادل فى هذه الأصول بالنسبة للأراضى المحتلة فى عمومهـــا ولذا وقف وزير خارجيتها أمام الجمعية العمومية ليعلن يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ أن التسوية السلمية النهائية يجب أن تتم عن طريق التفاوض وأن يقبلها الجميع وأن تحل فيها حدود معترف بها محل الحدود التى خطتهـا

---

(١) الدكتورة عائشة راتب ـ بعض الجوانب القانونية للنزاع العربى الاسرائيلى ، القـاهرة ١٩٦٩ ، ص ٨ .

(٢) سأتناول هذه النقطة بمزيد من البحث فيما بعد .

اتفاقيات الهدنة . ولكنها مع ذلك وجدت لديها الجرأة الكافية على الحق لكى تصبأ فيما يتعلق بالقدس .

دخلت القوات الاسرائيلية المنطقة العربية من مدينة القدس وبدأت فى ٨ يونيو ١٩٦٧ العمل على تحقيق ما أسمته الوحدة الادارية للمدينة فأصدرت قانونين فى ٢٧ يونيو ١٩٦٧ ولوائح تنفيذية لهما فى ٢٨ يونيو وبمقتضى هذه القوانين واللوائح تطبق القوانين الاسرائيلية ونظم الادارة والقضاء على كل اقليم الدولة الاسرائيلية الذى يحدد بأمر حكومى . وقد صدر أمر وزير الداخلية باعتبار القدس القديمة (العربية) وسور باحر وشيخ جره ومطار كالانديا وجبل سكوبس وشعفت ضمن الاقليم الاسرائيلى(١) . وقد أحدث هذا الموقف الاسرائيلى رد فعل سريع فى الأمم المتحدة فأصدرت الجمعية العمومية قرارها رقم ٢٢٥٣ فى ٤ يوليو ١٩٦٧ الذى يقضى بأنها تعتبر هذه التصرفات باطلة ويطلب الى اسرائيل أن تقدم تقريرا عن الاجراءات التى اتخذتها وأن تمتنع فورا عن كل عمل يغير من الكيان القانونى للقدس(٢) . وقد بعث الأمين العام بمندوبه المدعو تالمان Thalmann الى اسرائيل لتقديم تقرير عما جرى . وجاء فى تقرير الأمين العام المؤرخ ١٠ يوليو ١٩٦٧ أن مبعوثه شهد أن اسرائيل اتخذت كافة الاجراءات اللازمة لوضع أجزاء القدس - التى لم تكن تحت اشرافها قبل يونيو ١٩٦٧ - تحت سيادتها وأن السلطات الاسرائيلية أعلنت أن هذه الاجراءات لا يمكن الرجوع فيها ولا تقبل المفاوضة . وقد أعلنت الجمعية العمومية فى قرارها رقم ٢٢٥٤ وتاريخ ١٤

---

(١) كذلك تطلبت اسرائيل من رجال الأعمال وأصحاب المهن الحرة الذين سجلوا أنفسهم طبقا للقانون الأردنى أن يعودوا فيسجلوا أنفسهم مرة أخرى طبقا للقانون الاسرائيلى وحددت لهم أجلا يجب أن يتم فيه التسجيل ولكنها مددت هذا الأجل عدة مرات ازاء الموقف العالمى وقرارات مجلس الأمن فى هذا الخصوص .

International Conciliation Published by the Carnegie Endowment for International Peace — September 1969/No. 574, pp. 12-13.

(٢) يقول القرار بالفرنسية ان الجمعية العمومية :

"1. Considère que ces mesures sont non valides ;

"2. Demande à Israël de rapporter toutes les mesures déjà prises et de s'abstenir immédiatement de toute action qui changerait le statut de Jérusalem".

يوليو ١٩٦٧ أسفها على اهمال اسرائيل تنفيذ القرار رقم ٢٢٥٣ وكررت طلبها بذاته · والقراران يقدمان مثلا نموذجيا لرفض الجماعة الدولية لتصرف مخالف للقانون الدولى أتته اسرائيل بارادتها المنفردة · ولكنهما لسوء الحظ يقدمان كذلك مثلا لعدم جدوى مثل هذا الرفض الجماعى طالما أنه لم يقترن بأى جزاء لأن اسرائيل لم تغير موقفها ·

وكانت القدس كذلك محل اهتمام مجلس الأمن فى قراره الذى أصدره فى ٢٧ ابريل ١٩٦٨ يطلب الى اسرائيل عدم اقامة العرض العسكرى فى الجزء المحتل من القدس الذى كان مقصودا به أن تحيى اسرائيل ذكرى ٢ مايو بمناسبة مرور عشرين عاما على قيامها · وقد علقت اسرائيل على هذا القرار بأنها لن تعطيه أى اعتبار · ولم يفعل مجلس الأمن - ازاء هذا التحدى - سوى أن يقرر فى ٣ مايو ١٩٦٨ أنه يأسف بعمق لأن اسرائيل أقامت العرض العسكرى على الرغم من القرار الاجماعى الذى أصدره المجلس فى ٢٧ ابريل ·

وهكذا فان مساهمة الأمم المتحدة - على ما أوضحت - كانت محدودة الفعالية بالنسبة لوقف النزاع ومنعه من أن يتفاقم · ولذا سعت أجهزة الأمم المتحدة - تعويضا عن هذا العجز - الى المساهمة فى تحقيق توازن سياسى جديد فى المنطقة · وكان أهم قرار فى هذا الخصوص هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ·

وترجع قصة هذا القرار الى أن الجمهورية العربية المتحدة طلبت فى ٧ نوفمبر ١٩٦٧ عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لبحث الموقف الخطير الناشىء فى الشرق الأوسط عن رفض اسرائيل سحب قواتها المسلحة من كل الأراضى العربية التى احتلتها بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ضد الجمهورية العربية المتحدة والأردن وسوريا · وعقد مجلس الأمن فى ٩ نوفمبر ١٩٦٧ وامتدت اجتماعاته لسلسلة طويلة وقدمت مشروعات قرارات من الولايات المتحدة والهند ومالى ونيجيريا والاتحاد السوفيتى لم تطرح للتصويت ، وأخيرا قدمت المملكة المتحدة اقتراحا هو الذى حاز الموافقة الاجماعية · ويتضمن هذا القرار مجموعتين

متميزتين من النصوص(١) : مجموعة تتعلق بموضوع النزاع فتشكل الأسس التى يجب أن تقوم عليها العلاقات السلمية فى الشرق الأوسط ، ومجموعـة اجرائية تضع تحت تصرف أطراف النزاع جهاز خدمات حميدة يتفيأ مساعدتهم على الوصول الى اتفاق ٠

---

(١) فيما يلى النص الفرنسى الكامل للقرار :

"Le Conseil de Sécurité;

"Exprimant l'inquiétude que continue de lui causer la grave situation au Moyen-Orient;

"Soulignant, en outre, que tous les Etats membres, en acceptant la Charte des Nations Unies, ont contracté l'engagement d'agir conformément à l'article 2 de la Charte;

" 1) Affirme que l'accomplissement des principes de la Charte exige l'installation d'une paix juste et durable au Moyen-Orient qui devrait comprendre l'application des deux principes suivants :

"a) retrait des forces armées israéliennes des territoires occupés lors du récent conflit;

"b) cessation de toutes assertions de belligérence et de tous états de belligérence et respect et reconnaissance de la souveraineté, de l'intégrité territoriale et de l'indépendance politique de chaque Etat de la région et de leur droit de vivre en paix à l'intérieur de frontières sûres et reconnues à l'abri de menaces ou d'actes de force.

"2) Affirme, en outre la nécessité :

"A. de garantir la liberté de navigation sur les voies d'eau internationales de la région ;

"B. de réaliser un juste règlement du problème des réfugiés;

"c) de garantir l'inviolabilité territoriale et l'indépendance politique de chaque Etat de la région par des mesures comprenant la création des zones démilitarisées.

"3) Prie le Secrétaire Général de désigner un représentant spécial pour se rendre au Moyen-Orient afin d'y établir et d'y maintenir des rapports avec les Etats intéressés en vue de favoriser un accord et de seconder les efforts tendant à aboutir à un règlement pacifique et accepté, conformément aux dispositions et aux principes de la présente résolution.

"4) Prie le Secrétaire Général de présenter aussitôt que possible au Conseil de Sécurité un rapport d'activités sur les efforts du représentant spécial".

وترجمته العربية هى :

« ان مجلس الأمن

اذ يعرب عن قلقه المستمر للموقف الخطر فى الشرق الأوسط ، واذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء قد ارتضت ـ بقبولها ميثاق الأمم المتحـــدة ـ الالتزام بالتصرف وفقـــا للمادة الثانية من الميثاق ،

ويجدر بالملاحظة أن نصوص القرار هذا الذى تبناه مجلس الأمن قريبة الى حد كبير من نصـــــوص مشروع القرار الذى قدمته ثمان دول من أمريكا اللاتينية فى ٣٠ يونيو ١٩٦٧(١) للجمعية العامة للأمم المتحدة ولكنه لم يفز

« ١ ـ يؤكد أن الوفاء بمبادىء الميثاق يستلزم اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط يجب أن يتضمن تطبيق المبدأين التاليين :

« أ ـ انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الأقاليم التى احتلت أثناء النزاع الأخير ،

« ب ـ الكف عن كل تأكيدات الحرب وكل حالات الحرب واحترام والاعتراف بالســـيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وبحقها فى العيش بسلام داخــل حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من التهديدات أو أعمال القوة .

« ٢ ـ ويؤكد أيضا الحاجة الى :

« أ ـ ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية فى المنطقة ،

« ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

« جـ ـ ضمان الحرمة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح .

« ٣ ـ يطلب من الأمين العام أن يعين ممثلا خاصا كى يتوجـــه الى الشرق الأوسط لاقامة ومداومة اتصالات هناك مع الدول المعنية بهدف تحبيذ الاتفاق وتدعيم الجهود الرامية الى الوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس نصوص ومبادىء هذا القرار .

« ٤ ـ يطلب الى الأمين العام أن يقدم لمجلس الأمن فى أقرب وقت ممكن تقريرا عن أوجــه النشاط بشأن الجهود التى بذلها الممثل الخاص » .

وترفض سوريا قبول هذا القرار أما الجمهورية العربية المتحدة فقد أعلنت قبولها للقرار مع التزامها بقيود مؤتمر الخرطوم وهى لا اعتراف باسرائيل ولا صلح معها ولا مفاوضة ولا تصرف فى القضــــية الفلسطينية لأنهـــا ملك الشعب الفلسطينى ـ عائشة راتب ـ بعض الجـوانب القانونية ، المرجع السابق ص ٦ ، ٧ .

كذلك قبلت الأردن قرار المجلس هذا .

(١) أرى من المناسب أن أسوق النص الفرنسى للمشروع اللاتينى الامريكى :

"L'Assemblée générale;

"Considérant que c'est pour tous les Etats membres une obligation à laquelle ils ne peuvent soustraire que de préserver la paix et, en conséquence, d'éviter l'emploi de la force sur le plan international ;

"Considérant également que le cessez-le-feu ordonné par le Conseil de Sécurité et accepté par l'Etat d'Israël et par les Etats de Jordanie, de Syrie et de la République Arabe Unie, est une première mesure vers l'établissement d'une paix juste au Moyen-Orient qui doit être confirmé par d'autres mesures que l'Organisation adoptera et que les parties exécuteront ;

"a) à Israël de retirer toutes ses forces de tous les territoires qu'il a occupé à la suite du récent conflit ;

"b) aux parties en conflit de mettre fin à l'état de belligérence, de s'efforcer d'établir une coexistence fondée sur le bon voisinage et de recourir dans tous les cas aux procédures de solution pacifique prévues dans la

بأغلبية الثلثين المطلوبة ، وربما كان أهم اختلاف بين النصين هو الصفة الملحة العاجلة التى يخاطب بها المشروع اللاتينى الامريكى أطراف النزاع ووضوح عبارته فيما يتعلق بانسحاب قوات العدوان ٠ واذا أردنا تحليل القرار الذى أصدره مجلس الأمن نلاحظ الآتى :

أ ـ نص القرار فى البند الأول منه على « تأكيد » مبدأين « يجب » أن يتأسس عليهما « سلم عادل ودائم » يعتبر اقرارهما « مستلزما » بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة ٠

وهذان المبدآن هما : سحب القوات الاسرائيلية المسلحة من الأقاليم التى احتلت أثناء النزاع الأخير ، والكف عن كل تأكيدات الحرب وحالات الحرب وكذا احترام والاعتراف بالسيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وبحقها فى العيش بسلام داخل حدود مؤمنة ومعترف بها متحررة من التهديدات أو أعمال القوة(١) ٠

Charte des Nations Unies ;

"2. Réaffirme la conviction qu'aucun d'ordre international stable ne peut être fondé sur la menace ou l'emploi de la force, et déclare que ne doit pas être reconnue la validité de l'occupation ou de l'acquisition de territoire accomplie par de tels moyens ;

"3. Prie le Conseil de Sécurité de continuer à examiner avec un sentiment d'urgence la situation au Moyen-Orient, en coopérant directement avec les parties et en s'appuyant sur la présence des Nations Unies pour :

"a) mener à bien ce qui est prévu à l'alinéa du paragraphe 1 ci-dessus ;

"b) garantir le libre passage par les voies maritimes internationales de la région ;

"c) obtenir la solution adéquate et complète du problème des réfugiés et garantir l'inviolabilité du territoire et l'indépendance politique des Etats de la région, en prévoyant à cette fin l'établissement de zone démilitarisées;

"4. Réaffirme, comme dans des recommandations antérieurs, l'opportunité d'établir un régime international pour la ville de Jérusalem qui sera étudié par l'Assemblée Générale à sa vingt-deuxième session."

وقد حصل هذا المشروع على ٥٧ صوتا مقابل ٤٣ وامتنعت عشرون دولة عن التصويت ٠

(١) قد يعنى هذا الجزء من القرار أن مجلس الأمن يعترف لاسرائيل بحق البقاء السلمى ، وحتى لو أخذنا بهذا المفهوم جدلا فحسب فان موقف مجلس الأمن هـذا ينسجم مع واقع أنه اسرائيل عضو فى الأمم المتحدة ولكن عضوية اسرائيل فى الأمم المتحدة لا تعنى اعتراف الدول

لقد أضفى الميثاق على المجلس اختصاصا مزدوجا أحدهما هو الاختصاص الذى جاء به الفصل السابع من الميثاق الخاص بما يتخذ من الأعمال فى حالات تهديد السلم والاخلال به ووقوع العدوان وهنـــا يملك المجلس أن يتخذ قرارات بارادته المنفردة تكون لها قوة الالزام ، والثانى هو الاختصاص الذى يقرره الفصل السادس من الميثاق المتعلق بحل المنازعات حـــلا سلميا وفى هذه الحالة يقوم مجلس الأمن بدور الوسيط • ولذا يثور السؤال ـ بالنسبة للشطر الأول من قرار مجلس الأمن سالف الذكر ـ حول ما اذا كان المجلس قد اتخذ هذا القرار استنادا الى سلطاته المقررة فى الفصـــل السابع أم أنه اتخذه بوصفه وسيطا بين أطراف النزاع • ولهذا السؤال أهمية لأن مايصدر

العربية بها كدولة • ذلك أن الاعتراف فى حقيقتـــه مرجعه النية ولذلك فهـو لا يثبت الا اذا انصرفت اليه النية صراحة أو على الأقل ضمنا • والثابت أن الدول العربية لم تعترف صراحـــة لاسرائيل بصفة الدولة ، كما أنها صوتت ضد قبولها عضوا فى الأمم المتحدة • كذلك لا يعتبر قبول اسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة بمثابة اعتراف ضمنى من الدول العربية لاسرائيل بصفة الدولة لأن الاعتراف الضمنى لا يقوم الا اذا لم يكن هناك شك فى توافره وكل ما هنـــالك أن طريقة التعبير عنه لم تكن صريحة ولا يمكن عقلا أن نفترض نية الاعتراف لدى الدول العربية على أساس قبول اسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة بناء على قرار صـــدر بالأغلبية ورغم أن الدول العربية صوتت ضد القبول • وهذا هو ما يتفق مع الرأى الراجح فقها اذ يذهب معظم الفقهـــاء الى أن قبول وحدة جديدة لا يترتب عليه افتراض الاعتراف بها ضمنا من الدول الأعضـــاء فى تلك المنظمة •

De Vischer, Charles : **Théories et Réalités en Droit International Public, Paris 1953, p. 28.**

والدكتور حامد سلطان ـ القانون الدولى العام فى وقت السلم ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٠٥ـ١١٤ •

وهذا أيضا هو ما جرى عليه العمل منذ عهـــد عصبة الأمم فقد قبلت روسيا عضوا فى العصبة ولـــكن سويسرا وبلجيكا ـ وكانتا عضوين فى العصبة كذلك ـ قررتا صراحة أنهمـــا سيستمران فى رفض الاعتراف بها ولم تنكر الدول الأعضاء عليها هذا التصرف • كذلك قبلت لتوانيا عضوا فى العصبة سنة ١٩٢١ ولكن بريطانيا أعلمت بلجيكا بأنها لن توافق على الاعتراف بلتوانيا اعترافا قانونيا الا اذا أصبحت المسألة الخاصة بالنزاع حول احتياز فيلنا أكثر وضوحا •

Lanterpath, H. : **Recognition in International Law, 1948, pp. 401-405.**

• هذا والعرف والعمل الدولى لا يرتب على تحديد الحدود أى التزام بالاعتراف ومثال ذلك اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ التى حددت خط ٣٨ كفاصل بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، وخط عرض ١٧ كفاصل بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية • وقد اعترفت فرنسا فى الاتفاقية التى عقدتها مع هوشى منه فى ٦ مارس ١٩٤٦ بالحكم الذاتى لفيتنام ـ قبل تقسيمها ـ ولكنها لم تعترف بها كدولة مستقلة ، • نقلا عن عائشة راتب ـ بعض الجوانب القانونية ، المرجع السابق ص ٦ •

عن مجلس الأمن من قرارات استنادا الى الفصل السابع من الميثاق هى قرارات واجبة التنفيذ فورا دون قيد ولا شرط ومسبقا على آية مفاوضات ٠

ان هذا المفهوم هو الذى أكدته بعض الدول ـ مثل الهند ومالى ـ على الأقل بالنسبة لمبدأ انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة ٠ ولا جدل فى أن مجلس الأمن عندما قرر هذا المبدأ انما كان يستند الى المادة ٤٠ من الميثاق(١) اذ قدر أن هذا الاجراء لازم لمنع تفاقم الموقف ٠ ولكن هل ينصرف

---

(١) المادة ٤٠ هى احدى مواد الفصل السابع من الميثاق وقد سبق أن أوردت نصها ٠

ومما يجدر ذكره هنا الخلاف الذى دار حول تفسير الفقرة « أ » من البند الأول من قرار مجلس الأمن بشأن انسحاب القوات الاسرائيلية ، ذلك أن لفظ « الأراضى » أثار لبسا لأن النص الانجليزى يقرر الانسحاب "from territories" فقيل بأن هذا لا يعنى أن الانسحاب يجب أن يكون شاملا والا لوجب أن يقول النص "from the territories" "des territoires" أداة التعريف يجعل تفسيره قاصرا على جزء من هذه الأراضى فحسب ٠

اننا لو أطلقنا العنان للهوى فى تفسير النصوص فلن يكون هناك نص لا يحتمل أكثر من تفسير ٠ ولكن هذه الطريقة المغرضة فى فهم الأحكام لا مجال لها فى صدور المنزهين فهى ـ على حد التعبير القرآنى الكريم الذى أنكرها ـ فهم للنصوص على حرف ٠

ان أول ما أقدمه للرد على هذا الادعاء هو أن المقابل الفرنسى للنص الانجليزى نص على « الأراضى des territoires » ولم ينص على « أراض » ٠ والنص الفرنسى نص رسمى ٠ يضاف الى ذلك أن كثيرا من الدول التى صوتت على القرار حرصت على أن تزيل كل شك حول مفهومه عن الانسحاب فور موافقة المجلس على المشروع ٠ فقد أعلن المندوب الهندى « أنه يفهم من المشروع لبريطانى أنه يدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الأراضى التى جرى احتلالها خلال حرب يونيو وهى بالتحديد كل سيناء ، وغزة وبلدة القدس القديمة ، والاراضى الأردنية غربى نهر الأردن ، والأراضى السورية » وأضاف أن اسرائيل لا تستطيع أن تستند الى الفقرة الواردة فى المشروع البريطانى التى تشير الى « حق كل دولة فى المنطقة فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها حرة من التهديد بالقوة أو أعمال العنف » ، للاحتفاظ بأى أرض فى الصراع الأخير ٠ وقرر مندوب فرنسا أن المشروع البريطانى لم يترك مجالا للغموض فيما يتعلق بالانسحاب من « الأراضى المحتلة » وأكد المندوب السوفيتى أن الخطوة التالية بعد صدور القرار هى انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع المناطق التى احتلتها خلال حرب يونيو ، وأضاف مندوب نيجيريا « أن انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الأراضى التى احتلتها فى الصراع الأخير ينبغى أن يتم فى سياق تستطيع فيه جميع دول المنطقة ان تشعر بالأمن » ٠

نقلا عن عائشة راتب ـ بعض الجوانب القانونية ـ المرجع السابق ، ص ٥ ، ٦ ٠

فوق هذا وذاك ، فقد أكدت مقدمة قرار مجلس الأمن التزام الدول الأعضاء بالمادة الثانية من الميثاق ، كما أن البند الأول الذى نص على الانسحاب جعل هذا الانسحاب تطبيقا لمبادىء الأمم المتحدة ٠ ولما كانت المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة تفرض على الدول الأعضاء أن يقوموا « فى حسن نية بالالتزامات التى أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق » كما انها تقرر ان على

هذا المنطق أيضا الى الفقرة (ب) من البند الأول كذلك ؟ أى هـل يدخل فى اختصاص مجلس الأمن ـ طبقا للمادة ٤٠ من الميثاق ـ أن يأمر أطراف النزاع بالكف عن كل تأكيدات للحرب وكل حالات الحرب ؟

كان يمكن أن نجيب على هذا السؤال بالايجاب لولا أن نهـــاية الفقرة تتكلم عن « حدود آمنة معترف بها متحررة من التهديدات أو أعمال القوة » ، اذ أن الدول العربية واسرائيل لم تتفقا من قبل على حدود اسرائيلية آمنة ومن ثم فقيام حدود كهذه يقتضى قبولا من الدول العربية · ولذا أرجح أن قرار مجلس الأمن فى هذا الشطر منه انما يستند الى المادة ٣٧ من الميثاق(١) ·

ومن ثم فان مقتضى البنـــــد الأول من قرار مجلس الأمن أن تسحب اسرائيل قوات العدوان فورا من الأراضى التى احتلتها أثناء عدوان يونيو دون أن تعلق ذلك على أية مفاوضة أو تربطه باتفاق على حدود آمنة ·

أعضاء الهيئة جميعا أن يمتنعوا « فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة أو على أى وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة » ، فان تفسير القرار بأنه يسمح لاسرائيل بالاحتفاظ ببعض الأراضى التى احتلتها بعـد عدوان يونيو ١٩٦٧ لا يمكن أن يكون صحيحا لأن هذا يتعارض تعارضا صريحا مع المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ومع مبادىء الأمم المتحدة التى تحكم القرار جميعه والتى يجب أن يفسر ويطبق القرار على هدى منها · ثم ان أجهزة الأمم المتحدة ذاتها قد أكدت فى أكثر من مناسبة عدم اقرارها لمزاعم اسرائيل فى هذا المجال · وهذا أيضا هو ما أقر به مندوب بريطانيا ـ مقدمة القرار ـ للوفدين السوفيتى والهندى قبل الجلسة التى أقر فيها المجلس القرار · يضاف الى ذلك أن رفع أداة التعريف من النص الانجليزى يغنى عنه أداة الاضافة ·

ومن المؤسف أن اسرائيل ـ رغم كل هذا ـ تعلن عن تصميمها على الاحتفـــاظ بمناطق من الأراضى العربية مثل القدس ومرتفعات الجولان وربما قطاع غزة وأجزاء من سيناء كما أنها تريد أن يكون لها وجود عسكرى أو شبه عسكرى فى الضفة الغربية من الأردن ، وذلك أيضا بدعوى أن الحدود الآمنة والمعترف بها ليست خطوط الهدنة السابقة ·

راجع أعداد جريدة New York Times أيام ٤/٧ ـ ٢٣ ، ٥/٢٩ ـ ٣ ، ٦/٢٨ ـ ٧/٥ ـ ٨/٢٤ من عام ١٩٦٩ ، وكذا الكتاب الذى وجهه وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة الى جونار يارنج فى ١٩٦٨/١٢/٨ ·

(١) تنص المادة ٣٧ من الميثاق على ما يلى : « ١ ـ اذا أخفقت الدول التى يقوم بينها نزاع مسلح من النوع المشار اليه فى المادة الثالثة والثلاثين فى حله بالوسائل المبينة فى تلك المـادة وجب عليها أن تعرضه على مجلس الأمن ·

٢ ـ اذا رأى مجلس الأمن أن استمرار هذا النزاع من شـــأنه فى الواقع ، أن يعرض للخطر حفظ السلم والأمن الدولى قرر ما اذا كان يقوم بعمل وفقا للمادة السادسة والثلاثين أن يوصى بما يراه ملائما من شروط حل النزاع » ·

ب - كذلك ينص القرار على ضرورة توفير ضمانات لتأكيد احترام مبادىء هى بذاتها ليست محل مناقشة لأنها مبادىء عامة ٠

من هذه المبادىء ما جاء فى الفقرة (ب) من البند الأول - وتكرر فى الفقرة (ج) من البند الثانى - الخاص بالحرية الاقليمية والاستقلال السياسى لكل من دول المنطقة ٠ ولكن المجلس ذهب فى هذا الخصوص خطوة أبعد اذ اقترح أن تتضمن اجراءات الضمان انشاء مناطق منزوعة السلاح ٠

مبدأ آخر هو حرية الملاحة فى المياه الدولية (فقرة أ من البند الثانى)، ولكن المجلس لم يقترح هنا وسيلة محددة لكى تكون الضمانة اللازمة ضمانة فعالة ٠

ج - كذلك يعلن القرار أن مشكلة اللاجئين يجب أن تكون من بين المسائل التى يجرى عليها الاتفاق فى المستقبل ٠ واذا كان مجلس الأمن لم يضمن قراره فى هذا الخصوص توجيهات معينة فان هذا لا ينفى أن يرتبط - كحد أدنى - بالقرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة فى هذا الشأن ٠

د - يطلب البند الثالث من القرار الى الأمين العام تعيين ممثل خاص يتوجه الى الشرق الأوسط للعمل على اقامة علاقات هناك مع الدول المعنية والمداومة على تلك العلاقات بهدف تحبيذ اتفاقها وتدعيم الجهود الرامية للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس نصوص ومبادىء هذا القرار ٠ وهذا ما قام به يوثانت فى اليوم التالى لصدور القرار (٢٣ نوفمبر) اذ عين المستر جونار يارنج Gunnar Jaring ممثلا خاصا له ٠ ولعل من المناسب هنا أن أوضح أن مستر يارنج ليس وسيطا للأمم المتحدة كما كان فولك برنادوت أو بانش من قبل أثناء أزمة ١٩٤٨/١٩٤٩ ، وهو ليس فرعا ثانويا لمجلس الأمن لأن مجلس الأمن لم يختره لذلك ، وانما هو فقط ممثل خاص للأمين العام للأمم المتحدة اختاره الأمين العام وان كانت سلطات الأمين العام فى اختياره مقيدة بقرار مجلس الأمن وهى ان هذا الاختيار وان جاء فى القرار فى صورة طلب الا أنه فى الحقيقة كان فرضا على الأمين العام ٠ ومن ثم

فان تصرف الأمين العام وممثله الخاص يبرره بل ويغطيه قرار مجلس الأمن ولكنه ـ مع ذلك ـ لا يعتبر صادرا عن مجلس الأمن ٠

ويبدو أن مجلس الأمن كان أكثر تأثرا ـ فى انشاء مهمة بذل الخدمات الحميدة ـ بالسابقة القبرصية أكثر منه بالسابقة العربية الاسرائيلية فى عام ١٩٤٨/١٩٤٩ ٠ والقرار فى هذا الشطر منه جاء لبقا لأنه لم يرد أن يربط الوسيط بالمجلس ويجعله مسئولا مباشرة أمامه وفى ذات الوقت قدر الأعباء الجسام ذات الطبيعة السياسية الملقاة على عاتق الأمين العام ٠

وقد باشر الوسيط الدولى ـ مستر جونار يارنج ـ مهمته وقدم تقريرا عن نتائجها الى الأمين العام للأمم المتحدة فى ٢٤ يوليو ١٩٦٨ ، فقام هـذا الأخير بدوره بعرضه على مجلس الأمن فى ٣٠ يوليو ٠ وقد مد تفويض مستر يارنج ثلاثة أشهر أخرى ولكنه لم يستطع أن يتوصل الى نتائج حاسمة تقيم التوازن فى منطقة الشرق الأوسط كما يهدف قرار مجلس الأمن(١) ٠ وتعتبر جهود مستر يارنج مثلا نموذجيا للدبلوماسية السرية الطائرة diplomatie volante secrète فقد أجرى عدة مقابلات مع الحكام فى المنطقة ـ عـدا سوريا ـ سواء فى عواصم بلادهم أم فى الخارج وكذا مـع حكام الدول ذات المقاعد الدائمة فى مجلس الأمن ٠

وأراد الوسيط الدولى أن يسير على نمط الاجراءات التى اتبعت ١٩٤٩ عند ابرام اتفاقات الهدنة فاتخذ من نيقوسيا مقرا عاما له ولـكن اسرائيل أعاقت جهوده باصرارها على أن تجرى المفاوضات مباشرة بينهـا وبين الدول العربية ٠ ولذا فقد تبدد الأمل الذى كان معلقا على جهود هذا الوسيط ٠

وقد توقفت جهود الوسيط الدولى منذ ربيع ١٩٦٩ انتظارا لـما تسفر عنه جهود الدول الكبرى ٠ والقصة أن فرنسا اقترحت فى ينـاير ١٩٦٩ أن تجتمع الدول الكبرى لبحث مشكلة الشرق الأوسط ، وفعلا جرت مفاوضات

---

(١) اشترك مستر يارنج مع الجنرال أودبل فى المفاوضات التى انتهت باتفاق التعايش المؤقت modus vivendi الخاص بقناة السويس ، والذى ذكرت عنه آنفا ٠

استطلاعية ثم عقدت الدول الأربع ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا ـ اجتماعات في ابريل ١٩٦٩ انتهت بالاتفاق على مبدأين هما أن تكون التسوية كاملة بمعنى أن تشمل كافة نواحي النزاع وألا تحاول الدول الكبرى فرض وجهة نظرها على طرفى النزاع. وفيما عدا هذا لم تسفر الاجتماعات عن حل عملى أو وساطة جدية . ولا زال العالم يترقب ما يمكن أن تأتى به اجتماعات الدول الكبرى والمباحثات الثنائية ـ التى تجرى على فترات متقطعة ـ بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية.

ورغم أن قرار مجلس الأمن آنف الذكر قد صدر بالاجماع فان اسرائيل لا زالت تتحدى تطبيقه حتى الآن والأوضاع فى المنطقة تهدد بالانفجار فى أى وقت ان لم تتداركها حكمة ونزاهة الضمير العالمى فى حزم وتقدير(١) . وربما كان من الأسباب الجدية لقلق الأوضاع أن قرار مجلس الأمن صيغ فى عبارات غامضة استجلابا للموافقة الاجماعية عليه ثم فتح الباب بعد ذلك للتفسيرات المتضاربة التى زادت فى حدة الأزمة بدلا من أن تلطفها .

وقد انفضت الدورة الرابعة والثلاثون للجمعية العامة للأمم المتحدة دون أن تناقش مسألة الشرق الأوسط . ويبدو أن العالم قد ترك ذلك أمانة فى عنق الدول الكبرى أو رأى أن تصدى هذه الدول للقضية فيه غناء وقتى عن

---

(١) من الطلى أن أقتطف هنا فقرة من النسخة الفرنسية للتقرير السنوى للأمين العام للأمم المتحدة عن نشاط المنظمة خلال الفترة من ١٦ ـ ١٩ يونيو ١٩٦٧ ، جاء فى التقرير :

"A mon avis, le fait que, durant tous ces laps de temps, les Nations Unies n'aient pas su affronter les problèmes profonds de la région, qui allaient s'envenimant, doit être considéré comme l'une des principales causes de la guerre du mois de juin dernier, bien que de toute évidence la responsabilité incombe au premier chef et inéluctablement aux parties elles-mêmes. Je crains, il est de mon devoir de le dire, que, si une foi de plus on ne cherche ni ne parvient dans une certaine mesure à éliminer les causes profondes du conflit, il ne se produise inévitablement, d'ici quelques années, au plus tard, un nouvel affrontement militaire.

"Il est absolument indispensable que les Nations Unies s'efforcent résolument et de toute urgence de contribuer à créer les conditions essentielles de la paix au Moyen-Orient",

أن تتناولها جهات أخرى(١) ٠

أحكام الاحتلال الحربي :

ترتب على عدوان يونيو ١٩٦٧ أن احتلت اسرائيل بعض الأراضي العربية كما نعلم ٠ وقد دأبت اسرائيل على ارتكاب أفعال كانت محل غضب الرأي العام العالمي ولوم الأمم المتحدة ٠ لذا فان استكمال الكلام على الوضع الراهن بين العرب واسرائيل يقتضي أن أعرج بكلمة على شطر من الأحكام الخاصة

---

(١) « علم المحرر الدبلوماسي للأهرام ان الولايات المتحدة الامريكية رفضت في آخر اجتماع للدول الأربع الكبرى لبحث أزمة الشرق الأوسط في نيويورك مجموعة الأفكار التي تقدمت بها الحكومة الفرنسية لحل الأزمة والخروج بها من المأزق الذي وصلت اليه ٠

وكان واضحا منذ البداية أن مجموعة الأفكار الفرنسية ـ مع انها لا تتفق في نقط كثيرة مع وجهة النظر العربية وتفسيرها لقرار مجلس الأمن ـ تواجه معارضة شديدة من جانب الولايات المتحدة ويرجع ذلك الى أن مجموعة الأفكار الفرنسية حوت لأول مرة في أي مشروع غربي قدم لتنفيذ قرار مجلس الأمن ـ نقطا هامة وردت فيه صراحة وبينها :

أولا ـ النص على الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها اسرائيل بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠ ولا يقتصر ذلك الانسحاب ـ كما جاء في آخر مشروع أمريكي ـ على سيناء فقط وانما ينص أيضا على الانسحاب من غزة والضفة الغربية والقدس والمرتفعات السورية ٠

ثانيا ـ ان المشروع الفرنسي يشير الى مناطق منزوعة السلاح في أضيق نطاق بينما المشروع الامريكي الأخير وكل ما سبقه من المشروعات تريد اعتبار كل المناطق التي تجلو عنها القوات الاسرائيلية مناطق منزوعة السلاح ٠

ثالثا ـ ان المشروع الفرنسي اقتصر في الاشارة الى وجود قوات الطوارىء الدولية على مكان واحد وهو شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة في خليج العقبة ٠

وكانت فرنسا قد قدمت مجموعة الأفكار التي عرضتها في نيويورك الى القاهرة والى عمان لدراستها وقد وعدت القاهرة بدراستها وكانت الملاحظة الأولى عليها انها « بلا شك تأخذ في الاعتبار كثيرا من المسائل التي ينص قرار مجلس الأمن في صياغته وفي روحه عليها كالانسحاب الكامل ، وكوضع القدس العربية الخاص وأهميته بالنسبة للعرب مسلمين ومسيحيين » لكنها في نفس الوقت تحتوي على نصوص تحتاج الى دراسة تفصيلية أوسع ٠

ولقد تلقت وزارة الخارجية المصرية أمس من نيويورك أن الولايات المتحدة عادت في اجتماع الدول الأربعة الكبرى أمس الأول الى الاصرار على مناقشة مشروعها الأخير ذي العشر نقط الذي اعتبرته الجمهورية العربية المتحدة « انحيازا بالكامل » لاسرائيل كما انها أبدت معارضة كاملة ضد مجموعة الأفكار الفرنسية لأنها في رأي المندوب الامريكي « تقل كثيرا عن الحد الأدنى الذي يضمن مصالح اسرائيل وأمنها ! » ٠

نقلا عن جريدة الأهرام عدد يوم ١٩٦٩/١٢/٢٠

بالاحتلال الحربى(١) هو الخــاص بالقــواعد التى تضبط تصرفات سلطات الاحتلال فى الاقليم المحتل(٢) ٠

تقوم فلسفة الأحكام المتعلقة بالاحتلال الحربى على مبدأين :

أ ـ تأكيد الصفة المؤقتة للاحتلال الحربى وذلك بوضع حد فاصل واضح بين الاحتـــلال الحربى وبين أى ادعاء بحق عــلى الاقليم كضمه بارادة منفردة مثلا ٠ وهذا المبدأ يفرض على الدول الغير ـ تبعا ـ واجب عدم الاعتراف يمثل هذا الضم ان حصل لعدم مشروعيته ٠

ب ـ تقييد السلطات التقديرية لدولة الاحتلال تقييدا مضيقا يمنعها أن تعامل الاقليم كما لو كان اقليمها أو أن تطبق عليه قوانينها الخاصة ٠

وقد سجلت الأحكام الخاصة بالاحتـــلال الحربى فى عدة وثائق أهمهـا اتفاقيات لاهاى لعامى ١٨٩٩ ، ١٩٠٧ واتفـــاقية جنيف الرابعة للصليب الأحمر ١٩٤٩(٣) ٠

لقد اعتبرت محكمتـــا نورمبرج (١٩٤٦) وطوكيو (١٩٤٨) أن الأحكام التى تضمنتها اتفاقيات لاهاى بهذا الشأن هى أحكام كاشفة عن قواعد عرفية أقرتها الدول المتمدينة وأكدتا ذلك على الخصوص بالنسبة للقواعد المتعلقـــة بحماية أرواح وأموال سكان الأقاليم المحتلة وعدم جواز توقيع عقوبات عامة عليهم ٠

---

(١) يجب ألا نخلط بين الاحتلال الحربى وبين غيره من الأفكار التى قد تختلط به :

فالاحتلال الحربى هو احتلال فعلى لاقليم عدو ، ولذلك فهو غير الغزو الذى هو مجرد دخول القوات المحاربة فى اقليم العدو ٠

ولا يدخل الاحتلال الحربى فى مدلول « الحرب » بمعناها الدقيق التى هى العمليات العدوانية القائمة فعلا ولذلك فان الأحكام الخاصة بالاحتلال الحربى تختلف فى جـــوهرها عن الأحكام الخاصة بالحرب ، وتدور هـــذه الأحكام حول الوقف المؤقت الذى يرد على ممارسة الحكومة الشرعية لمظاهر سيادتها على الاقليم المحتل ٠

(٢) Schwarzenberges, Georg : The Law of Armed Conflict, London,

(٣) الدكتور على صادق أبو هيف ـ القانون الدولى العام ، الاسكندرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٥ ، ص ٨٣٧ ٠

وقد أثبتت تجربة الحرب العالمية الثانية عدم كفاية ما جاءت به اتفاقيات لاهاى من أحكام فاستكمل هذا النقص فى اتفـــاقية جنيف الرابعة ١٩٤٩ المتعلقة بالصليب الأحمر التى اعتبرت ملحقا لاتفاقيات جنيف ·

وأول مبدأ يحكم الاحتلال الحربى أن الاحتلال الحربى لا يترتب عليه نقل السيادة على الاقليم الى السلطات المحتلة وانما تظل هذه السيادة كامنة فى الدولة صاحبة الاقليم وان خرج الاقليم مؤقتا عن اشرافها(١) ، ومعنى هـــذا تجميد الوضع على ما هو عليه بالنسبة للاقليم المحتل طوال فترة الاحتــــلال وعدم جواز قيام سلطة الاحتلال بأى تصرف يضر بمزايا السيادة الاقليميـــة لدولة الاقليم · وتبعا فان سكان الاقليم المحتل لا يدينون بالولاء لســـلطات الاحتلال ولا يجوز لتلك السلطات أن تطلب منهم أى عهد من هذا القبيل ·

قاعدة أخرى هى التزام سلطات الاحتلال بحد أدنى من السلوك الحضارى فى معاملة سكان الاقليم المحتل ولذا فان سلطات الاحتلال لا تملك أن تعاقب السكان على ما يبدونه من آراء قد تتعارض مع مصالحها وانما تقتصر على اتخاذ الاجراءات الضرورية التى تستلزمها حاجة الحرب فحسب فى حدود ما يخوله لها القانون الدولى من سلطات عسكرية ·

ولا يجوز أيضا لسلطة الاحتلال أن تنفى السكان أو ترحلهم من الاقليم وقد اعتبرت محكمة نورمبرج هذا الاجراء جريمة من جرائم الحرب(٢) ·

---

(١) قال بوريل Borel الذى كان محكما وحيدا فى قضية الدين العثمانى (١٩٢٥) ان الاحتلال الحربى لا يترتب عليه بذاته نقل السيادة القانونية ·

كذلك استند حكم محكمة التحكيم الدائمة الذى انهى قضية المنار بين فرنسا واليونان (١٩٥٦) على تمييز دقيق بين الفترات التى كانت تحتل فيها اليونان الاقليم التركى المعنى وبين انتقال السيادة الاقليمية اليها ·

وقارن هذا بالتصرفات غير المشروعة التى تأتيها اسرائيل حيال مدينة القدس والتى ألمحت الى بعض منها فيما سبق ·

(٢) وصفت محكمة التحكيم المختلطة البلجيكية الألمانية التى نظرت قضية Moriaux ضد ألمانيا (١٩٢٤) نفى سلطات الاحتلال لسكان الاقليم بأنه : «"most flagrant and atrocious breach of international law".

كذلك تقرر قواعد لاهاى أن على سلطة الاحتلال احترام كل من الملكية العامة والخاصة ولا يجوز نزع هذه الملكية الا لظروف استثنائية ترجع فقط الى الضرورات الحربية(١) ٠ والقاعدة العامة فى هذه الحالة أن الملكية الخاصة يجب ألا تربط بضرورات الحرب فان استلزمت ذلك ظروف قاهـرة فلابد من التعويض عنها(٢) ٠

ويجب على سلطة الاحتلال أن تحترم المعتقدات الدينية للسكان وطريقة ممارستهم لشعائرهم وكذا شرفهم وحقوقهم العائلية(٣) ٠

وقد عرفت المادة الرابعة من اتفاقية جنيف(٤) الأشخاص المقصـــودين بالحماية فى مفهوم قواعد الاحتلال الحربى فقالت انهم هم « الأشخاص الذين يجدون أنفسهم ، فى أى لحظة أو بأية طريقة ـ حال قيام نزاع أو احتلال ـ خاضعين لحكم أحد طرفى النزاع أو سلطة محتلة ليسوا مواطنيها » ٠

وتحرم المادة ٣١ من اتفاقية جنيف ممارســة أى اكراه مادى أو معنوى ضد الأشخاص الذين تحميهم الاتفاقية بقصد الحصول عـلى معلومات منهم أو على معلومات من الغير ٠ كما تفرض المادة ٣٢ على الدول أن تمتنع عن اتخاذ أى اجراءات يمكن أن تسبب عذابا للأفراد أو ابادة لهم ٠ وتعتبر المادة ٣٣ أن الجزاءات الجماعية ـ مثلها مثل الاجراءات الارهابية ـ كلها ممنوعة ، وكذا النهب والسلب والانتقام سواء أكان ضد النفس أم المال ٠

ان الخيام المقامة للاجئين والمشردين العرب وما نسمعه كل يوم من عدوان اسرائيلى على الآمنين لهو دليل حى على انتهاك اسرائيل لهـذه الأحكام ٠ ومن

---

(١) تنص المادة ٢٣/ز على ما يلى : « "it is forbidden... to destroy or seize the enemy's property, unless such destruction or seizure be imperatively demanded by the necesseties of war".

(٢) Vasarhelyi, Istvan : Restitution in International Law, Budapest, 1964, p. 51.

(٣) وهذا هو حكم المادة ٤٦ ونصها كالآتى : "Family honour and rights," the lives of persons, and private property, as well as the religious convictions and practice must be respected."

(٤) وقعت اسرائيل على هذه الاتفاقية وصدقت عليها فى ١٢ اغسطس ١٩٤٩ ٠

سخريات القدر أن اتفاقية جنيف أبرمت لكى تمنع تكرار ظلم لحق باليهود فى وقت ما فاذا بالذين ينتهكون أحكامها هم اليهود أنفسهم[١] ٠

بقى أن أقول ان الالتزامات التى تفرضها الأحكام الخاصة بالاحتلال الحربى لا تعنى اخلاء سلطة الاحتلال من المسئولية عن حفظ الأمن والنظام وحراسة أرواح وأملاك السكان ، وعليها فى ذلك أن تحترم القوانين المطبقة فى مناطق الاحتلال ـ أى قوانين دولة الاقليم ـ ما لم يمنعها من ذلك مانع مطلق ٠ كذلك تلتزم سلطات الاحتلال ـ طبقا لأحكام اتفاقية جنيف ـ بأن توفر للسكان الغذاء والمواد الطبية والرعاية الصحية فاذا لم يكن ذلك فى استطاعتها فعليها أن توافق على ـ أو تسهل تحقيق ـ برامج للنجدة والاسعاف ٠

الفرع الرابع
فى
حركة التحرير العربية الفلسطينية

الكيان الفلسطينى :

كانت فلسطين ولاية عثمانية ثم تحررت من هذه التبعية بفضل جهود العرب وتضحيات جيشهم الذى كان ميمنة قوات الحلفاء التى دخلت فلسطين بقيادة اللورد اللنبى سنة ١٩١٧ ٠ وقد دخلت قوات الحلفاء فلسطين بنية تحريرها وضمان استقلالها لا بقصد الاحتلال والاستعمار ٠ يؤكد ذلك :

١ ـ تصريح الرئيس الامريكى ولسن فى ديسمبر سنة ١٩١٥ بأن « الفتح والاستيلاء لا يدخلان فى برنامج الحكومات الديمقراطية ولا يتفقان مع مذاهبها »[٢] ٠

---

(١) Pradelle, R. de Geouffre de la : **Occupation and tha Law, p. 9.**
مقال منشور ضمن كتب بعنوان Israel and the Geneva Conventions.
وهو من مطبوعات معهد الدراسات الفلسطينية ومنشور ببيروت سنة ١٩٦٨ ٠

(٢) Aycub, Charles : **Les Mandats Internationaux, 1924, p. 188.**

٢ - تصريح اللورد اللنبى يوم دخوله القدس فى ١٩١٧/١٢/٢٩ « بأن غاية الاحتلال البريطانى هى تحرير فلسطين من النير التركى وانشاء حكومة وطنية حرة فيها »(١) ٠

٣ - اقرار لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا بأن « بريطانيـــا تعترف بحق فلسطين وسوريا والعراق والجزيرة العربية فى الحرية والاستقلال وتكوين حكومات وطنية فيها »(٢) ٠

٤ - برقية بلفور - صـــاحب التصريح المشـــئوم - التى أرســلها فى ١٩١٨/٥/٢٨ الى الحسين باسم حكومة بريطانيا ودول الحلفاء والتى جاء فيها « ٠٠٠ وحكومة صاحب الجلالة البريطانية تؤكد مرة أخرى وعودها السابقة بتأييد استقلال العرب ومساعدة البـــلاد العربية التى لم تنل استقلالها بعد على الحصول عليه بعد الحرب »(٣) ٠

واذن فقد التزم الحلفاء بتأييد استقلال فلسطين وانشاء حكومات وطنية فيها يختارها شعب فلسطين العربى ٠ وهـــذا هو ما تمسك به العرب منذ البداية على لسان فيصل بن الحسين أمام مؤتمر فرساى وكذلك فى القرارات التى أصدرها المؤتمر السورى الذى عقد فى يونيو ســنة ١٩١٩ ، والقرار الذى أعلنه العرب فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ باســتقلال سوريا(٤) ٠ ولـكن الحلفاء أغمضوا أعينهم عن هـــذه الحقيقة الواضحة ووضعت فلسطين تحت الانتداب « أ » وهو انتداب - كما سبق أن ذكرت - يتعلق بالجمـاعات التى

(١) Canaan : The Palestine Arab Case, 19?9, p. 4.

(٢) الدكتور سعد بسيسو - الصهيونية ، ١٩٤٥ ، ص ٤٢ ٠

(٣) محمد عزة دروزة - حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ١٩٥١ ، ص ٢٣ ٠

(٤) سوريا تشمل هنا فلسطين كذلك ، وقد أشار القرار الى شمول الاســتقلال فلسطين بوصفها جزءا من سورية ٠

ومما يجدر بالذكر أن الحلفاء أصدروا تصريحا فى ١٩١٨/١١/٨ يدعون فيه « ان التسبب الذى حاربت من أجله فرنسا وانجلترا فى الشرق - تلك الحرب التى أهبتها الألمان - انما هـو تحرير الشعوب التى رزحت أجيالا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالى الوطنيين لها اختيارا حرا » ٠ أمين السعيد - الثـورة العربية الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ٦٣٥ ٠

« بلغت درجة من الرقى يستطاع معها الاعتراف بها أمما مستقلة بشرط أن تسدى الدولة صاحبة الانتداب النصح والمعونة حتى يأتى الوقت الذى تستطيع فيه أن تعتمد على نفسها » . أى أن هذا النوع من الانتداب لا يترتب عليه زوال السيادة عن شعب الاقليم الخاضع للانتداب بل ان هذه السيادة باقية للشعب المذكور ، وكل ما للدولة المنتدبة هو تقديم المعونة والنصح فحسب تلك المعونة وذلك النصح الذى يجب أن يهدفا الى تحقيق رفاهية وتقدم الشعوب الخاضعة للانتداب . وعلى ذلك فان السيادة لم تنزع عن شعب فلسطين تحت الانتداب بل ان هذا الشعب ظل صاحب السيادة على اقليمه(١) .

ولم تكن لفلسطين ـ عند قيام الانتداب ـ سلطة وطنية بعد فقد كانت حديثة عهد بتحررها من السيطرة العثمانية وكان الحلفاء يديرونها على أنها جزء من بلاد العدو المحتلة . فلما تولت بريطانيا مسئوليات الانتداب جادت على فلسطين بطراز حكم على شاكلة ما تأخذ به من نظام بالنسبة لمستعمراتها . فهى تبعث بمندوب سام لها هو السيد الأعلى وصاحب السلطة التشريعية ، ويسأل هذا المندوب السامى أمام وزير المستعمرات البريطانى . والى جانب المندوب السامى يقوم مجلس تنفيذى من رؤساء الدوائر البريطانيين وفى مرحلة تالية تألف مجلس استشارى نصف أعضائه من كبار الموظفين البريطانيين والنصف الآخر يعينون من العرب واليهود .

وقد حصلت عدة محاولات للتعديل فى النظام ولكنها ذهبت جميعا أدراج الرياح وبقى الحال على ما وصفته . وهكذا يسجل على بريطانيا خطأ فاحش ارتكبته ألا وهو التنكر لاقامة السلطة العربية الفلسطينية الأمر الذى ساهم مساهمة جدية فعالة فى تمكين الصهيونية فى فلسطين ومساعدتها على استلاب حقوق العرب .

---

(١) وقد أخذ ميثاق جامعة الدول العربية هذه الظروف مأخذ الاعتبار ـ كما أسلفت ـ فتضمن الملحق رقم (١) وضعا خاصا لفلسطين يعترف بوجودها كدولة مستقلة . ولما كانت هذه الدولة لا تستطيع بسبب ظروفها الخاصة أن تختار ممثلا عنها فان مجلس الجامعة العربية هو الذى يختار مندوبها الى أن يأتى الوقت الذى تستطيع فيه فلسطين اختيار ممثلها بنفسها .

ازاء هذا الوضع ظهرت جماعات عربية في فلسطين سعت لحماية حقوق العرب فتكونت لجان قومية في جميع أنحاء فلسطين هى التى تكفلت بالعمل الثورى الفلسطينى(١) • وفى ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٦ شكلت اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر وعضوية جميع اللجان والهيئات والأحزاب لتوطيد العمل الثورى فى جبهة وطنية واحدة ، وتحملت تلك اللجنة مسئولية الكفاح الوطنى الداخلى خلال ما تبقى من فترة الانتداب • فلما رسمت العلاقة بين العرب واليهود فى صورة اتفاقيات الهدنة التى أبرمت سنة ١٩٤٩ شكلت حكومة رمزية لفلسطين باسم حكومة عموم فلسطين لعل سماع الناس بها كان يوم أن أعلن نبأ وفاة رئيسها ، كما فقدت قيادة المفتى الأكبر الحاج أمين الحسينى واللجنة العربية العليا — مع مرور الأيام — أثرها الروحى على الفلسطينيين خاصة والعرب عامة •

وبدأت الجهود محددة لانشاء كيان فلسطينى قويم فكانت تتقدم خطوة وتتعثر أخرى ، ثم قوى الاتجاه الى انشاء هذا الكيان منذ سنة ١٩٦٠ الى أن كان مؤتمر القمة الأول الذى قرر انشاء كيان فلسطينى يجمع ارادة شعب فلسطين ويقيم هيئة تطالب بحقوقه •

وانعقد المؤتمر الفلسطينى الأول بمدينة القدس فى ٢٨ من مايو سنة ١٩٦٤ وأقر الميثاق القومى الفلسطينى والنظام الأساسى لمنظمة تحرير فلسطين

---

(١) « رد العرب على مكايد الحلفاء بعقد المؤتمر الفلسطينى الأول عام ١٩١٩ بالقدس وقد قرر المؤتمر رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطانى وطالب بوحدة سورية وأسمى فلسطين بسورية الجنوبية •

« وفى ديسمبر ١٩٢٠ عقد المؤتمر الفلسطينى الثالث بحيفا — لأن المؤتمر الثانى الذى كانت الجمعيات الاسلامية المسيحية قد دعت اليه منعت السلطات البريطانية عقده — وأكد قرارات المؤتمر الأول وألف « لجنة تنفيذية » لتوجيه الحركة الوطنية •••

وفى يونيو ١٩٢١ عقد المؤتمر الفلسطينى الرابع بالقدس وعاد المؤتمر الى رفض تصريح بلفور وتأكيد الوحدة السورية • وندب المؤتمر وفدا الى بريطانيا لشرح القضية الفلسطينية •••

وفى ٣ أغسطس عام ١٩٣١ عقد بنابلس مؤتمر عربى أعلن استنكاره لتسليح اليهود • كما دعت اللجنة التنفيذية العربية أهل البلاد الى الاضراب العام فى ٢٣ من اغسطس ••• »

نقلا عن محمود كامل — المرجع السابق ، ص ٢٧٩ — ٢٨١ •

بوصفها الجبهة الوطنية التى تعمل على تحرير الوطن وأنشىء صـندوق باسم « الصندوق القومى الفلسطينى » لتمويل منظمة التحرير الفلسطينية(١) ·

الميثاق الوطنى الفلسطينى : يعتبر هذا الميثاق من الاعلانات العالمية ذات الطبيعة الدستورية وتنقسم الأحكام التى وردت به الى مجموعتين : أحكام هى قواعد قانونية واجبة التنفيذ مثل نص المادة ٢٣ التى تقرر أنه « تحقيقا لأهداف هذا الميثاق ومبادئه تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بدورها الـكامل فى تحرير فلسطين وفق النظام الأساسى لهذه المنظمة » ، وأحكام بمثابة نطـاق فلسفى لحركة التحرير مثال ذلك المواد ١٦ ـ ٢٢ التى تدمغ تقسيم فلسطين والحركة الصهيونية وتعلن ايمان الشعب الفلسطينى بالمبادىء الكريمة ·

ويستفاد من أحكام الميثـاق أن الهدف الأساسى الذى يتغيـاه الشعب الفلسطينى فى الوقت الراهن هو استرداد الوطن السليب بكامله ، أو بعبارة أخرى هو تحرير دولة فلسطين · ولذلك فقد عنى الميثاق بتحديد أركان تلك الدولة · فنصت المادة/٢ على أن « فلسطين بحدودها التى كانت قائمة فى عهد

---

(١) يقترب هذا التنظيم من التنظيم الذى سلكته الصهيونية فى تحقيق أهدافها ، ذلك أن منظمة التحرير تقابل لجنة العمل ـ التى أصبحت فيما بعد الوكالة الصهيونية ـ والصـندوق القومى يقابل البنك الاستعمارى اليهودى ·

قارن هذا التنظيم باقتراح عرضته فى كتاب لى عن « قضية فلسطين أمام القانون الدولى » صدر قبل ايجاد هذا التنظيم بأكثر من ثلاث سنوات حيث قلت ما نصه : « ونحن نرى أن حـل مشكلة فلسطين يقتضى اشراك الجهود الشعبية مع الجهود الحكومية وأن تتعاون هذه وتلك على ادراك الغاية الكبرى ·

ومن ثم فلابد من ايجاد تنظيم شعبى عربى يقوم على تحقيق ذلك الهدف ويعمل على تذليل كل صعوبة دونه ·

وفى تقديرنا أن خـير تنظيم يمكن أن يؤدى الغرض هـو التنظيم الذى يتغيا التنظيم الصهيونى ، فبعض السم ترياق لبعض · واذن فلابد من قيام مؤتمر عربى عام على غرار المؤتمر الصهيونى يتزود بجهازين ـ أحدهما ادارى والآخر مالى ـ وتكون مهمته اجراء دعاية واسـعة النطاق للقضية واقناع الرأى العام العالمى بها واجتذاب الحكومات الى جانبها وتدريب المواطنين العرب عموما والفلسطينيين خصوصا لاستعادة الوطن السليب ، وجمع المـال اللازم لذلك من العرب جميعا ··· ولا يجب أن نستبعد القوة من بين الوسائل التى ننتهجها فى الوصول الى حقنا اذا ما كانت هى الطريق بعد أن نرتب لها أمرها » ·

الانتداب البريطانى وحدة اقليمية لا تتجزأ » ، وهذا مؤداه أن اقليم الدولة الفلسطينية هو الاقليم الذى أدخل تحت الانتداب البريطانى ٠

أما شعب الدولة(١) فقد عرفته المــادة/٦ بقولها « الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون اقامة عادية فى فلسطين حتى سنة ١٩٤٧ سواء من أخرج منها أو بقى فيها ، وكل من ولد لأب عربى فلسطينى بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطينى » ٠ ويبدو لى أن هذا النص قد وضع ليواجه ظروف المشكلة ولذلك لم تراع فى صياغته الدقة الكافية لأن الفلسطينى الذى خرج بارادته من فلسطين بعد سنة ١٩٤٧ لأى سبب كان لا يدخل ضمن تعريف الفلسطينيين حسب هذه المادة ٠ وهنا يبدو نوع من التناقض بين حكم هذه المادة وبين حكم المادة/٥ التى تقرر أن « الشخصيــة الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهى تنتقل من الآباء الى الأبنــاء » ٠ ولعل واضع هذه المادة قد تحرج عن أن يذكر تعبير « الجنسية » فاستعاض عن هذا التعبير بتعبير « الشخصية » اذ أن حكم هذه المــادة يعنى أن العــربى الفلسطينى الذى خرج بارادته من فلسطين قبــل سنة ١٩٤٧ أو من لم تكن فلسطين محل اقامته العادية سنة ١٩٤٧ يعتبر أيضــا فلسطينى الجنسية ٠ ويمكن ــ من الأخذ بحكم المادتين معا ومحاولة التوفيق بين نصيهما ــ أن نقول ان كل عربى اكتسب الجنسية الفلسطينية حتى سنة ١٩٤٧ أو من ولد لأب عربى فلسطينى بعد ذلك يعتبر فلسطينى الجنسية (أو الشخصية) ، لا سيما اذا وضعنا فى اعتبارنا أن المادة الخامسة التى جاءت بالحكم العام سبقت المــادة السادسة التى جاءت بالحكم التطبيقى ٠

على أن الميثاق لم يكتف بالنسبة لليهود الذين هم من أصل فلسطينى ــ بمجرد سبق حمل الشخصية الفلسطينية بل تطلب الى جانب ذلك شرطا آخر هو أن يكونوا « راغبين بأن يلتزموا العيش بولاء وسلام فى فلسطين » (م ٧) ، وهذا تعبير له مبرره من تاريخ اليهود ومعتقداتهم ٠

---

(١) يبدو أن واضع الميثاق لم يكن بالدقة الكافية عند تناوله للأحكام الخاصة بهذا الشعب اذ نجده يستعمل عدة تعبيرات فى المواد المختلفة للميثاق فهــو تارة يسميه الشعب الفلسطينى وأخرى يسميه الشعب العربى الفلسطينى وأخرى يقول عنه « أهل فلسطين » ٠

أما بالنسبة للسلطة السياسية التى تمارس مظاهر السيادة الفلسطينية ، فقد فضل الميثاق ألا يتعرض للوضع الراهن وترك الأمر الى حينه ـ عندما يتم تحرير فلسطين وعندئذ يكون للشعب العربى الفلسطينى ـ صاحب السيادة ـ أن يقرر مصيره وفق مشيئته وبمحض ارادته واختياره (م ٤) · وذلك تبصر محمود من واضع الميثاق ·

بيد أننى لا أتفق مع واضع الميثاق فيما حرص عليه فى المواد ١٦ ـ ١٨(١) من ايراد مبررات القضية العربية اذ قد يفهم هذا الايراد على أنه جاء على وجه الحصر فى حين أن المبررات التى وردت فى هذهالمواد ليست هى وحدها التى تقيم قضية العرب فى فلسطين ثم ان صياغتها جاءت مبتسرة على نحو قد يقلل من درجة الاقناع التى يمكن أن تحدثها · وكنت أفضل لو أن الميثاق اكتفى بما جاء فى الديباجة أو نقل هذه العبارات الموجزة الى الديباجة ·

وقد أكد الميثاق أن فلسطين جزء من الوطن العربى الكبير وأن الشعب العربى الفلسطينى يؤمن بالوحدة العربية ، وأن « الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيىء الواحد منهما تحقيق الآخر » ·

منظمة تحرير فلسطين : قرر الميثاق القومى اقامة هذه المنظمة ، ونص

---

(١) أورد فيما يلى نص هذه المواد :

م ١٦ : « ان تحرير فلسطين من ناحية دولية . هو عمل دفاعى تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة · ومن أجل ذلك فان الشعب الفلسطينى الراغب فى مصادقة جميع الشعوب يتطلع الى تأييد الدول المحبة للحرية والعدل والسلام لاعادة الأوضاع الشرعية الى فلسطين واقرار الأمن والسلام فى ربوعها ، وتمكين اهلها من ممارسة السيادة الوطنية والحرية والقومية » ·

م ١٧ : « ان تقسيم فلسطين الذى جرى عام ١٩٤٧ وقيام اسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لارادة الشعب الفلسطينى وحقه الطبيعى فى وطنه ومناقضته للمبادىء العامة التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وفى مقدمتها حق تقرير المصير » ·

م ١٨ : « يعتبر باطلا كل من وعد بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليها وأن دعوى الروابط التاريخية او الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة فى مفهومها الصحيح وأن اليهودية بوصفها دينا سماويا ليست قومية ذات وجود مستقل وكذلك فان اليهود ليسوا شعبا واحدا له شخصيته المستقلة وانما هم مواطنون فى الدول التى ينتمون اليها »

نظامها الأساسى على أن تباشر مسئولياتها وفق مبادىء الميثاق القومى وأحكام هذا النظام الأساسى ٠

وينص الميثاق القومى على أنه « لا تمارس هـــذه المنظمة أية ســيادة اقليمية على الضفة الغربية فى المملكة الأردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولامنطقة الحمة وسيكون نشاطها على المستوى القومى الشعبى فى الميـــادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية » ٠ ومعنى ذلك أن منظمة تحرير فلسطـــين انما تمثـــل الشعب العربى الفلسطينى بوصفه مدركا اجتمــاعيا لا بوصفه تنظيما قانونيا(١) ٠ ولذلك نصت المادة/ ٤ من النظام الأساسى للمنظمة على أن الفلسطينيين « جميعا أعضاء طبيعيون فى منظمة التحرير الفلسطينيـــة يؤدون واجبهم فى تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم والشعب الفلسطينى هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » ٠

كذلك أكد الميثاق القومى أن « تتعاون منظمة التحرير مع جميع الدول العربية كل حسب امكانياتها ، ولا تتدخل فى الشئون الداخليـــة لأية دولة عربية » (م ٢٦) ٠

وتتكون منظمة التحرير الفلسطينية من الأجهزة التالية :

أ - المجلس الوطنى ، وينتخب أعضاؤه عن طريق الاقتراع المبــاشر من قبل الشعب الفلسطينى ٠ وهو السلطة العليا لمنظمة التحرير ، وهو الذى يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجهــا ٠ ومدته ثلاث سنوات ٠

ويكــون للمجلس الوطنى مكتب رئاســـة مؤلف من الرئيس ونائبين وأمين عام ينتخبهم المجلس الوطنى فى بدء انعقاده ٠

---

(١) الشعب كمدرك اجتماعى هو الشعب الحقيقى أى مجموع الأفراد الذين يعيشون فعــلا فى اقليم معين ٠ أما الشعب كتنظيم قانونى فهو الدولة بوصفها شخصا قانونيا يتمتع بالسيادة ٠ وليس الأمر واضحا فيما اذا كان يمكن أن نعتبر أن المنظمة تمثل الشعب الفلسطينى بوصفه مدركا سياسيا اذا قصدنا بذلك تجريده فى شكل تنظيم سياسى معين وان كان العمــــل يتجه تدريجا الى اعطاء المنظمة هذا الكيان السياسى » ٠

ب - اللجنة التنفيذية ، وينتخب المجلس الوطني رئيسها من بين أعضائه ويتولى الرئيس اختيار أعضائها • وتؤلف اللجنة التنفيذية من خمسة عشر عضوا بما فيهم الرئيس •

واللجنة التنفيذية « هي أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة وتكون دائمة الانعقاد وأعضاؤها متفرغون للعمل ، وتتولى تنفيذ السياسة والبرامج والمخططات التي يقررها المجلس الوطني وتكون مسئولة أمامه ، مسئولية تضامنية وفردية » • (م ١٥) ، وهي التي تتولى تمثيل الشعب الفلسطيني •

وتنشىء اللجنةالتنفيذية الدوائرالآتية: ١ - الدائرة التحريرية ٢- دائرة الشئون السياسية والاعلامية ٣ - دائرة الصندوق القومي الفلسطيني • ٤ - دائرة للشئون العامة والتوجيه القومي ٥ - أي دائرة أخرى ترى اللجنة ضرورة انشائها •

وقد نصت المادة/٢٢ على أن « تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة بالاتفاق والتعاون مع الدول العربية المعنية »(١) •

الصندوق القومي الفلسطيني : طبقا للمادة/٢٤ من النظام الأساسي

---

(١) أقيمت قوات فلسطينية عسكرية من قبل تاريخ هذا النص لا سيما في مصر والعراق• كذلك قررت الجامعة العربية - في سنة ١٩٦٤ - بناء على اقتراح مصري أن تقيم جبهة تحرير يكون لها جيش صغير (جيش التحرير الفلسطيني) كطليعة لتحرير الجزء المغتصب من فلسطين • وتلقى شبيبة اللاجئين في قطاع غزة وفي سوريا تدريبا عسكريا وكونوا وحدات عسكرية من المدفعية والدبابات • وقد قامت هذه الوحدات بدور ظاهر في الاغارة على العدو الصهيوني أكثر من مرة في عمليات فدائية • وقد قامت قوات فتح - التي تمتعت منذ يوليو ١٩٦٦ بمساعدة سوريا - بعليات فدائية جريئة • ولم تكن فتح وحدها بل قامت بجانبها جماعات أخرى فيسوريا مثل أبطال العودة للوطن تحت امرة عبدالقادر الحسيني وقد ظلت هذهالقوات جميعا تعمل مستقلة ومنفصلة عن بعضها البعض • والواقع أن أكثر هذه الجماعات نشاطا بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ كانت جماعة فتح • وكثرت الجماعات بعد العدوان وكانت تتعاون أحيانا - كما حصل بين العاصفة والصاعقة والقائد الوليد - ولكن القيادة لم تصل الى حد اقامة قيادة مشتركة • وفي صيف ١٩٦٨ حصل تذمر في جبهة التحرير فرفضت فتح التعاون معها • وقد تحقق أخيرا نوع من التضامن بين معظم الجماعات وأصبح رئيس جماعة فتح هو رئيس جبهة التحرير الفلسطينية كذلك •

لمنظمة التحرير « ينشأ صندوق يعرف بالصندوق القومى الفلسطينى لتمويل أعمال المنظمة ، يقوم بادارته مجلس ادارة خاص يؤنف بموجب نظام خاص بالصندوق يصدره المجلس الوطنى » • وقد صدر النظام الأساسى للصندوق فنص على أن يتألف مجلس ادارته «من أعضاء لا يقل عددهم عن خمسة عشر عضوا ولا يزيد على عشرين ، يعينون بقرار من اللجنة التنفيذية ، يرأسه أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية المختص بالشئون المالية » (الفقرة الثانية من المقدمة) •

ويحقق الصندوق موارده من الآتى :

١ ـ رسم سنوى قدره (٢٥٠) فلسا أو ما يعادلها بالعملات الأخرى يلتزم بدفعها كل فلسطينى تجاوز الثامنة عشرة من عمره •

٢ ـ ضريبة ثابتة تفرض على التجار والملاك والموظفين وسائر الشركات والمؤسسات وكافة المواطنين الفلسطينيين على ألا تقل عن ٢٪ ولا تزيد عن ٦٪ من مجموع الدخل الصافى ، وتحصل هذه الضرائب بموجب أنظمة تضعها المكاتب المحلية وتعتمدها اللجنة التنفيذية •

٣ ـ القروض والمساعدات المالية التى تقدمها الحكومات والشعوب العربية •

٤ ـ طابع التحرير الذى تصدره المنظمة وتعتمده الدول العربية فى الاتحادات البريدية والمالية وغيرها •

٥ ـ التبرعات فى المناسبات القومية وهبات الأشخاص والهيئات المعنوية والجمعيات والمغتربين العرب وغيرهم •

٦ ـ القروض والمساعدا تالتى تقدمها الحكومات والشعوب الصديقة •

٧ ـ حصيلة اصدار سندات دين لحامله تسمى « سندات تحرير فلسطين » لا تتجاوز عشر سنوات بفائدة قدرها ٤٪ سنويا ، على أن يكون هذا الاصدار بكفالة جامعة الدول العربية ، ويجرى سحب يانصيب على أرقام هذه السندات مرة كل سنة بجوائز مانية يقررها مجلس الادارة ومعفاة من أية ضرائب كانت فى كافة البلدان العربية •

٨ ـ ما تخصصه كل دولة عربية فى ميزانيتها السنوية لصالح الصندوق القومى الفلسطينى ٠

٩ ـ أية موارد أخرى قد ترد للصندوق(١) ٠

حكم حركة المقاومة العربية الفلسطينية فى القانون الدولى :

من الأمور التى تشغل بال الكتاب اليوم تحديد الوضع القانونى لحركة المقاومة الفلسطينية ومدى شرعيتها طبقا لأحكام القانون الدولى ، وهذا أمر منطقى بعد أن اتخذ الكيان الفلسطينى سبيله الى الوجود الواقعى ٠

ويبدو لى أن هذا الأمر قد شغل بال واضع الميثاق القومى الفلسطينى فراح ـ فى غمرة الايمان بالحق ـ يدلى بدلوه وسجل رأيه فى المادة/١٦ من الميثاق التى تعلن « ان تحرير فلسطين من ناحية دولية هو عمل دفاعى تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة ٠٠٠ » ٠ وهكذا ذهب الميثاق الى أن السند القانونى لتبرير شرعية حركة تحرير فلسطين هو

---

(١) نشرت الصحافة العربية مؤخرا أن الملوك والرؤساء العرب المجتمعين فى الرباط قرروا تخصيص ٢٦ مليون جنيه لدعم الثورة الفلسطينية ، ١١ مليون جنيه لدعم صمود المواطنين فى الارض المحتلة٠ وقد أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية بيانا أوضحت فيه أنها لم تتلق هذه المعونة٠

ونظرا لأن مؤتمر القمة العربى الخامس أنهى أعماله بعد أن كانت الصفحات التى أناقش فيها مؤتمرات القمة العربية قد تم طبعها فاننى أورد هنا موجزا عما انتهى اليه المؤتمر ٠

أنهى المؤتمر أعماله دون اصدار بيان مشترك لأن هناك قرارات سرية اتخذت ولأن الملوك والرؤساء أرادوا ألا يحمل من المعانى أكثر مما تطيق الكلمات ولذا فان كل ما نعرفه عن نشاط هذا المؤتمر هو ما نقلته الصحافة ٠ وقد نشرت جريدة الأهرام تحليلا لأعمال المؤتمر جاء فيه : « اختتم مؤتمر القمة الخامس أعماله ولا يستطيع احد أن يدعى أن هذا المؤتمر نجح خصوصا بالنسبة للآمال التى كانت معلقة عليه ، ولا يستطيع أحد فى الوقت نفسه أن يقول انه فشل اذ أنه حقق نتائج محددة ولكنها هامة : أهم هذه النتائج أن ثلاثا من دول المغرب قدمت للمعركة قوى مؤثرة ٠ والدول الثلاث هى ليبيا والجزائر والمغرب ٠

ليبيا قدمت حشدا أكثر مما طلبه الفريق أول محمد فوزى والجزائر قدمت هى الأخرى حشدا أكثر مما طلبه الفريق أول محمد فوزى ٠ والمغرب قدمت مساهمة عسكرية » ٠ وقد وافق الملوك والرؤساء على التقرير العسكرى الذى قدمه الفريق أول محمد فوزى كما اتفقوا على أن تجرى بينهم اتصالات ثنائية للاتفاق على البرامج الزمنية وحشد القوى العربية وطاقاتها ٠ وقدمت ثلاث دول مبلغ ٣٥ مليون جنيه لعقود تسليح خاصة لا تدخل فى اتفاقية الدعم السابقة وهى ليبيا (٢٠ مليون) ، السعودية (١٠ مليون) ، الكويت (٥ مليون) ـ جريدة الأهرام عدد ١٩٦٩/١٢/٢٥ ٠

حق الدفاع الشرعي كما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة ، أي أن الميثاق الفلسطيني ربط حق الدفاع الشرعي بميثاق الأمم المتحدة في تبريره لحركة التحرير الفلسطينية وهذا الربط خفت حكمته عني لأن ميثاق الأمم المتحدة انما يتكلم عن حق الدفاع الشرعي للدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، ويقيد حق هذه الدول بما يتخذه مجلس الأمن من اجراءات(١) ٠

ربما كان قصد واضع الميثاق أن يقول ان حركة التحرير تستند الى حق طبيعي ـ هو حق الدفاع الشرعي ـ مستندا في تأكيد أن حق الدفاع الشرعي حق طبيعي يعلو القانون الوضعي ولا يعدل بأحكامه ـ الى أن ميثاق الأمم المتحدة وصفه هكذا ٠ فان كان ذلك قصده فقد أخطأه التعبير وخانه التوفيق في الصياغة ٠ فاذا افترضنا هذا القصد ووضعنا في اعتبارنا تعريف حق الدفاع الشرعي بمعناه الدولي أي حق حماية مصالح جوهرية يتهددها ضرر لا يمكن اصلاحه في ظروف لا يتوفر فيها بديل لهذه الحماية ، فهو حق يحافظ على الوضع القائم ومن ثم فان استخدام القوة استنادا اليه ليس له طبيعة عقابية أو اصلاحية بقصد فرض الحقوق المشروعة(٢) ٠ فان الأخذ بحق الدفاع الشرعي كأساس لتبرير حركة المقاومة الفلسطينية يمكن أن يفسر بنظرية الأستاذين ماكدوجال وفليشيانو(٣) التي تذهب الى أن قرارات الأمم المتحدة في قضيتي فلسطين وكوريا تفيد بأن النزاع الذي يحتوي وحدات سياسية حديثة التنظيم أو الذي يثور بين وحدتين اقليميتين متميزتين تتوقع لهما الجماعة

---

(١) عالج ميثاق الأمم المتحدة حق الدفاع الشرعي في المادة ٥١ منه التي تنص على أنه « ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول ، فرادى أو جماعات ، في الدفاع عن أنفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء « الأمم المتحدة » وذلك الى ان يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي ، والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ الى المجلس فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس ـ بمقتضى سلطته ومسئولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق ـ من الحق في ان يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو اعادته الى نصابه» ٠

(٢) Bowett, D.W. : **Self Defence in Iernational Law**, New York, 1958, p. 61.

(٣) McDougal and Feliciano : **Law and Minimum World Public Order**, 1961, p. 221.

دواما نسبيا ، يعتبر كمـــا لو كان نزاعا بين دولتين ٠ اذ أن منطق هـــذه النظرة ينتهى الى أن منظمة التحرير الفلسطينية - فى نزاعها مع اسرائيل - تكون لها حقوق الدولة ٠ والحرب التى تشنها هذه المنظمة على اسرائيل حتى ولو كانت قاعدتها فى خارج الاقليم العربى المحتل تعتبر حربا دولية أو هى على الأقل حرب أهلية ، وان كانت هذه التفرقة لا تهم من حيث أن الحرب على الوصفين تخضع لذات الأحكام فى علاقة المتحاربين بعضهما بالبعض الآخر ٠ وهذه نظرية يمكن أن تدعم على أساس أن انقسام فلسطين هو انقسام واقعى de facto واذن فالحركة التى تمارس خارج الأراضى المحتلة انما تمارس على اقليم هو جزء من كل والكل هو فلسطين بحدودها العامة ٠

ويستفاد من الأنبـــاء التى نشرتها الصحافة العربية بمناسبة محاكمة الفدائيين اللذين أطلقا النار على طائرة شركة العال الاسرائيلية فى مطار أثينا - « أن الدفاع الذى أبداه الفدائيان العربيان أمام السلطـــات اليونانيـــة كان أساسه وجوب فهم قضية مهاجمة الطـــائرة الاسرائيلية فى ضوء القضيـــة الفلسطينية الشاملة ٠ وقد طرح الدفاع موضوع مشروعية المقاومة الفلسطينية مدللا على أن الحركة الوطنية العربية لمقاومة الاحتلال الصهيونى تتوافر فيهـا جميع الشروط المنصوص عليها فى اتفاقية لاهاى عام ١٩٠٧ واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ ٠ فلكل من منظمات المقاومة الفلسطينية العربية رئيس معروف مسئول عن أتباعه ، ولكل منها لباسها الخاص وشارتها المميزة وبرنامجهـا الوطنى وتنظيماتها السياسية والعسكرية وبلاغاتها الاعـــلامية ونشراتهـا الدورية ٠ وهى تمارس حمل السلاح علنا وتخوض باستمرار معارك يومية ضد قوات الاحتلال الأجنبى الصهيونى ٠ وهى تلتزم بقوانين الحرب بينما تمارس اسرائيل أشد الأساليب منافاة للانسانية ٠

« فالمقاومة الفلسطينية فى نظر القانون الدولى مشروعة ، ويعد أفرادها بمثابة جنود محاربين ٠ ولم يكن يدور بخلد الفدائيين العربيين القيام بأى عمل فيه مساس بسلامة الدولة اليونانية الصديقة أو الاضرار بها ، بل انهما كانا يقومان بعمل من أعمال المقاومة المشروعة ضد طائرة معادية ليسترعيا بذلك نظر الرأى العام العالمى الى قيام المقاومة الفلسطينية ورسالتها ٠

« ولما كانت هذه الأعمال تعد مشروعة في نظر القــانون الدولي ، فان القانون الوطني لا يمكن أن يعدها جرائم . بل ان القــانون الدولي يعتبر العدوان جريمة وقد عاقب مرتكبها فعلا في محاكمات نورمبرج وطوكيــو . ومقــاومة العــدوان اذن دفــاع مشروع عن النفس يبيحه ميثــاق الأمم المتحدة ... ... »(١)

واضح أن الدفاع استند ـ في اثبــات مشروعية حركــة التحــرير الفلسطينية ـ الى اتفاقيات لاهاى اللتين أبرمتا في ١٨٩٩ ، ١٩٠٧ (وان كان الملخص الصحفي السابق قد اقتصر على ذكر اتفــاقية سنة ١٩٠٧) . ووفق تقديري أن الاستناد الى هاتين الاتفاقيتين يحصر الصــورة المشروعة لحركة التحرير في نطاق أضيق مما يجب أن تنطلق فيه ؛ هي صورة الأشــكال التقليدية للدفاع الداخلي المسلح . وطبيعي أن تقصر هاتان الاتفاقيتان عن أن تقدم لنا المبرر القانوني الكامل لحركة التحرير الفلسطينية في مختلف أوجــه نشاطها لأن الاتفاقيتين أبرمتا في وقت كانت لا زالت نظرية مترنيخ(٢) تطن في الآذان وتنعكس على التصرفات ، وفي أحضان الحلف المقدس أواخر القرن التاسع عشر والبدايات المبكرة للقرن العشرين ـ أى حقبة ازدهار الامبريالية التي لا يمكن أن تتقبل فكرة تحرر الشعوب أو أن تبارك قواعد قانونية تحترم حركات التحرير الوطنية(٣) .

كذلك فان اتفاقية جنيف سنة ١٩٤٩ ـ كما تنص مادتها الرابعــة ـ تحمي أولئك الذين يجدون أنفسهم ـ في أى وقت أو بأية طريقة ـ في حالة

(١) نقلا عن جريدة الأهرام ـ عدد الأحد ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ .

(٢) مترنيخ هو السياسي النمسوي الأغبر الذي سيطر على سياسة أوروبا في أواخر الربع الاول من القرن التاسع عشر وكان يؤمن بأن التوازن في العلاقات الدولية رهن بالاستقرار الداخلي في كل دولة ، وكان يقول بأن الهدوء هو أول المحاسن التي تحقق الخير للجماعة البشرية .

(٣) وصف هويلير أحداث الوضع السياسي العالمي في نهاية القرن التاسع عشر بأنهــا كانت تعلن انتصار الامبريالية العالمية والسيطرة والحماية واستغلال الدول الأوروبية الــكبرى للأرض طرا .

L'Huillier, Fernand : **De la Sainte-Alliance au Pacte Atlantique**, Neuchatel, p. 279.

نزاع أو احتلال ، خاضعين لاختصاص أحد أطراف النزاع أو سلطة احتـــلال ليسوا هم مواطنيها(١) • وهذا التعريف يحمى سكان الأقاليم الذين يدخلهم نزاع أو احتلال فى السلطة الواقعية de facto لادارة غير وطنية • وبدهى أن التعريف ـ بهذا التوضيح ـ لا يغطى كافة أفراد حركة المقاومة الفلسطينية لأن بعضهم لا يسكن الأقاليم المحتلة •

ويخيل الى أن الفقهاء العرب يركزون كذلك فى دراساتهم على توضيـــح مشروعية حركة المقاومة التى يقوم بها سكان المناطق العربية المحتلة(٢) • وهذا التناول الجزئى للمشكلة يبقى شطرا آخر منها فى حاجة الى التدعيم والتأصيل ألا وهو مشروعية حركة المقاومة الفلسطينية التى تعمل من خــــارج الأرض المحتلة ، وهذا هو ما سأقصر عليه حديثى الموجز فى الأسطر التالية •

---

(١) النص الانجليزى للمادة هو : « " Protected by this Convention " are those persons who, at any moment or in any manner, find themselves, in the case of conflict or occupation, under the jurisdiction of one of the parties to the conflict or of an occupying power of whom they are not citizens".

(٢) فمثلا يقول الدكتور جمال العطيفى ـ فى تكملة المقال المنشور بعدد الأهرام الصـــادر يوم الأحد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٩ والذى نقلت شطرا منه فيما سبق ـ ما نصه « وقد كان هذا تعبيرا صادقا عن المفهوم الحقيقى لحركة المقاومة وهو نفس المفهوم الذى تبنته محكمة نورمبرج حينما قضت بادانة بعض مجرمى الحرب النازيين لأنهم رفضوا معـــاملة رجال المقاومة معاملة المحاربين بحجة أنهم لم يلتزموا قوانين الحرب بدقة ، وقالت (إن العدو الذى يحتل اقليم دولة أجنبية بغير وجه حق مخالفا بذلك المبادىء الأساسية للقـانون الدولى ليس له أن يتأذى اذا لم ينفذ الأهالى المعتدى عليهم قوانين وعادات الحرب بدقة أثناء الاشتباكات التى تقع بينهم وبينه فى نطاق استخدامهم لحق الدفاع الشرعى عن أراضيهم ضده) • وحينما وجه الاتهام الى الجنرال الألمانى روتر قائد البوليس أثناء احتلال السلطات الألمانية للأراضى الهولندية ، دفع التهمة عن نفسه بأن أفراد المقاومة لا يعتبرون من المحاربين ، فردت عليه محكمـــة النقض الهولندية بحكم شهير صدر فى عام ١٩٤٦ بأن سلطات الاحتلال الألمانى لم تكن تملك سلطة شرعية فى الاقليم الهولندى • ومن ثم فانها لم تكن تمارس سوى سلطة مادية بحتة • ومثل هذه السلطة لا ترتب أى التزام بالطاعة على عاتق الرعايا الهولنديين • وبالتالى فان مقاومتهم للعدو المحتل تدخل فى نطاق الدفاع الشرعى عن الوطن ، حيث يصبح من المستحيل أن يتقيـــدوا بأية شروط أو قيود تجاه المعتدى الذى ليس له فى هذه الحالة الا أن يلوم نفسه » •

كذلك اهتم الدكتور عز الدين فوده بدراسة المشكلة فى مقال شيق نشر بعدد أكتوبر ١٩٦٩ من مجلة مصر المعاصرة (ص ٢٠٥ ـ ٢١٩) ولكنه اهتم أساسا بحق المدنيين بالأراضى المحتلة فى الثورة على سلطات الاحتلال الحربى • وهذا أيضا هو ما غلب على دراسة الدكتـــورة عائشة راتب فى كتابها « بعض الجوانب القانونية » ، المرجع السابق •

ان حركة المقاومة الفلسطينية تندرج تحت ما يعرف فى لغة اليوم باسم حركات التحرير الوطنية ، وهى حركات يختلف مفهومها فى الفكر الشرقى عنه فى الفكر الغربى ٠

يرى الفكر الشرقى أن الحركة لا تكون حركة تحرير الا اذا هدفت الى التحرر من الرأسمالية والاستعمار ٠ ويفهم الغرب من هذا التعريف أنه طالما أن حركة التحرير فى المفهوم الشرقى تسعى الى تحطيم الامبريالية بالمعنى الماركسى فان حركة التحرير لا تعتبر كذلك فى النظرية الشرقية الا اذا توفر لها عنصر شيوعى فهى لا تعدو أن تكون مهايأة بين نظرية لينين فى الثورة العالمية وبين الظروف الدولية المعاصرة(١) ٠

ومن هذا الفهم يمكن تلخيص وجهة النظر الأمريكية حيال حركات التحرير فيما يلى(٢) :

١ ـ ان حركة التحرير مشكلة فنية فهى من ناحية مشكلة مؤامرة وتدمير وهى من ناحية أخرى مشكلة ذكاء واخضاع ٠ ومرجع هذا التصور هو ايمان الامريكيين بأن حركات التحرير انما تحرك وتدار وتحكم من جهات أجنبية شيوعية فالأمريكيون يعتقدون أن الشيوعية هى باعثة حركات التحرير وأول المستفيدين منها ٠ ٢ ـ ان أهم عامل فى نجاح حركة التحرير هو توفر حرم تستطيع أن تهرب منه مواردها وتدرب فيه قواتها ٠ ٣ ـ ان مهمة حركة التحرير ـ بالقياس الى مهمة الحكومة

---

(١) Quade, Quentin L. : **The U.S. and Wars of National Liberation,** p. 104.

مقال منشور على الصفحات ٣٦٨ ـ ٣٨٠ من كتاب The Vietnam War and International Law, Sponsored by the American Society of International Law, edited by Richard A. Falk, New Jersey, 1968.

(٢) Ahmad, Iqbal : **Revolutionary Warfare,** p. 369.

مقال منشور على الصفحات من ١٠٢ ـ ١٢٦ من كتاب Vietnam, History, Documents, and Opinions on a Major World Crisis, Penguin Books, edited by Marvin E. Gettleman, 1967.

التى تسعى حركة التحرير الى القضاء عليها - تعتبر مهمة سهلة ذلك أن دور حركات التحرير هو مجرد التحطيم بينما تهتم الحكومات بالبناء وصيانة ما تم بناؤه ٠ ٤ - يقوم المدنيون بتزويد حركة التحـــرير بالمعلومات تحت ضغط ارهاب الفدائيين وتهديداتهم ٠

وهذا التصور الأمريكى الخاطىء فى تعميمه يكشف لناعن فشل السياسة الأمريكية فى تفهم حركات التحرير وانتهاج سياسة قويمة حيالها ٠

ان حركة التحرير العربية الفلسطينية - كما وصفها ميثاقها الوطنى - تستهدف شعارات ثلاثة : الوحدة الوطنية ، التعبئة القومية، التحرير (م١٠)٠ وتشرف على هذه الحركة الآن جبهة فلسطينية تكلمت عن أبعادها عندما تكلمت عن الكيان الفلسطينى وكيف تكامل وجوده الحالى ٠ فهى حركة تتفـــق مع المفهوم الشرقى من حيث أنها تسعى الى تحرير الوطن الفلسطينى العـــربى وتحطيم الاستعمار الصهيونى الاستيطانى ، ولكنها لا تحتوى عنصرا شيوعيا بالمفهوم الأمريكى - فهى قد استبعدت المذاهب العقائدية كأساس للحركة(١) ولم تحدد لفلسطين نظاما مسبقا سواء من الناحية السياسية أم من الناحيـــة الاقتصادية أم من الناحية الاجتماعية ٠(٢)

كذلك تختلف حركة التحرير العربية الفلسطينية عن المفهوم الأمريكى اختلافا جذريا من حيث أنها :

١ - تستند الى حق طبيعى للشعب العربى فى استعادة اقليمه المغتصب ٠ ومن ثم فهى تعتمد على المعونة الارادية والمساعدة الاختيارية التى تقدمها الجماهير العربية ، وليس على ارهاب هذه الجماهير ٠

---

(١) وقد أكدت المادة ٩ من الميثاق هذه الحقيقة فهى تقول ان « المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية لا تشغل أهـل فلسطين عن واجبهم الأول فى تحرير وطنهم ، والفلسطينيون جميعا جبهة وطنية واحدة يعملون لتحرير وطنهم بكل مشاعرهم وطاقاتهم الروحية والمادية » ٠

(٢) هذا ما تقول به المادة ١٠ من الميثاق « ٠٠٠ وبعد أن يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطينى لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية » ٠

٢ - تؤيد الجماهير العربية حركة التحرير الفلسطينية لأن هذه الحركة تعبر عن كراهية هذه الجماهير للصهيونية وتصميمها على اقتلاع جذورها من الأرض العربية ٠

٣ - لم تقم حركة التحرير الفلسطينية على المؤامرة والهدم وانما قامت كرد فعل طبيعى لما وصل اليه النزاع العربى الاسرائيلى ٠

٤ - تتخذ حركة التحرير الفلسطينية من أقاليم البلاد العربيـــة المحيطة باسرائيل - وهى جزء مكمل للاقليم العربى الذى تغتصبه اسرائيل - حرما لها تستمد منه تموينها وتقوم عليه بتدريب قواتها ٠ ومن ثم فهى لا تحتمى بقوى خارجية ولا ترتمى فى أحضان أجنبية(١) ٠

٥ - تركز حركة التحرير الفلسطينية حاليا - بسبب امكانياتها - على تحدى الادارة الصهيونية لا هزيمة الجيوش الاسرائيلية فى حرب منظمة ، وهذه مهمة بناءة وليست هدامة كما تزعم النظرية الأمريكية ٠

فاذا كان هذا هو الوصف الواقعى لحركة التحرير الفلسطينية فما هو التكييف القانونى لهذه الوقائع ؟ لا يجد الانسان مشقة كبيرة فى الاجابة - بأن حركة التحرير العربية الفلسطينية هى حركة تقوم عليها منظمات تمارس - باسم الشعب الفلسطينى - حق تقرير مصير هذا الشعب ٠ فحق تقرير المصير اذن هو فى نظرى السند القانونى المكمل الذى نبنى عليه - بجـــانب الحجج التقليدية - شرعية حركة التحرير الفلسطينية لا سيما فى الشطر من نشاطها الذى تمارسه على شكل حرب عصابات guerrilla war ، أى على شكل حرب لا تتوفر فيها الأوصاف التقليدية للنزاع الداخلى المسلح ٠

سارت الغالبية من فقهاء الغرب الى وقت قريب على أن مبدأ تقرير المصير ليس حقا قانونيا ٠ ولكن التطورات التى جرت فى الأمم المتحـــدة منذ سنة

---

(١) سبق أن قلت ان هذه الحقيقة تجعلنا نصف حركة المقـــاومة بانها حرب اهلية فى مفهومها الدولى التقليدى ٠

١٩٤٥ غيرت الأوضـاع الأمر الذى دعى الفقه الغربى لأن يعود فيعترف بأن تقرير المصير أصبح مبدأ من مبادىء القانون(١) ، ولا يضعف من ذلك عمومية المبدأ أو طبيعته السياسية(٢) · ويرجع الأساس القانونى لتطور الفكر الغربى الى نص المادتين ١/٢ ، ٥٥ من ميثاق الأمم المتحدة(٣) · لقد فهمت هـاتان المادتان فى البداية على أنهما تقدمان للدول نصيحة ولكن ما جرى عليه عمل الأمم المتحدة جعل من مبدأ تقرير المصير الذى نصت عليه المادتان جزءا من قانون الأمم المتحدة(٤) · ففى ١٦ ديسمبر سـنة ١٩٥٢ أصدرت الجمعيـة العمومية قرارها رقم ٦٣٧ الذى يقضى على الدول أعضاء الأمم المتحدة بأن تؤيد مبدأ تقرير المصير لكافة الشعـوب والأمم · وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ أصدرت الجمعية العمومية اعلان منح الاستقلال للبلاد والشـعوب المستعمرة والذى اعتبر مبدأ تقرير المصير جزءا من الالتزامات التى يفرضها ميثاق الأمم المتحدة(٥) ، ولم يكن هذا بمثابة توصية بل كان تفسيرا لأحكام الميثاق له قوة

---

(١) راجع Johnson, Harold S. : Self-determination within the Community of Nations, Leyden, 1967.

(٢) قررت محكمة العدل الدولية فى قضـايا جنوب غرب أفريقية ان المادة ٢ من صك الانتداب تفرض التزاما قانونيا بالعمل على تقدم الرفاهية المادية والمعنوية والاجتماعية لسـكان الاقليم ·

(٣) تنص م ١/٢ على ما يأتى « انماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذى يقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها ··· »

وتنص الفقرة الأولى من م ٥٥ على ما يلى « رغبة فى تهيئة دواعى الاسـتقرار والرفاهية الضروريين لقيام علاقات سلمية ودية بين الأمم مؤسسة على احترام المبدأ الذى يقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها ··· » ·

(٤) Brownlie, Ian : Principles of Public International Law, Oxford, 1966, p. 483.

The International Protection of Human Rights, edited by Evan Luard, London, 1967, pp. 140-145.

(٥) أورد هنا منطوق القرار لأهميته ــ وهو بعد الديباجة ــ ينص على ما يلى :

"1. The subjection of peoples of alien subjugation, domination and exploitation constitutes a denial of fundamental human rights, is contrary to the Charter of the United Nations and is an impediment to the promotion of World peace and co-operation.

"2. All peoples have the right to self-determination ; by virtue of that right they freely determine their political status and freely pursue their economic, social and culture development.

الالزام(١) •

واذن فالوضع الراهن هو أن تقرير المصير مبدأ قانوني ولذا فان أجهزة الأمم المتحدة لا تسمح للمادة ٢/٧(٢) بأن تعوق المناقشة أو اتخـــاذ القرار عندما يكون هذا المبدأ هو موضوع البحث ، أو في معنى آخر فان أجهزة الأمم المتحدة تسمح لنفسها بمناقشة المسائل والمشاكل المتعلقة بحق تقرير المصير دون أن تعتبر ذلك تدخلا في السلطان الداخلي للدولة أو الدول المعنية •

ومن النتائج المنطقية التي تترتب على اقرار مبـــدأ تقرير المصير كحق قانوني أن استخدام القوة لاستعادة اقليم ما استنادا الى هذا المبدأ لا يعتبر فعلا مخالفا للقانون ، كما أن حركة التحرير التي تنبعث عن هذا المبدأ تعتبر

"3. Inadequancy of political, economic, social or educational preparedness should never serve as a pretext for delaying independence.

"4. All armed action or repressive measures of all kinds directed against dependent peoples shall cease in order to enable them to exercise integrity of their national territory shall be respected.

"5. Immediate steps shall be taken, in Trust and Non-Self-Governing Territories or all other territories which have not yet attained independence, to transfer all powers to the peoples of these territories, without any conditions or reservations, in accordance with their freely expressed will and desire, without any distinction as to race, creed or colour, in order to enable them to enjoy complete independence and freedom.

"6. Any attempt aimed at the partial or total disruption of the national unity and the territorial integrity of a country is incompatible with the purposes and principles of the Charter of the United Nations.

"7. All States shall observe faith fully and strictly the provisions of the Charter of the United Nations, the Universal Declarations of Human Rights and the present Declaration on the basis of equality, non-interference in the internal affairs of all States, and respect for the sovereign rights of all peoples and their territorial integrity".

(١) وقد أدرج هذا المبدأ في عـــدة وثائق دولية من ذلك ميثاق البـــاسيفيك (٤ سبتمبر ١٩٥٤) ، بيان مؤتمر باندونج (٤ ابريل ١٩٥٥) ، اعلان مؤتمر بلجراد لدول عدم الانحياز (٦ سبتمبر ١٩٦١ حضره ٢٥ دولة) ، اعلان مؤتمر القاهرة لدول عدم الانحياز (اكتوبر ١٩٦٤ حضره ٤٧ دولة) •

(٢) تنص م ٢/٧ على ما يلي « ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشئون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما ، وليس فيه ما يقتضي الأعضـــاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق ، على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع » •

حركة مشروعة يحميها القانون(١) • والقانون الدولى اذ يحمى حركة التحرير على هذا الأساس انما يحميها بوصفها حركة تحـــرير دون أن يستلزم لذلك شرطا اضافيا أو قيدا من القيود التقليدية •

وتأسيسا على ذلك فان المنظمات الفلسطينية التى تسهم فى حركـة التحرير تعتبر منظمات مشروعة يحميها القانون الدولى • ذلك ان المنظمة غير المشروعة ـ كما عرفتها محكمة نورمبرج هى المنظمة التى تستهدف أغراضا غير مشروعة ، فان كانت أهدافها مشروعة ـ وهذا حال المنظمات الفلسطينية التى تعمل على تحرير الشعب الفلسطينى ـ فانها تبعا تكون منظمة مشروعة كما قلت(٢) • ولست بحاجـــة لأن أكرر أن المنظمـة التى تسعى الى تحرير شعبها انما تسعى الى هدف مشروع •

ولا يقتصر تبرير مشروعية حركة التحرير الفلسطينية على حـق تقرير المصير ، بل ان هناك أسانيد أخرى تؤيد تلك المشروعية •

ان ظاهرة حركات التحرير وحرب العصابات التى تشنها جمـــاعات المقاومة الوطنية ظاهرة حديثة لم تحظ بعد بالدراسة المتعمقة ولـــكن هـذا لا يعنى أنها تخرج عن نطاق هذه الدراسة •

ان هذه الظاهرة تتعلق بالعدالة الاجتماعيـــة والسياسيـة فى الأسرة الدولية التى تفتقر الى قوة مركزية أو جماعية معترف بها تسهر على هـــذه العدالة وتحميها باسم المجتمع الدولى • تلك النقيضـة هى التى دعت القوى الاجتماعية الراغبة فى احداث تغيير عادل لأن تلجأ لوسائل القوة والارهـاب حيث لا تكون هناك وسيلة مجدية سواه كى تحقق هذا التغيير بحيث أصبح الارهاب وسيلة لاحداث التغيير السياسى وأداة مشروعة فى الصراع العسكرى•

لقد أيدت أكثر دول العالم اتباعا لسياسة المحافظة على الوضع الراهن

---

(١) برونلى ـ المرجع السابق ، ص ٤٨٥ •

(٢) Woetzel, Robert K. : The Nuremberg Trials in International Law, London - New York, 1960, p. 191.

فكرة تحرير الشـــعوب وتكاد دول العـالم الـكبرى أن تكون - في وقت ما من تاريخها الحديث - قد أيدت سياسة الارهاب واستخدام حرم خارج الاقليم لابادة العدو(١) • ذلك أن القانون الدولى لا يمكن أن يكــون - كمـا يزعم البعض - هو تدعيم للوضع الراهن - وانما هو ارادة تقدمية لتحقيق التعاون الدولى وهو محكوم بالظروف المسيطرة على المجتمع الدولى والتى أصبحت حرب العصـــابات التحريرية ظاهرة من ظواهرها المتكررة جعلتها منطق العصر فى تحقيق تحرير الشعوب اذا فشلت الوسائل السلمية •

ويقول مور ان ميثاق الأمم المتحدة لا يتطلب من الأقلية المسلحـــة أن تحصل على ترخيص مسبق كى تمارس باسم الكل حق الثـــورة وأن هذه الثورة تعتبر مشروعة اذا كانت مستمدة من حق تقرير المصير(٢) •

وهذا قول ينسجم مع فكرة تستفاد من خطاب ألقاه نائب وزير الخارجية الأمريكية بال Ball فى ٣٠ يناير سنة ١٩٦٦ بجامعة نورثوسترن من أن المنظمة التى تنظم حركة تحرير تعتبر منظمة مشروعة اذا كانت تمثل شعبها أو جزءا واضحا من هذا الشعب(٣) • ومن ثم فان سياسة الحكومات العربية

---

(١) من الأمثلة التى يمكن أن أسوقها هنا المساعدة التى قدمتها الولايات المتحدة الامريكية - فى ابريل ١٩٦١ - لنفر من المعارضين لحكم كاسترو فى كوبا والذين كانوا يقيمون على اقليم الولايات المتحدة الامريكية لغزو كوبا • وهو الغزو الفاشل الذى قضى عليه بتحطيم قوات الغزو التى نزلت فى خليج الخنازير Bay cf Pigs .

(٢) Moore, John Norton : The Lawfulness of Military Assistance to the Republic of Vietnam, p. 267.

وهى مقال منشور بكتاب The Vietnam War and International Law

(٣) كان مستر بال يتكلم عن حركة الفيت كونج Viet-Cong (أى حركة التحرير الفيتنامية الوطنية) فقال العبارة التالية :

The National Liberation Front is not a political entity expressing the will of the people of South Vietnam — or any substantial element of the South Vietnamese people. It is a façade fabricated by the Hanoi regime to confuse the issue and elaborate the myth of any indigenous revolt.

فاذا كان كل ما عابه المذكور على جبهة التحرير أنها لا تمثل شعب جنوب فيتنام بل هى صنيعة حكومة هانوى للايهام بان حركتها حركة وطنية ، فمعنى ذلك ان جبهة التحرير لو أنهـــا تمثل الشعب الفيتنامى الجنوبى لوجب الاعتراف بها والاقرار بمشروعية الحركة التى تقوم بها • ومع ذلك فقد اعترفت امريكا بحركة فيت كونج ودخلت معها فى مفاوضـــات مباشرة لا زالت جارية الى الآن •

في تأييد حركة المقاومة الفلسطينية وحرب العصابات التى تشنها على اسرائيل انما تنسجم مع السلوك الدولى الذى يؤيد مثل هذا الموقف تخلصا من وضع سيء قائم • وهذا الموقف المشروع من قبل الحكومات العربية يعنى عدم مشروعية الأعمال الانتقامية التى تمارسها اسرائيل حيال الدول العربية • ذلك أن ميثاق الأمم المتحدة يمنع الالتجاء الى القوة كعمل انتقامى(١) وهذا ما أكده مجلس الأمن فى قراره الصادر فى ٢٨ مارس ١٩٦٤ بمناسبة الأعمال الانتقامية التى قامت بها السلطات البريطانية ضد مدينة حارب اليمنية ثأرا لما ادعته بريطانيا من مساعدة اليمن لحركة المقاومة فى عدن • لقد شجب مجلس الأمن أعمال الانتقام Reprisals بوصفها منافية لأهداف ومبادىء الأمم المتحدة •

وحتى لو أردنا أن نحكم على تصرفات اسرائيل على هدى من القواعد التقليدية الخاصة بالثأر فاننا نجد أن هذه التصرفات غير مشروعة • طبقا لهذه القواعد العرفية لا يجوز للدولة أن تستعمل حق الثأر الا بشروط ثلاثة هى : ١ ـ أن تكون الدولة التى ستتخذ ضدها اجراءات الثأر مسئولة عن فعل غير مشروع سبق ارتكب ضد الدول التى تقتص ٢ ـ أن تبذل الدولة المدعية جهدا للحصول على ترضية من الدولة الهدف ٣ ـ أن يكون الضرر الذى يتحقق بسبب الثأر متناسبا مع الضرر الأصلى •

وبتطبيق هذه القواعد على التصرفات الاسرائيلية نجد أنها تصرفات غير مشروعة لعدم توفر هذه الشروط حيالها • ذلك أن مجرد وجود قوات المقاومة على أراض الدول العربية الأخرى لا يجعل هذه الدول مسئولة عن تصرفات تلك القوات(٢) الأمر الذى يجعل تصرفات اسرائيل بمثابة استخدام حكومى

---

(١) Brownlie, Iran: International Law and the Use of Force by States, Oxford University Press, 1963, p. 281.

(٢) Falk, Richard A.: The Beirut Raid and the International Law of Retaliation.

مقال منشور على الصفحات ٤١٥ ـ ٤٤٣ من مجلة
American Journal of International Law, Vol. 63, No. 3, July, 1969.

للقوة ضد استثارة غير حكومية وانتهاك لحدود يجب عليها أن تحترمها ٠ ٠ ثم ان اسرائيل لم تبذل أى جهد لكى تحصل على ترضية من الدول العربية ، فضلا عن أنها تتعمد المبالغة فيما تتخذه من أعمال ومثال ذلك مهاجمتها لمطار بيروت وتحطيم الطائرات الرابضة هناك بدعوى الانتقام من عملية اعتداء الفدائيين على طائرة اسرائيلية فى مطار أثينا الأمر الذى يجعل الموازنة بين ما تزعمه من أضرار وما ترتكبه من جرائم غير قائمة ٠ وعلى كل فان اسرائيل ليست دولة فى نظر الدول العربية ، ومن ثم فلا داعى للاسترسال فى هذه المناقشة التى سقتها للجدال فحسب واغلاق أبواب الذرائع ٠

تلك هى بايجاز نظرة القانون الدولى لحركة التحرير الفلسطينية ولنا عود اليها فى مقال مفصل ان شاء الله ٠

* * *

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ٠

صدق الله العظيم



فهرس

صفحة

الباب الثانى

فى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تصويب

يعتذر المؤلف عن الأخطاء المطبعية التى وردت فى هذا الكتاب ، ويخص منها بالذكر العبارات التى أضيفت أو أنقصت أو عدلت ، ومثالها :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩	٧ من الهامش	هـذا النص اضطرابا فى تفسير المقصـود بالاتفاقات الإقليمية ذلك أنه مثل لتلك الاتفاقات بمبدأ	والأمن الدوليين فى حين أن مبدأ مونرو لا يسمح بالتدخل الجماعى فى شئون القـارة الأمريكية .
٧٢	٤ من الهامش	and Agency officials, headed by a representative of the Labor Ministry	. . . .
١٢٧	٥ من الهامش	المتحدة. ويعتبروقود الزيت الذى تتنافس معه الطاقة الذرية أرخص المنتجات البترولية ثمنا	. . . .
١٤٤	٤	فى روديسيا إذ اغلقت المصفاة عند ما Umatli فى مصفاة اقيمت فى	فى روديسيا فى مصفاة اقيمت فى Umatli إذ اغلقت المصفاة عندما
١٥٤	١٣، ١٤	المتحدة الأمر الذى حفزها لأن تتجه إلى تنظيم إقليمى يرتبط بالأمم المتحدة المقبلة .	الوحدة العربية على أنهـا واقع قد بلغ مرحلة النضج السياسى .

كذلك يرجو المؤلف تصحيح التاريخ الذى ورد بالسطر الأخير من ص ٢٩٤ ليكون ١٩ يوليو بدلا من ١٣ يوليو ، كما يلفت النظر إلى أن سنة ١٩٥٥ التى تعدد ذكرها على صفحة ٢٩٥ صحتها سنة ١٩٥٦ . ويترك باقى الأخطاء لفطنة القارىء الكريم مع وافر الشكر .

المؤلف

مجموعة الكتب السياسية والقومية

* * * *

١	ــ الثورة الخلاقة فى المجتمع العربى	الدكتوران	محمد طــه بدوى محمد طلعت الغنيمى
٢	ــ قضية فلسطين أمام القانون الدولى العام	«	محمدطلعت الغنيمىومحمد سامى عبد الحميد
٣	ــ فلسفتنا السياسية الثورية	دكتور	محمد طه بدوى
٤	ــ مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية	«	جــلال يحيى
٥	ــ النظرية العامة للقومية العربية	«	مصطفى أبو زيد فهمى
٦	ــ الاشتراكية والفكر الاشتراكى العربى	«	« « «
٧	ــ الحكم المحلى والديمقراطية	«	مصطفى الجندى
٨	ــ فى الاشتراكية العربية	«	عــلى البــارودى
٩	ــ نظرية الاتحاد بين الدول وتطبيقاتها بين الدول العربية	«	الشافعى محمد بشير
١٠	ــ القومية العربية بين القوميات والمذاهب السياسية المعاصرة		الاستاذان محمد زيدان ومحمود بلال مراجعة عميد ا.ح. محمد كمال الأترى
١١	ــ الاستراتيجية الاقتصــادية للجمهورية العربية المتحدة	عميد اركان حرب	محمد كمال الأترى
١٢	ــ قانون المنظمات الدولية جزآن	دكتور	محمد سامى عبد الحميد
١٣	ــ العرب واليهود فى الماضى والحاضر والمستقبل	المستشار	محمد عبد الرحمن حسين

